الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –
كلية العـــلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم العلوم الإسلامية

جهود محمد الخِضر حُسين في التفســـيـر وعلوم القرآن من خلال مؤلفاته

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في العلوم الإسلامية

تخصص: التفسير بين القديم والحديث

إعداد الطـــالب
بن ديمية جيلالي

إشراف الأستاذ الدكتور
خليفي الشيخ

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د عثمان بلخير	أستاذ	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د الشيخ خليفي	أستاذ	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
د نصر الدين أجدير	أستاذ محاضر"أ"	جامعة تلمسان	عضوا
د معمر شباب	أستاذ محاضر "أ"	جامعة وهران 01	عضوا
أ.د خلواتي صحراوي	أستاذ	المركز الجامعي النعامة	عضوا
أ.د ميلود ربيعي	أستاذ	المركز الجامعي النعامة	عضوا

السنة الجامعية: 1443–1444هـ / 2021–2022م.

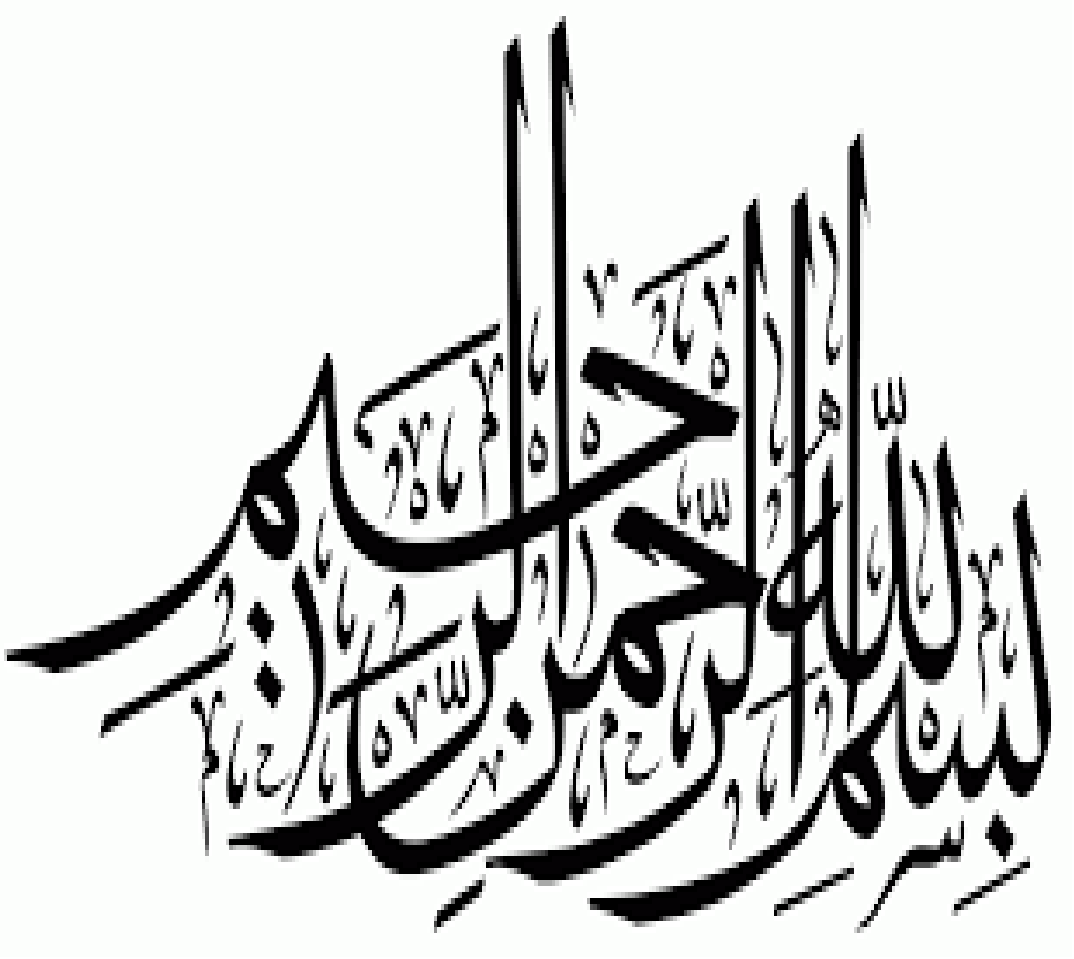

الإهداء

إلى اللَّذَينِ كانا سببا في مجيئي إلى الحياة وغمراني بإحسانهما وعطفهما وكانا لي سندا ومعينا: والدِي الكريم عليه شآبيب الرحمة إن شاء الله ، ووالدتي الحنون متعها الله بالصحة والعافية وجازاها عني كل خير وأقر عينها بما تحب.

إلى جميع إخواني ذكورا وإناثا حفظهم الله وأحسن إليهم

إلى جميع الأقارب .

إلى شيوخي وأساتذتي ومن شرفت بالجلوس بين أيديهم وتعلمت من شريف علمهم .

إلى جميع الأصدقاء ومن تعرفت بهم في كل مكان.

إلى كل من يخدم كتاب الله تعليما وتدريسا وتلاوة ودفاعا عن حياضه.

إلى هؤلاء جميعا أُهدي هذا العمل، راجيا من الله القبول والتوفيق والسداد.

شكر وتقدير

أحمد الله حمدا كثيرا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشكره أن أغدق علي من نعمه ، فكان من نعمه أن هيّأ لي أسباب إنجاز هذا العمل ، فله الحمد أولا وآخرا.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لأستاذي الكريم وشيخي الفاضل الأستاذ الدكتور خليفي الشيخ ، الذي أكرمني بالإشراف على هذا العمل فكان نعم المشرف والناصح والموجّهِ ، استفدت كثيرا من نصحه الثمين فجازاه الله عني وعن طلبته أحسن الجزاء.

كما أتوجه بخالص امتناني إلى السادة الأساتذة، الأعضاءِ المناقشين كُلاً باسمه وصفته ورتبته، على تشريفهم لي وقبولهم مناقشةَ هذا العمل وتقييمه وتقويمه، فأشكرهم على ما بذلوه من جهد ووقت في قراءة هذه الرسالة وتصويبها.

والشكر مبذول إلى قسم العلوم الإسلامية أساتذة وإداريين على ما يبذلونه للنهوض بهذا العلم الشريف .

كما أتوجه بالشكر لجامعة تلمسان التي احتضنتنا وسهلت تعليمنا وإقامتنا.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه هدى ورحمة وتبيانا لكل شيء، أعجز به الإنس والجن وقمع به أهل الزيغ والإلحاد، ووعد من تمسك به وعمل بما فيه سعادة الدنيا والآخرة، وأشهد أن لا إله إلا الله يختص بالحكمة من يشاء، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، أرسله هاديا ومعلما، هدى به من الضلالة، وبصر به من العمى والغواية، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وأزواجه أمهات المؤمنين، ورضي الله تعالى عن صحابة رسول الله أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخيرَ الهدي هدي رسول الله، وشرَ الأمور محدثاتها، وكلَّ بدعة ضلالة.

يظل كتاب الله هو الكتابَ المعجز، ويظل التحدي به قائما إلى يوم القيامة، وتظل محاولات أهل الزيغ والضلال لصرف الأمة عن كتابها سارية لا تنقضي ما دام للحق أعوان وللباطل أعوان، وإذا كان الله ضَمِن لكتابه الحفظ من التحريف أو التبديل والتغيير، بنص القرآن ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ الحجر:09 وبقوله: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ ﴾ القيامة:17، فإنه أوكل لعلماء الأمة والراسخين في العلم منهم مهمةَ الدفاع عن هذا الكتاب، ودَفْعِ كل محاولات التشكيك فيه، هذه المحاولات التي صحبته منذ أن أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبليغ ما أنزل إليه، إلى يوم الناس هذا.

وقد قيض الله لكل عصر علماء يبينون كتابه للناس، ويكشفون أسراره ويفهمون ما تشير إليه آياته تلميحا أو تصريحا، فوضعوا حوله التآليف والتصانيف المختلفة، واستنبطوا منه علوما كثيرة، هي علوم خادمة لهذا الكتاب سموها "علوم القرآن"، وكان من جملة علوم القرآن "تفسيره" وشرحه وبيان معانيه وأحكامه، وقد تسابق العلماء قديما وحديثا في التأليف في التفسير وعلوم القرآن لأنهما يتعلقان بأشرف كلام وأفضله: كلامِ الله، وكان لكل واحد منهم طريقته في تناول هذه العلوم

وعرضها بما يقتضيه زمانه وظروف عصره .

أهمية الموضوع:

زخر العالم الإسلامي بكثير من العلماء في المشرق والمغرب، تركوا بصماتهم التي حفظتها لهم الأيام وتناقلتها الأجيال بما خلَّفوه من علم نافع بثُّوه في الصدور، ودوَّنوه في السطور، وكان للعصر الحديث نصيبه الأوفر من هذه الطائفة، التي سخرت عقولها وأقلامها وألسنتها لخدمة دين الله، وخيرُ ما توجهت له الأفكار والهمم والنفوس هو خدمة القرآن الكريم، هذا الكتاب الذي سعى أعداء الأمة في الداخل وفي الخارج لطمس معالمه وإبعاد الأمة عنه.

ومن أبرز هؤلاء المدافعين عن حمى الشريعة، محمد الخضر حسين التونسي المولد، ذو الأصول الجزائرية، والذي سخَّر حياته وعمره المديد، وقلمه البليغ في الدفاع عن هذه الشريعة وأصولها التي قامت عليها، خاصة أصلَها الأول القرآنَ الكريم ، فقد تلقى علمه عن خيرة علماء الزيتونة، وقضى نصف عمره بتونس متعلما ثم معَلما، كما قضى نصفه الآخر مهاجرا بدينه في أرض الله الواسعة، فكان من أبرز المجاهدين والعلماء والمفكرين، كما كان همزة وصل بين معهدي الزيتونة والأزهر، حيث أعاد للأذهان ما كان بين الجامعين من الصِلات، وقد ترك تراثا نفيسا وعلما غزيرا في مختلف فنون المعرفة والثقافة ، خاصة في التفسير وعلوم القرآن، فلا يخلو مؤلَّف من مؤلفاته، ولا كتاب من كتبه، أو محاضرة من محاضراته، وكذا مسامراتِه ومناظراتِه- من بحث يتعلق بالقرآن الكريم، وقد استغل ما أتيح في وقته من وسائل الاتصال المقروءة والمسموعة لنشر ما توصل إليه من معانٍ واستنباطات تتعلق بكتاب الله .

وتتمثل أهمية الموضوع في: توظيف –محمد الخضر حسين- لعلم التفسير وعلوم القرآن المختلفة في الدفاع عن الشريعة والإجابة عما أثير من شبهات وإشكالات.

-كما تتمثل في عرض هذين العِلمين بأساليب وطرائق لم تكن معهودة عند الأقدمين،

وذلك بسبب ظهور مستجدات في مختلف جوانب الفكر تستدعي الإجابة عليها .

إشكالية البحث:

هدفت الدراسة إلى الإجابة على الإشكالية التالية:

كيف وظف- محمد الخضر حسين علوم القرآن ومنها التفسير في مواجهة الإلحاد في آيات الله، والإنحراف في تأويل القرآن الكريم؟.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد تضافرت عدة أسباب جعلتني أُقبل على هذا الموضوع منها:

أن موضوع الماجستير الذي تقدمت به من قبل، والذي كان بعنوان:"منهج محمد الخضر حسين في تفسير آي القرآن وملامح الإصلاح فيه" فتح لي نافذة إلى فكر هذا العالِم، ودفعني إلى البحث أكثر في تراثه ومؤلفاته التي أسهم بها في خدمة كتاب الله.

-جهل كثير من الناس بعلماء المغرب العربي وإسهاماتهم في علم التفسير وعلوم القرآن وشيوع أفكار تبخسهم حقهم وتجحد جهودهم في القديم والحديث.

-أنه بدا لي أن في الموضوع المبحوث فيه جِدَّة، فقد تناول بعض المفكرين جوانب من فكره وحياته ولكن قلما تُفرد دراسة حول جهوده في التفسير وعلوم القرآن إلا ما كان من أبحاث مختصرة.

أهداف الموضوع:

أهدِف من وراء هذه الدراسة إلى التعرف على العصر الذي نشأ فيه محمد الخضر والإحاطة بمظاهر هذا العصر العلمية والفكرية والسياسية .

الوقوف على جهود هذا الإمام في علوم التفسير وبيان اسهاماته في علوم القرآن.

بيان مكانة محمد الخضر حسين بين المفسرين وتوظيفِه التفسير في الإجابة عن شبهات المستشرقين وتلامذتهم.

بيان واقع التفسير في العصر الحديث وحاجة الأمة إليه.

التنبيه إلى تراث محمد الخضر وثرائه، تحفيزا للباحثين إلى مواصلة البحث في مؤلفاته وآثاره قصد إثراء المكتبة الجامعية خاصة، والساحة العلمية عامة.

الدراسات السابقة:

من الدراسات التي وقفت عليها –بهذا العنوان – دراسة للباحثة "نوال بن سليمان بن محمد" وهي رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على رسالة الماجيستير بكلية التربية بالزلفى جامعة المجمعة بالمملكة العربية السعودية، موسم 1438-1439هـ الموافق ل2017-2018م ، غير أن تفاصيل الرسالة ومحتواها غير منشور، وإنما العنوان فقط ، أما باقي الدراسات فلم تكن بهذا العنوان، فهناك أطروحة دكتوراه بعنوان: "محمد الخضر حسين النص القرآني في فكره الإصلاحي" لطاهر بن سالمة وهي رسالة في سبعة فصول حيث كان فصلها الأول في حياة محمد الخضر وآثاره استغرقت (60صفحة) تقريبا ثم منهجه في التفسير كرره مرتين ثانيهما خصصه للتفسير الموضوعي، ثم تكلم في باقي الفصول عن قضايا الإصلاح (مجال الدعوة، المجال الاجتماعي، والسياسي، الديني).

ومن أُولى الدراسات حول محمد الخضر حسين، دراسة "محمد مواعدة" التونسي بعنوان محمد الخضر حسين حياته وآثاره، فصَّل فيها حياة محمد الخضر حسين خطوة بخطوة من الميلاد إلى الوفاة ثم وقف على مؤلفاته فعرَّف بها جميعا وبتفصيل، وتكاد هذه الدراسة تكون المرجع في ترجمة حياة محمد الخضر لكل من أتى بعد محمد مواعدة.

كما أن من البحوث التي توجهت لتفسير محمد الخضر، بحثا بعنوان: "تنزيل الآيات على الواقع لمحمد الخضر حسين"، في سبعة عشر صفحة مقدم إلى مجلة المعيار بجامعة الأمير عبد القادر

بقسنطينة للباحثتين: حدة سابق ومريم بوعافية.

كما أن لمحمد بن إبراهيم الحمد دراساتٍ حول فكر محمد الخضر، منها: بحث مختصر بعنوان:" جهود محمد الخضر حسين في خدمة القرآن وعلومه"، وهو منشور بملتقى أهل التفسير منذ سنة 2013م، وله رسالة بعنوان: "محمد الخضر حسين سيرته ومؤلفاته"، عرَّف فيها بمحمد الخضر وبمؤلفاته، وله أيضا كتاب بعنوان: "منهج الشيخ محمد الخضر حسين في مواجهة الانحرافات العقدية والفكرية".

المنهج المتبع للدراسة:

وعن المنهج المتبع فقد اقتضت طبيعة الموضوع أن أسلك المنهج الوصفي التحليلي مستعينا بأداة الاستقراء في تتبع آثار محمد الخضر، كما استعنت شيئا ما بالمنهج التاريخي خاصة عند عرض الحالة السياسية لعصر محمد الخضر، وكذا عند الحديث عن بعض الفرق والمناهج في تاريخ المسلمين.

وقد كان محتوى الدراسة كالتالي: قسمت الموضوع إلى مقدمة وأربعة فصول، الفصل الأول فكان بعنوان :محمد الخضر حسين عصره وحياته وآثاره ومواقفه، وكانت هذه الثلاثة عناوين مباحث هذا الفصل، إذ عنونت المبحث الأول ب عصره وكان في ثلاثة مطالب :وهي الحياة السياسية ،ثم مظاهر الحياة السياسية وذلك بالحديث عن الحرب العالمية الأولى إلغاء الخلافة العثمانية،واحتلال فلسطين ، أما المطلب الثالث لهذا المبحث فكان عن الحياة الثقافية والفكرية وذلك بالحديث عن الحركات الإصلاحية وكذا الهدامة التي انتشرت في هذه الفترة ، ثم الحديث عن المدارس والمعارف والعلوم السائدة.

أما المبحث الثاني فكان عن حياته والتي تناولتها بالتفصيل وذلك بالحديث عن: الاسم، ثم المولد والنشأة، ثم الأصل والنسبة، فالنشأة العلمية بما فيها مكان الدراسة، والشيوخ والأساتذة، ثم

أعماله بتونس، ثم رحلته إلى المشرق واستقراره بمصر ثم أعماله بمصر، ثم وفاته وفي الأخير آثاره ومؤلفاته.

أما المبحث الثالث والأخير لهذا الفصل فكان بعنوان: مواقف محمد الخضر حسين، وقسمته إلى ثلاثة مطالب، الأول موقفه من قضايا الأمة الكبرى واقتصرت على موقفه من الاستعمار وكذا موقفه من القضية الفلسطينية، أما المطلب فكان عن الخلافة، وموقف محمد الخضر منها وما أثاره كتاب علي عبد الرازق في هذا الموضوع، أما المطلب الثالث فكان عن معالجة محمد الخضر للقضايا الاجتماعية، كالتربية والتعليم، والتصوف والبدع.

وفي الفصل الثاني كان الحديث عن جهود محمد الخضر حسين في التفسير، حوى ثلاثة مباحث، أولها حركة التأليف في التفسير في العصر الحديث مظاهرها ومقاصدها، وكان ذلك في ثلاثة مطالب: مفهوم التفسير والتأويل والفرق بينهما، ثم مطلب حركة التفسير في العصر الحديث، ثم طرق التفسير وأشكاله في العصر الحديث كل هذا كان المقصد منه بيان حضور محمد الخضر حسين في كل جزئية من الجزئيات المدروسة، أما المبحث الثاني فكان عن موقف محمد الخضر حسين من التفسير ووسائله ورجاله في القديم والحديث وكان كالتالي:

المطلب الأول: أقسام التفسير وشروط المفسر عند محمد الخضر حسين

المطلب الثاني: موقف محمد الخضر من قدماء المفسرين

المطلب الثالث: المقالة التفسيرية وتوظيف وسائل الإعلام للتفسير

وفي الأخير عنونت المبحث الثالث ب: اتجاهات التفسير ومدارسه في عصر محمد الخضر مع بيان أوجه الموافقة أو المخالفة لها.

وقد انضوى تحت هذا المبحث ثلاثة مطالب رتبت كالتالي:

المطلب الأول: اتجاهات التفسير ورواده في العصر الحديث.

المطلب الثاني: مدارس التفسير في العصر الحديث.

المطلب الثالث: مظاهر الموافقة والمخالفة بين محمد الخضر ومدارس التفسير الحديثة.

ولقد كان عنوان الفصل الثالث: جهود محمد الخضر حسين في علوم القرآن، قسم إلى ثلاثة مباحث وهي بهذا الترتيب:

المبحث الأول: حركة التأليف في علوم القرآن ونظرة محمد الخضر حسين إلى القرآن وعلومه.

المبحث الثاني: عربية القرآن الكريم

المبحث الثالث: آراء محمد الخضر حسين واجتهاداته في بعض مسائل علوم القرآن.

وتم تقسيم المبحث الأول إلى ثلاثة مطالب وهي:حركة التأليف في علوم القرآن في القرن19-20م. تحدثت فيه باختصار عن مراحل التأليف في علوم القرآن، ثم أغراض التأليف في هذا العلم، وأخيرا المؤلفات في علوم القرآن في هذه الفترة.أما المطلب الثاني فكان عن معاني المصطلحات التالية: القرآن، علوم القرآن ، الوحي، والمطلب الثالث كان عن القرآن في حياة محمد الخضر ومن ذلك: تعظيمه للقرآن الكريم، ومظاهر عناية محمد الخضر بالقرآن.ثم أردفت إلى المبحث الأول المبحث الثاني وقد عنونته ب عربية القرآن الكريم وقد حوى هذا المبحث ثلاثة مطالب، المطلب الأول بعنوان فضل اللغة العربية وسر نزول القرآن بها ، والمطلب الثاني كان بعنوان: خدمة محمد الخضر حسين للغة القرآن ودفاعه عنها،أما المطلب الثالث والأخير فكان بعنوان: موقف محمد الخضر حسين من ترجمة القرآن الكريم، وختمت هذا الفصل بمبحث آراء محمد الخضر حسين واجتهاداته في مسائل من علوم القرآن، وضم هذا المبحث ثلاثة مطالب وهي على الترتيب:

المطلب الأول: إعجاز القرآن.

المطلب الثاني: النسخ في القرآن.

المطلب الثالث: مطاعن في مسائلَ من النسخ.

أمّا آخر الفصول – وهو الفصل الرابع- من هذه الأطروحة فكان بعنوان: موقف محمد الخضر حسين من الإلحاد والانحراف في تأويل القرآن الكريم وكان أول المباحث بعنوان: الانحراف والإلحاد في الأويل في القديم، وقد قسمته إلى ثلاثة مطالب وهي: معنى الانحراف، في التأويل أسبابه وأصناف المنحرفين، والمطلب الثاني كان بعنوان: موقف محمد الخضر من انحراف المدرسة العقلية القدمة (المعتزلة).

وآخر المطالب عنوته :موقف محمد الخضر حسين من انحراف المدرسة الباطنية القديمة في تأويل القرآن، أما المبحث الثاني فكان عن موقف محمد الخضر حسين من الانحراف في التأويل في العصر الحديث، وقد قسمته إلى ثلاثة مطالب وهي: المطلب الأول والذي كان بعنوان:تأويلات وأباطيل المستشرقين وموقف محمد الخضر منها، والمطلب الثاني مطاعن تلامذة المستشرقين ، أمّا المطلب الثالث فكان عن مطاعن المدرسة العقلية الإلحادية الحديثة ، أما آخر المباحث من هذ الفصل وهذه الأطروحة فكان بعنوان : حركة الطعن في أحكام الشريعة ودفاع محمد الخضر: ضم ثلاثة مطالب لمسائل تعرضت للطعن في العصر الحديث وهي على الترتيب:المعجزات ثم الغيبيات ثم الأحكام والتشريع ، وهذه الثلاثة بهذا الترتيب كل منها عنوان لمطلب من مطالب هذا المبحث.

أما عن الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث فتمثلت في عدم العثور على بعض المصادر والمؤلفات التي ألفها محمد الخضر حسين، منها: شرحه على موافقات الشاطبي الجزء الأول والثاني، كما أنه لم يتوفر لدَيَ من أعماله الكاملة، الجزءان السادس عشر والسابع عشر فقد طبعا مؤخرا، واتصلتُ بجامع تراث محمد الخضر حسين، ابنِ أخيه علي الرضا الحسيني فأعلمني بوجودهما بمكتبة الفارابي بدمشق، وحاولت الاتصال بالمكتبة فلم أجد استجابة.

وبالنسبة لطريقة التهميش فقد اتبعت طريقةً أذكر فيها الاسم الذي اشتهر به المؤلِّف أو المؤلفون، ثم أذكر باقي الاسم، ثم اسم المصنَّف ثم المحقق إن وجد ثم دار النشر ثم رقم الطبعة إن وجدت وإلا أختصرها ب (د ط) أي دون طبعة ،ثم أذكر بلد النشر ثم سنة النشر إن وُجدت وإلا أختصرها ب(د س ط) أي دون سنة طبع ، ثم في الأخير الجزء ورقم الصفحة وقد ترجمت لكثير من الأعلام واجتنبت قدر الإمكان ترجمة الأعلام المشهورين، أما عن محمد الخضر حسين فتارة أذكره باسمه الثلاثي وأحيانا أقتصر على "محمد الخضر" فقط.

وختمت الدراسة بخاتمة أشرت فيها إلى مختلف النتائج ثم التوصيات.

أمّا الفهارس فقد جعلت فهارس للآيات القرآنية وأخرى للأحاديث النبوية والآثار وثالثة للأبيات الشعرية ورابعة للمصادر والمؤلفات ابتدأت فيها بعنوان الكتاب ثم المؤلف ثم باقي معلومات المرجع أو المصدر وفي الأخير ختمت الفهارس بفهرس الموضوعات.

فهذه هي الخطة وهذه هي دوافع اختيار الموضوع وأهدافه فما كان من صواب وتوفيق فهو من الله وحده وله الحمد والشكر ، وما كان من سهو أو تقصير أو تفريط فهما من نفسي ومن الشيطان، ولا حولا ولا قوة لي إلا بالله العلي العظيم ، وفي الأخير أتقدم بالتحية والشكر إلى أستاذي الكريم الأستاذ خليفي الشيخ الذي شرفني بقبول الإشراف على هذا العمل ، وأكرمني بتوجيهاته ونصائحه التي كانت معينا لي طيلة مراحل انجاز هذا البحث، فله مني خالص التقدير وأعظم الله له المثوبة ، كما أشكر أساتذتي أعضاءَ اللجنة المناقشين الذي تفضلوا علي بقبول مناقشة هذا العمل وتوجيهه ومعالجته فلهم مني خالص امتناني، وصلى الله وسلم على معلم الناس الخير نبينا محمد سيد الأولين والآخرين ، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مشرية في: 17 ربيع الآخر 1443هـ

الموافق لـ 22 نوفمبر 2021م

الفصـــــــل الأول:
محمد الخضر حسين عصره وحياته

- **المبحث الأول: عصر محمد الخضر حسين**
  - ✓ الحياة السياسيـــــــة
  - ✓ الأحداث البارزة في عصر محمد الخضر
  - ✓ الحياة الثقافية والفكرية
- **المبحث الثاني: حياة محمد الخضر حسين**

1. الاسم
2. المولد والنشأة
3. الأصل والنسبة
4. نشأته العلمية
5. وظائفه وأعماله بتونس
6. رحلاته العلمية
7. أعماله بمصر
8. وفاته
9. تلاميذه وشهادة العلماء له
10. تراثه الفكري والعلمي وآثاره

- **المبحث الثالث: مواقف محمد الخضر حسين**
  - ✓ موقفه من قضايا الأمة الكبرى
  - ✓ الخلافة
  - ✓ معالجة محمد الخضر للقضايا الاجتماعية

يبعث الله عز وجل في كل فترة من الفترات من يجدد لهذه الأمة دينها، ويصحح مفاهيمها، وقد يكون هولاء المجددون أو المصلحون أفرادا، أو هيئات وجماعات، تهتدي الأمة بهم، وتنقاد لرأيهم، وترجع إليهم كلما نزلت بها نازلة، أو عرض لها أمر يتعلق بدينها أو دنياها، والمفسرون هم من هذه الطائفة التي آتاها الله فهما لكتابه ، وأوكل إليهم بيانه وتعليمه.

يعد محمد الخضر حسين واحدا من هؤلاء المفسرين الذين ظهرت جهودهم التي شهد بها من عاصره أو تتلمذ عليه أو جالسه ،كما شهد بذلك آثارُه التي خلفها وعلمُه النافع الذي تركه، وهذا الفصل سيعرض لثلاثة مباحث :أولها عصره الذي عاش فيه إذ لابد للدارس أن يتعرف على العصر الذي عاش فيه المفسر، وأن يقف على مختلف مظاهر الحياة:السياسية والاجتماعية والعلمية، وأن يعرف ما يعرض لعصره من المشكلات، ويجد لها الحلول من كتاب الله، وأمَّا المبحث الثاني فسيكون حول حياة محمد الخضر، هذه الحياة التي طالت آمادها وكثرت أمدادها فقد تجاوزت عمره الثمانين عاما وعاش في الفترة الممتدة –من 1875إلى 1958م- فكان عمرا مديدا مليئا بالتأليف في مختلف القضايا العلمية، وكذا المواقف المشرفة، وقد كنت في مرحلة الماجستير مهدت بذكر حياته، أمّا عرضي لها في مرحلة الدكتوراه فليس تكرارا لها، بل استدراكا لجملة من القضايا التي لم أتعرض لها إذ ذاك ، ولتوفر بعض المراجع الجديدة التي لم تتح لي في تلك المرحلة،أعطتني صورة أوسع وأوضح وأشمل من تلك الصورة السابقة ، وأمّا آخر المباحث من هذا الفصل فسيكون عن موقف محمد الخضر من القضايا الكبرى لأمته وما كتبه حول تلك القضايا شعرا أو نثرا وما تركته تلك القضايا من آثار في شخصيته جعلته يقتحم باب التفسير وعلوم القرآن في ضوء ما استجد من أحداث.

المبحث الأول: عصـــر محمد الخضر حسين

شهد القرنان التاسع عشر والعشرون الكثيرَ من الأحداث الجسام سواء على المستوى العالمي أو الإسلامي أو العربي حيث كانت الكثير من البلدان العربية والإسلامية تحت هيمنة الاستعمار الغربي، الذي استولى على الأرض واستغل ما فيها من ثروات وما عليها من شعوب، وقد صاحب هذه الحملاتِ الاستعماريةَ حملاتٌ للتبشير أو التنصير حملت معها أفكارا هدامة ومشاريع ماسخة وماحية لهوية الأمة وأصالتها ودينها، وهذا ما يسمى "الغزو الثقافي والفكري"[1].

لقد علم أهل الفكر والعلم والصلاح خطورة الأوضاع فراحوا ينفثون في روح الأمة، ويرفعون وعيها ويحذرونها من الاستسلام أو الخضوع، فاجتمع للأمة سلاح الكلمة والقلم والبندقية والسيف يحدوهم قول القائل:

والعُـــرْبُ لا تَبْـــدَا بجَمْـــعِ جُمُوعِهَـــا إلاَ سَمِعْتَ نَشِيدَهَا وَحُدَاءَهَا[2]

[1]- المخططات والأعمال الفكرية ، والتثقيفية ، والتدريبية ، والتربوية ، والتوجيهية ، وسائر وسائل التأثير النفسي ، والخلقي ، والتوجيه السلوكي والفردي والإجتماعي ، والتي تقوم بها المنظمات والمؤسسات الدولية والشعبية من أعداء الإسلام والمسلمين، ينظر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها:ص25 .

[2]- شكيب أرسلان – ديوان شكيب أرسلان، تحقيق: محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، دط ،مصر، 1354هـ- 1935م: ص43. والحداء معناه، سَوق الإبل والغناء لها ، ينظر: الرازي، زين الدين-مختار الصحاح،جذر:(ح د ا) ،تحقيق: يوسف الشيخ محمد،المكتبة العصرية – الدار النموذجية،ط05، بيروت – صيدا ،1420هـ - 1999م: ص68.

المطلب الأول: الحياة السياسية

لقد شهد محمد الخضر حسين مرحلتين من العصر الحديث : الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، والنصفَ الأولَ من القرن العشرين، وهي مرحلة اتسمت بكثير من الأحداث السياسية، فقد وقعت كثير من البلاد الإسلامية تحت وطأة الاستعمار وكانت تونس – وهي مسقط محمد الخضر حسين – من جملة البلاد المحتلة، حيث فُرضت عليها الحماية الفرنسية إثر معاهدة باردو[1] سنة 1298هـ، الموافق ل1881م[2]، وقد نُص على عشرة بنود لهذه المعاهدة أوردها بالتفصيل محمد الخضر حسين في كتابه :"تونس وجامع الزيتونة" ومن ضمن هذه البنود: دولة الجمهورية الفرنسية، ودولة حضرة الباي أبقوا لأنفسهم الحق في أن يؤسسوا ترتيباً في المالية التونسية؛ ليمكن لهما دفع ما يلزم الدين التونسي العام.

–إن غرامة الحرب يغصب عليها القبائل العصاة بالحدود والشطوط، وتفعل دولة الجمهورية مع حضرة الباي فيما بعد شروطاً على كميتها، وكيفية دفعها، ودولة حضرة الباي تضمن في ذلك[3].

الفرع الأول: احتلال تونس ودوافعه: لم تبدأ فرنسا التدخل في المسألة التونسية إلا من أجل التعويض عن فقد الألزاس واللورين[4] ، كما أنها "تذرعت بهجوم بعض القبائل التونسية على الحدود مع الجزائر –التي استتب له الأمر فيها– لتتدخل عسكريا وتحاصر قصر الباي بباردو يوم 1881/05/12م"[5] .

---

[1]– ينظر بنود معاهدة باردو، محمد الخضر حسين– تونس وجامع الزيتونة، دار النوادر ، ط01، سورية ،دمشق،1431هـ–2010م: ص168 .

[2]– شاكر ، محمود– التاريخ الإسلامي ، المكتب الإسلامي ،ط02 بيروت ،1419هـ–1996 م: ج14 ص125 .

[3]– ينظر بنود معاهدة باردو، محمد الخضر حسين– تونس وجامع الزيتونة، دار النوادر ، ط01، سورية ،دمشق،1431هـ–2010م: ص168 .

[4]– زاهر رياض – استعمار إفريقية ، الدار القومية للطباعة والنشر، دط ،القاهرة ،1384هـ–1965م : ص154.

[5]– السرجاني ، راغب – قصة تونس من البداية إلى ثورة 2011، دار أقلام للنشر والتوزيع والترجمة ،ط01، القاهرة ، 1432هـ–2011م: ص21 .

وأجلبت على تونس بخيلها ورَجْلها[1]، وتجاوزت بها إلى داخل البلاد[2]، ولقد تحدث محمد الفاضل بن عاشور عن دخول الفرنسيين لتونس فقال " استقر الاستعمار وتوطد أمره، واستولى المستعمرون على أجهزة الحكم والإدارة كافة، فلم يبق لأبناء البلاد،أميرِهم وحقيرِهم من الأمر شيء، واشتد ساعد الجالية الفرنسية وتضخم عددها، ونفذ أمرها، وعلت كلمتها فاعتبرت البلاد التونسية وطنا لها"[3]، ولا شك أن هذا الحال ينسحب على كل دولة احتُلت وصارت تحت أي نوع من أنواع الاحتلال، سواء كان استيطانا أو حماية أو غيرها.

الفرع الثاني: وسائل المستعمر لإخضاع الشعوب

ولما لم تجد فرنسا إذعانا من الشعوب أغرتهم بفكرة التجنيس وأوهمتهم أن لهم الحقوقَ نفسَها المتاحة للمعمرين، وبين محمد الخضر مقصد الفرنسيين في قانون التجنيس إذْ "فعلت هذا ترغيباً للوطنيين في الخروج عن قوميتهم العربية إلى الجنسية الفرنسية، ولكن الوطنيين المسلمين أدركوا أنَّ هذا التجنس يسلخهم من دينهم، ويطعن في قوميتهم ووطنيتهم، فأحجموا عنه إلا نفراً قليلاً استهوتهم منافعه العاجلة"[4].

ثم تحدث في ديوانه عن فضائح المستعمرين ونيّاتهم في صياغة هذا القانون:

يَسْفِكُ الْباغي دِماءً ذَنْبُها ... أَنَّها تَغْلي إذا شَدَّ الخِناقَا
وطَغى في الأرْضِ حَتّى إنَّهُ ... هَمَّ بالدِّينِ خُسوفاً أوْ مُحَاقَا
يَنْصِبُ الأَشْراكَ كَيْ يَصْرِفَ عَنْ ... حِكْمَةِ اللهِ قُلوباً وحِدَاقَا
لاذَ بالتَّجْنيسِ والقَوْمُ أَبَوْا ... خَوْفَ أَنْ يَصْلَوا بِهِ النَّارَ الحِراقا[5]

---

[1]- اقتباس من قوله تعالى: ﴿ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ ﴿٦٤﴾﴾،الإسراء:64.

[2]- محمد الخضر حسين –تونس وجامع الزيتونة:ص167 .

[3]- ابن عاشور- محمد الفاضل ،الحركة الأدبية والفكرية في تونس في القرنين 13-14هـ/19-20 ،مطبعة الرشيد ،ط01 تونس ،2009م:ص68 .

[4]- تونس وجامع الزيتونة- دار النوادر ،ط01، سورية ،دمشق ،1431هـ-2010م: ص177 .

[5]- محمد الخضر حسين – ديوان الخواطر ، دار النوادر ، ط01،سورية – دمشق ،1431هـ-2010م: ص159.

لكن هذا القانون لقي نفورا من الشعب ومقاطعة للفئة التي رضيت به "فقد قرر الشعب مقاطعة المتجنسين وعدم التزاوج معهم، ومَنْعهم من الدخول للمساجد، وحرمانهم من الدفن في مقابر المسلمين"[1].

كان من جملة الذرائع التي توسل بها المحتلون؛ لاحتلال البلاد الإسلامية أنهم دعاة حضارة؛ جاءوا لينقلوا تجربتهم إلى العالم الإسلامي وينقذوه مما يعانيه من جهل وتخلف، "والحق أن فرنسا وسواها من دول الاستعمار الأوروبي لم تأت إلى الشرق إلا لمحاربة الإسلام من جانب، ولسلب ثروات الشرق من جانب آخر، ومن العبث أن يفكر إنسان أن هؤلاء كانوا حملة إصلاح أو دعاة حضارة لبلاد الشرق"[2].

لقد تحدث محمد الخضر حسين عن مصير الأمم التي تقع تحت ظلم الاستعمار فقال "فالأمم التي تعاني الاستعمار الفرنسي وأمثالَه، إنما تواجه سياسة فناء وإبادة، وخطر انقراض وزوال، سياسة تحارب الأمم في لغتها وعقيدتها وتقاليدها وأخلاقها، وفي سلطانها ومصادر ثروتها"[3].

ثم تحدث عن السياسة الاستعمارية التي انتهجها الفرنسيون في تونس منها أن " للحكومة الفرنسية بعد هذه الأغراض غرضاً آخر هو أشنع ما ترمي إليه سياستها، وهو إخراج شمال أفريقية من عربيته إلى الجنسية الفرنسية، وسلخه من الديانة الإسلامية إلى ديانة غير إسلامية، أو غير ديانة[4].

وهذا الذي أكده محمد الفاضل بن عاشور، فقد صارت النظم كلها، مبنية على التقاليد الغربية مستخفة بالديانة الإسلامية، والعوائد التونسية...وصار ابن البلاد مهينا ساقط الاعتبار

[1]- الفاسي ،علال- الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ، دار الطباعة المغربية ، دط ، تطوان ، المغرب ، 1948م:ص62.
[2]- أحمد شلبي - موسوعة التاريخ الإسلامي،مكتبة النهضة المصرية ،ط12 ، مصر ،1987م: ج 5 ص 329 .
[3]- محمد الخضر حسين -جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا، دار النوادر،سورية- دمشق،ط01 ،1431هـ-2010 م: ص87.
[4]- المصدر نفسه : ص 56 .

وأصبحت لغته مهجورة، والحكم حكمَ غيره، والبلاد لأمة غير أمته[1].

الفرع الثالث: أهداف الاحتلال وأثره في المجتمعات

يمكن تلخيص هذه الأهداف التي لأجلها احتُلت البلاد الإسلامية في مايلي:

1 – صرف المسلمين عن دينهم كليا.

02 – تشويه صورة الاسلام في أعين المسلين وغيرهم.

03- محاولة تأخير النهضة الإسلامية وإجهاضها – جعل التبعية الكاملة للغرب بنظمه وآدابه وتقاليده[2] .

ولتحقيق هذه الأهداف نهج جملة من المحاولات تتلخص في ما يلي:

1 – محاولة تشويه القرآن الكريم والافتراء عليه. 02– تشويه شخص الرسول صلى الله عليه وسلم.03 – تشويه السنة النبوية والافتراء عليها ،04 – تشويه التاريخ الإسلامي 05- محاولة تشويه نظام الحياة الإسلامية . 06- طمس التراث الإسلامي .07- محاولة تخريب الحياة الاجتماعية والثقافية والتعليمية في بلاد المسلمين[3].

لقد كان للاستعمار أثره في حياة محمد الخضر حسين إذ لقيت عائلته التشريد والطرد من موطنها الأصلي الجزائر" فعند احتلال بسكرة (1843 – 1844م) هاجر مصطفى بن عزوز (بن محمد) –وهو جد محمد الخضر حسين لأمه – إلى نفطة بتونس وأسس، بها زاوية رحمانية أصبحت

[1]– الحركة الأدبية والفكرية في تونس : ص68 .

[2]– الجندي، أنور – المعاصرة في إطار الأصالة ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ،ط01 ،القاهرة، 1407هـ-1987م :ص28. /علي عبد الحليم محمود- الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي ،دار ابن الأثير للطباعة والنشر، ط01 ،الموصل – العراق،1399هـ-1979م: ص36 وما بعدها .

[3]– علي عبد الحليم محمود – الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي ، ص35 وما بعدها .

ذات شهرة واسعة في العلم والتصوف وملجأ للهاربين من ظلم الاستعمار الفرنسي"[1].

وقد لقي محمد الخضر حسين المصير ذاته فقد قضى عمره مطاردا من الفرنسيين في البلاد، حيث أصدرت السلطات الفرنسية في سنة 1916م حكماً يقضي بإعدام محمد الخضر حسين وصالح الشريف من تونس لاتهامهما بالتعاون مع الدولة التركية ضد فرنسا[2].

وهذا الحكم منعه من الاستقرار في أي قطر تحت هيمنة الفرنسيين "وقد ظل هذا الحكم[3] يطارد الرجل المجاهد ويحول بينه وبين العودة إلى تونس أو الإقامة في بلد يحتله الفرنسيون، ومن ثم هاجر الشيخ سنة 1919م إلى مصر لاجئاً سياسياً بمجرد عودة الفرنسيين إلى احتلال دمشق[4].

هذا الحكم إنما صدر بسبب مواقفه من الاستعمار فقد ظل مقاوما للمستعمر بلسانه وقلمه، وقد ألقى محاضرة بعنوان "الحرية في الإسلام" مساء السبت 17 ربيع الثاني1324هـ/سنة1906م في حفل أشرف عليه محمد الطاهر بن عاشور فنالت إعجاب المثقفين مما دعاه إلى طبعها[5].

كما كان حريصا على أن لا يحضر شاهدا في محاكمة تقام بين تونسي وأحد المعمِّرين لما في ذلك من الإقرار بأحكام الغربيين، فقد خاطبته المحكمة الفرنسية سنة 1925 م بإشارة من شيخ المدينة أن يكون عضواً في المحكمة ليحضر حكمها بين الوطني والفرنسي، فامتنع عن هذه العضوية،

[1]- سعد الله، أبو القاسم – تاريخ الجزائر الثقافي،دار الغرب الإسلامي، ط01 ، بيروت-لبنان، 1998 م: ج04 ص146.

[2]- علي الرضا الحسيني- كتابات حول محمد الخضر حسين ، دار النوادر ، ط01 ،سورية ،دمشق، 1431هـ-2010م : ص228.

[3]- نفى محمد مواعدة وجود وثائق مثبتة لهذا الحكم على محمد الخضر حسين، لكن قرائن الأحوال دلت على امكانية صدور هذا الحكم عليه فقد ثبت مصادرة فرنسا لأملاك صالح الشريف وآخرين بتهمة التآمر على أمن الدولة وقد أكد الطاهر بن عاشور لمحمد مواعدة صدور قرار ضد محمد الخضر"بدعوى أنه لم يرجع إلى تونس وعصى السلطة الفرنسية التي طلبت منه ذلك"، ينظر: مواعدة، محمد- محمد الخضر حسين حياته وآثاره : الدار التونسية للنشر،ط01 ، تونس ،1974م: ص81،82.

[4]- علي الرضا الحسيني -كتابات حول محمد الخضر حسين ، ص228 .

[5]- مواعدة – محمد الخضر حسين حياته وآثاره: ص151 .

ولم يرض أن يصدر الحكم الجائر بحضوره[1].

ومما يدل على حنقه على الاستعمار أنه كان لا يترك مناسبة إلا ويبين مفاسد المستعمر، وينفث الروح في السامعين لمقته والثورة عليه، فنراه في درس من دروس المنطق يضرب مثالا لتعريف مسألة البرهان فيعرفه بأنه: القياسُ المؤلَّف من أقوال يقينية[2]، ثم يضرب أمثلة عليه: "كأن تقول: "تونس مملكة غير مستقلة؛ لأنه يقيم في ثكناتها، ويقبض على زمام أمرها رجال فرنسيون، وإنما كان هذا القياس برهانًا؛ لأن العقل لا يستطيع أن يتصور لأمة استقلالاً إلا أن يكون لرجالها الرأي النافذ، والكلمة العليا"[3].

المطلب الثاني: الأحداث البارزة في عصر محمد الخضر

امتازت الحياة السياسية بعدة أحداث عالمية كان لها أثرها في البلدان العربية والإسلامية أهمها وأبرزها:

1. الحرب العالمية الأولى: –الحرب الكبرى أو العامة–

امتاز العصر الحديث باندلاع حربين عالميتين كبريين، تركتا أثرهما في العالم الإسلامي، الذي شهدت بعض أراضيه صراع الدول المتنازعة، كما سُخِّر الكثير من أبناء العرب والمسلمين في هذا الصراع، حيث استمرت الحرب العالمية الأولى وامتدت (من 28يوليه (جويليه) 1914م حتى 11 نوفمبر 1918م، وهي أول حرب يطلق عليها العالمية واستحقت هذه الصفة لأمور منها:

1.طالت مدة الصراع المسلح المتواصل من دون انقطاع 51شهرا كاملة.

[1]– محمد الخضر حسين –دراسات في الشريعة الإسلامية ، دار النوادر،سورية– دمشق،1431هـ–2010م. ،ص137 بتصرف

[2]– محمد الخضر حسين – الخيال في الشعر العربي ، دار النوادر، ط01 ،سورية– دمشق،1431هـ–2010م: ص142.

[3]– الخيال في الشعر العربي ، دار النوادر،ط01 ،سورية– دمشق،1431هـ–2010م: ،ص142.

2.عدد الدول المشاركة 28 دولة منها 24 في جانب الحلفاء، وأربعة في جانب المحور المركزي.

3.بنهاية الحرب كان 93 % من سكان العالم مشتركين في المجهود الحربي بصورة أو بأخرى.

4.هي أول حرب يدور فيها الصراع برا وبحرا وتحت السطح وجوا[1].

ولما قامت هذه الحرب دخلت تركيا الحرب إلى جانب دول الوسط (ألمانيا ،النمسا) في حين تمكن الإنجليز من جر العرب إلى جانب الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا) فسادت فكرة القومية العربية، ووقع الصدام بين العرب والترك[2].

أما عن أثر هذه الحرب في واقع المسلمين، فقد كان أثرها سلبيا عليهم ، "ففي الداخل عاشوا مقهورين لا يستطيعون فعل شيء ، وفي الخارج لا يوجد من يسمع أصواتهم لأن الناس منصرفون لسماع أخبار الحرب، يلهيهم أزيز الرصاص وأصوات المدافع"[3]، وقد سَخَّرت الدول المحاربة أهالي مستعمراتها وأجبرتهم على دخول هذه الحرب نظير منحهم استقلالهم وحريتهم.

في ظل هذه الأحداث وفي هذا الجو القاتم والظلام الحالك الذي أدخل للنفوس نوعا من اليأس والقنوط من نيل حريتها "لم يكن يغذي النفوس طيلة سِني الحرب إلا الأمل في ارتفاع الكابوس الاستعماري، بانكسار فرنسا وحلفائها، وتجدد القوة الإسلامية بانتصار تركيا، دولةِ الخلافة"[4].

[1]- الحسيني ، معدي- موسوعة الحرب العالمية الأولى والثانية ، دار الحرم للتراث ، ط01 ، القاهرة ، 2011م: ص70 .

[2]- المصري ، جميل عبد الله - حاضر العالم الإسلامي وقضاياة المعاصرة،الجامعة الإسلامية،المدينة المنورة،ط01، 1407هـ-1986م: ج01 ص109.

[3]- شاكر، محمود - التاريخ الإسلامي : ج14 ص131-132 .

[4]- الحركة الأدبية والفكرية في تونس: ص157 .

ولتحقيق هذا الأمل سعى المفكرون وأهل الرأي من البلاد الإسلامية خاصة أهلَ المغرب العربي إلى استغلال الظرف لخدمة قضيتهم، "ففي سنة1917-1918م، تشكلت في الآستانة هيئة كانت تعمل لجمع أسارى المغاربة في ألمانيا وتركيا، وتنظيمهم ضمن فرقة تُزود بالسلاح والذخيرة، ثم تُرسل لمسلمي الشمال الإفريقي"[1].

أما محمد الخضر حسين فبعد خروجه من السجن بدمشق في الرابع من ربيع الثاني عام (1235 هـ، 29 جانفي - يناير - 1917 م، توجه إلى الآستانة-تركيا-حيث أُلحق منشئاً عربياً بوزارة الحربية،"ولا شك أن هذه المسؤولية تتطلب ثقة السلطة التركية في صاحبها لأن لها صبغة سياسية، وخاصة تقلدها أثناء قيام الحرب العالمية الأولى"[2].

وما كاد يستقر بالآستانة في منصبه الجديد بوزارة الحربية، حتى كلف بمهمة في ألمانيا فقد " رحل إليها في مهمة للاجتماع بالأسرى المغاربة الذين زَجَّت بهم فرنسا في خطوط القتال الأولى، ووقعوا في الأسر ضمن معسكرات؛ ليحرضهم على القتال ضد فرنسا، ويرغبهم في الانخراط والتطوع في جيش يعدُّ لمحاربة فرنسا"[3].

وقد صرح بأنه "قضى في ألمانيا سنة وأربعة أشهر تقريباً"[4]، وهذه المدة استغلها أيضا في التعريف بالإسلام ومحاورة المستشرقين والفلاسفة والمفكرين الألمان[5]، ومن الحوارات التي جرت بينه وبين مدير الأمور الشرقية بوزارة الخارجية الألمانية قضية :"العرب والسياسة"، فقد نسب المحاور إلى

---

[1]- الفاسي ، علال- الحركات الإستقلالية في المغرب العربي:ص47 .

[2]- مواعدة ، محمد - محمد الخضر حسين حياته وآثاره،ص73 .

[3]- الحسيني، علي الرضا- مقدمة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين ، دار النوادر،ط01 ،سورية- دمشق،1431هـ-2010م: ص16.

[4]- محمد الخضر حسين - دراسات في الشريعة الإسلامية : ص134 .

[5]- هناك من صرح محمد الخضر بأسمائهم وهناك من لم يصرح، نراه يقول: "وأذكر بهذه المناسبة: أني لقيت مستشرقاً ألمانياً أثناء مقامي في ألمانيا دخل الإسلام لمعاشرته عالماً مسلماً، ومن المستشرقين الذين التقاهم بألمانيا: المستشرق "هردر"، المستشرق "ريشة" ، ينظر ذلك في المصادر التالية : دراسات في الشريعة:ص149 ، الهداية الإسلامية:ص192 ، الرحلات:ص170 .

ابن خلدون قوله: "إن العرب أبعد الناس عن السياسة"، لكن محمد الخضر صحح له بأن مقصود ابن خلدون : العرب قبل الإسلام، ثم نظم محمد الخضر أبياتا بالمناسبة قال فيها:

عَـذِيرِيَ مِـنْ فَـتىً أَزْرى بِقَـوْمي ... وَفِي الأَهْـواءِ مـا يَلِـدُ الهُـذاءَ
يَقـولُ: العُـرْبُ ظَلّـوا في جَفـاءٍ ... ومـا عَرَفُـوا السّياسـةَ والـدَّهاءَ
سَـلوا التَّـاريخَ عَـنْ حَكَـمٍ تَمَلَّـتْ ... رَعايـاهُ العَدالـةَ والرَّخـاءَ
عَـزوفِ الـنَّفْسِ عَـنْ تَـرَفٍ ذَكُـورٍ ... لِعُقْـبي مَـنْ أَجـادَ وَمَـنْ أَسـاءَ
هُمـامٍ كـانَ سـامِرُهُ وأَقْصَـى ... بـلادٍ في مَهابَتِـهِ سَـواءَ
هُـوَ الفـاروقُ لَمْ يُـدْرِكْ مَـداهُ ... أَمـيرٌ هَـزَّ في الـدُّنيا لِـواءَ[1]

2. إلغاء الخلافة العثمانية

تعد مسألة إلغاء الخلافة أبرز حدث ميز الحياة السياسية مطلع القرن العشرين والتي تركت صداها الكبير والواضح في كل مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية، فقد ظل العالم الإسلامي يعيش في أحضان الدولة العثمانية مدة أربعة قرون، و"كانت هذه الأقطار المترامية يجمعها رباط واحد هو الإسلام، وخلافة واحدة هي الخلافة العثمانية ،هذه الخلافة التي سطع نجمها ثم بلغت أوج قوتها ثم أخذت تؤول إلى النزول ثم الأفول والزوال والإلغاء، وقد تولى أمر هذا الإلغاء مصطفى كمال أتاتورك[2] الذي أجرى عديدا من التغييرات التي كشفت عن معارضة كاملة للنظام الإسلامي.

يُعَدُّ مصطفى كمال منفذا أمينا للمخطط الذي رسمه الاستعمار واليهودية العالمية وهو إزالة

[1]- محمد الخضر حسين – ديوان خواطر الحياة:ص18 .

[2]- ولد مصطفى كمال عام 1296هـ الموافق ل1880م، في سلانيك ببلاد اليونان وهو من عائلة تركية ،دخل المدرسة العسكرية الثانوية وأصبح ضابطا في الجيش العثماني ، طالع الكثير من الكتب عن الثورة الفرنسية وازداد اعجابه بنابليون، انضم إلى جماعة الاتحاد والترقي السرية وكان أداة في يد الغربيين لإسقاط الخلافة، توفي عام1357هـ -1941م ،في اسطنبول.ينظر ترجمته، حسون علي- تاريخ الدولة العثمانية وما بعدها، المكتب الإسلامي، ط03، بيروت ،1415هـ-1994م: ص307 – العسيري، أحمد معمور- موجز التاريخ الإسلامي، مطبعة الملك فهد، ط01،الرياض، 1417 هـ – 1996 م: ص343 /منير البعلبكي ، معجم أعلام المورد ، ط01 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ،1992م :ص369

الخلافة، وفصل تركيا عن العالم الإسلامي والأمة العربية ، وبذلك حقق في العالم الإسلامي وفي مواجهة العروبة أخطر حركة استغراب ، وفرضها فرضا على الأمة التركية "[1].

ويدل على هذا التنفيذ وهذه العمالة، بنود المخطط التدميري الذي رسمه الغرب ووقَّع عليه أتاتورك وتتمثل تلك البنود في مايلي :

1.فصل الدين عن الدولة 2.إلغاء الحروف العربية، وكتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية 3.الأذان باللغة التركية ، وترجمة القرآن إلى التركية 4.الأحد عطلة أسبوعية بدلا من الجمعة 5.إلغاء الطربوش وحجاب المرأة 6.إلغاء وزارة الأوقاف والمدارس الدينية 7.إحلال التقويم الأوروبي محل التقويم الإسلامي 8.قبول نظم الحضارة بلا تحفظ ،الاتجاه نحو أوروبا والانفصال كلية عن العالم الإسلامي والعرب وآسيا 10.إلغاء الخلافة ، وكان ذللك في 03 مارس 1924م الموافق ل 27 رجب 1342 هـ[2].

لقد لعبت الدول الغربية على إيهام العالم الاسلامي أن مصطفى كمال واحد من المصلحين والمخَلِّصين للعالم الاسلامي من ظلم العثمانيين، وقد نجحت الدول الغربية في أسلوبها هذا، وانطلت هذه الخدعة على كثير من أبناء الأمة بل على مثقفيها ومفكريها فمدحه الشعراء وأثنوا عليه ورأوا فيه الفاتح الجديد والمجدد المنتظر .

فهذا أحمد شوقي شبهه بخالد بن الوليد، وجعل سيرته في الحرب كسيرة صلاح الدين الأيوبي حيث يقول :

اللهُ أَكْبَـرُ كَـمْ فِي الفَـتْح مِـنْ عَجـب يَـا خَالِـدَ التُّـرْكِ جَـدِّدْ خَالِـدَ العَـرَبِ

[1]- أنور الجندي – تصحيح أكبر خطإ في تاريخ الإسلام الحديث ،دار ابن زيدون للطباعة والنشر، ط1 ، بيروت ، لبنان،1407هـ: ص122 .

[2]- أنور الجندي- العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي،دار الكتاب اللبناني،ط2، لبنان 1983م : ص45. /محمود شاكر – التاريخ الإسلامي: ج 8 ص 234.

حَــذَوْتَ حَــرْبَ الصَّــلَاحِيِينَ فِي زَمَــنٍ فِيــهِ الْقِتَــالُ بِــلاَ شَــرْعٍ وَلَا أَدَبِ[1]

ولعل سبب هذه الخديعة هو ما حمله الاتحاديون من شعارات يدَّعون فيها تعظيم الإسلام حيث"استغلوا الدين عند مخاطبتهم للناس للتأثير فيهم وكسب أنصارٍ لهم في معركتهم ضد السلطان عبد الحميد الثاني، وقد نجحوا في ذلك "[2].

لكن هذه الخدعة لم تنطل على محمد الخضر بل كان عالما بما وراء ذلك من الكيد، ذلك أنه استوطن تركيا واستقر بها طويلا وكان على صلة بنظام الحكم فيها قبل الانقلاب، فعرف الجهات التي تقف وراء هذا المكر.

إن خلع السلطان عبد الحميد وقيام جمعية الإتحاد والترقي[3] في الحكم كانت خطوة أساسية نحو تحقيق المخطط الذي تم أثناء الحرب وبعد الحرب في مراحل تتلخص فيما يلي:

1.إتفاق الحلفاء على تقسيم العالم الإسلامي الخاضع للدولة العثمانية تحت إطار معاهدة سايكس بيكو1334هـ-1916م.

2.وعد بلفور الذي اصدرته بريطانيا للصهيونية في 1917/11/2م،محرم1336هـ بأن تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود.

3.تسليم تركيا لأبشع حركة تغريب وتدمير للقيم الإسلامية بنقلها من دولة ذات طابع إسلامي إلى دولة غربية الطابع[4].

---

[1]- الشوقيات - أحمد شوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،دط، مصر ، القاهرة ، 2012م : ج1ص85.

[2]- الصلابي ، محمد علي - الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية،ط01، مصر،1421هـ-2001م: ص459 .

[3]- جمعية الاتحاد والترقي:هي جمعية داعية إلى القومية التركية (الطورانية) وإلغاء الخلافة الإسلامية بدعم من يهود الدونمة. ظهرت سنة : 1316 هـ/1898 م ينظر: العسيري - موجز التاريخ الإسلامي:ص339 .

[4]- المصري ، جميل عبد الله - حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة:ج01 ص109،110 .

لقد كان من نتائج الحرب العالمية الأولى وقوعُ البقية الباقية من بلاد المسلمين تحت سيطرة الدول الغربية، "ولم يعد بين الدول الإسلامية دولة واحدة تملك أمر نفسها أو تستطيع الاستقلال بشؤونها"[1].

لم يكن حال تركيا بأفضل من حال باقي الدول الإسلامية فهي وإن "سمحت الظروف بأن تحتفظ بشيء من القوة والاستقلال، فإنها لم تكتف بالتخلي عن الخلافة ، بل انسلخت من إسلامها – أو كذلك أرادت لها حكومتها- بل لقد أمعنت في استدبار الدين حتى حاربت بكل قسوة أي محاولة ترمي إلى إحياء المباديء الإسلامية "[2].

ويكون مصطفى كمال بذلك قد أرسى قاعدة : العِلمانية[3]، أو فكرة فصل الدين عن السياسة والحكم[4]، هذه الفكرة التي تبناها مصطفى كمال وجدت أقلاما مؤيدة لها وداعية إليها بل مدافعة عنها ومؤولة لنصوص القرآن والحديث تأويلا يخدمها.

لقد آلم محمدَ الخضرَ حُسينا هذا الانهيارُ، وما صحبه من إزالة شريعة الإسلام عن الحكم،

---

[1]- محمد محمد حسين- الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر،دار الحمامي للطباعة ، ط2 ، 1388هـ-1968م: ص5.

[2]- المرجع السابق: ص5.

[3]- مصطلح العلمانية : نسبة إلى العلم بكسر العين على أنها نسبة على غير بابها ، إذ الأصل أن يقال :علمي أمّا كلمة عَلم بفتح العين وسكون اللام فهي من باب علم عَلْما أي انشقت شفته العليا ، والوصف منه للرجل :أعلَم ، وللمرأة: عَلماء بفتح العين وسكون اللام والمعنى الذي يرمي إليه أصل هذه الكلمة أن الجدير بالمجتمعات أن تستبدل بارتباطها الديني الارتباط العلمي. ينظر : البوطي : محمد سعيد رمضان – يغالطونك إذ يقولون ، دار الفارابي، ط2 ، دمشق ،1421 هـ – 2000 م: ص: 33-34. / وذهب عبد الوهاب المسيري إلى أن العلمانية علمانيتان جزئية وشاملة، العلمانية الجزئية وجوب فصل الدين عن عالم السياسة وربما الاقتصاد، فصل الدين عن الدولة" ترجمة للعبارة الإنجليزية « separation of church and state» ، وهي أكثر تعريفات العلمانية شيوعاً في العالم، سواء في الغرب أو في الشرق، وهي عبارة تعني حرفياً "فصل المؤسسات الدينية (الكنيسة) عن المؤسسات السياسية (الدولة) ". / عبد الوهاب المسيري – العَلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق ،ط1، مصر، 1423هـ-2002م : ج1 ص17 .

[4]- محمد الخضر حسين بحث بعنوان :ضلالة فصل الدين عن السياسة، وهو رد على مجلة دعت إلى فصل الدين عن السياسة في مقال عنوانه: "داء الشرق ودواؤه"ادعى فيه كاتب المقال:أن سبب تأخر المسلمين عدم فصلهم الدين عن السياسة، ينظر:محمد الخضر حسين ،رسائل الإصلاح:ص185 وما بعدها.

وإحلال قوانين أوروبا محلها، والإعلان أنها حكومة لا دينية ، وأطلق صيحة تحذير للأمة بأن استبدال شريعة البشر بشريعة الله جريمة لا تغتفر فنراه يقول:" فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم حقائق الدين، ولا يقدم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين"[1] ،ثم يشبه هذا الصنيع بصنيع المستعمرين بل قد يكون أشد من إجرامهم "وليست هذه الجناية بأقل مما يعتدي به الأجنبي على الدين إذا جاس خلال الديار، وقد رأينا الذين فصلوا الدين عن السياسة علنًا كيف صاروا أشد الناس عداوة لهداية القرآن"[2].

ثم نظم في ذلك أبياتا قال فيها:

نَهَضَ الزَّعيمُ وما رَعى عَهْدَ الَّتي ... لَوْلا اسْمُها ما صالَ صَوْلَ مُلوكِ
بَرَحَ الخَفاءُ وَحادَ وهْوَ مُظفَّرٌ ... نَشْوانُ عَنْ مِنْهاجِها الْمَسْلوكِ
عَذَروهُ إذْ أَقْصى الخِلافَةَ جانباً ... وَمَحا اسْمَها لِيُزيلَ غَيْنَ[3] شُكوكِ
ما بالُ قِسْطاسِ الشَّريعَةِ ضاعَ في ... أُفُقِ السِّياسَةِ ضَيْعَةَ المِتْروكِ؟![4]

ولأجل هذا ألف محمد الخضر حسين كتابه "نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم" رد فيه على علي عبد الرازق[5] حيث أصدر هذا الأخير كتابه الإسلام وأصول الحكم سنة 1925م وكان صدوره مزامنا تقريبا لسقوط الخلافة، وقد صرح في الكثير من المواضع بالتقليل من أهمية الخلافة

[1]- محمد الخضر حسين - رسائل الإصلاح: ص199 .

[2]- المصدرالسابق ، ص199 .

[3]- الغين: لغة في الغيم وهو السحاب ،ينظر: ابن سيده ،المحكم والمحيط الأعظم، جذر: غ ي ن ،تحقيق: عبد الحميد هنداوي،ط01، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1421هـ - 2000 م:ج06 ص21 / الفيومي، أحمد بن محمد، ، المكتبة العلمية – بيروت، دط،دس ط: ج02 ص460.

[4]- محمد الخضر حسين-ديوان خواطر الحياة : ص166 .

[5] - علي بن حسن بن أحمد عبد الرازق: باحث، من أعضاء مجمع اللغة العربية بمصر. ولد ب أبي جرج (من أعمال المنيا)في 1305هـ-1888وتعلم بالأزهر، ثم بأكسفورد. وأصدر كتاب " الإسلام وأصول الحكم " سنة 1925م، فأغضب ملك مصر وسحبت منه شهادة الأزهر، عين وزيرا للأوقاف. واستمر 20 سنة يحاضر طلبة " الدكتوراه " بجامعة القاهرة في مصادر الفقه الإسلامي، من كتبه " أمالي علي عبد الرازق " رسالة جمع بها دروسا ألقاها عام 1911 و " الإجماع في الشريعة الإسلامية " محاضرات ألقاها في جامعة القاهرة ،توفي في 1386 هـ- 1966 م ينظر: الزركلي ،خير الدين- الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط15، لبنان ، 2002م : ج4 ص 276 .

وعدم صلاح الشريعة لكل زمان ومكان وتغييب الإسلام عن الحياة السياسية للمسلمين.

الفرع الثالث: المكر اليهودي واحتلال فلسطين: كانت دولة فلسطين دولة إسلامية وأرضا عربية منذ دخلها الفاتحون المسلمون، ثم صارت محل أطماع الأمم، كلٌ يتمناها ويريد ضمها لنفوذه، فأخذها الصليبيون ثم حررها المسلمون في معركة حطين بقيادة صلاح الدين الأيوبي، ولما آلت الخلافة إلى بني عثمان كانت فلسطين ولاية من ولايات هذه الخلافة خاضعة لحكمهم منذ سنة 1516م.

وكان نفوذ الخلافة العثمانية وقوتها عاملا من عوامل الوحدة وصِمام أمان لعِقْد الدول الإسلامية المنتظمة في سلكه ، "ولكن هذا لم يمنع من تتالي الهجرات اليهودية من أوروبا إلى فلسطين بسبب ما كانوا يلاقونه من الإقصاء والمعاداة في أوروبا، وقد اعترف بعض مفكري اليهود أنهم لم يجدوا صدرا حانيا تقبلهم واعتبرهم رعايا ضيوفا مثل المسلمين متمثلين في الخلافة العثمانية"[1].

لقد ظن العثمانيون أن الهجرة اليهودية من أنحاء العالم إلى فلسطين لا تشكل خطرا ، وأن الهدف من إقامة المستوطنات هو لتطوير الوضع الاقتصادي للدولة العثمانية وإنماء الزراعة في فلسطين[2]، ثم لجؤوا إلى أسلوب آخر ألا وهو أسلوب شراء الأراضي داخل فلسطين ،"ورغم معارضة السلطان عبد الحميد الشديدة لهذا التصرف وهذا النوع من البيع لأرض فلسطين ،وإصدار قوانين تحظر هجرة اليهود إلا أن أيادي اليهود الخفية كانت موجودة دائما وتتحرك "[3] ، وكذا اقبال بعض العرب أو العثمانيين على تلقي الرشاوي نظير غض الطرف عن الهجرة أو بيع

[1]- شاهين مكاريوس – تاريخ الإسرائيليين ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط ،القاهرة- مصر،2012م: ص71 ،72.

[2]- موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، دار الأحد (البحري إخوان) ، بيروت- لبنان ، دط ، 1398هـ-1978م:ص80 .

[3]- حسين أزدمير – فلسطين في العهد العثماني وصرخة السلطان عبد الحميد ، ترجمة: وليد عبد الله القط ، دار النيل، ط1، القاهرة – مصر ،1434هـ-2013م : ص113.

الأراضي.

كل هذا كان ممهدا لإيجاد وطن لليهود داخل الأرض المقدسة ،كما سعى السياسيون اليهود مصحوبين بالمال اليهودي لدى السلطان عبد الحميد -الخليفة العثماني- لتوطينهم في فلسطين"فكان لظهور الحركة الصهيونية ، وحركة الاتحاد والترقي دور كبير مؤثر ومباشر في مستقبل فلسطين السياسي"[1].

ومن الأشخاص الساعين إلى تحقيق هذا الحلم اليهودي و-كانت له اليد الطولى في ذلك- "ثيودور هرتزل"[2]، الذي كان يؤمن بأنه من الضروري اتخاذ تدابير وقواعد جديدة في السياسة الدولية لإقامة دولة يهودية في فلسطين وكان يعتقد أن أهم عنصر في العلاقات الدولية هو القوة، ففكر في إنشاء جمعية تضم اثرياء اليهود وزعماء الجماعات اليهودية[3] .

وقد وجدت هذه الجمعية" أيديولوجيتها فى الصهيونية؛ التى ترجع بدايتها الرسمية عندما عقد المؤتمر الذى دعا إليه "تيودور هرتزل" فى "بازل"، وفى بداية القرن العشرين أصبحت أكثر وضوحا، حتى إن عدد اليهود المقيمين فى فلسطين ارتفع من خمسة وعشرين ألفا فى عام 1880 م، إلى ثمانين ألفا فى عام 1914 م"[4].

ثم إن هرتزل حضر إلى اسطنبول في حزيران-يونيو عام 1896م، لجس نبض السلطان عبد

---

[1]-الحلاق، حسان علي- موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، دار الأحد البحيري،دط ،بيروت ،1398هـ-1978م:ص09 .

[2]-ثيودور هرتزل هو مؤسس الحركة الصهيونية ولد في مدينة بوداباست- عاصمة المجر- في العام 1860م، وقد نجح في أغسطس 1897م بعقد المؤتمر الصهيوني الأول،في بازل (النمسا) ، توفي في تموز(يوليو)1904م بفينه (النمسا) ثم نقل رفاته إلى "جبل هرتزل" في جوار القدس المحتلة، ينظر ترجمته: أنيس صايغ -يوميات هرتزل ، ترجمة: هلدا شعبان صايغ، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، دط، بيروت- لبنان ، ،1968م: ص07 وما بعدها.

[3]- يوميات هرتزل: ص412 وما بعدها.

[4]- إبراهيم زكي خورشيد وآخرون - موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط01 ، الشارقة، 1418 هـ - 1998 م: ج25 ص7901.

الحميد الثاني، و عرض عليه عدة عروض ومقترحات منها تسوية ديون الدولة العثمانية المستحقة لدى الدول الأروبية مقابل فتح باب الهجرة اليهودية الى فلسطين وتمليكها لهم تحت حكم يهودي ذاتي، وكان قد توسط لابلاغ هذه المقترحات –نيولنسكي [1]– فكان الرد من السلطان عبد الحميد كمايلي : " لن أعطيكم ولو شبرا واحدا من الأراضي التي دخلت ضمن دولتنا العلية ودفع أجدادنا دماءهم ثمنا لها، ولن أبيعها لكم ولو دفعتم ملء الأرض ذهبا"[2].

لكن الأحداث المتعاقبة ،كالحرب العالمية الأولى وما تمخض عنها من وعد بلفور الذي اصدرته بريطانيا للصهيونية في 1917/11/2م،محرم1336هـ بأن تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود، وما تبع ذلك من سقوط الخلافة العثمانية ، كل هذه الأحداث سهلت لليهود الطريق لأخذ فلسطين من المسلمين بالقوة مع تحالف وتأييد للقُوى الغربية، خاصة تلك التي خرجت منتصرة بعد الحرب العالمية الأولى، واستغلت الطوائف المعادية للإسلام هذا الوضع فراحت تبشر بأن فلسطين هي الأرض الموعودة لليهود فقال زعيم الطائفة البهائية عباس عبد البهاء متحيزا إلى اليهود، مبشرا بأن فلسطين ستصير وطناً لهم: "سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة، وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة"[3].

وقد كان محمد الخضر حسين يأمل أن تستفيق الشعوب العربية والإسلامية وتهب لنجدة فلسطين فهو يظن " أن العرب وسائر المسلمين من ورائهم سيقفون في وجه الاستعمار الصهيوني، والدعاية البهائية التي تُظاهرها وتسعدها، حتى تبقى فلسطين وطناً عربياً إسلامياً، على الرغم من عبد البهاء والبهائيين"[4].

---

[1]– ينظر محاولات هرتزل التقرب من السلطان عبد الحميد : أنيس صايغ –يوميات هرتزل : ص29 وما بعدها– حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة :ص104 .

[2]– فلسطين في العهد العثماني:ص113 .

[3]– محمد الخضر حسين – القاديانية والبهائية:ص84 .

[4]– المصدر نفسه ، ص84 .

ويرى أن إحلال اليهود أرض فلسطين هي من أكبر الجرائم في حق الإنسانية، فأسوأ مثل لأقبح حادث أسيء به إلى الإنسانية ومبادئها في القرن العشرين، هو تألب بعض دول الغرب، وتعاونهم على إخراج أهل فلسطين الشرعيين من بيوتهم وبساتينهم وحقولهم، ومتاجرهم ومصانعهم؛ ليُحلوا محلهم فيها أقواما من اليهود الغرباء"[1].

تحدث محمد الخضر حسين عن هذه الأحداث شعرا، إذْ كان يجد في الشعر خير أنيس وأفضل معبر للأحداث آنذاك، حيث صاغ قصيدة طويلة بعنوان: "أي فلسطين":جاء فيها:

نَصـــبَ البُغـــاةُ علـــى ذُراكِ لِـــواءَ كَسَـــوْا مَرابِعَـــكِ الحِســـانَ دِمـــاءَ
كُنْـــتِ الشَّـــرى[2] وديـــارُك الآجـــامُ لا يَبـــني حَوالَيْهـــا الجَبـــانُ خِبـــاءَ
وبَنـــوكِ أُسْـــدٌ مَـــنْ يَجُـــسُّ طِبَاعَـــه لمْ يَلْـــــقَ إلا نَخْـــــوَةً وإبـــــاءَ
مـــا لِلْيهـــود اســـتَوْطَنُوكِ وَصـــاعَروا بعـــدَ الهَـــوانِ خُـــدودَهُمْ خُـــيَلاءَ؟
أَفَمـــا نبـــتْ بِهِـــمُ مَـــواطِنُ لم تُطِـــقْ مَكْـــراً يَحُـــوكُ شَـــقاً لهـــا وبـــلاءَ
يَنْفـــيهِمُ الزُّعمـــاءُ عـــنْ ســـاحاتِها نفَـــيَ الرِّيـــاحِ عَـــنِ الميـــاهِ غُثـــاءَ
هـــاتي فِلَســـطينُ الحـــديثَ عـــنِ الَّـــذي خَلَعَـــتْ يَـــداهُ علـــى الْيهـــود وَلاءَ[3]

ثم تحدث عن وعد بلفور المشؤوم قائلا:

مـــا وعـــدُ بِلْفـــورٍ ســـوى الزَّبَـــدِ الَّـــذي يَطْفـــو ويَـــذْهبُ في الفَضـــاءِ جُفـــاءَ
مَـــنْ مُبْلِـــغُ الحُنَفـــاءَ أُمَّـــةَ أَحمَـــدٍ نبـــأً يَطـــيرُ لـــه الْفُـــؤَادُ هَبـــاءَ
بَسَـــطَ الْيَهُـــودُ إلى اليَهـــودِ أَكُفَّهُـــمْ بِالمـــالِ مِـــنْ بَيْضـــاءَ أَوْ صَـــفْراءَ
ومَـــتى أَرى قَـــوْمي قَـــدِ اسْـــتَبَقوا العُـــلا بِسَـــخَاءِ كَـــفٍّ يَكْشِـــفُ الَّـــلأْوَاءَ[4]

[1]– محمد الخضر حسين – أحاديث في رحاب الأزهر:ص67 ،68 .

[2]– الشرى موضع كثير الأسد ومنه قول الفرزدق : (وإنّ الذي يمسي يُحَرِّشُ زوجتي ... كماشٍ إلى أُسْدِ الشرَّى يستبيلُها)، ينظر: ابن فارس ، مجمل اللغة، ص527 . نشوان بن سعيد، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ج06،ص3420

[3]– ديوان خواطر الحياة:ص10 .

[4]– ديوان خواطر الحياة:ص11 وما بعدها.

فهذه هي الحياة السياسية وهذه بعض مظاهرها وكيف عاشها محمد الخضر حسين، فقد كان يعيش عصره ويعلم- جيدا -واقعه ولم يكن بمنأى عنه .

المطلب الثالث: الحياة الثقافية والفكرية

ترتبط الحياة الفكرية والثقافية[1] ارتباطا وثيقا بالحياة السياسية ، فكثيرا ما تترك هذه الأخيرة آثارها الإيجابية أو السلبية فيها، وإذا كانت هذه المرحلة شهدت غزو البلاد الإسلامية —كما بُين ذلك في المطلبين السابقين- ومهدتُ أيضا بالكلام عن بعض مظاهر النهضة الأوروبية، والتي استغلها المستعمر لحمل أفكاره وبعض معتقداته إلى البلاد الإسلامية، حيث رافق هذه الحملات، المبشرون- أي البعثات التنصيرية- والمنَظِّرون في مختلف القضايا الاجتماعية والفلسفية والثقافية، فإنه يمكن أن نخلص إلى أن كلا من الاستشراق والتبشير هدف إلى:"إخضاع العقل الإسلامي كله للاستعمار الغربي والفكر الغربي خضوع ذوبان وانصهار في بوتقة الحضارة العالمية"[2].

كما أن من آثار يد الاستعمار في الحياة الثقافية والفكرية أنها "أقفلت في وجه الشعوب المستعمرة سبل الحضارة والرقي، ومنعتها من الاستنارة بنور العلم والمدنية، وأسلمتها للفقر والمرض والجهل والجوع، وقرنت حياتها كلَّها بالعسف والنكال"[3].

وقد تميزت الحياة الثقافية لهذه الفترة بعدة مظاهر أهمها:

1- ظهور الحركات الفكرية المختلفة:

إن محاولات المستعمرين لمسخ الأمة عن دينها وعاداتها الصحيحة ولَّد ردود أفعال وأيقظ

---

[1]- **الثقافة:** من جذر (ث ق ف): ثقفت الشيء ثقفا من باب تعب أخذته وثقفت الرجل في الحرب أدركته وثقفته ظفرت به وثقفت الحديث فهمته بسرعة والفاعل ثقيف إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به وثقفته بالتثقيل أقمت المعوج منه، والثقافة :علوم ومعارف وفنون يدركها الفرد ، أو هي مجموع ما توصَّلت إليه أمَّة أو بلد في الحقول المختلفة من أدب وفكر وصناعة وعلم وفن، ونحوها؛ بهدف استنارة الذِّهن وتهذيب الذَّوق وتنمية ملكة النَّقد والحكم لدى الفرد أو في المجتمع، ينظر: المصباح المنير:ج01 ص72 . أحمد مختار عبد الحميد عمر- معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، بيروت،ط1429،1هـ - 2008 م: ج1 ص318.

[2]- أنور الجندي - مقدمات العلوم والمناهج.دار الأنصار،ط01، مصر،1399هـ-1979م:ج5 ص43.

[3]- محمد الخضر حسين -جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا:ص86 .

الشعوب وتجند أهل العلم وأصبحت بواعث التغيير قائمة، حيث حمل راية هذه المهمة دعاة وعلماء ومصلحون في صورة أفراد وهيئات رأت أن مسؤولية تغيير الأمة وردها إلى دينها صار فريضة دينية لا مفر منها وأصبح تجديد دين الأمة أمرا واجبا، وذلك بسبب ما علق بأفكار الأمة من مفاهيم خاطئة ، فظهر بإفريقيا حركات وجمعيات تبناها وقام عليها علماء لهم مكانتهم وأثرهم، كما ظهر مثل ذلك في المشرق العربي، وبالمقابل ظهرت حركات أخرى وطوائف وقفت إلى صف الاستعمار وساهمت في هدم العقائد، والانحرافِ في تأويل نصوص الوحيين.

أولا: الحركات الإصلاحية

أ. **الحركة السنوسية** : مؤسس هذه الحركة محمد بن علي السنوسي[1] ، وهي حركة إصلاحية سلفية صوفية، وهي تقوم على المباديء التالية:

[1]- العودة بالإسلام إلى نقائه الأول.

[2]- اعتبار الكتاب والسنة مصدري الشريعة الإسلامية.

[3]- فتح باب الاجتهاد في الإسلام واعتبار غلق هذا الباب سببا في تحجر الفكر الإسلامي ودخول البدع إليه.

وقد كان لهذه الحركة الفضل الكبير في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية في افريقيا الوسطى، وفضل أيضا في الوقوف في وجه المستعمر[2].

[1]- محمد بن علي بن السنوس، أبو عبد الله، السنوسي: زعيم الطريقة السنوسية الأول ولد سنة 1202هـ- 1787م في مستغانم (من أعمال الجزائر) وتعلم بفاس وتصوف على يد الشيخ عبد الوهاب التازي. زار تونس وطرابلس وبرقة ومصر ومكة له نحو 40 كتابا ورسالة منها: بغية القاصد ، شفاء الصدر، توفي في: 1276 هـ- 1859 م، ينظر:الأعلام:ج06 ص299.

[2]- علي المحافظة-لاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ، الأهلية للنشر والتوزيع، ط05 ، بيروت،1987م: ص55 وما بعدها / رأفت الشيخ- تاريخ العرب الحديث ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، دط، مصر، 1414هـ-1994م: ص327 وما بعدها.

ب.الحركة المهدوية: أنشئت على يد محمد بن أحمد بن السيد عبد الله[1] ، ظهر بالسودان بعدما عانت النفوس من الظلم والجور فكانت مهيئة لترقب المجدد أو المهدي الذي يملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا[2]، " وقد اتخذ مسألةَ المهدي كثير من القائمين لإنشاء دول وسيلةً إلى الوصول إلى غاياتهم، فادعوا المهدوية؛ ليتهافت الناس على الالتفاف حولهم "[3]، فلما رأى محمد أحمد أن النفوس مهيئة لظهور المهدي أعلن مهديته سنة1298هـ-1882م، وتتلخص مباديء الحركة المهدوية في:

1.- العودة بالإسلام إلى ما كان عليه في عهوده الأولى واعتماد الكتاب والسنة فقط.

2.-التوحيد بين المذاهب الأربعة السنية بمذهب اجتهادي خاص.

3.- حصر الطريق الموصلة إلى الله :بصلاة الجماعة،والجهاد، والأكثار من الذكر وكلمة التوحيد،وتلاوة القرآن[4].

4.- تحريم زيارة قبور الأولياء بعد إعلان المهدوية.

5. القضاء على الفساد السياسي في السودان وبقية الأقطار الإسلامية[5].

ج.مدرسة المنار:هي مدرسة إصلاحية قامت على يد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده

---

[1]- محمد أحمد بن عبد الله، المهدي السوداني: ثائر، كان لحركته أثر كبير في حياة السودان السياسية. ولد في جزيرة تابعة لدنقلة في 1259 هـ- 1843 م، من أسرة اشتهر أنها حسينية النسبوحفظ القرآن وهو في الثانية عشرة من عمره. انقطع مدة خمسة عشر عاما للعبادة والدرس والتدريس. وكثر مريدوه، واشتهر بالصلاح. كان فطنا فصيحا قوي الحجة، توفي في: 1302 هـ- 1885 م.ينظر: الأعلام:ج06 ص20 وما بعدها.

[2]- لمحمد الخضر حسين بحث بعنوان نظرة في أحاديث المهدي ،ينظر: الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان:ص166 وما بعدها.

[3]- محمد الخضر حسين- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان:ص170 .

[4]- علي المحافظة- الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة :ص55 وما بعدها.

[5]- المرجع السابق :ص62 وما بعدها .

ورشيد رضا، "اعتمدت أولوية الإصلاح الديني واستراتيجية التربية والتعليم وسيلة للإصلاح العام والبعد عن ممارسة العمل السياسي المباشر"[1].

د. حركة الإخوان المسلمين: هي كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث ظهرت إثر سقوط الخلافة العثمانية تأسست على يد حسن البنا سنة1928م -1347 هـ في الإسماعلية بمصر[2]، وقد شهد أحد أبنائها الذين تربوا في أحضانها وعلى يد مؤسسها بأنها" مدرسة ناجحة للتربية الإسلامية الحقة، وأن أهم ما حققته هو تكوين جيل مسلم جديد، يفهم الإسلام فهما صحيحا، ويؤمن به إيمانا عميقا، ويعمل به في نفسه وأهله ويجاهد لإعلاء كلمته، وتحكيم شريعته، وتوحيد أمته"[3].

هـ. جمعية العلماء المسلميـــــن : تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم الخامس من مايو سنة 1931م بالعاصمة وقد ضمت 72 عالما جزائريا جاءوا من مختلف أنحاء القطر ومن مختلف الاتجاهات الدينية[4]، وقد ترأس الجمعية عبد الحميد بن باديس تأسست كرد على الاستعمار الذي كان ينوي إقامة احتفال لمرور قرن من احتلال الجزائر ،فجاء "تأسيس (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) ليضع حدا فاصلا وحاسما بين ماضي الجزائر، وهي تحت النير الاستعماري وبين

[1]- عبد الغني عماد ، الحركة الإسلامية في الوطن العربي ، ج01 ، ص58 .، مركز الدراسات والوحدة العربية ،بيروت ، لبنان ، ط01 ،2013م.

[2]- البنا ، حسن- مذكرات الدعوة والداعية ، مركز الإعلام العربي ، ط01 ، 1432هـ-2011م: ص 95. /الحسيني،اسحاق موسى- الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة ، دار بيروت للطباعة والنشر، ط 01، بيروت، 1952م: ص 04 / أنور الجندي - حسن البنا الداعية المجدد الإمام ، دار القلم ، ط01، دمشق ،1421هـ-2000م: ص40 .

[3]- القرضاوي ، يوسف- التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا ، مكتبة وهبة، ط03، القاهرة، 14123هـ-1992م: ص04.

[4]- سعد الله، أبو القاسم - الحركة الوطنية الجزائرية، ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،لبنان ،ط04 ،1992م: ج03 ص83/ الإبراهيمي، محمد البشير- الآثار، دار الغرب الإسلامي، ط01،بيروت ،لبنان، 1997م: ج01 ص71 وما بعدها.

حاضرها الذي أشرق زاهيا في ميدان النهضة الإسلامية–العربية[1].

وهي دعوة تقوم على: تكوين مجتمع إسلامي أصيل يتسلح أفراده بالعقيدة الصحيحة، والخلق النبيل، وتترابط أجزاؤه بالتضامن والتشاور، وتتعامل أسره وطبقاته، بالحب والتآخي[2].

ثانيا: الحركات الهدامة:

أ. القاديانية : وهي نحلة تنسب إلى غلام أحمد القادياني[3] نسبة إلى قرية قاديان من إقليم البنجاب في الهند، المتوفى سنة 1326 هـ وهي : حركة نشأت بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص ،حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام "[4]،وهي وليدة الباطنية، ومن مبادئ هذه الفرقة إنكارُ المعجزات الكونية وتحريف الآيات التي ورد فيها ذكر المعجزات[5].

ب. البهائيـة :نشأت عام (1260 هـ – 1844 م)تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف افساد العقيدة الإسلامية ، وتفكيك وحدة المسلمين ، وصرفهم عن قضاياهم الأساسية ، وقد ادعى البهاء المهدية ، ثم ادعى النبوة والربوبية والألوهية[6].

والألوهية[6].

[1]– العسلي، بسام– سلسلة جهاد شعب الجزائر، دار النفائس، الأردن،ط02 ، 1403 هـ - 1983 م: ج07 ص115.

[2]– سحنون،أحمد– دراسات وتوجيهات إسلامية ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،ط02 ، 1992 م: ص300.

[3]– القادياني :أحمد بن مرتضى بن محمد القادياني ، ويسمى مرزا غلام أحمد بن غلام مرتضى ، نسبته إلى قاديان من قرى بنجاب، ولد ودفن فيها سنة (1255هـ-1839م) خدم الحكومة الإنجليزية –أيام احتلالها للهند ؛ أعلن أنه المهدي ، وزاد فادعى أنه أوحي إليه ، فآمن به جمهور من الهنود ، على أنه نبي تابع للشريعة الإسلامة وضع كتبا بالعربية والأردية منها :" حمامة البشرى إلى أهل مكة وصلحاء أم القرى" ، و" ترياق القلوب"."حقيقة الوحي". توفي سنة : 1326هـ-1908م. ينظر ترجمته :الأعلام : ج 1 ص 256 ، محمد الخضر حسين – القاديانية والبهائية:ص05 وما بعدها.

[4]– ينظر : ندوة الشباب العالمي– الموسوعة الميسرة للأديان ص :389 – (المودودي ، أبوالأعلى ، الندوي أبو الحسن) – القادياني والقاديانية ، دار ابن كثير، ط : 1 ، دمشق ، 1421 هـ - 2000 م : ص 21 ومابعدها.

[5]– محمد الخضر حسين –بلاغة القرآن :ص268 .

[6]– ينظر :محمد الخضر حسين ، القاديانية والبهائية : ص 69 وما بعدها – علي بن نجيب الزهراني ، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، دار طيبة، ط2 ، مكة ، 1418 هـ – 1998 م : ج 1 ص 589 – بنت

أصل نشأة هذه النحلة: أن ميرزا علي محمد الملقب بالباب نشأ في "شيراز" بجنوب إيران، وأخذ شيئاً من مبادئ العلوم، ثم اشتغل بالتجارة، ولما بلغ من العمر الخامسة والعشرين، ادعى أنه المهدي المنتظر، وكان إعلانه بهذه الدعوة سنة 1260هـ، نعق بهذه الدعوة، فأخذها بالتسليم طائفة من الجاهلين[1]، ولما صار لهم أتباع ممن كانوا مسلمين، ووجدوا دولة تحميهم وتعطيهم أجوراً ومكافأة عما أحدثوه في الإسلام من التفرقة، صرحوا بإنكار حقائق الإسلام[2].

ج. حركات التبشير(التنصير): هو تعريف أطلقه رجال الكنيسة النصرانية على الأعمال التي يقومون بها لتنصير الشعوب غير النصرانية،ولا سيّما المسلمون[3].

وقد اعتمد هؤلاء المبشرون على عدة وسائل للوصول إلى غايتهم ، وهذه الوسائل تتلخص في ما يلي:

- توزيع نسخ الكتاب المقدس، التبشير عن طريق الطب، الأعمال التهذيبية كالمدارس والكليات التي تقبل أبناء المسلمين.الأعمال النسائية، مثل زيارة المبشرات لمنازل المسلمين، وإلقائهن المحاضرات الخاصة.توزيع الكتب والمؤلفات التبشيرية[4].

وهذه الدعاية –وإن عجزت عن تحويل أبناء المسلمين إلى دين النصرانية– فقد وصلت إلى شيء من أغراضها، وهو زلزلة عقائد بعضهم، وإيقاعهم في إلحاد[5].

=

الشاطئ، عائشة عبد الرحمن – قراءة في وثائق البهائية ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ط01 ، مصر : 1406هـ-1986م : ص 53 ومابعدها.

[1]– محمد الخضر حسين – القاديانية والبهائية:ص69 .

[2]– محمد الخضر حسين، دراسات في الشريعة الإسلامية:ص122 .

[3]– الميداني – أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : ص53 .

[4]– الجندي ،أنور– التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة ،دار الأنصار، دط،مصر، 1983م: ص38 وما بعدها.

[5]– محمد الخضر حسين – الهداية الإسلامية: ص116 .

2- المدارس والعلوم والمعارف السائدة:

تعد المدارس والجامعات والزوايا المحضن الذي يتلقى فيه المسلم ثقافته وعلومه ومنها يستقي معارفه، وكان من نتائج التعليم في هذه المواقع، ظهور مفكرين وعلماء في مختلف التخصصات الشرعية والأدبية والفلسفية ، كما شهد هذا العصر وفود كثير من العلماء الذين تلقوا تعليمهم في المدارس الأجنبية، فمنهم من تبنى أفكار الغربيين وتأثر بمدنيتهم وصار داعية لتلك الأفكار مما يدل على أن "المستعمر عمل على نقل المعركة بين أبناء المغلوب على أمرهم بأن استخدم من تربى في معاهده ومن قلده فأثارهم ضد دعاة الفكر الإسلامي في بلادهم، فتحول الأمر إلى صراع داخلي خلق الفوضى وسرب في غمرته الأفكار الهدامة، وزرع اليأس في نفوس دعاة الفكر الأصيل من إمكانية التغيير"[1].

ومنهم من كان عدلا وسطا يدعو إلى الأخذ من الثقافة الغربية بقدر معقول لا يتنافى مع تعاليم الشرع، ولقد كان للحملات الاستشراقيه دورها في التأثير في كثير من المفكرين الإسلاميين وطلبة العلم وغيرهم، فقد حاولت هذه الحملات " الفصل بين هذه الأمة وماضيها وقيمها ، والعمل على تحطيم القيم بالتشكيك فيها وإثارة الشبهات حول الدين واللغة والتاريخ ومعالم الفكر ومفاهيم الآراء والمعتقدات جميعا [2].

وقد وجدت هذه الدعاوى قبولا في أوساط المسلمين وتأثرت جماهير منهم بالأفكار الإلحادية والتحررية، "وأبدت إعجابها وتقديرها للفكر الغربي وآثاره، وللأَعلام من الغرب، وتقديرَ بطولاتهم وخلقَ جوٍ من التسامح بين النفوذ الأجنبي والأمم المغلوبة باسم الدعوات الإنسانية والعالمية وحقوق الإنسان"[3].

---

[1]- حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة:ج01 ص129 .

[2]- أنور الجندي – معالم الفكر العربي المعاصر ، مطبعة الرسالة .د ط ، دس ط. : ص84.

[3]- أنور الجندي – الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب والشعوبية.مطبعة الرسالة،مصر، دط ،د س ط،: ص06.

3- الأُخوة الفكرية بين الأزهر والزيتونة :

زخر العالم الإسلامي بمدارس و منارات علمية في العلوم الشرعية التي كانت تؤهل العلماء وتحافظ على التراث الإسلامي والهوية العربية الإسلامية ، كالجامع الأزهر في القاهرة وجامع الزيتونة[1] في تونس، والقرويين في المغرب، ولا يُنسى ما كان للزوايا العلمية من أثر في المحافظة على تراث الأمة، وقد أخرجت هذه المعاهد في هذه الفترة علماء ومفكرين في مختلف فنون المعرفة والعلوم "يعتزون بعلمهم، ويزهدون في المناصب، إلا أن تحيط بها العزة والكرامة"[2].

ولكلٍ من معهدي الزيتونة والأزهر تاريخ يضاف إلى تاريخ المدارس العلمية ورجالاتها الذين تركوا بصماتهم وآثارَهم النافعة والشاهدة بفضلهم وقد قارن بعض الباحثين بين الجامعين وتاريخ بنائهما والدول التي تداولت على المسجدين حيث :"كان جامع الزيتونة سُنيا نابيا عن الدولة فعادت الدولة إليه، وإن الأزهر كان للدولة، نابيا عن السنة فعاد إليها، فتوافق الجامعان في المآل وإن اختلفا في المسلك"[3].

لقد كان بين هذه المعالم الثلاثة تواصل ثقافي وفكري، من حيث المواد التي يتم تدريسها، ومن حيث الأساتذة والمشايخ الذين يفِدون إليها ، وقد شهد بهذا التواصل محمد الخضر حسين بقوله: "ونحن لا ننسى ما للجامع الأزهر بالقاهرة، ولجامع القرويين بفاس من الأثر الكبير في نهضة العلم بجامع الزيتونة فإن الكتب التي تدرس بجامع الزيتونة أغلبها من مؤلفات الأزهر، أو علماء المغرب الأقصى ولتعاليم الجامع الأزهر وتعاليم جامع القرويين أثر عظيم في الثقافة الزيتونية"[4].

أما الفاضل بن عاشور فقد ذكر في بحث له، التمازجَ الذي كان بين الجامعين منذ النشأة

---

[1]- ابتدأ بناء جامع الزيتونة الأمير حسان بن النعمان الغساني الداخل لإفريقية سنة 79، ثم جاء الأمير عبد الله بن الحبحاب الداخل سنة 114هـ وأتم بناءه سنة 141هـ،ينظر:محمد الخضر حسين- تونس وجامع الزيتونة:ص28 .

[2]- محمد الخضر حسين- تونس وجامع الزيتونة:ص12 .

[3]- ابن عاشور، محمد الفاضل - ومضات فكر : الدار العربية للكتاب، دط، تونس،1982م: ص405.

[4]- محمد الخضر حسين - الهداية الإسلامية، دار النوادر، ط01، سورية ، دمشق ،1421هـ-2010م : ص194.

إلى العصر الحديث، وأشار إلى الرحلات التي كانت تعقد من جامع الزيتونة إلى الأزهر والعكس، وأثر هذا الاتصال في زوال الدولة العبيدية الشيعية، ومن مظاهر هذا التواصل تقرير مقررات ودوواوين متشابهة بين المعهدين "فكانت الدراسات بالأزهر والزيتونة تسير على منهج واحد، وتعتمد مادة من الكتب مشتركة؛ وسندا من العلماء متحدا"[1].

ويكفي مثالا على ذلك، المؤلَّفُ الفقهي، "مختصر خليل"، فقد كان مؤلفه مصريا ولكن المصنَّف لقي القبول والعناية لدى المغاربة عموما وعلماءِ وطلبةِ الزيتونة خصوصا، أما في علوم اللغة فقد أشار ابن خلدون إلى هذا التواصل بقوله:" ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى جمال الدّين بن هشام من علمائها استوفى فيه أحكام الإعراب مجملة ومفصّلة وسمّاه بالمغني في الإعراب فأتى من ذلك بشيء عجيب دالّ على قوّة ملكته واطّلاعه"[2].

وقد ذكر محمد الخضر حسين جملة من العلوم التي قررت على طلبة الزيتونة والتي منها " التفسير والحديث والسِّيَر والتوحيد والقراءات، والمصطلح والفقه والأصول وآداب الشريعة والنحو والبيان، واللغة والأدب وعلم العروض والمنطق والتاريخ والجغرافية؛ والحساب والهندسية والهيئة والميقات والمساحة"[3].

ثم ذكر ما يدَرَّس لطلبة القسم العالي من الكتب المقررة ، كالعقائد العضدية في أصول الدين وجمع الجوامع في أصول الفقه،ومغني اللبيب لعلم النحو والتلخيص في البلاغة وشرح القطب على الشمسية لعلم المنطق ومقدمة ابن خلدون في التاريخ[4] ، ثم خلص في الأخير إلى أن الناظر" يستبين أن الأزهر وجامع الزيتونة يتحدان في أغلب ما يدرس من الكتب، إذن، فالثقافة في

[1]- ومضات فكر: ص406.

[2]- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ،تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، ط02، بيروت ، 1408 هـ - 1988 م: ج01 ص755.

[3]- تونس وجامع الزيتونة :ص32 ، ابن عاشور ،محمد الطاهر، أليس الصبح بقريب ، دار السلام للطباعة والنشر، ط01، مصر،القاهرة ، 1427هـ-2006م:ص120.

[4]- تونس وجامع الزيتونة:ص34 .

المعهدين واحدة، أو متقاربة"[1].

وإنه ليكفي لإظهار الامتزاج الذي اكتمل في القرن الماضي بين الأزهر والزيتونة، الرجوعُ إلى قوانين التعليم في المعهدين، حتى يتبين أن الكتب التي تدرس في مراتب التعليم الثلاث: الابتدائية والمتوسطة والعالية، إنما كانت متحدة بصفة غالبة[2].

وقد كانت رسالة المعهدين واحدة وغايتهما هو الإصلاح وإخراج النشء الذي يحمل مشعل الهداية ويبلغ الرسالة لأجيال الأمة"فالمراد من متخرج الجامع-جامع الزيتونة حين يعطى شهادة (التطويع)[3] أن يكون ذا ذهن قوي وعقل مدرك للحقائق قدير على إيصالها إلى أذهان طالبيها[4]، وهو الغرض ذاته الذي هدف إليه جامع الأزهر فقد نص قانون إصلاح الأزهر الصادر عام 1329هـ-1911م، على أن الغرض من الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى هو القيام على حفظ الشريعة الغراء وفهم علومها ونشرها على وجه يفيد الأمة وتخريج علماء يوكل إليهم أمر التعاليم الدينية[5].

وقد بلغت الصِلات بين المعهدين الزيتوني والأزهري أوْجَها ،"فقد احتضن الأزهر إماما من الأئمة الأعلام كان أحد شيوخ الزيتونة العظام وهو الشيخ محمد الخضر حسين،إذ استقر بمصر وأحرز على شهادة العالِمية وسمي أستاذا في قسم التخصص، وعين في هيئة كبار العلماء ثم سمي شيخا للأزهر سنة 1374هـ-1952م، فكان خير تاج توجت به الأخوة بين المعهدين"[6].

---

[1]- المصدر السابق :ص34 .

[2]- ومضات فكر:ص425 .

[3]- هذه الشهادة منظور إليها كشهادة العالِمية في الأزهر؛ من جهة ما يترتب عليها من نيل بعض المناصب، ودراسةُ الطالب نحو سبع سنين تكفي لقبوله للامتحان، وإحرازه هذه الشهادة. ينظر: تونس وجامع الزيتونة:ص37 .

[4]- أليس الصبح بقريب:ص207 .

[5]-الخفاجي ،عبد المنعم - صبح علي علي - الأزهر في ألف عام، المكتبة الأزهرية للتراث، ط01، القاهرة ،1432هـ-2012م: ج01 ص187.

[6]- الفاضل بن عاشور ، ومضات فكر: ص429 .

ومن الأفكار التي انتشرت في هذه الفترة ، فكرة تحرير المرأة والتي حمل لواءها جملة من المفكرين ففي المغرب العربي وبالتحديد في تونس ظهر الطاهر حداد بكتابه "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" والذي صدر سنة 1930م ، وفي مصر ظهر قاسم أمين[1] بكتابيه :"تحرير المرأة"، "المرأة الجديدة".

ظهر الطاهر حداد مفتونا جدا بتربية المرأة الأوروبية على الحرية والانفتاح، نابزا ما تُربى عليه الفتاة المسلمة على الحشمة والحياء مدعيا ان الحياء الزائد في الفتاة سيحرمها من الإعراب عن اختيار زوجها الذي تريده[2].

بل إنه راح يروج إلى أن الحجاب أحد العوائق التي تعوق وتحول دون ميل أحد الطرفين للآخر[3]، إلى غير ذلك من كلام يصل أحيانا إلى غاية الإسفاف والإهانة والسخرية من تعاليم الدين وأحكامه.

وكانت ردة الفعل عليه قوية ، أما محمد العزيز جعيط[4]: فإنه قال في شأنه :"وفي رأيي الخاص، الخاص، أن كثيراً مما تضمنه الكتاب يوجب المروق من الدين"[5].

وكان لمحمد الخضر حسين رأيه فيه، فقد وصلته نسخة من الكتاب وبعد القراءة تبين له أن

---

[1]- قاسم بن محمد أمين المصري: كاتب باحث، اشتهر بمناصرته للمرأة ودفاعه عن حريتها. كردي الأصل. ولد ببلدة " طره " بمصر.سنة 1279هـ- 1863م، أكمل دراسة الحقوق في " مونبلييه " بفرنسة. له من الكتب" تحرير المرأة - " و " المرأة الجديدة – توفي في 1326 هـ- 1908 م.ينظر: الأعلام:ج05 ص184 - مارون عبود، رواد النهضة الحديثة. وما بعدها، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، مصر – القاهرة، ،2013م: ص199.

[2]- الطاهر حداد - امرأتنا في الشريعة والمجتمع ،دار الكتاب المصري ، دط، القاهرة ، 2011 م: ص203 بتصرف واختصار.

[3]- المرجع نفسه : ص210 وما بعدها .

[4]- محمد جعيط ، ولد سنة: 1303هـ – 1886م، كان شيخ الإسلام للمذهب المالكي. ثم وزيرا للعدلية، فمفتيا عاما. له عناية بالحديث. صنف (مجالس العرفان ومواهب الرحمن طبع الجزء الأول منه، شرح فيه بعض أحاديث البخاري ومسلم توفي سنة: 1389 هـ-1970 م، ينظر: الأعلام :ج06 ص268 ،

[5]- بلاغة القرآن : ص171 -172 .

"هذا الكاتب لم يتحر فيما كتب الطريقة الصالحة، ولم يتق الله في شريعته الغراء، فأقبل على القرآن يحرِّف آياته عن مواضعها، ويضاهي الذين يخادعون الله في تأويلها"[1].

وسنرى مواقف لمحمد الخضر حسين –من هذا الكتاب– في فصل تعقبات محمد الخضر لأهل الانحراف في تأويل القرآن الكريم.

لقد تميزت هذه المرحلة بظهور كثير من المفكرين والعلماء والشعراء والأدباء والمصلحين يقصر القلم عن حصرهم أو عدهم ملؤوا الجامعات والمدارس والمساجد والأندية، وتصدوا للكتابة فألفوا المؤلفات الكثيرة في شتى أنواعِ الفنون والمعرفة وزخرت المكتبة الإسلامية والثقافية بعلومهم وجهودهم وأسمعوا أصواتهم للجماهير عن طريق الصحافة المقروءة والمسموعة والمرئية كما شهدت الساحة الفكرية الكثير من المناظرات والردود والتعقيبات بين العلماء وأهل الفكر، تارة يُلتزم فيها أدب البحث والمناظرة والمحاورة، وتارة تقسو الكلمة وتجنح الأقلام إلى الشدة أو الغلظة أو العنف و التجريح.

[1]– المصدر السابق : ص172 .

المبحث الثاني:حياة محمد الخضر حسين

عند استعراض حياة المترجم لهم لا بد من بيان عدة أمور تتلخص في بيان : الاسم الكامل وتاريخ ميلادهم، ومكان الميلاد، ثم الأصول والنشأة العلمية، بما في ذلك رحلاتهم وشيوخهم وتلامذتهم، وسأفصل في هذا الفصل حياة محمد الخضر حسين منذ أن استقبله المهد إلى أن دثَّره اللحد وما كان بين الميلاد والوفاة من أحداث تتعلق بالموضوع المبحوث.

أولا. الاسم :

اشتهر اسمه ب"محمد الخضر حسين" وهو المعروف في الأوساط العلمية والثقافية، واسمه الأصلي هو محمد الأخضر بن الحسين ، أبدلت كلمة الأخضر ب"الخضر" منذ طفولته[1]، وقد ظن "محمد مواعدة" أن تغيير الاسم من الأخضر إلى الخضر مرده إلى الاختصار من جهة، وإلى تعلق العائلة بالخضر عليه السلام الذي وردت قصته مع نبي الله موسى في سورة الكهف[2].

ثانيا. المولد والنشأة:

ولد بمدينة نفطة [3]بتونس و قيل قفصة من مقاطعة الجريد من– إفريقية قديما[4]– بالجنوب الغربي وهي غير بعيدة عن الحدود الجزائرية، وقد صرح بمكان ميلاده فقال: نشأت في بلدة من بلاد الجريد بالقطر التونسي يقال لها "نفطة"[5]، واختلف في تحديد تاريخ ميلاده ، وقد حدده معظم مترجمي حياته ب 26 رجب عام 1293هـ الموافق لـ 21 جويلية 1873 م،ونجد محمد مواعدة

[1]– مواعدة، محمد – محمد الخضر حسين حياته وآثاره: ص21.

[2]– المرجع نفسه :ص21 بتصرف.

[3]–نفطة بالفتح ثم السكون والطاء ، مدينة بإفريقية من أعمال الزاب الكبير ، ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977 : ج5 ص 296.

[4]– قد كان يطلق اسم :"إفريقية " على منطقة تونس اليوم ، غير أنه لم يلبث أن أطلق على القارة كلها ، ثم أصبح علَما لها . ودخل اصطلاح :" تونس " ضمن مسمى:" بلاد المغرب " . ينظر : محمود شاكر– التاريخ الإسلامي: ج 14 ص 5 .

[5]– مقدمة ديوان الخواطر: ص06 .

قد استدرك على المحامي علي الرضا الحسيني –ابنِ أخ محمد الخضر وجامعِ تراثه– ذِكرَه ميلادَ محمد الخضر سنة 1874م، ولكن بالرجوع إلى مقدمة الأعمال الكاملة نرى علي الرضا الحسيني يحدد تاريخ ميلاده بالتاريخ المشار إليه أولا ،1873م[1]، وهو التاريخ نفسه الذي حدده أحمد تيمور باشا صديق محمد الخضر وأقرب من عاشره[2].

ثالثا– أصله ونسبه:

هو محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر[3] الطولقي[4]:والده هو الحسين بن علي بن عمر(1246–1309هـ الموافق:1830–1891م) العالم الزاهد الصوفي، شيخ الطريقة الرحمانية[5] ولد بطولقة– من أعمال بسكرة– تعلم بها وأخذ عن علمائها خاصة محمد المدني بن عزوز، ثم أخذ الطريقة الخلوتية الرحمانية عن خاله مصطفى بن عزوز البرجي[6] الذي هاجر معه إلى نفطة سنة 1843م[7].

---

[1]– علي الرضا الحسيني– مقدمة الأعمال الكاملة للشيخ محمد الخضر حسين:ص11.

[2]– أحمد تيمور باشا–أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث :ص291 .

[3]– محمد محفوظ– تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، ط02، بيروت – لبنان،1994 م: ج03 ،ص286 .

[4]– طولقة ، إحدى مدن بسكرة بالجزائر ، من ناحية الزاب الكبير من صقع الجريد، ينسب إليها عبد الله بن كعب بن ربيعة ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين، معجم البلدان، دار صادر، بيروت،ط02 ، 1995 م.– البكري الأندلسي، عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، دط ،بيروت– لبنان ، 1992 م: ج02 ،ص714.

[5]– تنتسب الطريقة الرحمانية إلى العالم الجزائري محمد بن عبد الرحمن القشوطي الإدريسي الحسني الأزهري الذي جاء بها من المشرق، وقد ظهرت في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، وعرفت انتشارا واسعا ، انتشرت في وسط وشرق وجنوب الجزائر وكذا في منطقة الجريد بالقطر التونسي ،وكان لها يد في مقاومة الاحتلال الفرنسي بفضل شيوخها وأتباعها، ينظر: العقبي،صلاح المؤيد– الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، دار البراق، دط ،لبنان ،بيروت،2002م: ج01 ص155 وما بعدها.

[6]– مصطفى بن محمد بن عزوز الحسني الإدريسي، البرجي ثم النفطي، أبو النخبة، الفقيه الصوفي. ولد بالبرج وهي بلدة صغيرة تابعة لبسكرة بالزاب جنوبي القطر الجزائري، ولأسلافه بها زاوية لنشر الطريقة الرحمانية الخلوتية، وهو ينحدر من عائلة صوفية هاجرت إلى نفطة إبان الاحتلال الفرنسي لبسكرة سنة 1843 مع عائلة الشيخ محمد الخضر حسين. ينظر:تراجم المؤلفين التونسيين :ج03 ص379 .

[7]– أعلام التصوف في الجزائر:ص145 – تراجم المؤلفين التونسيين:ج02 ص126.

أمَّا أمُّ محمد الخضر حسين، فهي حليمة السعدية بنت مصطفى بن عزوز البرجي المذكور قريبا، كانت من صالحات النساء، عُرفت بعلمها وتقواها[1]، ولها فضل كبير في تربية محمد الخضر حسين، فقد كانت أول من لقن أولادها العلوم الدينية واللغوية وأخذ عنها- محمد الخضر-: كتاب الكفراوي- شرح الآجرومية- في النحو، وكتاب السفطي في الفقه المالكي[2]، وله في رثائها قصيدة بعنوان : (بكاء على قبر)، أنشأها لما بلغه خبر وفاتها سنة 1335 هـ.

وهذه بعض الأبيات من مرثيته التي رثى بها أمه بعنوان :"بكاء على قبر" جاء فيها:

كَيْـفَ تُخْفيهـا أَكُـفٌّ في الثَّـرى ... كَيْـفَ تَحْثـو فَوْقَهـا التُّـرْبَ رُكامـا
أَوْدَعوهـا قَعْـرَ لَحْـدٍ ضَـرَبوا ... فَوْقَـهُ مِـنْ لازِبِ الطِّـينِ خِتامـا
ياسُـقاةَ التُّـرْبِ مـاءً هـاكُمُ ... عَـبَراتي إِنَّ في الجَفْـنِ جِمامـا
أَفَـلا يَبْكـي الْفَـتى نازِحَـةً ... سَـهِرَتْ مِـنْ أَجْلِـهِ اللَّيْـلَ وَنامـا
وانْثَنَـتْ تُرْشِـفُهُ مِـنْ أَدَبٍ ... مُـذْ لَهـا عَـنْ لَـبَنِ الثَّـدْيِ فِطامـا
"بِنْـتَ عَـزُّورَ" لَقَـدْ لَقَّنْتِنـا ... خَشْـيَةَ اللهِ وأَنْ نَرْعـى الـذِّماما
وَدَرَيْنـا مِنْـكِ أَنْ لا نَشْـتَرِي ... بِمَعالينـا مِـنَ الـدُّنْيا حُطامـا[3]

كما كان جده لأبيه علي بن عمر[4] ، وجده لأمه مصطفى بن عزوز، من أفاضل العلماء، ويتصل نسب هاتين الأسرتين بالصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه[5].

فأصول محمد الخضر من جهة أبويه أصول جزائرية بسكرية صرح بهذا إثر لقائه مع أبي الحسن

---

[1]- الحسيني ، علي الرضا- مقدمة الأعمال الكاملة: ص12 .

[2]- رَوى هذا، علي الرضا ،عن والده زين العابدين بن الحسين، ينظر: مقدمة كتاب: دراسات في اللغة لمحمد الخضر حسين : ص03 .

[3]- محمد الخضر حسين - ديوان خواطر الحياة :ص201 .

[4]- علي بن عمر بن أحمد بن الموفق ، ولد ببسكرة ، وتلقى علومه هناك ، أخذ أوراد الطريقة الرحمانية على يد محمد بن عزوز البرجي، ثم خلفه بعد وفاته على الطريقة وتكفل بأولاده توفي قتيلا سنة1258هـ-1842م. ينظر:أعلام التصوف في الجزائر:ص243 وما بعدها.

[5]- ينظر نسب العائلة العزوزية، عبد الرحمن بن الحاج- الدر المكنون في حياة سيدي علي بن عمر، وسيدي بن عزوز، ، مطبعة النجاح، دط ، قسنطينة- الجزائر،د س ط: الصفحات 02 ، 14 ،15.

الندوي بمصر وسؤاله عن مدة إقامته بمصر فأجاب :- أي محمد الخضر حسين- "لي الآن ثلاثون عاما في مصر و أَصْلي من الجزائر و مولدي تونس"[1].

وقد ساهم كل من العائلة العزوزية والعائلة العمرية (علي بن عمر) في التعليم والتربية والسلوك بأرض الجريد بتونس ، ونشروا الطريقة الرحمانية بشرق المغرب العربي ووسطه ، "فقلما يوجد في القطر الجزائري الشرقي والتونسي وطرابلس الغرب وبنغازي من ليس منتسبا لهذه الطريقة بل كادت أن تسمى الرحمانية بالعزوزية"[2].

وخاله الذي رباه وعلمه هو محمد المكي بن عزوز (1270 - 1334 هـ) (1854 - 1916 م) كان علماً من أعلام العلم والأدب والمعرفة الواسعة، وفذاً من الأفذاذ في معرفة الكتب، مع الحرص على اقتنائها وجمعها، كان أديباً شاعراً، تولّى خطة الإفتاء بنفطة، وانتقل إلى الآستانة ودرّس بها الحديث الشريف[3]، ونقل معه من تونس مكتبته التي يصفها الشيخ الفاضل ابن عاشور بأنها مكتبة من أندر وأعز وأنفس المكتبات وأفضلها من الخزائن الخاصة في العالم الإسلامي[4].

رابعا – نشأته العلمية: نشأ محمد الخضر في ظل تلك العائلة التي جمعت بين شرف النسب وشرف العلم وانتهجت نهج التربية الروحية، وقد تحدث محمد الخضر عما امتازت به المنطقة التي كبر فيها والعائلة التي عاش في كنفها أنه "كان للأدب المنظوم والمنثور في هذه البلدة-نفطة- نفحات تهبُّ في مجالس علمائها، وكان حولي من أقاربي وغيرهم من يقول الشعر، فتذوقت طعم

[1]- الندوي، أبو الحسن - مذكرات سائح في الشرق العربي، مؤسسة الرسالة، ط 3،بيروت، 1978م : ص89.

[2]- الحفناوي، أبو القسم محمد - تعريف الخلف برجال السلف، تحقيق:خير الدين شترة، دار كردادة للنشر والتوزيع،ط01، بوسعادة ، الجزائر ،1433هـ-2012م: ج02 ص471 .

[3]- ينظر ترجمته: ابن عاشور ،محمد الفاضل- تراجم الأعلام، الدار التونسية للنشر، دط،1970م: ص187 وما بعدها./ تراجم المؤلفين التونسيين :ج03 ،ص382 /عبد الحي الكتاني - الفهارس و الأثبات ، تحقيق :إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي،ط02 ، بيروت،1402هـ- 1982م: ص856 ./ اسماعيل باشا،إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون دط،دار إحياء التراث العربي،بيروت ،لبنان، دس ط: ص60 ./ خيرالدين الزركلي-الأعلام،دار العلم للملايين، ط15، بيروت ،لبنان، 2002 :ج07 ص330.

[4]- ابن عاشور ،محمد الفاضل- تراجم الأعلام،ص189 وما بعدها.

الأدب من أول نشأتي"[1].

قرأ القرآن، وحفظه بنفطة على مؤدبه الخاص عبد الحفيظ اللَّمُّوشي، كما تلقى مبادئ العلوم العربية على علماء نفطة"[2]، وقد تحدث عن تلقيه العلم من أقرب الناس إليه فحفظ بعض المتون في الفقه واللغة على أمه، ثم جالس خاله محمد المكي والذي وصف طريقة الأخذ عنه بقوله:":"أستاذي الذي شبّت في طوق تعليمه فكرتي، وتغذيت بلبان معارفه في أول نشأتي، العلامة الهمام القدوة خالنا الشيخ محمد المكي بن عزّوز"[3].

1.الالتحاق بالزيتونة: قضى محمد الخضر حسين مرحلة الطفولة في بلدة نفطة التي تلقى فيها مبادئ العلوم العربية و الشرعية فلما اشتد عوده انتقل مع أسرته إلى العاصمة التونسية في سن الثانية عشرة من عمره سنة 1305هـ ، ليلتحق بجامع الزيتونة سنة 1307 هـ الموافق لـ 1889م[4].

وأرجع بعضهم سبب هذا الانتقال إلى رغبة العائلة وحرصها على تمكين محمد الخضر من مواصلة الدرس والتعلم بجامع الزيتونة[5].

ويعد الجامع آنذاك من أرقى المعاهد الدينية وأعظمها شأنا في المغرب- فقرأ على الأساتذة والمشايخ وتنقل به في الدراسة من مرحلة إلى مرحلة فظهرت نجابته وبرز نبوغه في العلوم الدينية واللغوية، وقد تحدث عن الكتب التي قرأها في مختلف الفنون والعلوم والتي تدل على الموسوعية والتمكن وسعة وغزارة المادة العلمية حيث سئل عن أحسن كتاب قرأه فقال :" طالعت كتباً كثيرة في الفنون التي درستها، فاستفدت منها ما يرتضيه العقل لاستناده إلى أصل مُسَلَّم به أو نقل

[1]- مقدمة ديوان خواطر الحياة :ص06 .

[2]- علي الرضا- الإمام محمد الخضر حسين بقلم نخبة من أهل الفكر:ص39 .

[3]- محمد الخضر حسين - السعادة العظمى:ص46 .

[4]- سعيد عبد الرحمن - شيوخ الأزهر ،الشركة العربية للنشر والتوزيع،مصر،دط .دس ط:ج4ص 27.

[5]- مواعدة - محمد الخضر حسين حياته وآثاره :ص29 .

صحيح"[1].

وقد أرجع محمد الخضر حسين الفضل – بعد الله عز وجل- في دراسة العلوم الشرعية دراسة متبصر عارف من أين يأخذ، وما ذا يأخذ، وماذا يذر، أرجع الفضل في ذلك إلى أبي بكر بن العربي فقد قال بعد أن ترجم لهذا الأخير ترجمة وافية وعرَّف ببعض مؤلفاته وما تمتاز به وأثنى على طريقته في التأليف بقوله :" المصنفون كثير، أما الذين يكتبون على بينة مما يكتبون، فيتقنون الرواية إذا رووا، ويراعون قانون أدب البحث إذا استنبطوا، فليسوا بكثير، ومن أهل هذه الطبقة أبو بكر بن العربي"[2].

2.– شيوخه وأساتذته: لما استقر محمد الخضر بتونس سنة 1305هـ ثم التحق بجامع الزيتونة سنة1308هـ-1889م،جلس بين يدي فقهائها وعلمائها وأدبائها، فتلقى عنهم علومهم وتلقى المقررات التي كانت تدرس آنذاك والتي سبق الإشارة إليها في مطلب الحياة الثقافية من الفصل الأول، وقد ترجم محمد الخضر لجملة من شيوخه ودون مآثرهم ومواقفهم خصوصا في كتابه : تونس وجامع الزيتونة ،ومن أبرز شيوخه الذي تلقى عنهم في جامع الزيتونة:

أ.– محمد المكي بن عزوز:

هو خال محمد الخضر حسين، وقد "انتصب للتدريس بجامع الزيتونة وكان منهلا موردا، امتازت دروسه بكثرة الإقبال، وغزارة المادة وفصاحة القول وعلو الأسلوب وجاذبيته"[3].

وقد أجاز- محمد المكي- ابن أخته وتلميذه محمدَ الخضرَ حسينا – بكل مروياته، فقد أجازه في كتب السنة وفي شفاء القاضي عياض ، وفي تآليف السنوسي، وبمروياته في الأدب واللغة والنحو، وفي تفسيري الجلالين والبيضاوي، وفي المنطق، وفي بعض مصنفات الفقه المالكي وغير ذلك من

[1]- أحاديث في رحاب الأزهر:ص177 .

[2]- محمد الخضر حسين – تراجم الرجال :ص121 .

[3]- الفاضل بن عاشور- تراجم الأعلام :ص192 .

العلوم[1].

ثم علق على طريقته في التدريس فقال:" أما أسلوب الأستاذ في التعليم فمن انفع الطرق، كان يكرر عبارة المتن ويبسطها حتى يتضح المراد منها ثم يأخذ في سرد عبارات الشرح وما تمس الحاجة إليه من الحواشي والكتب التي بحثت الموضوع ، لاسيما الكتب التي اعتمد عليها شارح الكتاب ، ويتبعها بالبيان جملة جملة ولا يغادر عويصة أو عقدة إلا فتح مغلقها وأوضح مجملها، بحيث يتعلم الطالب من دروسه كيف تلتقط جواهر المعاني من أفواه المؤلفين زيادة عما يستفيد من العلم "[2].

ب- محمد النجار :

هو العلامة أبو عبد الله محمد بن عثمان بن محمد النجار، ويتصل نسبه بالشيخ عبد السلام بن مشيش، وأمه شقيقة العلامة المفتي الشيخ محمود قبادو النابغة الأفريقي،ولد في 15 شعبان عام 1255، ودخل جامع الزيتونة سنة 1270م- توفي منتصف ليلة السادس عشر من رمضان سنة 1331م[3].

وقد وصفه محمد الخضر، ووصف طريقة تدريسه فقال :كان الأستاذ -رحمه الله- غزير العلم، كريم الأخلاق، يحب البحث، ويتلقى مناقشة الطلاب بصدر رحب، كنت ممن حضر درسه لكتاب "المواقف"، ودرسه لتفسير القاضي البيضاوي، ودرسه لشرح عبد الباقي الزرقاني على المختصر الخليلي، ولشدة استقصاء الأستاذ لما يقرره الكاتبون، وعنايته بنقد ما يوردونه من الآراء، مكثنا بضع سنين في أبواب من هذه الكتب معدودة، وكنت أستفيد من مجالسه ما لا يقل عما أستفيده من دروسه، إذ كان -رحمه الله- ذا ذاكرة لا تخونه فيما يستودعها إياه من علم، ولم نر له

[1]- الحسيني، علي الرضا- الإرث الفكري لمحمد الخضر حسين: ص149 وما بعدها.

[2] - محمد رجب البيومي - النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين ، دار القلم ، ط: 1 ، دمشق ، 1415هـ - 1995م : ج 1 ص 53.

[3]- محمد الخضر حسين - تونس وجامع الزيتونة : ص120/ تراجم المؤلفين التونسيين:ج05 ص16 .

في سعة الاطلاع والمحاضرة بالعلوم على اختلاف فنونها من نظير[1].

ج – سَالم بوحَاجب :

ولد حوالي سنة 1244هـ بقرية من قرى الساحل تسمى: "بنبلة"، ثم ارتحل منها عندما بلغ سن التعليم إلى حاضرة تونس لتلقي العلم بجامع الزيتونة الأعظم، فدخله أواخر1258هـ ولم يلبث أن سطع بين جدران ذلك المعهد شعاع ألمعيته ونبوغه لعلمه الراسخ، وعبقريته البارزة، وكثيراً ما يورد في مجالسه أو دروسه في صدد الاستشهاد على بعض المعاني اللغوية عبارة "القاموس" بنصها، حتى ظن كثير من أهل أنه يحفظه على ظهر قلب[2].

كان من أعلام عصره فهو فقيه محقق، لغوي أديب شاعر، له اليد الطولى في المعقولات ملمّ بطرف من التاريخ والجغرافيا والرياضيات، واسع الأفق، غزير الذكاء، ناقد مصيب، ومصلح إسلامي[3].

وقد تحدث عن مرحلة مجالسته لعلماء الزيتونة وعن المقررات التي تلقاها عن علمائها فقال :" تلقيت عن الأستاذ رحمه الله– يقصد سالم بوحاجب – دروسا من تفسير البيضاوي ودروسا من شرح التاودي عن العاصمية ، ودروسا من شرح الشيخ عبد الباقي على المختصر الخليلي وكنت بعد أن استقال عن منصبَيْ الفتوى ونظارة الجامع أزوره كثيرا حرصا على الاستفادة من علمه " [4].

والملاحظ على الشيخين سالم بوحاجب ومحمد النجار، أنهما كانا على وجهتين مختلفتين فقد كان الأول مائلا إلى تيار الإصلاح الذي تأثر بحركة محمد عبده وكان الثاني من تيار المحافظين المناوئ للإصلاحيين ، ولا يخفى ما كان بين الاتجاهين من الخلاف العالي الذي يصل أحيانا إلى

---

[1]– المرجع السابق :ص121.

[2]– تراجم الأعلام :ص221 وما بعدها .

[3]– تراجم المؤلفين التونسيين:ج02 ص77 / معجم المؤلفين ج04ص203

[4]– محمد الخضر حسين – تونس وجامع الزيتونة : ص 144.

الهمز واللمز،لكن محمد الخضر حسين كان وسطا بين التيارين.

د- عمر بن الشيخ :

هو عمر بن أحمد بن علي بن حسن بن علي بن قاسم المعروف بابن الشيخ، ولد الأستاذ بقرية يقال لها: "الماتلين" من عمل "بنزرت"، في حدود سنة 1239 هـ، دخل الجامع الأعظم جامع الزيتونة سنة 1259 ولما اشتد ساعد الأستاذ فهماً، وامتلأت وطابه علماً، جلس للتدريس بجامع الزيتونة سنة 1266هـ[1].

ثم عرج محمد الخضر على ذكر ما تلقاه عن هذا الشيخ من علوم قال "درَّس الأستاذ كتباً عالية في علوم شتى، تدريسَ بحث وتحقيق، منها: "الشرح المطول على متن التلخيص"، و"شرح الأشموني على الخلاصة"، وكتاب "مغني اللبيب"، و"شرح المحلي على جمع الجوامع"، و"شرح السعد على العقائد النسفية"، و"شرح الزرقاني على المختصر الخليلي"، و"تفسير القاضي البيضاوي"، انتهى فيه إلى قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾[2]

ودرَّس كتاب "المواقف بشرح السيد"، ولم يكن من الكتب التي تدرس لذلك العهد، حتى أتى على نهايته، وتليت عند ختمه القصائد البليغة، وكان يحضره أكابر المدرسين"[3].

كما أورد محمد الخضر حسين القصيدة التي ألقاها خاله محمد المكي بن عزوز عند ختم كتاب المواقف وشرحه والتي منها هذا البيت:

---

[1]- المصدر السابق: ص140 .

[2]- آل عمران:18 .

[3]- محمد الخضر حسين – تونس وجامع الزيتونة:ص141، وهذا البيت ذكره أيضا- محمد الخضر وقت خروج جنازة عمر بن الشيخ من منزله ليصلَّى عليها في جامع الزيتونة، واستعاد ذكريات خروجه منه لدرس كتاب "المواقف"، والشيوخ ينتظرونه بموضع الدرس، وقد تأثر محمد الخضر لذلك وفاضت عيناه بالدموع ، ينظر: أحاديث في رحاب الأزهر،ص:111 .

إذا عُمَرُ بنُ الشَّيْخِ وَافىَ لِدَرْسِهِ تَعَالَ الْتَقِطْ دُراً بِمِلْءِ جِفَانِ[1]

وهناك شيوخ آخرون تتلمذ على أيديهم، غير أن هؤلاء الأربعة كان لهم الأثر الكبير في رصيده المعرفي وفي أخلاقه، فقد أخذ منهم علمهم وأدبهم ، ويشهد لذلك تلك المقرَّرَات التي تلقاها عنهم حتى نال شهادة التطويع ، وكان ذلك سنة:1316هـ-1898م[2].

خامـــــسا: وظائفه وأعماله بتونس

1-إنشاء مجلة السعادة العظمى: بعد تخرج محمد الخضر من جامع الزيتونة، وحصوله على شهادة التطويع -التي تؤهله للتدريس بجامع الزيتونة-، كان همه القيام بمهمة التدريس فتطوع لإلقاء دروس على طلاب المعهد العلمي في فنون مختلفة، ثم استهل فضيلته حياته العملية بالعمل في الصحافة حيث أنشأ مجلة (السعادة) وراح يدبج فيها الفصول القيمة يعالج بها الشؤون الدينية والأدبية[3].

كان تأسيسها شهر محرم 1322هـ-أفريل1904م، وهي أول مجلة عربية ظهرت في تونس، نصف شهرية صدر منها 21 عددا ثم انقطعت عن الصدور في ذي القعدة 1322هـ-جانفي 1905م[4].

يقول متحدثا عن إنشاء هذه المجلة وعن الظروف التي اكتنفتها من معارضة وتأييد :" وقد كنت - بعد أن نلت درجة العالمية من جامعة الزيتونة - أنشأت مجلة علمية أدبية، وهي أول مجلة أنشئت بالمغرب، فأنكر عليَّ بعض الشيوخ، وظن أنها تفتح باب الاجتهاد؛ لأني قلت في أول عدد منها: "ودعوى أن باب الاجتهاد مغلق لا تُسمع إلا مع دليل يبطل الدليل الذي انفتح به أولاً"[5]،

[1]- تونس وجامع الزيتونة: ص140- 141 .

[2]- مواعدة- محمد الخضر حسين حياته وآثاره : ص36 .

[3]- أحاديث في رحاب الأزهر:ص187 .

[4]- مواعدة ، محمد - محمد الخضر حسين حياته وآثاره: ص40 .

[5]- دراسات في الشريعة الإسلامية :ص130 .

" وساء بعضَهم صدورُها لما اتسمت به من نزعة الحرية في النقد واحترام التفكير السليم، ولتأييدها فتح باب الاجتهاد"[1]. ثم ذكر تشجيع بعض العلماء له فقال:" وشجعني على إنشائها شيخنا أبو حاجب، وقال لي في باب الشفاء من جامع الزيتونة: أقول لك ما قاله ورقة بن نوفل: "ما أتى أحد بمثل ما جئت به، إلا عودي"[2].

وكان ممن شجعني عليها كذلك الوزير محمد أبو عتور[3]، وشكا إليه بعضُ الشيوخ مما نشر في المجلة فيما يتعلق بالخطابة، فأجابه الوزير، وكان من العلماء الأجلة، " إن ما تنشره المجلة لا يعارض الشرع، ولا القانون"[4].

وكما لقيت هذه المجلة معارضة وثورة من بعض الأقلام التي ترفض كل أنواع التجديد، فإنها لقيت تشجيعا من بعض شيوخ وأقران وأصدقاء محمد الخضر، وإذا كان محمد الخضر أشار إلى ذلك الدعم المعنوي الذي تلقاه من شيخه سالم بوحاجب مستحضرا موقف ورقة بن نوفل مع رسول الله في مبدإ الوحي فإن محمد الخضر، لقي دعما آخر تجلى في رسالة الطاهر ابن عاشور التي بعث بها إلى صديقه محمد الخضر ملخصها : إلى العلامة النحرير صديقي السيدِ منشيءِ مجلة السعادة العظمى أيده الله تعالى سلام وتحية وإجلال، كما يليق بذي قلم سعى بصريره في تقويم الأمة وتأييد شرعة الحق، واطّلع لأهل لغتنا العربية شمسا طالما حجبها دونهم سحاب مركوم ، وأعقب نهارها ليل عطل سماه أفول البدر وإدبار النجوم[5].

---

[1]- مجلة البيان ، عدد 3 : ص73 .

[2]- يقصد الحديث الذي رواه البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها، في باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، رقم 03 :ج1 ص07 .

[3]- محمد العزيز بوعتور، وزير من العلماء والكتاب ولد في رجب 1240هـ- 1825م،كان كاتباً بليغاً ،وبرع في العلم والأدب والذكاء إذا حضر مجلسه أكابر العلماء، جلسوا وهم يشعرون بأنهم في مجلس عالم ذي نظر مستقل، واطلاع واسع، توفي في غرة محرم سنة 1325هـ- 1907 م. ينظر: تونس وجامع الزيتونة،:ص11 ، تراجم الأعلام: ص141 وما بعدها، تراجم المؤلفين التونسيين:ص355.

[4]- دراسات في الشريعة الإسلامية : ص130 .

[5]- محمد الفاضل بن عاشور – الحركة الأدبية والفكرية في تونس : ص316 – 317 باختصار.

وبعد أن تكلم عن بعض مشكلات الأمة خلص إلى أن مرد إصلاحها-أي- إلى أمرين: لسان التعليم ولسان النشرات العلمية التهذيبية(أي المجلات والجرائد) فعقد الأمل أن تكون مجلة السعادة العظمى مسهمة في هذا الإصلاح حيث قال :"لكنك ستجد من صنيعك هذا ألْسنًا شاجرة وصدورا ثائرة وعيونا متغامزة كما وجد الناهضون من قبلك فإن استطعت أن لا تزيدك أراجيفهم إلا معرفة بكِبَر نفسك ، وتصميما على غاية فكرك ، ولهوا عن قولهم فإنهم حاسدون ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، وإليك تحيةَ صديق مخلص ونصير مؤازر "[1].

02.- تولي خطة القضاء: بعد انقطاع مجلة السعادة عن الصدور عُرض عليه منصب القضاء فتولاه بتشجيع من الطاهر بن عاشور[2] ، قال الطاهر بن عاشور رحمه الله :" وأنا الآن تتجاذبني قوتان بجاذب متضاد: أراني فيها مبتهجاً مسروراً بارتقاء صديقنا النحرير، واسطة عقد جمعنا في هاته الليلة النيرة، على حين أجدني -مهما تذكرت لازم هذا الارتقاء؛ من مبارحته نادي أنسنا - أسِفاً على بُعد من أبعته نفسي، واتخذته صديقاً خالصاً منذ سبع سنين، ولكني أغالب وجداني، وأجمع حافظتي ، وأزجر لساني، فأغلّب السرور على الأسف، وكذلك ينتصر أحد الخصمين على قِرنه متى قامت الحجة[3].

[1]- محمد الفاضل بن عاشور - الحركة الأدبية والفكرية في تونس : ص317 - 318 .

[2]- مواعدة، محمد الخضر حسين، حياته وأعماله،ص46 . وقد أقام محمد الطاهر بن عاشور مأدبة على شرف محمد الخضر تهنئةً له بمنصب القضاء وتوديعا له إلى مدينة بنزرت، ألقى خلالها ابن عاشور كلمة ختمها بأبيات منها:

قَسَماً بِإِحْساسِ المودَّةِ بيننا أَكَّدْتُ في ملأٍ منَ الأحبابِ
لَسُرُورُ ساعاتٍ تُذَكِّرُ أُنْسَكُم في النَّفْسِ أَحْلَى مِنْ نَوَالِ طِلابِ
والآنَ قُدِّرَ أَنْ يَشُطَّ مَزارُنا حَتَّى يُعَوَّضَ جَمْعُنا بِكتابِ
ولتلكَ في قلبِ الصَّديقِ حزازةٌ ما هيَّ دونَ نوافذ النّشّابِ
لكنَّ للعدلِ المُضَيَّعِ دَعْوَةً تَقْضي علينا بامْتِثالِ جوابِ
فاهنأْ بهذا الارتقاءِ وَكُنْ بهِ مِثْلَ الفَضيلةِ مَظْهَرَ الإِعْجَابِ

- ينظر: كتابات حول محمد الخضر حسين:ص27 ،28 .

[3]- المرجع نفسه : ص25 .

تولى القضاء في مدينة "بنزرت"[1] مدة سنة وسبعة أشهر، ثم تركه إلى العمل في حقل التدريس في جامعة الزيتونة وفي المدرسة الصادقية[2].

03.– التدريس بجامع الزيتونة: بعد استقالته من خطة قضاء مدينة بنزرت عاد إلى تونس العاصمة، وباشر التدريس بالزيتونة سنة 1905م، كما شارك في حركة إصلاح التعليم بالزيتونة، التي تولد منها"جمعية تلامذة الزيتونة"التي كان جل غرضها الانتفاع بالعلوم مع اختصار الوقت بالتنقيح وضبط التلامذة والأساتذة على وجه يمنع الكسل، ترأسها ، محمد رضوان، وكان محمد الخضر حسين أحد أعضائها، وكان ذلك في 27 ذي الحجة1324هـ [3].

سادسا : رحلاته العلمية: لم يقتصر نشاط محمد الخضر على تونس، بل جاوزها إلى البلاد المجاورة ، وإلى بلدان المشرق وأوروبا، وقد تكفلت جريدة المقتبس الدمشقية بنشر رحلاته[4] ، ثم جمع تلك المرائيَ والمشاهداتِ والمسامرات؛ لأهل العلم والفكر في كتابه الرحْلات[5]، وبين فيه أثر الرحلة في الحياة العلمية والأدبية،وفوائدَ الرحلة، وماذا يستفيد قوم الرجل من رحلته ، وأثر الرحلة في تعارف

---

[1]– مدينة بنزرت– بفتح الزاي، وسكون الراء– صغيرة عامرة بأهلها بينها وبين تونس نحو يومين وبها مرافق وأسواق قائمة بذاتها وبالجهة الشرقية منها بحيرتها المعروفة بها والمنسوبة إليها وطولها ستة عشر ميلا وعرضها ثمانية أميال وفمها متصل بالبحر وكلما أخذت في البرية اتسعت وما قربت من البحر ضاقت وانخرطت.ينظر: الادريسي، محمد بن محمد – نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: ، عالم الكتب،ط01، بيروت ،1409هـ: ج01ص188 – معجم البلدان:ج01 ص499 – القزويني، زكريا بن محمد – آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر، دط ، بيروت ،د س ط : ص159

[2]– ينظر : عبد الله العقيل– من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية ، دار البشير ، ط :07 ، جدة ، 1429هـ – 2008م:ص 845-846/ تراجم لتسعة من الأعلام، ص: 122.

[3]– ابن عاشور ، محمد الطاهر– أليس الصبح بقريب: ص217 .

[4]– الأعلام:ج06 ، ص 113.

[5]– رحْلات ، بكسر الراء وسكون الحاء ، جمع رحلة على وزن فِعله، وعند جمع "فِعْلة" صحيحة العين واللام جمعَ مؤنث سالِما، فإن فاءها لا يتغير ضبطها، أما عينها فتبقى ساكنة كما هي، ويجوز فيها الفتح والإتباع لحركة الفاء، فنقول: "رِحْلات"، و"رِحَلات"، و "رِحِلات"، وأدب الرحلات هو :مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق.ينظر: أحمد مختار عمر– معجم الصواب اللغوي، عالم الكتب، ط01، القاهرة، 1429 هـ – 2008 م : ج01 ص397. / أحمد مختار عبد الحميد – معجم اللغة العربية المعاصرة، ،عالم الكتب، ط01 ،1429 هـ – 2008 م: ج02 ص871.

الشعوب[1].

1.الرحلة الجزائرية:

لقد سافر محمد الخضر إلى بلاد كثيرة منها، الجزائر التي زارها مرتين إحداهما سنة 1903م، والأخرى شهر نوفمبر 1904م[2] ،وزار مدنا كثيرة فيها منها، سوق اهراس ، تبسة، باتنة، قسنطينة والجزائر العاصمة، وبمجرد أن وطئت قدماه سوق اهراس ونزل بأحد مساجدها، طلب منه الحاضرون مسامرة في مسائل من الفقه .

كما استغل التجار وجوده بتبسة لطرح مسائل تتعلق بالبيوع وقد استدل محمد الخضر أن هذا "دليل على متانة الديانة، والتوقي من الشبهات"[3]، وبعين البيضاء التقى جملة من أهل العلم منهم محمد العربي بن قشوط، و أحمد بن ناجي، الذين استأنس بمسامرتهم ، وذكر إقبال الطلبة على درس أحمد بن ناجي في شرح المختصر الخليلي بعد صلاة التراويح مما يدل أن الرحلة هذه كانت في رمضان[4]، وقد ذكر محمد الخضر انطباعه مما رآه على الحاضرين من رغبة مفرطة، وإقبال زائدٍ على تلقي التعاليم الدينية[5].كما ذكر ما امتاز به أهل الجزائر من إكرام الضيف والحفاوة به خاصة إذا كان من أهل العلم[6].

وتعد منطقة الجزائر العاصمة هي أثرى محطاته في هذه الرحلة فقد زار مكتباتها والْتقى العديد من علمائها البارزين وعُقدت له المسامرات والمحاورات، ومن العلماء الذي الْتقاهم: الشيخ

[1]- محمد الخضر حسين – الرحلات :ص06 وما بعدها.

[2]- ينظر تاريخ الرحلتين، مواعدة – محمد الخضر حسين حياته وآثاره:ص44 وما بعدها.

[3]- الرحلات :ص29 .

[4]- وهذا الذي أكده محمد مواعده في بحثه عن حياة الشيخ فقد ذكر تاريخ الرحلة الثانية وأنها كانت يوم السبت 05 رمضان 1322هـ ، وامتدت إلى يوم الثلاثاء 15 رمضان ، ينظر: مواعدة– محمد الخضر حسين حياته وآثاره:ص44 .

[5]- الرحلات:ص31 .

[6]- المصدر نفسه :ص40 .

بوقندورة[1] المفتي الحنفي ، وعبد الحليم بن سماية[2] الذي وصف محمدُ الخضر لسانه بالفصاحة وسحر البيان، وتبين عن قرب مقررات الدروس في مساجد العاصمة كمؤلفات السنوسي في العقائد، كما التقى الشيخ محمد بوشنب[3] المدرس بالمدرسة الثعالبية، وذكر في هذا بعض ما جرى في مسامراته وامتداد بعضها إلى ست ساعات كمسامرته لعبد الحليم بن سماية[4]، كما التقى العالم البارع الشيخ محمد بن مصطفى خوجة الذي وصفه محمد الخضر بقوله: "فتح علينا رياض أنس كانت مغلقة أبوابها إغلاقاً، فنظم في سلك المسامرة فرائد، وأنشدنا من بنات أفكاره قلائد"[5].

وقد اهتاج أسفا لرؤيته كتبا بالمكتبة العمومية والتي استغرها في ذلك الوقت- ككتاب"القبس على موطأ مالك بن أنس"، "وترتيب المسالك على موطأ مالك"- ولم تسنح له الفرصة لمطالعتها في تلك المناسبة لضيق الوقت وعزمه على الرجوع لتونس[6].

هذه خلاصة رحلته إلى الجزائر وبعض ما جرى فيها ، غير أن علي الرضا الحسيني ابنَ أخ محمد الخضر سمع همسات في الجزائر، مفادها: لماذا لم يقم محمد الخضر بزيارة موطن آبائه وأجداده

---

[1]- أحمد بوقندورة: عائلة بوقندورة لها صيت وشأن في العهد الفرنسي. تولى الشيخ أحمد وظيفة الفتوى على مذهب الإمام أبي حنيفة بالعاصمة. وقبل ذلك عمل معاونا قضائيا في محكمة الجزائر مدة طويلة، من الخمسينات إلى الثمانينات. ينظر: سعد الله، أبو القاسم تاريخ الجزائر الثقافي: ج03 ص74 وما بعدها.

[2]- عبد الحليم بن سماية: من أسرة علمية بالعاصمة. كان أبوه علي بن سماية من المدرسين في مدينة الجزائر مدة طويلة، وكان أيضا من محرري جريدة المبشر. ولد عبد الحليم في 15 يوليو، 1866،تبنى مذهب الشيخ محمد عبده في الإصلاح، وكان مواظبا على الاطلاع على مجلة المنار، وحين زار الشيخ عبده الجزائر سنة 1903 نزل بدار الشيخ عبد الحليم، وكان هو مرافقه الدائم. ينظر ترجمته وبعض أخباره، سعد الله، أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي: ج03ص93 وما بعدها.

[3]- محمد بن العربي بن محمد أبي شنب: عالم بالأدب.ولد في: 1286 هـ- 1869 م ،كان أستاذ العربية في كلية الجزائر. تركي الأصل، عربي المنبت واللسان. ولد بقرية المدية (من أعمال الجزائر) وشغف باللغات، فأحسن الفرنسية كأهلها، وألم بالإيطالية والألمانية والإسبانية والتركية. وعانى التعليم طول حياته. صنف كتبا، منها تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب و معجم بأسماء ما نشر في المغرب الأقصى (فاس) من الكتب، ونقدها توفي في: 1347 هـ- 1929م.ينظر:الأعلام: ج 06 ص 266 - معجم المؤلفين: ج10ص289 .

[4]- الرحلات:ص27 .

[5]- المصدر نفسه :ص39 .

[6]- المصدر نفسه:ص45 .

بسكرة؟، إذ لم يَرد تصريح من محمد الخضر بالزيارة ، لكن علي الرضا دافع عن هذا، بعثوره على بعض أوراق لمحمد الخضر تشير إلى الزيارة[1]، و بالرجوع إلى الأعمال الكاملة وبالضبط في كتابه: "محمد رسول الله وخاتم النبيين" وعند ذكر محمد الخضر لخالد بن سنان العبسي[2] ، أشار إلى مشاهدته لهذا القبر بالجزائر ولا شك أن المنطقة التي بها هذا القبر هي بسكرة ،يقول:" وأذكر بهذه المناسبة أن ببلاد الجزائر قبراً عليه بناء يقال: إنه قبر خالد بن سنان، ويجتمع الناس لزيارته في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان، وشهدت الاجتماع به في بعض السنين، ورأيت هنالك بدعاً تقام حول القبر"[3].

وبهذا يكون قد لخص رحلته ووصف المسالك والمعالم ، وذكر اهتمامه بذكر العلماء والأدباء وما كان له معهم من المحاورات، وما عَنَّ له من الملاحظات والأفكار[4]، وهذا دأبه وشأنه في كل رحلاته.

2.الرحلة إلى المشرق: بعد ما تم عرض وقائع الرحلة الجزائرية، سنرى مختصرا عن رحلته إلى المشرق والتي صرح محمد الخضر بتاريخها وغرضِها، فكان من أغراضها زيارة أهله وقرابته

[1]- ذكر هذا في هامش كتاب الرحلات بعد تمام الرحلة الجزائرية:ص45 .

[2]- اختلف في نبوة خالد بن سنان العبسي الذي كان موجودا بين فترة – عيسى عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إلى ثبوتها بعضهم واستبعدها آخرون ، ينظر: ابن حجر- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: (عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض)، ط01، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1415 هـ:ا ج02 ص309 /لأعلام:ج02 ص296، أما القبر الموجود ببسكرة والذي ينسب إلى خالد بن سنان فقد استبعد محمد الخضر حسين نسبة ذلك وقال: "وليس لهم-أي أهلِ بسكرة- من أثر على أن هذا قبر خالد بن سنان سوى ما شاع هناك من أن بعض الصالحين أخبر بذلك".ينظر:محمد رسول الله وخاتم النبيئين:ص46 ، واستبعده أيضا أحمد بن ناصر الدرعي في رحلته عند مروره ببسكرة على هذا القبر فقال:"...ويبعد عنه كل البعد أن يكون خالد بن سنان العبسي، مدفونا في هذا المكان فإن الأخبار المنقولة في شأنه، المذكورة في كتب أهل السير تأبى ذلك، ينظر:ناصر الدرعي- الرحلة الناصرية ،تحقيق:عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط01 ،أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة،2011م: ص135.

[3]- محمد رسول الله وخاتم النبيئين:ص46 .

[4]- محمد الفاضل بن عاشور- الحركة الأدبية والفكرية في تونس:ص108 .

بالشام وكان ذلك في يوم الخميس الرابع من شعبان 1330هـ- 1912/08/08م[1]، وقد عانى محمد الخضر مر فراق أحبته ومسقط رأسه فأنشد –وهو على ظهر السفينة- معبرا عما يجيش في صدره من لوعة:

حـادِي سَـفِينَتِنا اطْـرَحْ مِـنْ حُمولَتِهـا زادَ الوقـودِ فَمـا في طَرْحِـهِ خَطَـرُ
وَخُـذْ إذا خَمَـدَتْ أَنْفـاسُ مِرْجَلِهـا مِـنْ لَوْعَـةِ الْبَـيْنِ مِقْباساً فَتَسْتَعِرُ[2]

وقد مر على مدن منها"مالطة"، وغاظه انحدار اللغة العربية فيها وتدنيها واختلاطها بلغة العجم واستذكر شيئا من تاريخها يوم كانت تحت حكم المسلمين، ثم واصل حتى نزل بالإسكندرية وكان من عادته إذا نزل بلدة أن يقصد أقرب مسجد ثم يسأل عن مكتباتها فإذا وجد مكتبة اطلع أولا على(نموذج الكتب) أو ما يسمى اليوم دليل المكتبة، فإذا رأى عنوان كتاب لم يسبق له الاطلاع عليه طلبه أو طالعه، وفي شأن مكتبة الإسكندرية يقول:" ولم يقع بصري فيما طالعته على كتاب نادر يستحق أن نذكره"[3].

وقد تلقى بالإسكندرية رسالة شكر من الشيخ عبد الفتاح المكاوي الذي أهداه محمد الخضر كتابه"الدعوة إلى الإصلاح" فأعجب- بعد مطالعته للكتاب- به كثيرا ، دل على هذا الإعجاب ما تضمنته الرسالة من عبارات دالة على ذلك، منها قوله: "قلتَ فبرهنت، ودعوت فسددت، وأحييت سنّة الخلفاء والمصلحين، فربطت بهذا آخر العالم الإسلامي بأوله، ولا يسعني إلا تهنئة الحاضرة التونسية بك، بل الأقطار الإفريقية، بل الممالك الشرقية"[4].

وعند مروره بالقاهرة نزل الجامع الأزهر- والذي سيكون شيخه بعد أربعين سنة من هذه الزيارة- فلقي جملة من العلماء الذين قضى معهم وقتا طويلا في مسامرات أدبية، ومحاورات علمية،

[1]- الرحلات :47 .
[2]- ديوان خواطر الحياة: ص101 .
[3]- الرحلات :ص50 .
[4]- المصدر نفسه :ص50 .

تدوم أحيانا نصف ليلة، في اللغة والتفسير والعقيدة، والحديث، كما كان له الشرف في إلقاء دروس في التفسير لبعض طلبة الجامع الأزهر، وأسف لأنه قدم في وقت كان فيه علماء الأزهر وطلبته في فترة عطلة صيفية.

ثم توجه إلى الشام ونزل حيفا وفلسطين، وعند حلوله بقبة الصخرة تبين له ما كان يعتقده العامة أنها قبة مرتفعة في الهواء دون شيء تستند عليه وأنها من العجائب، لكن لما سأل الشيخ الذي يدرس عند فنائها أكد له: "أن هذه خرافة افتراها بعض الدجالين هناك، ثم أخذ خَلَفُهم يلقونها إلى الواردين البسطاء لغرض واضح"[1].

وقد استقر به الترحال في دمشق حيث أهلُه وقرابته، وقد جمعه القدر بثلة من فقهاء سورية وعلمائها منهم مَنْ أصولهم جزائرية كالأمير عبد الله بن الأمير عبد القادر الجزائري،وسعيد الجزائري، وعلماء آخرين منهم يوسف النبهاني،وبدر الدين الحسني، ومحمد أبي الخير بن عابدين، جمال الدين القاسمي[2]، محمد بهجة البيطار[3] وخير الدين الزركلي صاحب كتاب الأعلام.

وقد لفت انتباهه خطباء دمشق في طريقة خطابتهم فهم يمثلون هيئة الخطابة عند العرب في طريقة الإلقاء وارتجال الخطبة[4].

لقد كان في رحلته هذه معرفا بتراث تونس وما في مكتبتاتها من نوادر الكتب كما كان متعرفا

---

[1]- المصدر السابق:ص71 .

[2]- جمال الدين بن محمد بن قاسم القاسمي : إمام الشام في علوم الدين وفنون الأدب . مولده ووفاته في دمشق . إشتغل بإلقاء الدروس العامة في المدن والقرى السورية ،ثم رحل إلى مصر ، وزار المدينة المنورة ، خلف آثارا قيمة، منها : محاسن التأويل .ينظر: الأعلام : ج 2 ص 131 . معجم المفسرين : ص 127 .

[3]- محمد بهجة البيطار ، مفسر مشارك ، في بعض العلوم ، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ، ولد في دمشق من أسرة دمشقية -كان جدها من(البليدة) من أعمال الجزائر- سنة 1311هـ-1894م ، تلقى مبادئ علوم الدين واللغة على والده وجده لأمه عبد الرزاق البيطار ، ومحمد الخضر حسين ،. توفي بدمشق في 30 جمادى الأولى سنة 1396هـ-29 أيار1976م .من آثاره : الرحلة النجدية الحجازية ، تفسير سورة يوسف . ينظر : عمر رضا كحالة- معجم المؤلفين : ج3 ص 172-173 – نزار أباظة ، محمد رياض المالح - إتمام الأعلام ، دار صادر، ط:1 ، بيروت ، 1999 : ص 224.

[4]- الرحلات:ص72 .

إلى تراث دمشق بالمكتبة الظاهرية، ومدرسة "دار الحديث"[1] التي أنشأها الملك الأشرف، وفي هذه الرحلة عرض عليه إلقاء دروس بالجامع الأموي فألقى ما يقرب من اثني عشر درسا ، ومن جملة من كان يتردد عليهم ويترددوا عليه ، مفتي المالكية عبد الباقي، وجرى في ثنايا الحديث ذكر الأمير عبد القادر الجزائري وما امتاز به من خصال ميزته عن أهل زمانه فقال في حقه محمد الخضر:" فترى له كتائب ومجالس تنظمه في سلك العلماء، وسخاء يقف به في صف ذوي السماح، ومصانعة تنظر منها إلى مقدار غوصه في غامض السياسة، ومواقع يدخل منها إلى فضيلة الإقدام، وقريضٍ يرفع في نوادي الأدب ذِكراً"[2].

وبعد دمشق وبيروت عرج على الآستانة-تركيا- لرؤية خاله محمد المكي بن عزوز[3] الذي استقر به المقام فيها إلى الوفاة ، وقد تحدث محمد الخضر عن لقاءاته بالعلماء أثناء ركوب الباخرة أو القطار، مما يدل أن محمد الخضر ما كان يدع فرصة لتعليم العلم أو الإفادة أو الاستفادة إلا انتهزها،يقول:" جمعت هذه الباخرة طائفة عظيمة من أهل العلم، ما بين أساتذة وتلامذة، فحصل لنا من محاضرتهم ولطفهم ما يكشف ضجر الاغتراب، ويسلي النفس عن معاهد أنسها"[4].

وقد عرَّفه خاله على الكثير من العلماء وطاف به بين مساجد تركية ومكتباتها، وقد دون في كتابه الرحلات تفاصيل هذه الزيارة خطوة خطوة، وذكر أسماء من لقيهم من أهل الفكر وما جرى من الفوائد العلمية والنكت في مختلف فنون المعرفة[5].

ثم عزم العودة إلى تونس ، وقد كانت هذه الرحلة أغزر وأثرى وأكثر فائدة، إذ رأى فيها

---

[1]- تسمى دار الحديث الأشرفية نسبة إلى بانيها الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل ، ينظر: عبد القادر بن محمد النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، ط01، بيروت ، 1410هـ - 1990م: ج1 ص15 .

[2]-الرحلات:ص87 .

[3]- سبقت ترجمته.

[4]- المصدر السابق :ص104 .

[5]-ينظر : الرحلات:110 وما بعدها.

الكثير وإلتقى بالجم الغفير من الأساتذة والعلماء والمفكرين، ومرد ذلك إلى أن هذه الرحلة كانت أطول إذ استغرقت ما يزيد عن أربعة أشهر، أي من "04شعبان-18جويلية1912م إلى16 ذي الحجة -24نوفمبر1912م[1].

لكن عودته إلى تونس لم تدم طويلا ، فقد قضى بها شهرا تقريبا ثم غادرها مودعا زوجته التي أبى أهلها مرافقتها له كما ودع أصدقاءه وكان ذلك شهر ديسمبر1912م، وقد أرجع بعضهم أسباب خروجه من تونس دون عودة إليها إلى:

1.الطريقة التي عومل بها الشيخ من قبل علماء الزيتونة عندما تقدم للمناظرة للطبقة الأولى من المدرسين.

2. مضايقة الاستعمار الفرنسي

3. وجود عائلته بدمشق[2].

وقد صرح ببعض أسبابه لمغادرة تونس إلى دمشق والتي تتمثل في البحث عن مجال رحب للدعوة فنجده يقول :" رأيت -وأنا بتونس- أن القيام بحق الإسلام يستدعي مجالاً واسعاً، وسماء صافية، فهاجرت منها والعيشُ رغيد، والأمة في إقبال، والإخوان في مصافاة، وأنزلت رحلي بدمشق الشام"[3].

وبهذا تكون قد انقضت المرحلة الأولى من حياة محمد الخضر حسين والتي تسمى المرحلة التونسية، وقد امتدت هذه المرحلة من ميلاده-21 جويلية 1873 م إلى خروجه في ديسمبر 1912م وقد ناهز الأربعين.

[1]- مواعدة محمد - محمد الخضر حسين حياته وآثاره :ص61 .

[2]- المرجع السابق،ص65 .

[3]- الإرث الفكري لمحمد الخضر حسين،ص266 ، محمد الخضر حسين وإصلاح المجتمع ،ص44.

3.المرحلة المشرقية: أو مرحلة التنقل والترحال: وهذه مرحلة امتازت بترحال الشيخ وأسفاره إلى بلدان متعددة عربية وإسلامية وغير إسلامية، وقد نزل دمشق أولا ، فتم اختياره مدرسا بالمدرسة السلطانية بدمشق[1]، وكان ذلك قبل الحرب العامة الأولى[2].

ومن جملة ما عُني به إثر دخوله دمشق- رغم ميوله الشعرية ، وامتلاء الأرض السورية بالشعراء-التفرغ للبحث العلمي والقضية الإسلامية وإيثارهما على كل عمل[3].

لقد آلمه ما رآه على الحكم العثماني في دمشق من الضعف وسقوط الهيبة ، ومن هيمنة الدول الغربية ونفوذ سلطانها على المسلمين سواء في الغرب الإسلامي أو في المشرق ولعله أحد الدوافع إلى هجرته فقال قصيدته المشهورة "بكاء على مجد ضائع جاء فيها":

أدْمـــى فُـــؤادِيَ أَنْ أَرى الـــ ... أَقْـــلامَ تَرْسُـــفُ في قُيُـــودِ
وأَرى سِياسَـــــةَ أُمَّـــــتي ... في قَبْضَـــةِ الخَصْـــمِ الْعَنيـــدِ
فَهَجَـــرْتُ قَوْمـــاً كُنْـــتُ في ... أَنْظـــارِهِمْ بَيْـــتَ الْقَصـــيدِ
وحَسِـــبْتُ هـــذا الشَّـــرْقَ لَمْ ... يَبْـــرَحْ علـــى عَهْـــدِ الرَّشـــيدِ[4]

وقد أودت به هذه الغيرة على الخلافة إلى اتهامه بالتآمر فسجن ظلما قرابة خمسة أشهر ونصف ابتداء من 1916/08/15م إلى 29 جانفي 1917م. ثم أطلق سراحه بعدما تبين براءته[5].

ثم استمر على التدريس بالمدرسة بدمشق إلى أن دعي إلى القسطنطينية سنة 1336هـ، ثم

[1]- هذه المدرسة تعرف قديما بالظاهرية، وهي اتجاه باب القلعة. وهي مشتركة بين الطائفتين الشافعية والحنفية؛ كان الملك الظاهر قد أسسها وتوفي ولم يتمها. وبقيت مدة بعد وفاته. حتى شرع طغربك أتابك العزيز فعمرها وكملها سنة عشرين وستمائة، ينظر: سبط ابن العجمي-كنوز الذهب في تاريخ حلب،دار القلم، ط01 ، حلب ،1417 هـ: ج 01 ص294.

[2]- الأعلام:ج06 ص116 .

[3]- مقدمة ديوان خواطر الحياة: ص07 .

[4]- ديوان خواطر الحياة: ص75 .

[5]- مواعدة- محمد الخضر حسين حياته وآثاره : ص71 .

هاجر إلى اسطنبول بعد عام وعمل محررا بالقلم العربي بوزارة الحربية ثم أرسلته الحكومة إلى ألمانيا للقيام بعمل سياسي وهو تذكير الأسرى هناك بظلم فرنسا ثم رجع إلى الشام فدرّس الفقه بالمدرسة السلطانية العربية ؛ وبعد أن احتلت فرنسا الشام بعشرة أيام هاجر إلى مصر عام 1338 هـ- 1920 م[1].

وبهذا تنتهي المرحلة الثانية من حياة محمد الخضر والتي استغرقت ثماني سنوات لتتلوها المرحلة الأخيرة من حياته وهي مرحلة الاستقرار بمصر حتى الوفاة.

4.**المرحلة المصرية:** هذه هي آخر مراحل حياة محمد الخضر حسين والتي ستمتد من سنة 1920م إلى وفاته -1958م، فهي تقارب المرحلة التي قضاها بتونس، وقد امتاز هذا الجزء من حياته بالاستقرار وبلوغ أعلى المراتب العلمية التي يصبو إليها رجل علم ودين.

سابعا :أعماله بمصر: لما استقر مقام محمد الخضر حسين بمصر باشر أعمالا مختلفة كلها تصب في خدمة العلم وأهله، ومن هذه الأعمال :

1.العمل بدار الكتب المصرية:كان حضور السيد محمد الخضر حسين إلى مصر في وقت كانت في أمس الحاجة إليه، ليقف مع أنصار الدعوة الإسلامية أمام دعاة الإلحاد وأتباع الثقافة الاستعمارية في مصر،عمل في البداية مصححا بدار الكتب المصرية لمدة خمس سنوات والتقى كبار العلماء وآثره الأستاذ أحمد تيمور باشا بصداقته حوالي سنة 1922م.يقول عن مناسبة تعارفة بأحمد تيمور[2]:" في سنة 1340هـ زرتُ المكتبة الزكية وهي في جناح من دار الكتب المصرية، فلقيت

[1]- محمد عبد المنعم خفاجي ، الأزهر في ألف عام:ج02 ص 246-247 - الأزهر في اثني عشر عاما :ص 68.

[2]- أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور: عالم بالأدب، باحث، مؤرخ مصري.ولد في: 1288 هـ-1871م، من أعضاء المجمع العلمي العربي، مولده ووفاته بالقاهرة. من مآثره إهداؤه مكتبته الثمينة إلى دار الكتب المصرية. له من المؤلفات: تصحيح كتاب لسان العرب لابن منظور، أوهام شعراء العرب في المعاني، ، تراجم اعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر توفي سنة: 1348 هـ - 1930 م. الأعلام: ج 01 ص100 ، تراجم الرجال:ص124 ،معجم المؤلفين:ج01 ص166 .

هنالك صاحب السعادة أحمد تيمور باشا، فجرى بيننا تعارف، وسرعان ما انقلب التعارف وداً"[1].

وسيأتي في مبحث مواقفه، عرض لبعض المواقف السياسية؛ كسقوط الخلافة في الوقت الذي كان الملك فؤاد ملكا على مصر ومواقفه أيضا من الاستعمار عموما ومن استعمار دول شمال إفريقيا، وموقفه من بعض الكتابات المناوئة للإسلام وتعاليمه،كما أنه نشط في المجال الجمعوي فأسس جمعية الهداية الإسلامية ومجلتها التي سميت باسمها ، مجلة الهداية" في أكتوبر1928م[2].

02.التدريس بالأزهر: بعدما ظهرت شهرة محمد الخضر حسين في الأوساط العلمية والفكرية، وتبين المثقفون والساسة قيمته ونبوغه ، وبعد ما أثرى الساحة الثقافية والعلمية بمؤلفاته خصوصا كتابه نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم، اختير للتدريس في قسم التخصص بالجامع الأزهرسنة1927م، وكان ذلك قبل ولاية محمد مصطفى المراغي للأزهر بسنة[3].

03. الانتساب لهيئة كبار العلماء:كان من شروط العضوية في هيئة كبار العلماء التقدم ببحث جديد في مضمونه ،فتقدم –محمد الخضر- إلى الأزهر لامتحان العالمية برسالة جليلة عَنوَنها

---

[1]- تراجم الرجال :ص124 .

[2]- الأعلام :ج06 :ص114.

[3]- تولى محمد مصطفى المراغي مشيخة الأزهر في 1928/05/22م، ينظر: الأزهر في ألف عام ،ج02 ،ص148 ، وإنما أشرت إلى تولي محمد الخضر حسين التدريس بالأزهر قبل تولي محمد مصطفى المراغي لمشيخة الأزهر لأن هذه إحدى القضايا التي أورثت ملاسنات بين محمد الخضر حسين ورشيد رضا، وأحيانا تشتد حدتها، وسبب ذلك أن محمد الخضر حسينا لما قَدَّم لمجلة "نور الإسلام" ذكر جملة من الأفراد الذين كان لهم الفضل في إعانة المجلة، ولم يذكر محمد مصطفى المراغي مثلما لم يذكر آخرين أحسنوا إلى المجلة، غير أن رشيد رضا لما وصلته المجلة قابلها بتقريظ ونقد مشوب بعتب، قال رشيد رضا: "ورئيس التحرير صاحب الفضيلة الشيخ محمد الخضر حسين من علماء تونس وأدبائها وقد أُعطي لقب عالم في الأزهر بامتحان خاص وصفة استثنائية وجعله الشيخ محمد مصطفى المراغي؛ شيخُ الأزهر السابق مدرسًا في قسم التخصص من الأزهر بعناية خاصة" استثنائية أيضًا" ثم أتبع رشيد رضا ذلك بالعتب "ولكنني عجبت له –أي محمد الخضرِ -كيف لم يذكر اسم الشيخ محمد مصطفى المراغي في الخلاصة التاريخية التي كتبها لهذه المجلة في فاتحةالعدد الأول، وقد رد محمد الخضر بأن توليته التدريس في قسم التخصص لا يَدَ للشيخ المراغي فيها فقد عين مدرسا سنة:1927م بينما تولى المراغي مشيخة الأزهر سنة 1928م.ينظر هذا الحوار:مجلة المنار:ج31ص155 ، ينظر أيضا مقال: حوار مفتوح إلى الأستاذ رشيد رضا، وكذا مقال للحقيقة والتاريخ ،كلاهما لمحمد الخضر حسين- من أوراق ومذكرات محمد الخضر:ص84 وما بعدها ، وكذا:ص91 وما بعدها.

: "القياس في اللغة" فلقي الإعجاب والتقدير من لجنة المناقشة وكان الشيخ عبد المجيد اللبان رئيس اللجنة مع نخبة من رجالاته فأبدى محمد الخضر من الرسوخ والتمكن ما أدهش، حتى صاح الشيخ اللبّان قائلا :" هذا بحر لا ساحل له فكيف نقف معه في حِجاج "!؟ فنال العالمية وانضم إلى طليعة علماء الأزهر"[1] .

لما نال محمد الخضر العالمية الأزهرية و صار أستاذا للأزهر و مدرسا في كلية أصول الدين اتجه بعد ذلك إلى تأسيس الجمعيات الإسلامية فكان أحد مؤسسي (جمعية الشباب المسلم) وضع لائحتها مع صديقيه أحمد تيمور باشا ، و السيد محب الدين الخطيب[2] كما أسس جمعية الهداية، وتولى رئاسة تحرير مجلتي الأزهر و لواء الإسلام .

و اختير عضوا في مجمع اللغة العربية بمصر و كانت له بحوث في المجمع تدل على تمكنه من علوم اللغة كما عين عضوا في المجمع العربي بدمشق إذ كان الشيخ كاتبا و شاعرا له شعر كثير جيد و قد وصفه الفاضل بن عاشور فقال : " كان كاتبا بليغا ذا طبع خاص و أسلوب قوي الروح الأدبية، فصيح العبارة بليغ التركيب يترع إلى طرائق كتاب الترسل الأولين من العصر العباسي وقد بلغ قمة الإجادة الفنية في نثره". [3]

04. تقلده مشيخةَ الأزهر: تعد مشيخة الأزهر أعلى منصب يطمح إليه عالم من العلماء، وقد تداول على هذا المنصب علماء كثر منذ القرن الثاني عشر الهجري من كل المذاهب السنية المعتمدة ، وأحيانا تطول فترة المشيخة وأحيانا تقصر، وقد يتكرر تقلدها لشيخ من الشيوخ، وقد

[1]- سعيد عبد الرحمن - شيوخ الأزهر: ج 4 ص 30 / محمد رجب البيومي -النهضة الاسلامية في سير أعلامها المعاصرين: ج1ص 64/ عبد الله العقيل - من اعلام الدعوة والحركة الإسلامية : ص 847 .

[2]- هو محب الدين الخطيب بن أبي الفتح بن عبد القادر بن صالح الخطيب يتصل نسبه بعبد القادر الجيلاني الحسني،ولد سنة 1303هـ-1886م في دمشق وتعلم بها وبالأستانة . انتقل إلى القاهرة عمل محررا بمجلة من مؤلفاته "الأزهر ،ماضيه وحاضره والحاجة إلى إصلاحة"الرعيل الاول في الإسلام" كما ترجم العديد من الكتب من التركية الى العربية توفي سنة 1389هـ .1969م ينظر: الأعلام: ج5ص283.

[3]- الفاضل بن عاشور- الحركة الأدبية والفكرية في تونس :ص 107-108.

عرض محمد الخضر حسين لمسيرة مشيخة الأزهر منذ أن تقلدها محمد بن عبد الله الخرشي المالكي[1](ت 1101هـ)، إلى محمد الأحمدي الظواهري وقت كتابة ذلك المقال[2].

وبعد قيام الثورة في مصر وسقوط الحكم الملكي في 1952/07/30م[3]، وفي مستهل عهد الثورة رأت أن يتولى قيادة الأزهر مناضل عربي من زعماء المسلمين ومن قادتهم في مناهضة الاستعمار في أقطار العالم الإسلامي، فانعقد الإجماع على اختيار محمد الخضر حسين شيخا للأزهر، وكان ذلك يوم الثلاثاء26 ذو الحجة1371هـ-16سبتمبر1952م[4]، وبذلك يكون محمد الخضر هو الشيخ الخامس والثلاثين المتولي لهذا المنصب.

لقد كان اختيار محمد الخضر حسين من طرف اللواء محمد نجيب و مجلس وزرائه وحينما تولى " مشيخة الأزهر" لم يغير شيئا من عاداته ،كان على استعداد كامل ودائم لأن يعيش على كسرة من الخبز وكوب من اللبن، ولأنه لم يكن له شهوات في المنصب من حظ، فإنه كان دائما يحتفظ باستقالته في جيبه"[5].

لقد أحس بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقة وكان يرى أن مهمة شيخ الأزهر: "النظرُ في شؤون المدرسين، وطلاب العلم، ونظم التعليم"[6] ،كما أن له-أي الأزهر- رسالة تتعلق بعموم الأمة وهي:" حق النظر في حالة الأمة من حيث موافقتها لروح الدين، أو بعدُها عنه، وعليه أن يوجه نصيحته إلى أي قطر إسلامي متى انحرف جماعة من المسلمين عن السبيل، أو فتنهم ذو يد طائشة عن دينهم الحنيف"[7]،ولقد كان يقول "إن الأزهر أمانة في عنقي أسلمها حين أسلمها موفورة كامله

[1]- الأزهر في ألف عام:ج01 ص219 وما بعدها.
[2]- هدى ونور:ص124 وما بعدها.
[3]- مواعدة- محمد الخضرحسين حياته وآثاره : ص123 .
[4]- أشرف فوزي صالح - شيوخ الأزهر:ج04 ص32 .
[5]- عبد الحليم محمود - الحمد لله هذه حياتي، دار المعارف ، ط03، القاهرة ،1985م : ص 110.
[6]- هدى ونور:ص127 .
[7]- المصدر السابق :ص127.

كامله و إذا لم يتأت أن يحصل للأزهر مزيد من الازدهار على يدي فلا أَقَلَّ أن لا يحصل له نقص"[1].

وكان كثيرا ما ينشد ما يدل على زهده، فليست المناصب مما يغريه أو يدفعه لتغيير مبادئه التي عاش عليها، ومن أقواله لما كان سجينا بسورية:

أَنَـــا لَـــوْلا هِمَّـــةٌ تَحْـــدو إلى خِدْمَـــةِ الإِسْـــلام آثَـــرْتُ الحِمَامـــا
لَيْسَـــتِ الـــدُّنْيا ومـــا يُقسُـــمُ مـــن زَهْرِهـــا إلَّا سَـــراباً أو جَهامـــا[2]

وكان الأمر كما قال، فقد قاد مشيخة الأزهر مدة سنتين إلى 02جمادى الأولى- 1373هـ الموافق01/08 /1954م، ثم استقال من المشيخة واختلف في سبب استقالته فمنهم من يرجع ذلك إلى تقدمه في السن و مصارعة الأمراض[3] ويرى آخرون أنه استقال بسبب قيام المسؤولين في مصر بتوحيد القضاء فقد كان من رأيه أن يندمج القضاء الأهلي في القضاء الشرعي وليس العكس، لأن الشريعة الإسلامية ينبغي أن تكون هي المصدر الأساسي للقوانين[4].

قال محمد سعيد رمضان البوطي:"ولما لم يمكن لكل ما أراد أن يطبق ،أبى إلا الاستقالة عن منصبه معتذرا بأنه ليس من الوفاء للحق أن يملأ منصبا دون أن يعطيه حقـــه"[5].

استقال من المنصب بعد أن أعطاه حقه من الرعاية و التكريم فما كان يتطامن أمام حاكم ولا كان يجامل على حساب عقيدته أو دينه – وكان هذا شأنه منذ نشأته [6].

[1]- عبد الحليم محمود-الحمد لله هذه حياتي : ص 110.
[2]- ديوان خواطر الحياة: ص209 .
[3]- مواعدة – محمد الخضر حسين حياته وآثاره: ص126 .
[4]- شيوخ الأزهر: ج04ص32 .
[5]- البوطي،محمد سعيد – من الفكر والقلب ، دار الفقيه للنشر والتوزيع ، ط2، سورية ، 1418هـ-1997م : ص313.
[6]- سعيد عبد الرحمن- شيوخ الأزهر : ج 4 ص 32 .

ثامنا :وفاته– رحمه الله–:

استقال محمد الخضر حسين من منصب مشيخة الأزهر لكنه لم يتوقف عن الكتابة –رغم تقدمه في السن ؛ لقد تفرغ كعادته للكتابة و البحث والمحاضرة حتى لقي ربه في مساء الأحد الثالث عشر من رجب 1377 هـ الموافق للثاني و العشرين من فبراير 1958 م[1].

– يقول محمد سعيد البوطي :" ولا أزال أذكر يوم عدته في السنة الماضية – أي قبل وفاته بسنة فقط حيث كان لقاؤهما سنة (1376 هـ –1957م– في بيته في القاهرة ، رأيته جالسا على مقعد إلى جانب مكتبه وقد ذوى منه الشكل ، وذابت معظم ملامح وجهه ولقد سألته إذ ذاك عن هذه الأوراق ، فأجاب بصوت خافت وكأنه يتجاهل العجز المتشبث به بأنه : مقال يكتبه (لمجلة) لواء الإسلام"[2] .

وقد أشفق محمد سعيد على محمد الخضر وهو في هذه المرحلة المتقدمة من السن وتمنى عليه لو يعطي النفس حقها من الراحة ولكن همة محمد الخضر كانت أقوى فقد عود نفسه المثابرة حتى صار ذلك من سجاياها وأجابه عن ذلك الإشفاق بأنه :" قلما يشعر بالراحة ساكنا بلا عمل"[3].

ثم يعقب البوطي على هذا الموقف الذي يحرك الهمم :"لا أحسب أن مثل هذا الإنسان يبعثه الله في العالم إلا عبرة للكسالى الخاملين الذين تلويهم النسمات ويقعدهم التثاؤب، كي يؤوبوا إلى رشدهم، وتنخسهم مشاعر الخجل والحياء إن كانت فيهم مشاعر[4] .

[1]– المرجع انفسه : ج4 ص 33.
[2]– البوطي، محمد سعيد– من الفكر والقلب : ص314
[3]– المرجع نفسه: ص314 .
[4]– المرجع نفسه ، ص314 .

توفي بالقاهرة ودفن بوصية منه في مقبرة صديقه أحمد تيمور باشا أو آل تيمور[1]، مات رحمه الله ولم يخلف من حطام الدنيا شيئا ... مات وقد قدم لأخراه النصيب الأوفر من حياته بل كل حياته[2]، مات تاركا أبلغ الأثر في تراثه العلمي الذي خلفه ، وسيرته الطيبة ، التي يتحدث بها القاصي والداني من العلماء وطلبة العلم والدعاة إلى الله .

وكان الشيخ – رحمه الله – يؤثر أن يُدعى له بعد موته، فذلك أحبُّ إليه من التأبين، وهو يقول:

تُسائِلُني هَلْ في صِحابِكَ شاعِرٌ إذا مُتَّ قالَ الشِّعْرَ وَهْوَ حَزينُ
فَقُلْتُ لها: لا هَمَّ لي بَعْدَ مَوْتَتي سِوى أَنْ أَرى أُخْرايَ كَيْفَ تَكونُ
وما الشِّعْرُ بِالْمُغْني فَتيلاً عَنِ امْرِئٍ يُلاقي جَزاءً والجَزاءُ مُهينُ
وَإِنْ أَحْظَ بالرُّحْمى فَما لِيَ مِنْ هَوًى سِواها، وأَهْواءُ النُّفوسِ شُجونُ
فَخَلِّي فَعولُنْ فاعِلاتٌ تُقالُ في أُناسٍ لَهُمْ فَوْقَ التُّرابِ شُؤونُ
وَإِنْ شِئْتِ تَأْبيني فَدَعْوَةُ ساجِدٍ لَهُ بَيْنَ أَحْناءِ الضُّلوعِ حَنينُ[3]

تاسعا: تلاميذه وشهادة العلماء له .

1.تلاميذه: إن محمد الخضر حسينا طوف بالمشرق و المغرب، ودَرّس في الجامعات الكبرى، درّس بالزيتونة والأزهر ومدارس دمشق، وكان له في كل مدرسة طلبة، وتلاميذ انتفعوا بعلمه، فمن تلاميذه بالجزائر: رائد الإصلاح الشيخ عبد الحميد بن باديس ، و إبراهيم العوامر[4]؛ الذي درس

[1]– الأعلام : ج 6 ص 114 / محمد عبد الله ماضي–الأزهر في اثني عشر عاما ، الدار القومية للطباعة والنشر،دط ، القاهرة، دس ط: ص 68.

[2]– عبد الحليم محمود– الحمد لله هذه حياتي : ص 110 .

[3]– ديوان خواطر الحياة : ص224–225 .

[4]– هو ابراهيم العوامر من قضاة الوادي ومن المؤلفين في التاريخ والتصوف ومن المدرسين أيضا ولد بواد سوف سنة 1881م، درس في تونس ودخل الزيتونة ودرس على يد الشيوخ محمد النخلي ومحمد الخضر حسين. ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي: ج 5 ص 505.

على يد الشيخ محمد النخلي و محمد الخضر حسين، وهما من شيوخ ابن باديس أيضا[1].

ومن تلامذته أيضا وهبي سليمان غاوجي الألباني ومحمد بهجة البيطار ، محمد الصادق عرجون ، محمد حسين الذهبي، ومن تونس جعيط عبد العزيز وممن استفادوا منه عبد الفتاح أبو غدة ، محمد سعيد رمضان البوطي.

2. شهادة العلماء له:

إن كل من لقي محمد الخضر حسينا و سمع منه، اعترف بفضله و رسوخه في العلم وسمو أخلاقه، وهذه شهادات اخترناها من جهات مختلفة من الهند و من مصر و من دمشق و من تونس.

-**الطاهر بن عاشور** : هذه شهادة من رفيق دربه وصنوه وقرينه إمام جامع الزيتونة محمد الطاهر بن عاشور فبعد أن ترجم له محمد الخضر حسين في كتابه تونس وجامع الزيتونة ذكر موقفا من المواقف التي علقت بذاكرته أثناء الطلب بجامع الزيتونة حيث يقول : "وأذكر أنه كان يوماً في ناحية من جامع الزيتونة، ومعه أديبان من خيرة أدبائنا، وكنت أقرأ درساً في ناحية أخرى من الجامع، فبعث إلي بورقة بها هذان البيتان:

تأَلَّقَتِ الآدَابُ كَالْبَدْرِ فِي السَّحَرِ وَقَدْ لَفَظَ الْبَحْرَانِ مَوْجُهُمَا الدُّرَر
فَمَالِي أَرَى مِنْطِيقَهَا الآن غَائِباً وَفِي مَجْمَعِ البَحْرَيْنِ لَا يُفْقَدُ (الخَضِر)[2]

-**أحمد الشرباصي**: وهذه شهادة للشرباصي وقد عرف محمد الخضر عن قرب ومخالطة نجده يقول فيه والشيخ محمد الخضر حسين رجل أهم ما يتصف به الهدوء والإتزان والعمق فهو يفكر

[1]- المرجع نفسه : ج5 ص505 .
[2]- تونس وجامع الزيتونة : ص157.

طويلا ، ويستقصي في بحثه ،ويستوعب ، ويدير الفكرة في ذهنه أياما ، ويأخذ لها زادها من إحساسه ومعارفه ، ومطالعاته واستنتاجه ، ثم إذا جلس ليكتب كتب في هدوء وأناة، يزن لفظه قبل أن يخطه ، ويتدبر عبارته قبل أن يصوغها ،فإذا ما جئت لتقرأ ماكتب ، أعجبك أن ترى عقلا واسعا نيرا ، وتفكيرا عميقا سليما ، ونظرة بعيدة صحيحة ، وأسلوبا رزينا محكما"[1].

.أبو الحسن الندوي : يقول في كتابه مذكرات سائح في الشرق العربي " كنت أعرفه من مقالاته ورسائله العلمية وبحوثه اللغوية من زمان ، وأعرفه كعالم راسخ في العلوم الدينية والأدبية ... وقد تذكرت برؤيته و الحديث معه كثيرا من علماء الهند في الهدوء و رسوخ العلم"[2].

محمد بهجة البيطار : قال عنه : "أستاذنا الجليل السيد محمد الخضر حسين علم من أعلام الإسلام، هاجر إلى دمشق في عهد علامتي الشام :جدي عبد الرزاق البيطار و القاسمي ، فاغتبطا بلقائه و اغتبط بلقائهما ، وكنا نلقاه ونزوره معهما ، ونحضر مجالسه عندهما ، فأحكمت بيننا روابط الصحبة و الألفة و الود من ذلك العهد و لما توفي شيخنا القاسمى سنة 1333هـ، لم نجد نحن معشر تلاميذه من نقرأ عليه أحب إلينا و لا آثر عندنا من الأستاذ الخضر، لما هو متصف به من الرسوخ في العلم ، و التواضع في الخلق ، و البر بالإخوان و أخذنا منذ ذلك الحين نقتطف ثمار العلوم و الآداب من تلكم الروضة الأُنُف ، و نرتشف كؤوس الأخلاق في سلسبيل الهدى و التقوى .... مجتمعين حول هذا البدر المنير"[3].

-**محمد البشير الإبراهيمي**: تكلم عن مجالس العلماء في دمشق، وعبر عن شعوره وهو يرتادها، وبيّن مكانة محمد الخضر حسين بقوله :" وكان واسطة العقد في تلك المجالس الأستاذ

[1]- مقال كتبه أحمد الشرباصي في :"مجلة الهداية الإسلامية " ج5 ، ج6 مجلد 15 الصادران في ذي القعدة وذي الحجة 1361هـ . وقد كتب نص المقال ملحقا بكتاب رسائل الإصلاح : ينظر : محمد الخضر حسين ، رسائل الإصلاح ، ص 282 وما بعدها .

[2]- ابو الحسن الندوي – مذكرات سائح في الشرق العربي: ص 89 -90 .

[3]- محمد بن إبراهيم الحمد – تراجم لتسعة من الأعلام : ص 125-126 .

الجليل والأخ الوفي الشيخ الأستاذ محمد الخضر حسين مدّ الله في حياته. ولقد أقمت بين أولئك الصحب الكرام أربع سنين إلا قليلًا، فأشهدُ صادقًا أنها هي الواحة الخضراء في حياتي المجدبة، وأنها هي الجزء العامر، في عمري الغامر؛ وأنني كنت فيها أقرّ عينًا وأسعد حالًا"[1].

وهذا عبد الفتاح أبو غدة ينعته بـ :" العلاّمة المحقق الفقيه الأصولي اللغوي الأديب الشيخ محمد الخضر بن حسين التونسي شيخ الأزهر"[2].

لقد كتب محمد سعيد البوطي مقالا عن محمد الخضر إثر نعي وفاته إلى العالم الإسلامي سنة 1958 م ، فهو واحد ممن التقوه ، وعرفوه عن كَثَب واستفادوا من علمه،كتب عنه :" لقد كان الشيخ الجليل من أولئك القلة الذين لا يجود بهم الدهر إلانادرا ، كان في عمله الدائب كأنما يستشعر دائما أنه لم يُخلَق لنفسه وإنما للإسلام ، ولذا فقد كان يلتمس في الدعوة إلى الحق والثورة على الباطل، وإنارة سبل الإسلام ، غذاء حياته وراحة نفسه"[3].

عاشرا :جوَلاته ومعاركه الفكرية:

لقد خاض محمد الخضر معارك الفكر مع عدد من أصحاب الأقلام المعروفة، وفي مقدمة هؤلاء طه حسين، الذي ردَّ عليه في كتابه "نقض كتاب في الشعر الجاهلي"، وردّ على بحثه "حقيقة ضمير الغائب في القرآن".

– وردَّ على، علي عبد الرازق في كتابه "نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم"، وعلى مقالاته "العظمة"، وعلى "ملاحظات على مقال مولد النبي – صلى الله عليه وسلم –".

[1]– محمد البشير الإبراهيمي – الآثار (عيون البصائر): ج3 ص566 .

[2]– أبوغدة ، عبد الفتاح – إمداد الفتاح بأسانيد ومرويات عبد الفتاح ، ، ت:محمد بن عبد الله آل رشيد ، مكتبة الإمام الشافعي، ط1،الرياض– السعودية ، 1419هـ-1999م : ص 324.

[3]– البوطي محمد سعيد–من الفكر والقلب : ص311.

– وعلى الشيخ محمود شلتوت حول "الهجرة وشخصيات الرسول"[1].

– وناقش "محمد خلف الله" في مقاله "الفن القصصي في القرآن"[2].

– وتعقب محمد أبا زيد الدمنهوري في كتابه "الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن"، وعنوان بحث الإمام "كتاب يهذي في تأويل القرآن المجيد"[3].

– وله ردٌّ تحت عنوان: "كتاب يلحد في آيات الله" ردَّ فيه على كتاب "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" تأليف الطاهر حداد من تونس[4].

– وردُّه "تحريف آيات الحدود عن مواضعها" على مقال عبد المتعال الصعيدي[5].

– ونَقْدُ اقتراح ببعض الإصلاح في متن اللغة" ردَّ به على أحمد أمين[6].

– و"ملاحظات على البحث المقدم عن موقف اللغة العامية من اللغة العربية الفصحى، ردَّ به على الأستاذ فريد أبو حديد. وله نقد آخر لآرائه[7].

– وحول تبسيط قواعد النحو والصرف والرد عليها" رد على اللجنة المؤلفة من : طه حسين، وأحمد أمين، وعلي الجارم، ومحمد أبي بكر إبراهيم في (مجمع اللغة العربية بالقاهرة).

وله ردود أخرى على الشيخ رشيد رضا، ومحمد فريد وجدي، وغيرهم.

أحد عشر: تراثه الفكري والعلمي وآثاره

[1]– محمد رسول الله وخاتم النبيئين،ص227 وما بعدها

[2]– بلاغة القرآن،ص120 وما بعدها.

[3]– بلاغة القرآن ص142 وما بعدها.

[4]– بلاغة القرآن،ص168 وما بعدها.

[5]– بلاغة القرآن،ص135 وما بعدها.

[6]– دراسات في اللغة العربية ،ص92 وما بعدها.

[7]– دراسات في اللغة العربية،ص125 وما بعدها.

لقد خلَّف محمد الخضر حسين ميراثا ضخما و ثراتا عظيما، خَّلف كتبا ومقالاتٍ وبحوثا ورسائل ودواوين شعرية، حيث تنوعت مؤلفاته وتوزعت على مختلف الفنون: في القرآن وعلومه وفي اللغة وآدابها وفي السياسة الشرعية وفي الدعوة والاصلاح وفي الفكر والصحافة ، ويمكن توزيع مؤلفاته ورسائله على النحو الآتي :

1- كتب التفسير وعلوم القرآن.

- أسرار التنزيل- تفسير آيات قرآنية : وهوكتاب جمع فيه محمد الخضر تفسير آيات من القرآن فقد فسر سورة الفاتحة ومعظم سورة البقرة وآيات من سور : آل عمران والأنفال ويونس والحج وسورة ص .
- بلاغة القرآن : وهو كتاب عرض فيه المؤلف كثيرا من مباحث علوم القرآن كأمثال القرآن ، والمحكم والمتشابه ، وإعجازالقرآن كما أنه كتاب حافل بكثير من الردود في مجال التفسير وعلوم القرآن .

2- كتب اللغة العربية وعلومها .

- دراسات في اللغة العربية وتاريخها : حوى هذا الكتاب ثلاث رسائل في اللغة العربية أولاها:

1- القياس في اللغة العربية : هو كتاب تقدم به لينال عضوية هيئة كبار علماء القاهرة وكان يشترط للعضوية تحرير بحث جديد فألف هذه الرسالة .

2- حياة اللغة العربية : عرض فيه لتاريخ اللغة العربية ونشأتها وبعض المباحث المتعلقة بذلك .

3- الإمتاع بما يتوقف تأنيثه على السماع .

- الخيال في الشعر العربي ودراسات أدبية : وهو بدوره حوى ثلاث رسائل

1 – الخيال في الشعر العربي

2 – أثر الشعر في الترويح على النفس وإثارة العواطف الشريفة .

3 – الخطابة عند العرب .

4.-ديوان خواطر الحياة : وهو ديوان ضخم جمع فيه معظم أشعار الشيخ ورتبت قوافيه ترتيبا ألف بائيا (الهمزة إلى الياء) وقد تعددت أغراض هذا الديوان ما بين الرثاء(كرثائه لأمه ، وبعض شيوخه وأصدقائه ومعارفه) ، والمدح والإصلاح بمختلف أنواعه (الإجتماعي والسياسي والفكري ، والأخلاقي) وقد قال في شأن هذا الديوان :"ولم يلم بخاطري في يوم أن أجمع ما نظمته، وأخرجه للناس، حتى اقترح عليّ طائفة من إخواني الفضلاء أن أجمعه من أوراقه المتفرقة، وأصدره إلى عالم الأدب في صفحات متتالية، فما وسعني إلا أن تقبلت اقتراحهم"[1].

- كتاب الرحلات : وهو كتاب في أدب الرحلة وأثرها العلمي والأدبي .

4 – كتب الردود

- نقض كتاب في الشعر الجاهلي :وهو كتاب كتبه ردا عل كتاب طه حسين الذي عنونه ب : في الشعر الجاهلي .
- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم : وهو كتاب ألف محمد الخضر ردا على علي عبد الرازق في كتابه الإسلام وأصول الحكم .
- القاديانية والبهائية :وهو كتاب ألف خصيصا للرد على أتباع هاتين النحلتين وبيان فسادهما.

5 – كتب الدعوة والإصلاح

- رسائل الإصلاح
- الدعوة إلى الإصلاح

وهذه الرسائل غزيرة بالأبحاث في مختلف العلوم في الدعوة والتربية والإصلاح والسياسة والاجتماع ، ويكفي هذه الرسائل شرفا شهادةُ كل من قرأها بأنها تحوي العلم الغزير وتدل على تمكن صاحبها.

[1]- ديوان الخواطر: ص07.

6- كتب السيرة والتراجم :

- محمد رسول الله وخاتم النبيئين: وهو كتاب جامع لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وشمائله وكثير من الأبحاث المتعلقة برسول الله كما أن فيه ردودا كثيرة على الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام وأتباعهم من مفكري العرب حول نبي الإسلام والسنة المطهرة .
- تونس وجامع الزيتونة : وهو كتاب حوى تاريخا مختصرا لتونس منذ دخول الإسلام إليها كما أنه عرض تراجم لكوكبة من العلماء الذين نشؤوا بتونس أو زاروها كما ترجم للعديد من علما جامع الزيتونة كابن خلدون إلى زمن محمد الخضر من العلماء الذين درَّسوه أودرسوا معه .
- تراجم الأعلام : وهو كتاب ترجم فيه محمد الخضر حسين لجملة من أعلام الإسلام في مختلف العصور والأزمان من عصر الصحابة إلى العصر الحديث كعثمان بن عفان ، وموسى بن نصير وأبي الحسن الأشعري ، وأبي بكر بن العربي ، وأبي حامد الغزالي ، وصديقه أحمد تيمور باشا.

7- كتب في باقي علوم الشريعة

- الشريعة صالحة لكل زمان ومكان: وهو كتاب حوى مسائل أصولية وأخرى فقهية وأخرى تتعلق بعلوم الحديث .
- دراسات في الشريعة الإسلامية: وهو كتاب يحوي مباحث عقدية وأخرى أصولية وبعض آيات الأحكام وبحوث المقارنة في الفقه .
- محاضرات اسلامية : وهو كتاب جامع لمحاضرات في مختلف المواضيع في السياسة والرقائق والأخلاق ، والفلسفة ، والفِرَق .
- شرح موافقات الشاطبي : فقد شرح الجزئين الأول والثاني من كتاب الموافقات وتكفل محمد حسنين مخلوف بشرح الجزء الثالث والرابع .

كما كان له عديد المقالات والردود والرسائل التي سطرها في مختلف المجلات والجرائد كمجلة الهداية الإسلامية ومجلة الفتح التي كان يترأسها صديقه محب الدين الخطيب .

المبحث الثالث: مواقف محمد الخضر حسين من قضايا عصره

لم يكن محمد الخضر حسين غائبا عن هموم الأمة وأحداث عصره بل كان متتبعا لأخبارها مبديا رأيه في الكثير من قضاياها، يفرح ويطرب لأفراحها ويتألم ويحزن لمآسيها وعذاباتها ويهتم لأمرها، بل كثيرا ما كان يناله جزء من تلك المآسي ، وقد عرَّفته جولاته ورحلاته وسياحته في الأرض وزيارته لمختلف الأقطار العربية والإسلامية وغير الإسلامية على الكثير من أحوال الأمم، يشهد بذلك كتابه الرحلات الذي دون فيه مشاهداته ولقاءاته ومسامراته ومناظراته، وقد أبدى رأيه في كثير من قضايا الأمة السياسية والاجتماعية والفكرية، وهذا عرض لبعض مواقفه منها.

المطلب الأول:موقفه من قضايا الأمة الكبرى

الفرع الأول: الاستعمار: سبق الإشارة في المبحث الأول إلى خضوع البلاد الإسلامية وخاصة دول شمال إفريقيا –التي ينتمي إليها محمد الخضر حسين– للاستعمار الأوروبي، والذي وصفة محمد الخضر بأنه تهلكة الشعوب التي ليس بعدها تهلكة، وفتنتها التي لا تساويها فتنة[1].

هذا الاستعمار الذي أوهم غيره أنه إنما جاء يحمل الحضارة والتقدم إلى البلاد المستعمَرة، وقد كذَّب محمد الخضر هذا الزعم فالاستعمار في نظره " لم يحمل إلى المستعمَرين من الحضارة إلا قشورها، ومن النظام إلا ما يجعل الشرق آلة في يد الغرب، ومن المعارف إلا ما يستعمر به القلوب والعقول بعد استعمار الأرض وخيراتها"[2].

وكان من جملة ما أوصى به الأمة بعد الإعداد أن تتمسك بأخلاقها ودينها فهو صِمام أمانها ومناعتِها، فأقوى أسلحة الأمة لمقاومة الاستعمار إنما هو الأخلاق، والدين هو الذي يهدي إلى

[1]– محمد الخضر حسين –جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا:ص91 .

[2]– أحاديث في رحاب الأزهر: ص105 .

مكارم الأخلاق[1].

ثم نراه لا يكتفي بهذا بل كان يشحن النفوس ويحرض الغيورين للوقوف في صفوف إخوانهم في البلاد المستعمَرة ولقد وجه فضيلته نداء الى العالم الاسلامي -في 30 من ربيع الاول1372هـ الموافق ل18 ديسمبر 1952م- يذكرهم بما يجب عليهم لإخوانهم المسلمين في تونس ، الجزائر والمغرب الاقصى حيث قال:"أيّها المسلمون الآمنون في أوطانهم، المتمتعون من اللّه عزّ وجلّ بنعمة العافية والاطمئنان .

إنّ دماء إخوانكم في الإسلام تناديكم من الحدود الغربية لمملكة ليبيا إلى أقصى جبال الأطلس لتكونوا عونا لأهلها على درء الظلم عنهم ووضع حد للبغي على حقوقهم الإنسانية والوطنية ، وتمكينهم من أن يعيشوا في ديارهم أحرارا كراما آمنين[2] .

لقد كان محمد الخضر أحد المؤسسين ل" جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا" بالقاهرة والتي ساهمت مساهمة فعالة في التعريف بقضايا المغرب العربي وبأبطاله وزعمائه الوطنيين ، كما وجهت المذكرات إلى عدد من المنظمات العربية والعالمية لبيان واقع بلدان شمال إفريقيا الاستعماري[3].

وكان من أهداف هذه الجمعية التي ترأسها محمد الخضر:

-السعي لتحقيق حرية واستقلال الشعوب لشمال افريقيا(تونس،الجزائر،مراكش) وضمها إلى جامعة الدول العربية.

2-دستور الجبهة (التضامن،وتحريم العصبيات).

تسعى الجبهة لتحقيق أهدافها بجميع الوسائل المشروعة كإنشاء الصحف ،وفتح النوادي

[1]- المصدر السابق : ص107 .

[2]- المصدر السابق :ص105 -106 .

[3]- مواعدة - محمد الخضر حسين حياته وآثاره: ص226،225/ جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا:ص36 وما بعدها.

،وتكوين شُعبٍ لها في مصر ،وخارج مصر إن لزم الأمر[1].

– وإذا كانت الدول إنما تؤتى من داخلها ومن مأمنها، وكثيرا ما يكون بعض أبنائها عونا للمستعمِر عليها، فقد حذر محمد الخضر من هذا الصنيع إذ لم تسلم منه أمة مستعمَرة ، وشر ما تصاب به الأمم المستعمَرة: أن يجد أعداء البلاد من بنيها أتباعاً وأشياعاً وأذناباً يخونون ربهم ووطنهم، ويفقدون كرامتهم وإنسانيتهم فيعملون في خدمة أولئك الأعداء على حساب البلاد التي نبتوا فوق أرضها، واستظلوا بسمائها، وشربوا ماءها، وهؤلاء هم شر خلق الله، وأبعدهم من رحمته ورضاه[2].

ولهذا دعا إلى إقامة الحد على هذه الجريمة النكراء، جريمة إحداث الفتنة بين الصفوف مناصرةً لعدو البلاد الأكبر، وهو المستعمر الغاصب[3].

وقد استأنس لذلك بمخزونه اللغوي وذكرَ ما تناقلته العرب عن هذا المعنى والذي أورده صاحب طراز المجالس : أن بعض الأشجار رأت فأساً ملقاة في الرياض، فقالت: ما تفعل هذه هنا؟،. فأجاب بعضها: بأنها لا تضر إلا إذا دخل فيها– وساندها– عُودٌ منا[4].

وعَقَّب محمد الخضر على ذلك بأن:هذا المثل ينطبق على حالنا مع المستعمر، فإنه لا يصل

[1]– يحي بوعزيز– أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ،دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان–بيروت،1995 :ج1ص 184.

[2]– أحاديث في رحاب الأزهر:ص120 .

[3]– الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان:ص281 .

[4]– الخفاجي ،شهاب الدين أحمد بن محمد– طراز المجالس ، المكتبة الوهبية،مصر، دط،1284هـ :ص 192 ، وهذا المثل ذكره الخفاجي بعد ذكره لأبيات أنشدها الطغرائي(الحسن بن علي) في معنى وقوف الإنسان مع أعداء بلده ضد إخوانه وبني جلدته :

إِنِـي وَإِيَـاكَ والأَعْـدَاءَ تَنْصُـرُهُم ... وَأَنْـتَ مِنِّـي عَلَـى مَـا فِيـكَ مِـنْ دَخَـلِ
مِثْلَ الْغُرَابِ رَأَى نَصْلاً تَرَكَّبَ فِي ... قَـدَح لَطِيـفٍ قَـويم الْحَـدِّ مُعْتَـدِلِ
فَقَـالَ لاَ بَـأْسَ إِنْ لَـمْ يَأْتِـهِ مَـدَدٌ ... مِنِّـي يَكُـونُ لَـهُ عَوْنًـا عَلَـى الْعَمَـلِ
فَـأُلْبِسَ الْقَـدحُ وَجْفًـا مِـنْ قَوَادِمِـهِ ... لَمَّـا تَطَـايَرَ رَامٍ مِـنْ بنِـي ثُعَـلِ
رَمَـاهُ رَشْـقًا فَلَـمْ تُخْطِـئْ مَقَاتِلَـهُ ... فَخَـرَّ مُنْتَكِسًـا مِـنْ ذِرْوَةِ الْجَبَـلِ
فَقَـالَ والسَّـهْمُ تَحْـدُوهُ قَوَادِمُـهُ ... مَـنْ ذَا أَلُـومُ وَحَتْفِـي جَـاءَ مِـنْ قِبَلِـي

إلى أغراضه إلا بأفراد لنا منا؛ كما دلت عليه المشاهدات[1].

ثم نظم معنى هذا المثل في خيانة الوطن وعبر عنه شعرا بعنوان :خائنوا أوطانهم قال فيه:

عُجْتُ يَوْماً بِرِياضٍ أَجْتَنِي عِبَراً مِمَّا أَرى أَو أَسْمَعُ
فَلَمَحْتُ الْفَأْسَ مُلْقاةً ومِنْ حَوْلِها أَعْناقُ دَوْحٍ خُضَّعُ
دَوْحَةٌ تَلْحَظُها قائِلَةً والأَسى ساوَرَها والْفَزَعُ
هذِهِ قاصِمَةُ الظَّهْرِ متى نزَلَتْ بِالدَّوْحِ حانَ المِصْرَعُ
فَأَجابَتْ جارَةٌ تُطْفِئُ مِنْ رَوْعِها والرَّوْعُ نارٌ تَلْذَعُ
لا يَرُوعَنْكِ الحَديدُ الصُّلْبُ في أَرْضِنا يَنْحَطُّ أَوْ يَرْتَفِعُ
فَهْوَ ما لَمْ يَلْقَ مِنْ أَعْوادِنا عَضُداً يُسْعِدُهُ لا يَقْطَعُ
قُلْتُ: مَرْحى! حِكْمَةٌ لَوْ ساغَها خائِنو أَوطانِهِمْ لارْتَدَعوا[2]

لقد فطن محمد الخضر حسين إلى سلاح ناجع لمقاومة المستعمر، هذا السلاح يعد من أقوى الأسلحة التي تضرب المستعمر في الصميم وتؤثر في اقتصاده، إنه سلاح المقاطعة، إذ يرى "أن أقل ما يجب على المسلمين ألا يتعاونوا مع أهل البغي في تجارتهم وصناعتهم ومرافقهم، وأن يكون أول ما يفعلونه: مقاطعة مدارسهم ومعاهدهم، وكلِ وسائل التعاون معهم، وأساليب الاتصال بهم"[3].

فهذه بعض آراء محمد الخضر حسين في المستعمر، وهذا هو جهاده ضد الغزاة فقد كان يجاهد بسيف القلم والكلمة وكثيرا ما كان ينشد:

في يَميني قَلَمٌ لايَنْثَني عَنْ كِفاحٍ وَيرى الصَّبْرَ جَميلا
هُوَ ذا طاعِنٌ بِهِ خَصْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْتَرِطَ السَّيْفَ الصَّقيلا[4]

[1]- الخيال في الشعر العربي : ص76 .
[2]- ديوان خواطر الحياة،ص138 ،139 .
[3]- أحاديث في رحاب الأزهر،ص45 .
[4]- ديوان خواطر الحياة: ص192 . والصقيل، صقلت السيف ونحوه صقلا جلوته سيف صقيل فعيل بمعنى مفعول وشيء صقيل أملس مصمت لا يخلل الماء أجزاءه كالحديد والنحاس، الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، مادة ،(ص ق ل)،:ج01 ص345 .

الفرع الثاني – القضية الفلسطينية:

كان للمؤامرة الغربية على فلسطين وقعها المؤلم وأثرها السيء الذي غاظ المسلمين واهتم له أهل الغيرة والذين تجري في عروقهم دماء الأخوة وشعور الجسد الواحد، ومحمد الخضر حسين واحد ممن حملوا هموم الأمة ودافعوا عنها، وقد رأينا موقفه من سقوط الخلافة العثمانية، وموقفه من احتلال البلاد الإسلامية، هذا الموقف لازمه في هذه القضية التي دافع عنها وعرف بها في كل مناسبة وشحن الأمة لتهب لنصرة هذه القضية التي ليست قضية قطر واحد، بل هي قضية المسلمين جميعا.

لقد اعتبر محمد الخضر حسين فلسطين أحد جناحي الأمة كما أن طرابلس الغرب جناحها الثاني ومادام البلدان أسيرين للاستعمار فالطائر مهيض الجناحين[1].

بل إن هذا الشعور تربى معه وصرح به قبل احتلال اليهود لفلسطين يوم كانت تحت سيطرة الإنجليز ، فقد صادف أن توفي الشيخ محمد علي أحد علماء الإسلام والمصلحين بالهند في02 رمضان 1349هـ وتوسط بعض الفضلاء عند أهله لنقل جثمانه ليدفن في أرض فلسطين فوافقوا على دفنه بجوار المسجد الأقصى، عندها قال محمد الخضر حسين في رمزية هذا الدفن :"وفي دفن هذا الزعيم الهندي بالقدس الشريف رمز إلى أن هذا البلد المقدس وطن لجميع الشعوب الإسلامية قاطبة، فلا يدعون الدفاع عنه إلا أن يرضوا بالصغار، وقد أمرهم دينهم بأن يعيشوا في عزة، أو يموتوا في كرامة"[2].

لقد كان للهجرات اليهودية التي شجعتها أوروبا إلى فلسطين منذرة بخطر تغير التركيبة الديمغرافية للبلد فازداد عدد اليهود وحلوا محل السكان الأصليين، بل كان نصيب الساكنة التشرد واللجوء وقد اعتبر محمد الخضر هذه المؤامرة أسوأ حادث أسيء به إلى الإنسانية ومبادئها في القرن

[1]– جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا:ص69 .

[2]– الهداية الإسلامية: ص205 .

العشرين[1].

فما كان من محمد الخضر إلا أن خاطب النخوة العربية، وضمير الأمة للدفع عن إخوانهم والذوذ عن حياض مقدساتهم وجعل من لغة الشعر ناقوسا لإسماع شكوى الفلسطينيين لإخوانهم العرب فقال في ذلك:

وَخَبِّـــرْهُمْ وأَنْـــتَ بِهِـــمْ خَبِـــيرٌ بِمـــا فَعَلَتْـــهُ جالِيَـــةُ الْيَهـــودِ
وَذَكِّـــرْ آلَ يَعْـــرُبَ أَيْـــنَ كـــانوا بِـــأَنَّ الـــذُّلَّ شِنْشِـــنَةُ الْعَبيـــدِ
وأَنَ نُفـــوسَ هـــذا الخَلْـــقِ تَـــأْبى حَيـــاة تَحْـــتَ سَـــيْطَرَةِ المِســـودِ
وإنْ خَضَـعَتْ لَهـا فَقَـدِ اسْـتَحَلَّتْ لِغَـــيْرِ إِلهِهـــا ذُلَّ السُّـــجودِ[2]

ولما قَدَّمت ألمانيا 830 مليونا من الدولارات إلى اليهود بدعوى تعويضهم عما نالهم من هتلر، -الذي طردهم من بلاده -، استنكر محمد الخضر هذا الصنيع من ألمانيا واعتبر أن هذا الفعل إعانة لليهود ضد العرب والفلسطينيين خصوصا، الذين كانوا في حالة حرب مع اليهود إذ رأى أن ذلك يعد من ألمانيا الغربية إخلالاً بقواعد الحياد[3].

لقد وجه رسالة إلى الساسة في الغرب وذكرهم بما يرفعونه من شعارات الأخوة والحرية والمساواة، وكانت قضية فلسطين امتحانا لهم في صدق تلك الشعارات أو كذبها ومن جملة ما خاطبهم به" إن دعوى الإنسانية والحق في بلاد الغرب المتمدنة تكون من أكبر الأكاذيب التي سيسجلها التاريخ لتخجل منها الأجيال الآتية ما دام للإنسانية ومبادئها أنصار صادقون في العالم"[4].

وقد صَدَّق الواقع اليوم ما توقعه محمد الخضر حسين، وكشفت الأحداث المتلاحقة زيف

[1]- أحاديث في رحاب الأزهر:ص67 .
[2]- ديوان خواطر الحياة ،ص92 .
[3]- أحاديث في رحاب الأزهر،ص69 .
[4]- أحاديث في رحاب الأزهر،ص71 .

تلك الشعارات المرفوعة والْمُدَّعاة.

المطلب الثاني:سقوط الخلافة وحاجة الأمة إلى الخلفاء

تعد قضية الخلافة إحدى القضايا التي طغت على الساحة الإسلامية ، فقد كان لسقوط الدولة العثمانية التي حمت الخلافة قرابة خمسة قرون أثرها في مفكري الإسلام، وطفا على السطح مسألة:هل الخلافة من الدين ؟،وهل يرى الإسلام وجوبها؟ وما حكم نصب الأئمة أو الخلفاء؟.

الفرع الأول: علي عبد الرازق وكِتاب" الإسلام وأصول الحكم" :

أصدر- علي عبد الرازق- في موضوع الخلافة كتابه : الإسلام وأصول الحكم،غير أن هذا الكتاب لقي معارضة كبيرة من علماء الإسلام وأثار ضجة كبرى وردودا مختلفة داخل مصر وخارجها وأجمعت الردود على نقد الكتاب وتفنيد كل ما حواه، وممن ردوا على المؤلف والكتاب :

- محمد رشيد رضا في كتابه :(الخلافة أو الإمامة العظمى) وإن كان مؤلفه رد به على إلغاء الخلافة العثمانية .
- مفتي الديار المصرية محمد بخيت المطيعي[1] في كتابه (حقيقة الإسلام وأصول الحكم).

حيث قال :" قد ظهر في هذا الزمان كتاب اسمه (الاسلام وأصول الحكم) نسب تأليفه إلى الشيخ علي عبد الرازق القاضي بمحكمة المنصورة الشرعية حاليا ، فاطلعنا عليه فوجدنا أنه لم

[1]- محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي: (- مفتي الديار المصرية، ومن كبار فقهائها. ولد في بلدة (المطيعة) من أعمال أسيوط. سنة: 1271هـ - 1854م، وتعلم في الأزهر، واشتغل بالتدريس فيه. واتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني. ثم كان من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التي قام بها الشيخ محمد عبده. وعين مفتيا للديار المصرية سنة 1333 - 1339 هـ (1914 - 1921 م) ولزم بيته يفتي ويفيد إلى أن توفي بالقاهرة. 1354 هـ- 1935 م له كتب، منها (إرشاد الأمة إلى أحكام أهل الذمة) ، (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) ينظر ترجمته : الزركلي ،خير الدين- الأعلام :ج6 ص 50/ الحجوي = محمد الفاسي - الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان ، ط1، 1416 هـ - 1995 م : ج2 ص234.

يذكر في كتابه هذا رأيا ايجابيا .... بل كل ما قاله في هذا الكتاب قضايا سالبة وإنكار محض لما أجمع عليه المسلمون أو نُص عليه صريحا في الكتاب أو السنة النبوية ، واستند في انكاره إلى السفسطة العقلية والآراء الظنية والأدلة الشعرية "[1].

وممن ردوا على الكتاب ردا علميا وجيها الإمام الطاهر بن عاشور في رسالة له بعنوان:"نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم " وقد دفعه لهذا الرد خوفه أن تتلقف طلبةُ العلم هذا الكتاب دون تثبت كدأب الناس في تلقف الجديد وقد اكتفى رحمه الله بالرد على الكتاب بالاختصار وكان يود الاطالة لكن لم يسعفه الوقت لاشتغاله بالمهم كما أشار إلى ذلك نفسه[2] .

غير أن من كان له الرد البليغ والوجيه على هذا الرأي وهذه الفكرة هو محمد الخضر حسين في كتابه: "نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم"، وقد شهد محمد عمارة في تقديمه لكتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق ، أن دراسة محمد الخضر حسين هي أجود دراسة فكرية ضد الكتاب وأنها أمسكت بتلابيب علي عبد الرازق في عدد من المواقف الفكرية"[3].

وقد تتبع في كتابه هذا الأبواب التي أوردها علي عبد الرازق ، بابا تلو باب ، كان يبدأ بتلخيص الباب ، ثم يورد الفقرة التي تعبر عن الفكرة موضوع النقد فيفندها"[4] والكتاب كان يحتاج إلى تمكن في مختلف علوم اللغة والشريعة حتى يكون الرد مقنعا لذا "أظهر محمد الخضر حسين في كتابه القصير المحكم علما غزيرا وإحاطة متمكنة بأصول الفقه والتشريع ، ومعرفة عميقة بالتاريخ الاسلامي، ووظف محمد الخضر ثقافته الزيتونية المتينة والأزهرية العميقة لنقض كتاب عبد الرازق وإبطاله ، وجادل هذا المؤلف بدقة متناهية فكان عالما ثبتا ، متمكنا من المنظومة الفقهية

[1]- محمد بخيت المطيعي – حقيقة الاسلام وأصول الحكم : ص3 .

[2]- الطاهر بن عاشور، نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم ،المطبعة السلفية،دط، 1344هـ: ص3.

[3]- محمد عمارة – الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق،دراسة ووثائق ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت– لبنان، دط ،2000م:ص19.

[4]- باختصار عن مقدمة قدمها عمار علي حسن لكتاب الاسلام وأصول الحكم: ص47 وما بعدها .

والسياسية في حقب زمنية متلاحقة[1].

وقد شهد كل من قرأ كتاب نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم" لمحمد الخضر بحسن الرد وقوة الأدلة فهو" ينتقي ألفاظه المعبرة بدقة شديدة عن المعنى المراد كما يصنع الفلاسفة- العلماء وهو يتخير من هذه الألفاظ المحكمة ماهو جميل ، ويصوغها في أسلوب بالغ الرقي ، كما يصنع الأدباء الذين برعوا في تذوق العربية وفقهوا أسرار جمالها وأعانهم على ذلك علم غزير بعلومها"[2].

الفرع الثاني: مصطلح الخلافة وحكم الإمامة من منظور علي عبد الرازق ومحمد الخضر حسين:

أ:مصطلح الخلافة

بعد تعريف محمد الخضر حسين للخلافة[3] بأنها :"نيابة عن صاحب الشريعة في رفع لواء الحق، والسير بالأمة على مناهج السياسة القيمة[4]، أشار إلى أن وجود خلافة للأمة لابد منه، وأنها مقصد يتشوف إليه الشرع، فمن مقاصد الإسلام: "إقامة دولة تحمي بما لها من الشوكة وعزّة

[1]- المرجع نفسه: ص47 وما بعدها .

[2]- محمد عمارة ، معركة الاسلام وأصول الحكم ، دار الشروق ، ط2 ، 1418هـ-1997م : ص 186.

[3]- اختلف العلماء في تعريف الخلافة ومعناها : فقال الماوردي ، هي موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا،وقال :الجويني : الإمامة رياسة تامة ، وزعامة عامة ، تتعلق بالخاصة والعامة ،في مهمات الدين والدنيا ، متضمنها حفظ الحوزة ورعاية الرعية ، واقامة الدعوة بالحجة والسيف، وكف الجنف والحيف والانتصاف للمظلومين من الظالمين ، واسيفاء الحقوق من الممتنعين وإيفاؤها على المستحقين وقال ابن خلدون: الخلافة :حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية، والدنيوية الراجعة إليها،ومن المتأخرين رشيد رضا فهو يرى بأن : الخلافة والإمامة العظمي وإمارة المؤمنين ثلاث كلمات معناها واحد وهو: رئاسة الْحكومة الإسلامية الجامعة لمصالح الدين وَالدنيا ، ينظر هذه التعاريف على الترتيب: الماوردي ، ابو الحسن ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، ، تحقيق احمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، ط 1، الكويت، 1409هـ – 1989م: ص03 / الجويني ، أبو المعالي ، غياث الأمم في التياث الظلم ، تحقيق :عبد العظيم محمود الديب ، دار المنهاج ، ط1 ، 1432هـ -2011م: ص217/ مقدمة ابن خلدون: ص 191/محمد رشيد رضا ، الخلافة : ص17.

[4]- محمد الخضر حسين – هدى ونور: ص60 .

الجانب ذمارَ الذين يأوون إلى ظله، وتقيم سننه على قاعدة صحيحة"[1].

بينما نجد علي عبد الرازق يطعن في وجود هذا المصطلح أو إشارة نصوص الوحيين إليه، حيث أنكر مصطلح الخليفة، وادعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشر إلى شيء يسمى دولة ثم أطال الكلام في مسألة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وشكك في مصطلح الخليفة[2].

ب- حكم اختيار الأئمة والخلفاء:

عرض علي عبد الرازق لهذه المسألة حيث أشار إلى رأي كل فريق -الموجبين لنصب إمام عدل والشاذين عن هذا الرأي فقال علي عبد الرازق في شأن الموجبين :" نصب الخليفة عندهم واجب إذا تركه المسلمون أثموا كلهم أجمعون يختلفون بينهم في أن ذلك الوجوب عقلي أو شرعي[3]، حتى زعم ابن خلدون أن ذلك مما انعقد عليه الإجماع[4] ؛ ثم ساق رأي الشاذين الذين قالوا :" بعدم وجوب هذا النصب رأسا لا بالعقل ولا بالشرع منهم الأصم[5] من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم"[1].

---

[1]- محمد الخضر حسين- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم،دار النوادر،ط01، سورية ، دمشق ،1421هـ-2010م: ص148.

[2]- علي عبد الرازق - الإسلام وأصول الحكم ، تقديم عمار علي حسن ، دار الكتاب المصري،دط ، القاهرة ، 1433هـ - 2012 م : ص137.

[3]- اختلف في وجوب نصب الإمام العدل: هل وجبت بالعقل أو بالشرع ؟ فقالت طائفة : وجب بالعقل لما في طباع العقلاء في التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم، ولولا الولاة لكانوا فوضى مهملين، وهمجا مضاعين، وقالت طائفة أخرى :بل وجبت بالشرع دون العقل ، لأن الإمام يقوم بأمور شرعية قد كان مجوزا في العقل أن لا يُرد التعبد بها، فلم يكن العقل موجبا لها ولكن جاء الشرع بتفويض الأمور إلى وليّه في الدين : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴾: النساء:59 . ينظر : الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية : ص3 . وقول البيجوري وذلك عند شرحه لقول "اللقاني" في جوهرة التوحيد:"وواجب نصب إمام عدل ...بالشرع فاعلم لا بحكم العقل).البيجوري - تحفة المريد على جوهرة التوحيد ، دار الكتب العلمية،ط02،بيروت-لبنان، 1424هـ-2004م: ص219.

[4]- قال الماوردي :"وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع وإن شذ عنهم الأصم ، الأحكام السلطانية :ص3.

[5]- شيخ المعتزلة أبو بكر الأصم. عبد الرحمن بن كيسان كان دَيِّنا وقورا صبورا على الفقر منقبضا عن الدولة إلا أنه كان فيه ميل

وغيرهم"[1].

وبعد أن ساق أدلة الموجبين لنصب خليفة للمسلمين خرج بنتيجة مفادها:" أنه لا يوجد دليل على وجوب الإمامة من كتاب الله"[2]، ثم عرض باختصار إلى استبعاد ما عده الموجبون أدلة على وجوب الإمامة كقوله تعالى :﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴿٨٣﴾ ﴾[3]،ثم أحال القاريء إلى كتاب أحد المستشرقين قائلا :"وإذا أردت مزيدا في هذا البحث فارجع إلى "كتاب الخلافة" –للعلامة السير توماس أرنلد[4]– ، ففي الباب الثاني والثالث منه بيان ممتع مقنع"[5].

ثم عرض لقضية تنصيب أبي بكر رضي الله عنه بكثير من اللمز والتزييف للحقائق التاريخية والأقوال التي لا تقف على ساق صحيحة من أثر أو علم ، خرج في الأخير بخلاصة عَنْوَنَها ب:"لا خلافة في الدين"[6]، حيث قال فيها :" والحق أن الدين الإسلامي بريء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون ، وبريء من كل ما هيأوا حولها من رغبة ورهبة ، ومن عز وقوة ، والخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية ،كلا ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز

=

عن الإمام علي، مات سنة إحدى ومائتين.ينظر ترجمته : الذهبي ، شمس الدين– سير أعلام النبلاء ، دار الحديث، دط ، القاهرة، 1427هـ–2006م: : ج08 ص123/ ابن حجر ، أحمد بن علي– لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط02، بيروت ، لبنان ، 1390هـ –1971م: ج03 ص427.

[1]– الإسلام وأصول الحكم : ص 23 .

[2]–– المرجع نفسه،ص:26 .

[3]– النساء:83 .

[4]– توماس أرنولد :مستشرق إنكليزي. من أهل لندن. 1280هـ– 1864م تعلم في كمبردج. له كتب بالإنكليزية في (تعاليم الإسلام) و (المعتزلة) و (الخلافة) وقد ترجم الأخير إلى العربية وطبع ، توفي في : 1349 هـ– 1930 م. ينظر: الأعلام:ج02 ص94.

[5]– الإسلام وأصول الحكم : ص26 .

[6]– المرجع نفسه : ص137 .

الدولة"[1].

بل إنه يرى أن ذلك كله من قبيل السياسة ولا دخل للدين في ذلك أو من المسكوت عنه الذي لم يشر إليه الشرع بالاعتبار أو الإلغاء :"وإنما تلك كلها خطط سياسية صرفة ، لا شأن للدين بها ، فهو لم يعرفها ولم ينكرها ، ولا أمر بها ولا نهى عنها ، وإنما تركها لنا ، لنرجع فيها إلى أحكام العقل ، وتجارب الأمم ، وقواعد السياسة"[2] .

ثم بين علي عبد الرازق أن علماء المسلمين لم يهتدوا إلى دليل مقنع يرتكزون عليه لنصرة رأيهم اللهم الا بعض الأقيسة المنطقية :" ولكن المنصفين من العلماء، والمتكلفين منهم، قد أعجزهم أن يجدوا في كتاب الله تعالى حجة لرأيهم، فانصرفوا عنه إلى ما رأيت من دعوى الإجماع تارة، ومن الالتجاء إلى أقيسة المنطق وأحكام العقل تارة أخرى"[3].

هذه الدعوى فندها محمد الخضر، فبعد أن صحح اللَّبس الذي وقع لعلي عبد الرازق بين أبي بكر الأصم المعتزلي وبين حاتم الأصم الزاهد المتصوف، وعزز ذلك التفنيد بأدلة من الكتاب والسنة وقواعد الشرع، أمّا أدلة الكتاب فقوله عز وجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴿٥٩﴾﴾(النساء:59) ، فقد رأى أن حمل الآية على الأمراء راجح من وجوه:

أحدها: سبب النزول، ففي "صحيح الإمام البخاري"، رواية عن ابن عباس: أن: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ ﴿٥٩﴾ ﴾(النساء:59) نزلت في عبدالله بن حذافة بن

[1]- الإسلام وأصول الحكم:ص137 .

[2]- المرجع نفسه: ص137 .

[3]- المرجع السابق: ص25 .

قيس بن عدي ؛ إذ بعثه النبي – صلى الله عليه وسلم – في سرية[1].

ثانيها: ورودها بعد آية: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ ﴾ (النساء:58) .وقد دلل لهذا بما سأله ابن عيينة لزيد بن أسلم عن قوله تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ ﴿٥٩﴾﴾ (النساء:59)، ولم يكن أحد بالمدينة يفسر القرآن بعد محمد ابن كعب مثله، قال: اقرأ ما قبلها، تعرف، فقرأت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ ﴿٥٨﴾﴾(النساء:58) ، فقال: هذه في الولاة[2].

وأما زعم علي عبد الرازق أن أدلة المثبتين كانت مجرد أدلة عقلية أو أقيسة منطقية فقد أجاب على ذلك محمد الخضر بأنه "يُعتمد استنباط الأحكام على نظرين: أحدهما: يتعلق بالأدلة السمعية — الكتاب والسنة والإجماع التي يقع منها الاستنباط، وثانيهما: يرجع إلى وجود الدلالات المعتد بها في الاستعمال–كدلالة المنطوق، ودلالة المفهوم، ودلالة بالمعقول[3].

وقد تعجب محمد الخضر حسين من إحالة علي عبد الرازق القاريءَ إلى "توماس أرنولد" مع أن الأمر لا يتعلق بمسألة تاريخية بل بحكم شرعي ، والأحكام الشرعية لها أهلها والمرجع والمرد إليهم فيها[4].

وهناك أدلة أخرى ترجع إلى هذه الأصول العالية، وهي : القواعد المقطوع بصحتها؛ كقاعدة: "الضرر يزال"، و "المشقة تجلب التيسير"، و"العادة محكمة"؛ فإن مثل هذه القواعد لم

[1]– صحيح البخاري،باب قوله: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلأمر مِنكُمْۖ﴾، ،تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة،ط01 ، 1422هـ: رقم:4584.

[2]– نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم : ص43 .

[3]– المصدر نفسه :ص41 .

[4]– نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم:ص45 ، بتصرف.

يقررها العلماء بمحض العقل، بل رجعوا في كل قاعدة إلى استقراء موارد كثيرة من كليات الشريعة وجزئياتها[1].

ومما يستدل به قواعد الشرع لوجوب نصب إمام:" أن ترك الناس فوضى لا يجمعهم على الحق جامع، ولا يزعهم عن الباطل وازع، يفضي إلى تبدد الجماعة، وإضاعة الدين، وانتهاك حرمة الأموال والنفوس والأعراض، إنما يطبقون قاعدة شرعية، وهي قاعدة: "الضرر يزال"، أو قاعدة: "ما لا يتم الواجب المطلق إلا به، وكان مقدوراً، فهو واجب"[2].

هذه هي قضية الخلافة ونصب الأئمة التي كثر الحديث عنها والتي زامنت سقوط الخلافة العثمانية فاستغلها من استغلها لتبرير هذا السقوط والتقليل من شأن الإمامة الكبرى أو الخلافة في النفوس، فقد كان هَمُّ محمد الخضر حسين إحقاقَ الحق ورَدَّ الأحكام إلى منابعها وأهلها الراسخين في العلم.

المطلب الثالث: إصلاحات محمد الخضر حسين لبعض قضايا عصره

يعد محمد الخضر حسين أحد أبرز المصلحين الذي أسهموا في إصلاح الأمة في مختلف المجالات وكتاباته دلت على هذا، فما من ميدان من ميادين الأمة إلا وتكلم فيه؛ في الاجتماع، والسياسة، والاقتصاد، واللغة والأدب، وعلوم الشريعة، يظهر ذلك خاصة في كتبه: رسائل الإصلاح ، الدعوة إلى الإصلاح ، ومدارك الشريعة ، الشريعة صالحة لكل زمان ومكان وغير ذلك من مؤلفاته يزاد إلى ذلك محاضراته وخطبه ومساهماته في المجلات والجرائد، وهذه بعض القضايا الاجتماعية والفكرية التي كان له حضور فيها، وأبدى رأيه وأعطى الحلول لمشكلاتها :

الفرع الأول: التربية والتعليـــــــم:

[1]- المصدر نفسه:ص42 .

[2]- المصدر نفسه : ص41-42 .

هذا جانب من الجوانب التي أسهم فيها محمد الخضر حسين وأعطى آراءه وملاحظاته على بعض الأمور المتعلقة بها، فالتعليم هو الركيزة التي ترتكز عليها الأمة، وبه يكون عزها ومجدها وتفوقها بين الأمم ، وبانهياره يكون انهيارها "ومتى صلح التعليم، وتهذبت طرقه، أخرجت هذه المعاهد رجالاً يجمعون إلى طهارة الذمم والاستقامة على الطريقة ثقافة صافية، وعملاً ناصحاً"[1].

ومن جملة متعلقات هذا الباب التي ساهم في إصلاحها:

أ- المناهج: نظر محمد الخضر حسين إلى مناهج التعليم في البلاد الإسلامية فأسف لحال التعليم الديني في مدارس المسلمين،وحال المتخرجين من تلك المدارس فأصبح لا يُرى منهم إلا ضحايا التضليل والتبشير، أو حطب الزندقة والإلحاد أو ذبائح الانتحار وصرعى الخمور، أو فرائس التخنث والبغاء،أو خراب الدور وسوس الأموال، أو نكد الآباء والأمهات"[2] ،وأرجع أسباب هذه الحالة إلى أن التعليم الديني ليس في المستوى المطلوب –ذلك الوقت- بل هو "معلومات هزيلة ضئيلة لا تشبع حاجة التلميذ، ولا تتناول تفنيد الشبهات الطارئة عليه، ولا تفضح أمامه كثيراً من البدع والخرافات المحيطة من حوله"[3].

فالتعليم بهذا المستوي لا يعطي للولد حصانة ولا مناعة ضد التيارات الهدامة، إذ "لو كان التعليم الديني في الشعوب الإسلامية إلزامياً ومقرراً في جميع مدارسها، لم يجد أشباه الباطنية إلى إزاغة قلب الفتى المسلم طريقاً "[4].

من أجل ذلك صار لزاما إيجادُ بديل عن ذلك النوع من المقرر، إلى مقرر آخر يكون أفضل وأنفع فمحمد الخضر يرى أن"النفوس التي يسبق إليها تعليم ديني حكيم تصبح في حصانة من أن

[1]- الهداية الإسلامية: ص162 .

[2]- الدعوة إلى الإصلاح:ص200 .

[3]- المصدر نفسه :ص186 .

[4]- محمد الخضر، القاديانية والبهائية:ص87 .

يمسها الإلحاد[1].

ومما يدل على عدم الاهتمام بالتعليم الديني -في نظر محمد الخضر- " مساواته بالألعاب الرياضية فهو مادة إضافية لا يحاسب عليها الطالب ولا يمتحن فيها ،"ولا فرق بينه وبين الألعاب الرياضية إلا أن الألعاب محبوبة إلى التلميذ بداعٍ من طبيعته وميوله، أما الدرس الديني، فمُبْغَض إليه بدافع من هواه ومجونه"[2].

وقد تَعَجب-محمد الخضر- كثيرا مما آلت إليه ثقافة الناشئة من الجهل بتاريخها وتاريخ عظمائها بل جهلت جهلا كبيرا نَبِيَّها ورسولها صلى الله عليه وسلم، وربما عرفت كثيرا عن رموز أعدائها" وإن تعجب، فعجب أن تجد التلميذ المسلم لا يعرف من تاريخ نبيّه بقدر ما يعرف من تاريخ نابليون – مثلاً –. ولا يدرك من سيرة عظماء الإسلام وأبطاله على نحو ما يدرك من سيرة مشاهير الغرب ورجاله، "وتلك ثالثة الأثافي"[3].

وبعد أن رد اللوم لأناس تقلدوا تسيير نظام التعليم —في فترة سابقة- فكانت لهم أغراض مشبوهة تهدف إلى تغريب الشباب الإسلامي وبعد أن ناشد القائمين على منظومة التعليم في وقته وخاطب فيهم وازع الإيمان والضمير اقترح جملة من المقترحات منها:

-يجب أن يقرر تعليم الدين كمادة أساسية، شأنه شأن بعض اللغات الأجنبية- على الأقل- أما تقريره كمادة إضافية، فهو بالهزل أشبه منه بالجد.

- يجب أن يكون تعليم الدين عاماً يشمل كل دور من أدوار التعليم.

---

[1]-محمد الخضر ، محاضرات إسلامية:ص230 .

[2]- الدعوة إلى الإصلاح: ص186 .

[3]- المصدر السابق :ص188 . والأثافي جمع أثفية يقال: رماه الله بثالثة الأثافي، وهي الداهية العظيمة، والأمر العظيم، وأصلها أن الرجل إذا وجد أثفيتين لِقِدره، ولم يجد الثالثة، جعل ركن الجبل ثالثة الأثفيتين. وثالثة الأثافي: الحيد النادر من الجبل، يجمع إليه صخرتان، ثم ينصب عليها القِدر، ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن على- لسان العرب ، دار صادر ،ط03 بيروت ، 1414 هـ: ج02 ص123.

– يجب أن يكون التعليم عملياً يحمل فيه التلاميذ حملًا على التزام الشعائر الدينية مدى وجودهم بالمدرسة، ويبنى في كل مدرسة مصلى إن لم يكن بها، ويعين لها الإمام والمراقب الديني.

– إلزام الفتيات بتهذيب أزيائهن، ورعاية الذوق الإسلامي والكرامة القومية في غطاء رؤوسهن، وحشمة ملابسهن، وحياء وجوههن، وشرف سيرهن.

ويجب أن يُعنى بدراسة التاريخ الإسلامي دراسة حية واسعة تطبع في نفس التلميذ طابعًا لا يمحى؛ من الاعتزاز بدينه، والاعتداد بأسلافه، والإجلال لأبطال أمته[1].

هذه جملة من المطالب التي قدمها إلى وزارة التربية التي كانت ما تزال تعتمد على الخطط التي تركها المستعمرون لتسيير برامج التعليم في البلاد الإسلامية خاصة في مصر التي استقر بها محمد الخضر حسين حتى وفاته، وكان "دوغلاس دنلوب" هو المخطط لبرامج التعليم في مصر " قابضا على أزِمّة المدارس فيها فاجتهد في محو معالم اللغة العربية، وطمس آثار الديانة الإسلامية من المدارس، وجعل رسومها مواثل ودوارس"[2].

ولقد اعتبر محمد الخضر حسين السبعين سنة التي قضاها المستعمرون بمصر أهونَ شراً، وأدنى إلى دفع غوائله –على فداحتها– من إساءته إلى مصر على يد (دنلوب[3]) فيما رسم من خطط

[1]– الدعوة إلى الإصلاح:ص190–191.

[2]– رشيد رضا ، محمد – مجلة المنار: ج02 ص321 .

[3]– دوغلاس دنلوب (بالإنجليزية Douglas Dunlop :. (1861 . 9 أكتوبر 1937) هو معلم ومبشر اسكتلندي، وضع في مصر نظامًا تعليميًا لخدمة أهداف الاحتلال البريطاني. جاء دنلوب إلى مصر مبشرًا، فعينه اللورد كرومر مستشارًا لوزارة المعارف، فوضع نظامًا تعليميًا نُسب إليه في مصر أثناء الاحتلال الإنجليزي لها، وعدّه الوطنيون المصريون معرقلًا لتقدم البلاد في مجال التعليم. وقد أطيح بدنلوب بعد سنة 1920، في أعقاب ثورة 1919، لم أجد له ترجمة في كتب التراجم الحديثة لكن وجدت تعريفا له في كتاب: أنور الجندي: "الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي"، دار الاعتصام دط،دس ط:ص464/ العفاني، سيد بن حسين– أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار ماجد عسيري، ط01 ، جدة السعودية، 1424هـ–2004م: ج02 ص429 وما بعدها.

لتوجيه الثقافة المصرية العامة توجيهاً آلياً، يعنى بالقشور والشكليات"[1].

ب- تعليـــــم المـرأة:أما عن تعليم المرأة فقد كانت البيئة في معظمها تتحرج من تعليم الفتيات في المدارس، وهذا السلوك وَلَّد أطرافا أخرى دعت إلى تحرير المرأة وتشجيع خروجها وممارسة مختلف الوظائف دون قيد أو شرط، فظُلمت المرأة من جهتين :"من جهة التقاليد الموروثة عن عصور الجمود والتخلف الحضاري ،ومن جهة التقاليد الوافدة من الحضارة الغربية المعاصرة، وكلتاهما من نتاج الجاهلية البعيدة عن هدى الله"[2]،لكن محمد الخضر بيَّن وجهة نظره ورأيه في المسألة، فهو من المشجعين لتعليم المرأة نراه يقول في هذا الشأن" ونحن ممن يدعو إلى تعليم البنات وتهذيبهن"[3]، لكنه يجوز ذلك بالشروط التي تلزم المرأةَ الأخذ بلباس الحشمة والحياء، وسترَ ما أوجب الشرع ستره، قال في ذلك:" ونحن لا نعارض في تعليم المرأة، ولا في استمرارها على التعليم إلى أبعد مدى، ولكنا نريد الاحتفاظ بأساس كمالها، وهو الصيانة ونقاء العِرض[4].

ج- مدارس التبشير: لما دخل المستعمرون بلاد الإسلام رافقهم المبشرون ناشروا النصرانية، متخفين تحت دوافع إنسانية أو فكرية (كالطب والتعليم)، وقد استقر في ذهن المستعمر أنه إذا سيطر على الشعور والضمائر، فإن أكبر مساعد له على هذه السيطرة: قبضه على زمام التعليم العام؛ حيث يسير به على منهج يخرج به الناشئ مزلزل العقيدة، غائبًا من سماحة الدين وحكمة التشريع"[5].

ومن الوسائل التي استغلها لهذه الغاية بناء المدارس في البلاد المستعمرة إذ المدرسة في زعمهم هي المبشر الأول، قالت إحدى المبشرات:"ليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصرُ مسافة من هذه

---

[1]- أحاديث في رحاب الأزهر: ص18 .

[2]- القرضاوي، يوسف بن عبد الله -كيف نتعامل مع القرآن العظيم ،ص100.

[3]- بلاغة القرآن:ص179 .

[4]- محاضرات إسلامية:ص197 .

[5]- رسائل الإصلاح:ص201 .

المدرسة، فإن المدرسة أقوى قوةٍ لجعل الناشئين تحت تأثير الغرب والمسيحية"[1].

لقد علم محمد الخضر بخبايا هذه المدارس وما تدسه في برامجها من رسائل تبشيرية فهو يعلم أنها "أسست لمحاربة الدين الحنيف، ولقتل العاطفة القومية"[2]، وقد حذر أولياء أمور التلاميذ من الزج بهم إلى هذه المدارس لأن في ذلك قتلا لعقائدهم و"إن الذي يقذف بولده بين جدران هذه المدارس، لا تكون جريمته من جريمة أولئك الذين كانوا يقتلون أولادهم خشية إملاق ببعيد"[3]، بل إن خطر تلك المدارس سيمتد للأجيال اللاحقة لأن هؤلاء المتعلمين سيصيرون أساتذة في المستقبل يلقنون الأجيال ما تلقَّوْهُ من أفكار.

لقد حمّل محمد الخضر حسين المسؤولية الكبرى لآباء هؤلاء الطلبة لأنهم مختارون في انتقاء المدارس التي تلائم دينهم وهويتهم لأن "المبشرين لم يأخذوا أبناء المسلمين وبناتهم بالقوة من بيوت آبائهم، وإنما الذي قذف بهؤلاء البنات والأبناء إلى هذه المدارس هم آباؤهم، وولاة أمورهم، فجنَوا بذلك على الوطن، وعلى الدين، وعلى رجال المستقبل"[4].

وغرضه من وراء هذا مقاطعةُ تلك المدارس، حتى إذا لم تجد من يأوي أو يَفِد إليها أغلقت أبوابها واستراح الناس منها.

الفرع الثاني: التصـوف وما علق به من البدع:

أولا: التصوف

نشأ محمد الخضر حسين في عائلة ذات مشرب صوفي وانتماءٍ للطريقة الرحمانية التي تلقوها بالجزائر قبل هجرتهم إلى تونس، وكان للزاوية الرحمانية في بلاد الجريد- مسقط رأس محمد الخضر-

[1]-الجندي، أنور- مقدمات العلوم والمناهج ، دار الأنصار، دط ،مصر ، 1983م: ج05 ص85.

[2]- محمد الخضر - الهداية الإسلامية:ص177 .

[3]- المصدر السابق: ص178 .

[4]- محمد الخضر- هدى ونور:ص94 .

أتباع ومريدون، هذا الوسط الذي نشأ فيه محمد الخضر حسين لم يمنعه أن يبدي رأيه في مسألة التصوف ويذكر ما له من مزايا وإيجابيات وما يؤخذ عليه من ممارسات تتنافى مع تعاليم الإسلام، وماعلق به من أفكار أو بدع أو طقوس، أو ما وجه إليه أيضا من أحكام لم تكن منصفة حذرت منه بالكلية وتحاملت على معتنقيه وجمعتهم في سلة واحدة.

أ–معنى التصوف:

اختلف العلماء في أصل اشتقاق هذه الكلمة: فمنهم من نسب الكلمة إلى رجل يقال له صوفة –رجل انقطع إلى عبادة الله فتشبهوا به، وذهبت طائفة إلى أنه منسوب إلى أهل نسبة الصُفَّة من فقراء الصحابة الذين لازموا صُّفة المسجد، ، وقيل إلى صوفانة ، بَقْلة في الصحراء وقيل إلى الصوف وهذا محتمل. ثم رجح ابن الجوزي أن يكون الاشتقاق الأول أقرب وهو صوفة العابد[1]. وذهب بعض المحققين إلى اشتقاق الكلمة من الصوف فيقال تصوف الرجل إذا لبس الصوف[2]، وصحح هذا المذهبَ محمدُ الخضر حسين[3] .

وذهب القشيري[4] إلى أنه ليس يشهد لهذا الإسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق[5].

التصوف اصطلاحا: عُرف التصوف في الاصطلاح بأنه: الوقوف مع الآداب الشرعية

[1]– ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي– تلبيس إبليس، دار الفكر للطباعة والنشر، ط01، بيروت، لبنان،1421هـ– 2001م: ص145–146.

[2]– التفتزاني، أبو الوفا الغنيمي– مدخل إلى التصوف الإسلامي،دار الثقافة للنشر والتوزيع،ط03، القاهرة،1979م: ص21.

[3]– الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان:ص227 .

[4]– أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري: تلقى العلوم عن أبي بكر بن فورك، وأبي إسحاق الإسفرائيني، وأبي علي الدقاق، وهو صاحب "الرسالة القشيرية في رجال الطريق". توفي سنة 465. ينظر: الزركلي ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج03،ص:205 / فوات الوفيات : ج 2 ص310 وما بعدها / الأعلام :ج03ص346 /محمد الخضر حسين– الشريعة صالحة لكل زمان ومكان:ص247 .

[5]– القشيري، أبو القاسم – الرسالة القشيرية في التصوف، تحقيق:معروف مصطفى زريق، المكتبة العصرية ،صيدا، ط01، بيروت،1421هـ–2001م:ص279.

ظاهرًا، فيرى حكمها من الظاهر في الباطن، وباطنًا، فيرى حكمها من الباطن في الظاهر، فيحصل للمتأدب بالحكمين كمالٌ[1].

وعرفه محمد الخضر حسين بأنه: سلوك طريقة الزهد، والانقطاع إلى العبادة، ومحاسبة النفس على الأفعال والتروك[2].

لقد تحدث محمد الخضر حسين في مقالات عدة عن التصوف وتاريخه ، قبل الإسلام وبعده والخلاف في أول من تسمى به وكيف أن هذا النهج كان سليما إلى أن دخله أناس خلطوا التصوف بشيء من أصول الفلسفة الإشراقية، وشابته عبارات تشير إلى الحلول والاتحاد[3]، وشاع عند بعضهم أن السالك تسقط عنه الأوامر والنواهي، وذكر بالمقابل ما كان عليه بعض أقطاب التصوف من الاستقامة وصلاح الظاهر والباطن والتزام الشريعة.

والملاحظ على محمد الخضر في تناوله لهذا الموضوع أنه كان عدلا مقسطا في حق المتصوفة ولم يطفف في الحكم عليهم ، بل أنصفهم حيث يستحقون الإنصاف وانتقدهم حيث رأى للنقد مقالا ومجالا.

ب- إنصاف محمد الخضر لأهل التصوف :

يقر محمد الخضر ما كان للتصوف في جانبه المشرق من أثر طيب في الحياة الإسلامية فمن مزاياه أنه "أنبت رجالاً عرفوا بالتقوى والورع، والدعوة إلى الخير بمواعظهم أو أحوالهم، فكان لهم

[1]- الجرجاني، علي بن محمد- التعريفات ، دار الكتب العلمية، ط01، بيروت - لبنان، 1403هـ -1983م:ص59 . التهانوي، محمد بن علي- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون ، ط01، بيروت،1996م: ج02 ص1102.

[2]- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان،ص238 .

[3]- أي: إن الله يحل في بعض مخلوقاته (تعالى الله عن ذلك): محاضرات إسلامية،ص96 .

فضل كبير في هداية كثير من الغافلين، وتقويم كثير من المنحرفين"[1].

أما مسألة الحلول والاتحاد التي نسبت لكثير من المتصوفة فإن محمد الخضر وقف منها موقفا عدلا ورأى أن كثيرا من كلام المتصوفة لم يفهم على حقيقته فكثير من كلامهم وإشاراتهم، " إنما توهمه من ليس له اطلاع على أحوالهم، على أنه لم يرد في اصطلاح القوم شيء من إطلاق الحلول والاتحاد، إلا ما وقع في اصطلاح المتأخرين؛ كابن الفارض[2] ومن معه من إطلاق لفظ الاتحاد، وأما الحلول، فلم يطلقه أحد"[3].

ثم بين مراد ابن الفارض وحمل كلامه على أحسن المحامل إذ يفهم من كلمات ابن الفارض – الموهمة للاتحاد– "شهود اتحاد تعلق الموجودات كلها به –جلّ وعلا–؛ إذ هي به موجودة لا بنفسها، وهذا هو المسمّى عندهم: بالفناء في التوحيد"[4].

ج– انتقاد محمد الخضر لأدعياء التصوف:

ومما أنكره محمد الخضر على المتصوفة أمور تتعلق بالمظهر والشكل، وأخرى تتعلق بالمضمون والمنهج:

01.–ما يتعلق بالمظهر:

أ–اتخاذ المرقع شعارا: يرى محمد الخضر أن لبس المرقع مع القدرة على لبس الجديد أو تعمد ترقيع الجديد ليس من الزهد في شيء، وقد وهم بعض المتصوفة أن هذا من السنة، لأنه أثر

[1]– الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان:ص241 .

[2]– عمر بن علي بن المرشد الحموي الأصل، المصري المولد والدار، يقول الشعر الظاهر في الغزل، على أنه بنحو به نحو معان صوفية، وديوانه معروف، وحكى المقريزي: أن الشيخ محي الدين بعث إلى ابن الفارض يستأذنه في شرح التائية، فقال له: كتابك المسمى بالفتوحات المكية شرح لها. توفي سنة 632.ينظر ترجمته :سير أعلام النبلاء :ج16ص 265 /الأعلام :ج05ص55 /محمد الخضر حسين– الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان:ص247 .

[3]– الرحلات :ص111 .

[4]– المصدر السابق :ص112 .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبس المرقع، وفعل عمر إنما كان لأجل الانتفاع بالثوب، أما اعتقاده سنة فذلك بدعة[1].

ب–الأناشيد: شاع عند الصوفية إنشاد القصائد، أو ما يسمونه بالسماع أو الزهديات، وقد علق محمد الخضر حسين على ذلك بأن: منها ما يكون مقبولا لما يحتويه من حكمة ومعان تربوية وبعضه يكون مردودا إذا"كانت– تلك القصائد– توضع في ألحان الغناء، حتى تكون اللذة في طيب أنغامها، لا فيما احتوته من حكمة أو موعظة ، وكذا الأناشيد التي تحوي من وصف الغزل ما نسمعه في شعر عمر بن أبي ربيعة[2]، أو تحوي من وصف الخمر مثل ما نسمعه في شعر أبي نواس [3].

ثم استدل بحكم أبي حامد الغزالي على من كانوا على هذه السبيل وهذا الانحراف – في ربع المهلكات– من كتابه إحياء علوم الدين: بأنهم" اغتروا بالزي والمنطق والهيئة من السماع والرقص، ولم يتعبوا أنفسهم في المجاهدة والرياضة"[4].

وساق أيضا حكم ابن أبي زيد القيرواني في حقهم فقد قضى بتفسيقهم، وبطلان صلاة من يقتدِي بهم.

ومما انتقدهم عليه تلك الاحتفالات التي يقيمونها داخل وخارج المساجد بالنفخ في المزامير، والنقر على الدفوف، أو أنهم ساروا في الشوارع يحملون الأعلام لغير جهاد[5].

---

[1]– دراسات في الشريعة الإسلامية :ص176 .

[2]– أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر المشهور؛ لم يكن في قريش أشعر منه، وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون والخلاعة، وله في ذلك حكايات مشهورة.ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط1 – بيروت ،1971: ج03 ص436 / الذهبي،شمس الدين– تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام،تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط01 ،بيروت ، لبنان، 2003 م: ج03 ص113.

[3]– محاضرات إسلامية: ص93 .

[4]– الغزالي، أبوحامد ،إحياء علوم الدين، دار ابن حزم ، ط01، بيروت– لبنان ،1426هـ–2005م: ج03 ،ص1323–1324.

[5]– محاضرات إسلامية:ص100.

02.- من حيث المضمون والمنهج:

أ- أخطاء مشايخ الطرق: عاين محمد الخضر الطرق الصوفية عن كثب فقد نشأ في بيئة تكثر فيها الطرق الصوفية، ورأى كثيرا من الممارسات والمخالفات الصادرة عن رؤساء هذه الطرق أو مريديهم ، ومن ذلك:

- في رؤساء الطرق من لا يزال يتقرب إلى الظالمين حتى يكون لسانهم الذي ينطق، وسمعهم الذي يسمع، ويصرهم الذي يرى.

-وصف بعض المشايخ أنفسهم أو وصف مريديهم إياهم بأوصاف فيها غلو وقد لا تليق إلا بذات الله عز وجل كالتصرف في الكون[1]، حتى ترى بعض العامة يمتنعون من أن يحلفوا بالرجل الصالح كذباً، ثم لا يبالون أن يحلفوا بالله، وهم يعلمون أنهم غير صادقين فيما يحلفون[2].

وقد يعتذر بعض أهل العلم لهؤلاء ويجد لهم تبريرات لأفعالهم لا تقوى على قبول ذلك العذر، ومَثَّل محمد الخضر لذلك بما سمعه من أحد مجالسيه من أهل العلم فيقول: "وقد سمعت بعض المنتمين للعلم يعتذر لمثل هذا العامي بعذر مثل الذنب، فيقول: إن الله حليم يغفر لمن حلف به كاذباً، والولي يبادر إلى الانتقام ممن يحلف به كاذباً"[3].

ب- مخالفات القبور: وإذا كانت القبور -خاصة المنسوبة لبعض الصالحين- يقع فيها بعض المخالفات الشرعية والعقدية فإن محمد الخضر وفي سياق تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[4]، نبه إلى ما يقع بحضرة هذه القبور من مخالفات، كإيقاد الشموع على قبور الأولياء بقصد القربة، وما في ذلك من إتلاف المال وكالانحناء أمام صاحب القبر

[1]- محاضرات إسلامية: ص100.

[2]- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان :ص241 .

[3]- بلاغة القرآن :ص59 .

[4]- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان:ص241 .

في هيئة الراكع أو الساجد، ودعا أهل الإصلاح أن ينبهوا فاعل ذلك برفق، وينقذوه من الوقوع في اعتقاد أن الولي يملك لنفسه أو لغيره نفعاً أو ضراً، وأن يعيدوه إلى ما يوافق التوحيد الخالص[1].

وفي الأخير نرى محمد الخضر يوجه نصيحة لمشايخ هذه الطرق بإيثار الحق على الخلق والاستضاءة بسيرة الصحابة رضوان الله عليهم ، كما وجه نداء إلى علماء الأمة، ذكّرهم فيه بواجبهم تجاه من ينسب إلى الدين ما ليس منه "وإذا طهر الله ناشئتنا من رجس الإلحاد، وحال بينهم وبين البدع الشائنة، والآراء الهازلة، فذلك اليوم الذي تكون لنا فيه أمة ذات خلق متين، ومظهر عظيم"[2].

ثانيا– البدع: يعتبر موضوع البدعة من المواضيع التي وجه العلماء عنايتهم إليها وسخروا أقلامهم ومحاضراتهم لمحاربتها ومعالجة المجتمع من آثارها ، وقد سعى محمد الخضر حسين كغيره من رجال الإصلاح إلى التنبيه على خطرها، وأثرها في تشويه وجه الشريعة الغراء، فالبدع – في منظور محمد الخضر حسين –"تقف كقطع من الليل المظلم، فتغطي جانباً من محاسن الشريعة الغرّاء، وهي – بعد هذا – ضلالات تهوي بأصحابها في ندامة وخسران؟"[3].

أ–مفهوم البدعة:

لغة: فعل مَا لم يسْبق إِلَيْهِ، ،أبدع الشيء: الشيء اخترعه لا على مثال. الأمر المحدث على غير مثال محموداً كان الأمر أم مذموماً[4].

[1]– أسرار التنزيل:ص366 .

[2]– محاضرات إسلامية:ص101 .

[3]– محمد الخضر حسين – رسائل الإصلاح:ص116 .

[4]– الرازي ،زين الدين بن أبي بكر – مختار الصحاح،جذر ،(ب د ع) ، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ط05، صيدا، بيروت ، 1420هـ - 1999م:ص30.

اصطلاحا: فعل ما لم يعهد في عصر رسول الله – صلى الله عليه وسلم[1] .

أو هي :"طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية"[2].

أو هي: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه، فليس ببدعة شرعا، وإن كان بدعة لغة[3].

أما محمد الخضر حسين فقد عرف البدعة بأنها: إحداث أمر في الدين غير مشروع من أصله، أو زيادة على أمر مشروع، أوتحويل المشروع عن موضعه[4]، وهو بتعريفه للبدعة يضع ضابطا للبدعة مفاده أن " كل ما يفعل باسم الدين، وليس له في الدين من شاهد، فهو بدعة"[5].

ب–أسباب ظهور البدع في المجتمع الإسلامي: أرجع محمد الخضر حسين أسباب تفشي البدع في المجتمع إلى أسباب منها:

01 : الجهل:يعتبر الجهل بالدين أحد الأسباب الكبرى إلى تفشى كثير من البدع، "فالبدع إنما دخلت في الدين على أيدي قوم لم يدرسوا سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – دراسة تكسبهم تمييز فاسد العبادات من صحيحها"[6].

[1]– ابن عبد السلام ،عز الدين – قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، مكتبة الكليات الأزهرية،دط ، القاهرة، 1414 هـ – 1991 م:ج02 ص204.

[2]– الشاطبي، إبراهيم بن موسى– الاعتصام،تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، ط01، السعودية، 1412هـ – 1992م: ج01 ص51.

[3]– ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن–جامع العلوم والحكم،تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجسّ، مؤسسة الرسالة، ط07 ، بيروت، 1422هـ – 2001م: ج02 ،ص127.

[4]– الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان:ص133 .

[5]– أسرار التنزيل :ص354 .

[6]– محمد رسول الله وخاتم النبيئين:ص189 .

وقد تَصْدر هذه البدع من أناس لهم محبة وغيرة على الدين ومقاصد صالحة، لكن يخفقون في الوسائل، ف " الوسائل مقصودة شرعا من حيث هي وسائل" [1]، وهذه الطائفة وصفها محمد الخضر "لم تفسق عن جحود وتمرد، وإنما أُتيت من قِبل الجهل، وعدم صفاء البصيرة، فوضعت بجانب حقائق الإسلام ما يتبرأ منه الإسلام"[2].

وقد ذكر محمد الخضر أمثلة على ذلك ومنها : أعمال يبنيها أصحابها على زعم أنها تقي من الجن، وليس بينها وبين هذه الوقاية من صلة؛ كذبح حيوان، أو صنع طعام؛ باعتقاد أنه يجلب رضاهم، ويكون سبباً لدفع ضرر يتوهم أنه يجيء من ناحيتهم[3].

02:الأحاديث الموضوعة:

فقد اخترع كثير من العباد والمتنسكين وشرعوا لأنفسهم جملة من التعبدات، قال محمد الخضر:" ويدخل في البدع: كل عمل استند صاحبه في ابتداعه إلى حديث موضوع؛ كالرقص في حال الذكر"[4]، وقد وضعت أحاديث في فضل الأيام والشهور، مثل فضائل شهر رجب، وصلاة الرغائب[5].

03: سكوت أهل العلم والسلطان عنها:

كثيرا ما يتجرأ الناس على البدع ويتسورون جدارها وسياجها في غفلة أعين العلماء أو ولاة الأمر الذين أقامهم الله حُراسا على شريعته، فنراهم "يقفون أمام بعض البدع موقف الحائر في أمرها،

---

[1]- الشاطبي، إبراهيم بن موسى – الموافقات ، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان،ط01 ، 1417هـ-1997م: ج03 ،ص127.

[2]- الدعوة إلى الإصلاح:ص09 .

[3]- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان:ص137 .

[4]- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان:ص133 .

[5]- ينظر بحث موسع في هذا لمحمد الخضر حسين – هدى ونور:ص112 وما بعدها.

أو الجانح إلى مسالمة أهلها"[1].ونرى بعضهم أيضا" يتسامح للعامة في كثير من المحدثات يأتونها، ويلتمس لهم المعذرة؛ بأن نواياهم صالحة[2].

ج – مسالك التخلص من البدع من منظور محمد الخضر حسين:

يرى محمد الخضر حسين أن البدع أمراض فتاكة في المجتمع لذا يجب محاربتها، وبتتبع مقالاته ومحاضراته حول الموضوع نجده يعطي جملة من الاقتراحات لعلاجها:

01: تضافر[3] حكمة العلماء وحزم السلطان: فتظافر هاتين القوتين الأولى بالحجج الدامغة والأخرى بالتمكين للدين وتغيير المنكر باليد من شأنه أن يقمع البدع ويبيدها، يقول محمد الخضر حسين:" فمن الواجب على أهل العلم أن يحاربوها –أي البدعةَ– بما استطاعوا، وعلى القوة الحاكمة أن تشد أزرهم في تغييرها. وكثير من البدع لا تقتلع عروقها، ويطمس على آثارها إلا أن تتعاضد القوتان العلمية والتنفيذية على إماتتها".

وقد استأنس لهذا الرأي بشواهد من التاريخ، كتاريخ الأندلس الذي قام علماؤه على منبعي التفسير والحديث فكانوا في طليعة من حاربوا البدع والمحدثات،"فقد كتب فيها أبو بكر الطرطوشي، وأثخنها أبو بكر بن العربي في مؤلفاته ، وقاتلها أبو إسحاق الشاطبي في كتابي "الموافقات والاعتصام قتالا عنيفا"[4].

كما استدل لذلك بقول لأميرٍ، وآخر لسلطان العلماء العز بن عبد السلام، أما الأمير فعمر

---

[1]– محاضرات إسلامية: ص99 .

[2]– الرحلات :ص81 .

[3]– تظافر القوم، وتظاهروا بمعنى واحد، قاله الصاغاني، قال الزبيدي: وفي إضاءة الأدموس لأحمد بن عبد العزيز الفيلالي ما نصه: وقد نبه السعد في شرح العضد أن التظافر بالظاء لحن، قال: لاكني رأيت في تأليف لطيف لابن مالك فيما جاء بالوجهين أن التضافر مما يقال بالضاد وبالظاء ،ينظر: تاج العروس:ج22 ،ص479 ، ابن مالك ، جمال الدين– الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد ،تحقيق:حسين ترال، طه محسن، مطابع النعمان ،دط ، النجف–العراق،1291هـ–1972م: ص89.

[4]– محاضرات إسلامية : ص67 .

بن عبد العزيز الذي قال:" لو كان كل بدعة يميتها الله على يدي، وكل سنّة ينعشها الله على يدي، ببضعة من لحمي، حتى يأتي ذلك على آخر نفسي، كان في الله يسيراً"،وأما العز بن عبد السلام فقد أثنى على كل سلطان قامع للبدع فقال" فطوبى لمن تولى شيئاً من أمور المسلمين، فأعان على إماتة بدعة، أو إحياء سنّة"[1].

02: التفقه في الدين: لقد أتيت البدع من قبل الجهل بالدين، أما دواؤها فهو :العلم النافع والتفقه في الدين وتمحيص الأحاديث، وبيان صحيحها من سقيمها، وصالحها من باطلها، وقد مثل محمد الخضر لذلك بما رآه في بعض أسفاره وذلك حين حل إحدى البلاد فرآهم إذا بلغ حافظ القرآن سورة البقرة أحضروا بقرة ووضعوا عليها زينة من الحلي، وتتجول بها جماعة في الطرقات بالدفوف والأذكار حينها نبههم محمد الخضر إلى بدعية هذا الفعل، قال في ذلك :"فألقيت عليهم خطبة في البدع، ونصصت فيها على هذه المحدثة، فتلقاها الفضلاء وأهل العلم بالاستحسان؛ لأنهم يشعرون بسماجة هذه البدعة قبل أن أخطب"[2].

03: الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة:لا يحبذ محمد الخضر حسين أسلوب التجريح في قمع البدع بل يميل إلى المحاورة بالتي هي أحسن، ويرى أسلوب الإقناع خيرَ ما تداوى به البدع، وهذا نهج انتهجه مع كل من حاورهم ، مثل طه حسين ، أو علي عبد الرازق أو طاهر حداد .....فهو عف اللسان عف القلم ولهذا نراه يتكلم على نفسه فيقول:"لست ممن يرى استعداء العامة على أهل البدع والضلالات والأهواء، فضلًا عن استعدائهم على أنصار الحق، وأرى أن خير ما يستعدى على هؤلاء الحجَّة، والمجادلة على طريق آداب البحث"[3] ثم بين الأثر الإيجابي الذي يتركه هذا الأسلوب "ذلك أن الحجة والمجادلة على قانون المنطق هي التي تقتل آراءهم، وتستأصلها

[1]- ابن عبد السلام،عز الدين- ابن الصلاح، عمرو، مساجلة علمية بين الإمامين الجليلين ،تحقيق: الألباني- زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط02 ،بيروت،1405 هـ .:ص10.

[2]- الرحلات:ص81 .

[3]- بلاغة القرآن :ص269 .

من منابتها"[1].

هذه بعض مواقف محمد الخضر حسين في مختلف مظاهر الحياة: الفكرية والسياسية والاجتماعية، تبين منها أن محمد الخضر حمل هموم أمته وعاش قضايا عصره، وسخر قلمه وبيانه لإصلاح ما عانى منه المجتمع، وما خلَّفه الاستعمار والجهل والأعراف الخاطئة، وقد كان أسلوبه في عرض هذه القضايا يتسم بالإقناع وردِّ الحجة بالحجة ملتزما آداب البحث والمناظرة، يُعينه في ذلك ما امتاز به من نبوغٍ وبلاغةِ أسلوب.

[1]- المصدر السابق : ص269 .

الفصل الثاني:

جهود محمد الخضر حسين في التفسير

- **المبحث الأول: حركة التأليف في التفسير في العصر الحديث**
  - ✓ مفهوم التفسير والتأويل والفرق بينهما
  - ✓ التفسير والمفسرون في العصرالحديث
  - ✓ طرق التفسير وأشكاله في العصـــــــــــر الحديث
- **المبحث الثاني: موقف محمد الخضر من التفسير ورجاله ووسائله في القديم والحديث**
  - ✓ أقسام التفسير وشروط المفسر عند محمد الخضر
  - ✓ موقف محمد الخضر من قدماء المفسرين
  - ✓ المقالة التفسيرية وتوظيف وسائل الإعلام
- **المبحث الثالث:** اتجاهات التفسير ومدارسه وأعيانه في عصر محمد الخضر
  - ✓ اتجاهات التفسير في العصر الحديث ورواده
  - ✓ مدارس التفسير في العصر الحديث
  - ✓ مظاهر الموافقة والمخالفة بين محمد الخضر ومدارس التفسير الحديثة

بعد عرض الأحوال التي ميزت الفترة المتحَدَّثِ عنها في الفصل الأول تبين أن الحاجة كانت ملحة لإتمام ما بدأه المفسرون الأوائل، فقد ألف الأولون وفق الظروف التي عاشوها، وأوجدوا لزمانهم حلولا استقوها من كتاب الله عز وجل وأجوبة لأسئلة أملتها الظروف، وقد أفرزت هذه الظروف والأحوال في عصر النهضة عدة إشكالات، وظهرت على الساحة قضايا عدة، ألزمت علماء الأمة أن يبحثوا في كتاب الله وسنة رسول الله وفي ما خلَّفه السابقون من تراث علمي زاخر حتى تواكب الأمة عصرها، وتُعلم غيرها أن كتاب الله صالح ومصلح لكل زمان ومكان، كما ظهر على الساحة اتجاهات في فهم كتاب الله، منها من التزم بقواعد التفسير التي سطرها الأولون، ومنها من خرج عن تلك القواعد ، ومنها فرق اتبعت هواها، وفهمت كتاب الله دون قواعد تحكمها أو تضبطها، وسيجلي هذا الفصل حركة التفسير في هذه المرحلة، وطرق التفسير ومناهجه وبعض أقطاب المفسرين ومدارس التفسير، وسيظهر حضور محمد الخضر حسين في جزئيات هذا الفصل.

وبحكم أني تناولت منهج محمد الخضر حسين في التفسير –في مرحلة الماجستير– فإني آثرت تجاوز منهج محمد الخضر في التفسير دفعا للتكرار، وسأفصل في هذا الفصل فيما يتعلق بالتفسير متتبعا أعمال محمد الخضر حسين الكاملة، سواء تلك التي خصصها للتفسير ككتاب "أسرار التنزيل" وجزء كبير من كتابه "بلاغة القرآن"، أو ما كان له علاقة بالتفسير في باقي أبحاثه ورسائله ومحاضراته وكتبه، مبينا حركة التفسير وميزاتها في هذه المرحلة ، وأثر الأحداث –التي طفت على الساحة– في علم التفسير وطريقة عرضه، وفي تجدد الوسائل والمنابر التي استغلها المفسرون لعرض تفاسيرهم ، وكذا موقف محمد الخضر من مدارس التفسير القديمة والحديثة ، وكذا علاقته بهذه المدارس وروادها .

المبحث الأول: حركة التأليف في التفسير في العصر الحديث ، مظاهرها ومقاصدها.

نشط كثير من المفسرين لتفسير كتاب الله وكثرت المؤلفات فكان منها الطويل والمختصر والمتوسط، وكان منها ما عالج موضوعا واحدا في القرآن الكريم ، أو مصطلحا من مصطلحات القرآن الكريم وهو ما أطلق عليه التفسير الموضوعي، وكان منها ما سار على نهج الأوائل وفسر القرآن كله أو معظمه.وقبل الدخول في مضمون هذا المبحث لابد من التعريف بمصطلحات علم التفسير والتأويل والفرق بينهما.

المطلب الأول : مفهوم التفسير والتأويل والفرق بينهما

الفرع الأول: مفهوم التفسير :

أ–لغة : التفسير في اللغة: الإيضاح والتبيين. يقال: فسرت الحديث أي بينته وأَوضحته.

وأما مادة فسر: فعن ابن الأعرابي: الفسر: كشف ما غطي. وَقَال بعضهم: التَفْسير: كشف المراد عَن اللفظ الْمُشكل[1].

الفَسْرُ: البيانُ. وقد فَسَرْتُ الشئ أفسره بالكسر فسرا. والتفسير مثله. واستفسرته كذا، أي سألته أن ييسِّرَهُ لي[2].

وأما "التفسير" فإنه "التفصيل" كذا قال ابن عباس و الضحاك في قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾(الفرقان :33) . أي: تفصيلا[3].

وقيل التفسير: تفعيل من فسرت النورة إذا نضحت عليها الماء لتنحل أواخرها ، وينفصل

[1]– الأزهري، أبو منصور –تهذيب اللغة :ج 12 ص283 .

[2]– الجوهري ، أبو نصر– الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ج2 ص781 .

[3]– جامع البيان في تأويل القرآن:ج19ص269/ الجامع لأحكام القرآن:ج13ص29 .

بعضها عن بعض ، وكأن التفسير يفصل أحجزاء معنى المفسَّر بعضها من بعض ، حتى يتأتى فهمه ، والإنتفاع به ، كما أن النورة لا يتهيأ الانتفاع بها إلا بتفصيل أجزائها[1] .

ب–أما التفسير اصطلاحا :فقد عرَّفه أبو حيان في البحر المحيط بأنه: "علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك"[2].

أو هو: علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ[3].

كما عرَّفه الطاهر بن عاشور بأنه:"اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع"[4].

ج–اشتقاق كلمة التفسير :

واختلف في اشتقاقه، فقيل: من لفظ التَفْسِرة، وهو نظر الطبيب في البول لكشف العلَّة والدواءِ، واستخراج ذلك، قال الصاحبي :وأما اشتقاقه فمن "الفسر". أخبرني القطان عن المعداني عن أبيه عن معروف عن الليث عن الخليل قال: الفسر البيان، واشتقاقه من فسر الطبيب للماء

إذا نظر إليه،ويقال لذلك: "التفسرة"[5] أيضا.

---

[1]– الطوفي ، سليمان بن عبد القوي –الإكسير في علم التفسير،تحقيق:عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب، ط02 ، القاهرة، 2002 : ص28 .

[2]– أبو حيان – البحر المحيط في التفسير:ج1 ص26 .

[3]– بدر الدين الزركشي– البرهان في علوم القرآن : ج1 ص13.

[4]– ابن عاشور،محمد الطاهر– التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر ، دط، تونس،1984م :ج1 ص11 .

[5]– التفسرة: اسم للبول الذي ينظر فيه الأطباء، يستدل به على مرض البدن، وكل شيء يعرف به تفسير الشيء فهو التفسرة،

الفرع الثاني."التأويل"

لغة: آخر الأمر وعاقبته. يقال: "إلى أي شيء مآل هذا الأمر؟" أي مصيره وآخره وعقباه[1]، وكذا قالوا في قوله جل جلاله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(آل عمران :07).

أي: لا يعلم الآجال والمدد إلا الله جل ثناؤه، لأن القوم قالوا في مدة هذه الملة ما قالوه، فأعلموا أن مآل الأمر وعقباه لا يعمله إلا الله جل ثناؤه.

واشتقاق الكلمة من "المآل" وهو العاقبة والمصير، قال عبدة بن الطيب:

وِلِلأَحِبَّـــــةِ أَيَّـــــامٌ تَـــــذَكَّرُها وِلِلنَّـــوَى قبـــلَ يـــومِ البَـــيْنِ تأْوِيـــلُ[2]

وقال الأعشى:

عَلَـــى أَنَّهَـــا كَانَـــتْ تَـــأَوُّلُ حُبِّهَـــا تَـــأَوُّلُ رِبعِـــيِّ السِّـــقَابِ فَأُصْـــحِبَا[3]

يقول: إن حبها كان صغيرا في قلبه فآل إلى العظم ولم يزل ينبت حتى أصحب، فصار كالسقب الذي لم يزل يشب حتى أصحب، يعني أنه إذا استصحبته أمه صحبها[4].

ويعني بقوله: تأول حبها مصير حبها ومرجعه[5].

=

ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي ،كتاب العين ، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال: ج7 ص 248.

[1]- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية:ص145 .

[2]- البيت لعبدة بن الطيب. ينظر: المفضل الضبي - المفضليات ، تحقيق :أحمد شاكر - عبد السلام هارون ، دار المعارف، ط6 ، القاهرة، دس ط: ص136 / النعمان عبد المتعال القاضي- شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1426هـ-2005م: ص164.

[3]- ديوان الأعشى :ص 126.

[4]- ابن فارس - الصاحبي في فقه اللغة العربية: ص145.

[5]-الشنقيطي، محمد الأمين- أضواء البيان، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، دط، بيروت – لبنان ، 1415 هـ - 1995م: ج1ص313 .

وقيل اشتقاقه من الإيالة بمعنى السياسة. تقول العرب: (أُلْنا وإيل علينا) أَى سُسْنا وسِيس علينا، أَى ساسنا غيرنا، وعلى هذا يكون معنى التأويل أَن يسلِّط المؤوِّل ذهنه وفكره على تتبّع سِرِّ الكلام إلى أَن يظهر مقصودُ الكلام، ويتَّضح مراد المتكلِّم[1].

وأما " التأويل " في لفظ السلف فله معنيان:

أحدهما : تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقاربا أو مترادفا وهذا – والله أعلم – هو الذي عناه مجاهد أن العلماء يعلمون تأويله.

الثـــــاني: في لفظ السلف هو نفس المراد بالكلام فإن الكلام إن كان طلبا كان تأويله نفس الفعل المطلوب وإن كان خبرا كان تأويله نفس الشيء المخبر به.

وبين هذا المعنى والذي قبله بون؛ فإن الذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم، والكلام كالتفسير والشرح والإيضاح[2].

يستعمل القرآن الكريم "التأويل" للأمور الخفيّة الغامضة، التي يخفى ظاهرها ما ضمّ عليه باطنها، من أمور محجبة وراء هذا الظاهر[3].

يقول صاحب أضواء البيان :

اعلم أن التأويل يطلق ثلاثة إطلاقات:

الأول: هو ما ذكرنا من أنه الحقيقة التي يئول إليها الأمر، وهذا هو معناه في القرآن.

---

[1]– الفيروزآبادى، مجد الدين ،بصائر ذوي التمييز ،تحقيق : محمد علي النجار، دار إحياء التراث الإسلامي، دط، القاهرة، 1416 هـ - 1996 م : ج1ص80.

[2]– بن تيمية ، تقي الدين أبو العباس ، الإكليل في المتشابه والتأويل، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع،دط، الإسكندرية ، مصر. 2002م : ص28.

[3]– عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن ، دار الفكر العربي – القاهرة: ج2 ص399.

الثاني: يراد به التفسير والبيان، ومنه بهذا المعنى قوله – صلى الله عليه وسلم – في ابن عباس: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل"[1] ، وقول ابن جرير وغيره من العلماء، القول في تأويل قوله تعالى: كذا وكذا أي: تفسيره وبيانه. وقول عائشة الثابت في الصحيح: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي" يتأول القرآن[2] تعني يمتثله ويعمل به.

الثالث: هو معناه المتعارف في اصطلاح الأصوليين، وهو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح بدليل يدل على ذلك[3].

وحاصل تحرير مسألة التأويل عند أهل الأصول أنه لا يخلو من واحدة من ثلاث حالات بالتقسيم الصحيح:

الأولى: أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره بدليل صحيح في نفس الأمر يدل على ذلك، وهذا هو التأويل المسمى عندهم بالتأويل الصحيح، والتأويل القريب.

الحالة الثانية: أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف دليلا وليس بدليل في نفس الأمر، وهذا هو المسمى عندهم بالتأويل الفاسد، والتأويل البعيد.

الحالة الثالثة: أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لا لدليل أصلا، وهذا يسمى في اصطلاح الأصوليين لعبا.

ثم استدل الشنقيطي بما أورده صاحب مراقي السعود من معاني التأويل وأقسامه ، قال في المراقي:

---

[1]– رواه البخاري، عن ابن عباس ، باب وضع الماء عند الخلاء، رقم 143 ،

[2]– رواه البخاري – باب التسبيح وَالدعاءِ في السجود ، رقم: 817 – مسلم – باب ما يقال في الركوع وَالسجود،رقم: 484 – النسائي – باب الدعاء فِي السجود رقم : 1122 .

[3]- أضواء البيان : ص 314 وما بعدها .

حَمْـلٌ لِظَـاهِرٍ عَلَـىَ الْمَرْجُـوحِ واقْسِـمْهُ لِلْفَاسِـدِ وَالصَّـحِيحِ
صَـحِيحُهُ وَهْـوَ الْقَرِيـبُ مَـا حُمِـلْ مَـعْ قُـوَّةِ الـدَّلِيلِ عِنْـدَ الْمُسْـتَدِلْ
وَغَيْـرُهُ الفَاسِـدُ وَالبَعِيـد وَمَـا خَـلَا فَلَعِبَـا يُفِيـدُ[1]

قال شارحه :"يعني أن غير الصحيح هو ما كان فيه دليل إرادة المعنى المرجوح ضعيفا ، وهو التأويل الفاسد وهو التأويل البعيد أيضا ، أي يسمى بكل منهما، وما كان فيه الحمل على المعنى المرجوح لغير دليل في الواقع واعتقاد الحامل ، أو في اعتقاده دون الواقع فهو لعب ، لا تأويل ، كحمل بعض المبتدعة آيات من كتاب الله تعالى وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم على معان بعيدة لغير دليل ، وذلك كفر لأنه تلاعب"[2].

الفرع الثالث : الفرق بين التفسير والتأويل

اختلف العلماء في هل هناك فرق بين التفسير والتأويل أم أنهما بمعنى واحد: فذهب الفيروز أبادي إلى التفريق حيث يقول:"الفرق بين التفسير والتأويل أَن التفسير هو البحث عن سبب نزول الآية، والخوض فى بيان موضع الكلمة، من حيث اللغة. والتأويل هو التفحُّص عن أَسرار الآيات، والكلمات، وتعيين أَحد احتمالات الآية، وهذا إِنَّما يكون فى الآيات المحتملة لوجوه مختلفة، نحو: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ ﴿٢٠﴾﴾(لقمان :20) . ،وكقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ﴿٣٢﴾ ﴾(فاطر:32).

فإن هذه الآيات ونظائرها تحتمل معانى مختلفة، فإذا تعيَّن عند المؤوّل أَحدُها، وترجَّح، فيقال حينئذ: إِنَّه أَوَّل الآية[3].

[1]- الشنقيطي، عبد الله بن الحاج ابراهيم- مراقي السعود لمبتغي الرقي والصعود ، دار المنارة للنشر والتوزيع،ط2 ، جدة، المملكة العربية السعودية ، 1429هـ-2008م : ص58.

[2]- محمد فال أباه – حلي التراقي من مكنون جواهر المراقي،دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1 ، الرباط ، المغرب، 1438هـ-2017م : ج1ص 581.

[3]- بصائر ذوي التمييز : ج1ص80 .

أما الطوفي[1] فإنه يرى أن التفسير هو بيان موضوع اللفظ ، والتأويل بيان المراد به ، وقوله تعالى:﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾(الفرقان:33). من هذا القبيل ، نعم يجوز استعمال أحدهما موضع الآخر مجازا على هذا القول وهو الأظهر، إذ الأصل عدم الترادف عند من يثبته[2] .

وعلى هذا فيمكن أن يقال إن التفسير والتأويل مترادفان ، وقيل التأويل أعم[3].

التفسير: شرح ما جاء مجملا من القصص في الكتاب الكريم، وتقريب ما تدل عليه ألفاظه الغريبة، وتبيين الأمور التي أنزلت بسببها الآي.

وأما التأويل: فهو تبيين معنى المتشابه، والمتشابه: هو ما لم يقطع بفحواه من غير تردد فيه، وهو النص[4].

المطلب الثاني : التفسير والمفسرون في العصر الحديث:

أنزل الله عز وجل كتابه العزيز تبيانا لكل شيء بين فيه أصول العقائد ، وقواعد الشريعة ، وأسس السلوك ، وأرشد إلى أقوم المناهج في الفكر والعمل ، وكان من خصائص هذه الشريعة أنها صالحة لكل زمان ومكان، مجيبة عن كل ما يعرض لأتباع هذا الدين من مشكلات، "ومنذ عصر الخلفاء الراشدين واجه المسلمون مدنيات مختلفة، كان المفسرون يضطرون إزاءها إلى تجديد النظر في

[1]- سليمان بن عبد القوي نجم الدين الطوفي الصرصري، فقيه حنبلي، من العلماء. ولد بقرية طوف – أو طوفا – (من أعمال صرصر: في العراق)سنة 657 هـ- 1259 م) ودخل بغداد سنة 691 هـ ورحل إلى دمشق سنة 704 هـ وزار مصر، وجاور بالحرمين، وتوفي في بلد الخليل (بفلسطين) سنة: 716 هـ- 1316م. له "الإكسير في قواعد التفسير" ،"الرياض النواضر في الأشباه والنظائر" ، ينظر: الأعلام: ج3 ص 127 / الصفدي ، صلاح الدين- أعيان العصر وأعوان النصر ، تحقيق :علي أبو زيد وآخرين ، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت – لبنان، 1418 هـ - 1998 م: ج2 ص445.

[2]- الإكسير في علم التفسير : ص 29 .

[3]- المرجع نفسه : ص28 .

[4]- مرتضى، الزَّبيدي - تاج العروس من جواهر القاموس:ج28 ص33 .

النص القرآني لمحاولة فهمٍ يناسب الظروف الجديدة"[1]، والعصر الحديث مليء بالقضايا العقدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، تُلزم المفسر والعالِم المسلم أن يكون ملما بهذه القضايا، مجيبا عن كل تساؤل أو إشكال أو شبهة، مستعينا بما آتاه الله من معارف مؤهلة لحمل راية القرآن.

الفرع الأول: الحاجة إلى التفسير في العصر الحديث:

إن الظروف التي عاشها المسلمون أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أَلَحَّت على المفسرين وألزمتهم الشروع في تفاسير تناسب العصر ولغته وتستفيد مما أوجدته الحضارة من وسائل للتواصل مع الشعوب لإيصال كتاب الله تعالى وتفسيرِه إليها ، وقد ظهرت توجهات تدعو إلى القطيعة مع التراث التفسيري، وتنقم على المفسرين الأوائل طرائقهم في التأليف، واندفعوا إلى المدنية الغربية "اندفاع من تسحرهم المدنية الأوربية، فينظرون إلى كل ما تقع عليه أبصارهم من شؤون أوربا وعاداتها باستحسان بالغ، وإعجاب، فأسرفوا في إطرائها، وطاشت أقلامهم في تفضيلها"[2].

وقد ظهرت جماعات معتدلة تعترف للسابقين بالفضل ولا تبخسهم جهدهم ، تدعو إلى التجديد ولكنها تستفيد من القديم، وقد شرح محمد الصادق عرجون[3] مرامي أصحاب هذه النزعة ذات التوجه الوسطي :"ومن ثم كان واجبا علينا أن نتبين واقعنا الدراسي في تفسير القرآن العظيم ، وكان واجبا علينا أن نزن الواقع بميزان الكفاية في تحقيق حاجة المسلمين في واقعهم إلى فهم القرآن

[1]- محمد إبراهيم شريف- اتجاهات التجديد في تفسير القرآن، دار السلام ،ط 1 ، مصر، 1429هـ-2008م،: ص145.

[2]- محمد الخضر حسين – محاضرات اسلامية : 202 .

[3]- ولد محمد الصادق بن إبراهيم عرجون سنة:"1321هـ - 1903م " في أدفو بمحافظة أسوان، وتخرج من الأزهر على نظامه القديم، وحصل على شهادة العالمية النظامية في عام 1929 عين مدرسا بمعاهد الأزهر الشريف عمل أستاذا بالجامعات الإسلامية في الكويت والمدينة المنورة، وقد اشتهر بغزارة علمه واتساق آفاق بحثه تتلمذ على أيدي الشيخ الخضر حسين والجبالي وله مؤلفات عديدة قيمة، منها: نحو منهج لتفسير القرآن ، القرآن العظيم: هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين ،عظمة محمد صلّى الله عليه وسلّم في رسالته... توفي سنة :1400 هـ-1980 م. ينظر ترجمته : محمد خير، رمضان -تتمة الأعلام، دار ابن حزم،ط2 ، بيروت ،1422هـ: ج2 ص167.

فهما يقيم دعائم الحجة النيرة على مقاصد هذا الكتاب الحكيم"[1].

ثم أشار إلى المحاور العامة والقضايا الكبرى التي عالجها القرآن الكريم فقال:" فيما جاء به من أصول العقيدة ، والتعبد والتربية والسلوك ، والنظم الاجتماعية ، والأوضاع الاقتصادية ، والطرائق الحكمية ، إلى سائر المعاني والأفكار التي استهدفها القرآن في آياته البينات ، وواقعيته في الاستجابة إلى دعاوي الخير ودوافع الاصلاح"[2] .

وهذا المنهج انتهجه المفسرون من قبل وأثنوا على من قبلهم وصرحوا بمحاولة إيفاء حاجة زمانهم وعصرهم، فهذا أبو محمد البغوي يقول في مقدمة تفسيره :"واقتداء بالماضين من السلف في تدوين العلم إبقاء على الخلف وليس على ما فعلوه مزيد، ولكن لا بد في كل زمان من تجديد ما طال به العهد، وقصر للطالبين فيه الجد والجهد، تنبيها للمتوقفين وتحريضا للمتثبطين"[3] .

والمتابع لمقدمات التفاسير في كل عصر يتبين له ما كان يتطلبه كل عصر من لغة تناسب ذلك العصر، وأسلوبٍ يتماشى مع أهله؛ بحيث يصوغ المفسر على وفقها تفسيره في قالب يَلقى له قبولا عند الجماهير، وهذا يسهل على الناس تدبر كتاب الله من جهة ،كما أنه يقوي ما استقر في عقائد الناس أن القرآن ميسر لكل من أراد أن يعقل أو يدَّكِر، وأنه "كتاب الزمن كله ، وكتاب الإنسانية كلها ، وكتاب الحقيقة كلها"[4].

يضاف إلى ذلك تقاصر الهمم عن مطالعة وقراءة المطولات من التفاسير فضلا عن اللغة التي كتبت بها بعض تفاسير السلف، فكان لا بد من التزام الاختصار، ولقد بين أحمد مصطفى

[1]- الصادق عرجون – نحو منهج لتفسير القرآن، الدار السعودية للنشر،ط03 ، جدة ،1399هـ-1979م :ص08 .

[2]- المرجع نفسه : ص08 ،09 .

[3]- أبو محمد البغوي – معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت،ط01 ، 1420 هـ: ج1 ص47 .

[4]- يوسف القرضاوي ، كيف نتعامل مع القرآن العظيم ، ص 63 .

المراغي[1]- في مقدمة تفسيره- المنطلق الذي انطلق منه لتفسير كتاب الله والأسلوب التي اعتمده في ذلك وحاجة العصر إلى تفسير في المتناول :" رأينا أن الأساليب التي كتبت بها كتب التفسير وضعت في عهود سحيقة بأساليب تناسب أهل العصور التي أُلِّفت فيها ويسهل عليهم فهمها، وأن جمهرتهم أوجزوا في القول وعدّوا ذلك مفخرة لهم"[2].

ثم عرض لحاجة العصر الحديث التي هي كحاجة أي عصر من العصور الماضية ، وأن لكل زمان لغتَه وأهلَه "ولما كان لكل عصر طابع خاص يمتاز به عن غيره في آداب أهله وأخلاقهم وعاداتهم وطرائق تفكيرهم- وجب على الباحثين في هذا العصر مجاراة أهله في كل ما نقدّم، فكان لزاما علينا أن نتلمس لونا من التفسير لكتاب الله بأسلوب عصرنا، موافقا لأمزجة أهله"[3].

وهذا النوع من أهل التفسير كانوا يرون للأوائل فضلهم ويبنون تفاسيرهم على ما شاده السابقون حتى رأينا من المعاصرين من يقول:"ولست أزعم أن ما جاء في هذا الكتاب هو من جهدي الشخصي فحسب ، بل هو خلاصة لآراء مشاهير المفسرين في القديم والحديث ، ونتاج لأدمغة جبارة من فطاحل العلماء ، وجهابذة المفسرين "[4] ،ثم ينحو منحى المتواضع الذي لا يرى لنفسه أي مزية أو فضل سوى أنه جمع ما تفرق ونظم ما كان ممزعا في كتب الأوائل، فلهم السبق والفضل :" وما مثلي إلا كمثل إنسان رأى جواهر ولآلئ ودررا ثمينة مبعثرة هنا وهناك، فجمعها ونظمها في عقد واحد، أو كمثل شخص دخل حديقة غناء فيها أحاسن الأثمار والورود والأزهار

---

[1]- أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري، من العلماء. تخرج بدار العلوم سنة 1909 ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها. وولي نظارة بعض المدارس. وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم. وتوفي بالقاهرة سنة 1371هـ/ 1952م. له كتب، منها (الحسبة في الإسلام – ط) رسالة، و (الوجيز في أصول الفقه – ط) مجلدان، و (تفسير المراغي – ط) ثمانية مجلدات، و (علوم البلاغة – ط) ، الأعلام ، ج1 ، 258 ، عادل نويهض ، معجم المفسرين ،ج1 ، ص80 .

[2]- أحمد بن مصطفى المراغي – تفسير المراغي ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط1، مصر، 1365 هـ - 1946 م : ج1 ص17.

[3]- المرجع نفسه : ج1 ص17 .

[4]- الصابوني، محمد علي – روائع البيان تفسير آيات الأحكام ، مكتبة الغزالي، ط03 ، دمشق ، 1400 هـ - 1980 م :ج01 ص12.

ما يدهش الأبصار ، فامتدت يده برفق إليها، فجعلها في باقة واحدة، ووضعها في كأس فكانت بهجة للقلب وفتنة للعين"[1].

الفرع الثاني: أنماط التأليف في التفسير في العصر الحديث:

تنوعت مقاصد المؤلفين في التفسير ولم تخرج عما ذكره الثعلبي في مقدمة تفسيره وهي: "استنباط شيء إن كان مقفلا، أو جمعه إن كان متفرّقا، أو شرحه إن كان غامضا، أو حسن نظم تأليفه، أو إسقاط شيء وتطويل"[2].

وفصل فيها ابن خلدون في مقدمته بقوله :"ثمّ إنّ الناس حصروا مقاصد التأليف الّتي ينبغي اعتمادها وإلغاء ما سواها، فعدّوها سبعة"[3]. وقد نظم هذه السبعة بعضهم بقوله:

أَلَا فـــــاعْلَمَنْ أنَّ التـــــآليفَ لِكُلِّ لَبِيبٍ فِي النَّصِيحَةِ خَالِصُ
فشرح لإغلاق وتصحيح مخطئ وإبداع حبر مقدم غير ناكــص
وترتيب منثور وجمع مفـــــرق وتقصير تطويل وتتميم ناقص[4]

وقد ذكر حاجي خليفة أنماط التأليف في التفسير وغيره وأقسام التدوين وأصناف المدونات فتنوعت بين الإختصار والطول والتوسط وهي كالآتي:

1- مختصرات: تُجْعل تذكرة لرؤوس المسائل، ينتفع بها المنتهي للاستحضار، وربما أفادت بعض المبتدئين الأذكياء، لسرعة هجومهم على المعاني من العبارات الدقيقة.

---

[1]- المرجع نفسه : ج01 ص12.

[2]- الثعلبي ،أحمد بن إبراهيم- الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، دار التفسير، ط1، جدة - المملكة العربية السعودية، 1436 هـ - 2015 م:ج2 ص17.

[3]- ينظر تفصيل هذه السبعة :عبد الرحمن بن خلدون - ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر،ط02 ،بيروت ، 1408 هـ - 1988 م:ج1 ص733.

[4]- أبو العباس المقري التلمساني - أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ،تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، دط، القاهرة، 1358 هـ - 1939م: ج3 ص35.

2- مبسوطات: تقابل المختصر، وهذه ينتفع بها للمطالعة.

3- متوسطات: وهذه نفعها عام[1].

1 : المختصرات:

أ: معنى الاختصار: في اللسان: الاختصار في الكلام: أن يدع الفضول ويستوجز الذي يأتي على المعنى، وكذلك الاختصار في الطريق[2].

ب: الْفرق بَين الِاخْتِصَار والإيجاز

-الاختصار هو إلقاؤك فضول الألفاظ من الكلام المؤلف من غير إخلال بمعانية ،أمّا الإيجاز هو أن يبنى الكلام على قلة اللفظ وكثرة المعاني يقال أوجز الرجل في كلامه إذا جعله على هذا السبيل واختصر كلامه أو كلام غيره إذا قصره بعد إطالة[3].

لقد تنوعت التآليف-في هذه المرحلة – وأخذت التفاسير أشكالا وأنماطا مختلفة فمنها المختصر شديد الاختصار، ومنها المختصر ، ومنها المتوسط، ومنها المطولات، وهذا لا يختلف عما درج عليه المفسرون في القديم، غير أن لتقسيم التفاسير -طولا واختصارا – ميزانا يُرجع إليه وضابطا أشار إليه أبو حامد الغزالي:" ما من علم إلا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء، ونحن نشير إليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها"[4]، ثم ذكر الميزان الذي نصنف به الكتب اختصارا أو إطالة فقال :"فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه علي الواحدي النيسابوري وهو الوجيز ، والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط

[1]- حاجي خليفة -كشف الظنون:ج01 ص38 .

[2]- الزَّبيدي، مرتضى - تاج العروس :ج11 ص173.

[3]- أبو هلال العسكري - الفروق اللغوية:ج1،ص40 .

[4]- الغزالي - إحياء علوم الدين:ج1 ص40 .

فيه ، وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له إلى انتهاء العمر"[1].

وهذا الاستقصاء هو الذي دفع محمد الخضر حسينا إلى الإلقاء باللَّائمة على بعض المفسرين الذين يخرجون عن ميدان التفسير إلى الإسهاب في مباحث لا صلة لها بالتفسير ويخرجون بهذه المباحث التي هي جوهر القرآن الكريم وهدايته ، فبعد أن ذكر هدايات القرآن التي من ضمنها:

01-هداية البشر إلى سبل السعادة في الحياتين الدنيا والآخرة.

02-ودلالته على صدق الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيما ادعاه من الرسالة[2].

حينها ذكر المسلك الخاطيء الذي انتهجه بعض المتكلمين في موضوع التفسير فقال:" وتجاوز قوم حدود هذين الهدفين، وأطلقوا لأقلامهم العنان، فاستطردوا في التفسير مباحث لا يتوقف عليها فهم القرآن من حيث إنه هداية، أو مباحث لا يحتاج إليها في تقرير وجه من وجوه إعجازه، وإنما هي مسائل ترجع إلى علوم أخرى مستقلة بنفسها"[3].

لهذا كان لابد من تفاسير تنحو نحو الاختصار غير المخل، فكان منها مختصرات اكتفت بشرح مفردات القرآن الكريم شرحا مباشرا ؛دون الإشارة إلى قائليها، ودون ذكر أسباب النزول أو المناسبات.

ج:نماذج من التفاسير المختصرة:

ومن أمثلة التفاسير المختصرة –في هذه المرحلة كتاب : "كلمات القرآن تفسير وبيان" ، تأليف حسنين محمد مخلوف[4]،حيث اقتصر صاحبه على تفسير ألفاظ القرآن تفسيرا مختصرا وجيزا ،

---

[1]- المرجع نفسه :ج1 ص40 .

[2]- محمد الخضر حسين – بلاغة القرآن :ص28 .

[3]- المصدر نفسه:ص28 .

[4]- محمد حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية. ولد سنة :1308هـ – 1890م ،حصل على الشهادة العالمية من الأزهر عام 1914 م. عمل في التدريس بالأزهر،ثم عُيِّن قاضياً بالمحاكم الشرعية، ثم أصبح رئيساً لمحكمة الإسكندرية في أواخرعام 1941 م.عُيِّن مفتياً للديار المصرية عام 1945 م. من مؤلفاته: أسماء الله الحسنى والآيات الكريمة الواردة فيها- أضواء من القرآن

ولم يفسر الحروف المقطعة اكتفاءً بالقول بأنها من أسرار التنزيل وأن الله أعلم بمراده ، وقد ذكر في مقدمته طريقته في تأليفه فقال: "وضعت فيه الكلمات على ترتيب الآيات في السور ، وعن يمين كل كلمة رقم آيتها ، وعن يسارها ، تفسيرها في دقة وإيجاز ، مع سهولة ووضوح "[1].

ثم أبدى الغاية والمقصد الذي دفعه إلى سلوك هذا النوع من الاختصار :"ليكون رفيقا للمقيم، وزادا للمسافر ، خفيف المحمل ، سهل المأخذ ، داني القطوف ، يسارع إليه التالي والسامع فيسعفه بطِلبته ، ويعينه على بلوغ غايته ، دون تجشم وعناء "[2].

-تفسير السعدي[3] :يقع تفسيره " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" في سبعة مجلدات وقد فرغ من تأليفه سنة 1344هـ ، وهذا التفسير وهو وإن كان شاملا لآيات القرآن الكريم كلها إلا أنه ليس من التفاسير المطولة "[4]، بل هو أقرب إلى التفاسير المختصرة منه إلى التفاسير المطوَّلة[5].

وقد تحدث السعدي عن التفاسير السابقة وأشكالها من حيث الطول والقصر فقال:" وقد كثرت تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله، فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن

=

الكريم في فضل الطاعات وثمراتها- جزء عم وبهامشه كلمات القرآن: تفسير وبيان- تفسير سورة يس ، توفي في 1410 هـ-1990 م ينظر:الأعلام:ج06 ص96 / تكملة معجم المؤلفين :ص154 وما بعدها.

[1]- مخلوف ، محمد حسنين -كلمات القرآن تفسير وبيان ، دار ابن حزم للطباعة والنشر ، ط8 ، بيروت، 1418هـ-1997م : ص05.

[2]- المرجع السابق: ص05 .

[3]-عبد الرحمن بن ناصر السعدي، النجدي مفسر، محدث، فقيه، اصولي، متكلم واعظ. ولد في عنيزة القصيم بنجد سنة : 1307هـ-1889م، من مؤلفاته: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن في ثماني مجلدات، تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن، القواعد الحسان في تفسير القرآن، توفي في 1376 هـ الموافق ل1957 م. ينظر: معجم المؤلفين ج13ص396-397 .

[4]- الرومي، فهد - اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر،مؤسسة الرسالة،ط03،بيروت، 1418هـ-1997م :ج1 ص150 .

[5]- فضل حسن عبَّاس - التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته دار النفائس للنشر والتوزيع،ط01، الأردن، 1437 هـ - 2016 م :ج2 ص589.

مقصر، يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية بقطع النظر عن المراد ،كان الذي ينبغي في ذلك أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه"[1].

ثم بين غرضه من تأليف تفسيره، والإضافة التي زادها للتفسير والأسلوب السهل الذي ارتضاه لكتابة تفسيره :" ولما مَنَّ الباري علي وعلى إخواني بالاشتغال بكتابه العزيز، بحسب الحال اللائقة بنا ، أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسر، وما مَنَّ به الله علينا، ليكون تذكرة للمحصلين، وآلة للمستبصرين، ومعونة للسالكين، ولأقيده خوف الضياع، ولم يكن قصدي في ذلك إلا أن يكون المعنى هو المقصود "[2].

د:موقع تفسير محمد الخضر حسين من هذا التقسيم:

لقد كان تفسير محمد الخضر حسين وسطا بين الطول والقصر، والمتتبع لتراث الشيخ في التفسير يدرك ذلك ، فقد جمع معظم ما ألفه في التفسير في كتاب:" أسرار التنزيل تفسير آيات قرآنية "وقد ابتدأه منذ تأسيس مجلة لواء الإسلام ،وبقلمه البليغ بدأ نشر التفسير الذي وضعه في مجلة "لواء الإسلام"، التي كانت تصدر بالقاهرة، وكان رئيساً لتحريرها، بدءاً من العدد الأول الصادر بتاريخ الأول من شهر رمضان المبارك لعام 1366 هـ الموافق التاسع عشر من شهر يوليو 1947.

واستمر في هذا العمل الجليل، حتى أثقلته السنون، وقد قارب عمره الثمانين عاماً–أي مدة عشر سنين–وتحت وطأة الشيخوخة، توقف عن متابعة هذا الجهد الرائع، والإنتاج الفكري العظيم، وكانت آخر الصفحات من التفسير هي تلك التي نشرها في العدد الثاني عشر من السنة الرابعة لمجلة

[1]– عبد الرحمن السعدي – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1 ، 1420هـ –2000 م:ص29 30.

[2]– المرجع السابق :ص30 .

"لواء الإسلام"، والصادر في شهر شعبان لعام 1370 هـ الموافق شهر مايو أيار لعام 1951 م[1].

ومن جملة الآيات التي فسرها، سورة الفاتحة، والآيات من 1إلى 193 من سورة البقرة ، ومن آل عمران فسر الآيات 52-53-159 ، ومن سورة الأنفال الآيات :24-26 ،وأربع آيات من سورة يونس 62-65 ،والآيتان 27-28 من سورة الحج ، وكذا تفسير خمس آيات من سورة: "ص" من الآية 21-25 .

يضاف إلى ذلك كثير من المقالات التي كتبها ودونها في ثنايا الكتب، ومعظمها ذات طابع تفسيري، وهذه شهادة فضل عباس لطابع التفسير عند محمد الخضر : "ليس الشيخ-محمد الخضر حسين- من هؤلاء، الذين يريدون أن يحولوا بين الناس وبين إرادة الفهم لكتاب الله، فيضع الحواجز والعراقيل، وليس من أولئك الذين يريدون أن يجعلوا من تفسير القرآن، متنًا يركبه كل واحد دون خبرة، كما أنه لا يرضى عن الذين يريدون التوسع في تأويل آيات القرآن، لتوافق ما يستجد من نظريات العلم، وإنما يقف الشيخ وقفة المعتدل المتبصر، فألفاظ القرآن ومعانيه يمكن أن يفسرها من يملك العُدّة لذلك"[2].

ولقد سار محمد الخضر حسين في تفسيره على منهج يمكن إجماله بمايلي:

1.أنه كتب بلغة عالية جزلة واضحة؛ ولا غرو في ذلك؛فالمؤلف من أرباب البيان وأمرائه.

2.أنه سار في مسائل العقيدة عموما على منهج التفويض فقلما يجنح إلى التأويل.

3.أن كتاباته في التفسير وخاصة –أسرار التنزيل- حافل بالعلم الغزير، والفوائد الجمة، واللفتات البارعة ، والاستنباطات الرائعة، والنكت البديعة، والإشارات التربوية والإصلاحية.

4.أن المؤلف حرص على ربط تفسيره بواقعه الذي يعيش فيه؛ فلذا تراه يتعرض لهدايات

[1]- ينظر مقدمة أسرار التنزيل : ص03 .

[2]- التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته : ج2 ص 746 .

الآيات، وعلاجها لكثير من مشكلات العصر.

5.أنه كان يميل إلى الإيجاز، والبعد عن الحشو والتطويل في إيراد الأقوال.

6.أنه كان يعنى بتحليل الألفاظ وشرحها دون تطويل.

7.التعرض لبعض آيات الأحكام بشيء من التفصيل ونسبة الأقوال إلى أصحابها.

8. العناية باللغة العربية وعلومها من بلاغة ونحو وصرف واشتقاق....[1]

ومع أن الاختصار له فوائده وآثاره في طلبة العلم، وذلك حينما تضعف الهمم، فإن هناك نوعا من الاختصار ينحو إلى الاستغلاق ويعد عيبا في التأليف، حيث يجد طالب العلم مشقة في حل غوامضه ومشكله وقد وضح هذا محمد الخضر بقوله :" ومما رمى الأفكار في خمول، ووقف بها حقبة عن الخوض في عباب العلوم إلى أمد بعيد، هذه المختصرات التي يقضي الطالب في فتح مغلقها،وحل عقدها قطعة من حياته، جديرة بأن تصرف في اكتساب مسائل هي من صميم العلم"[2].

وهو المعنى ذاته الذي أشار إليه ابن باديس إذ وصف تبرمه بأساليب المفسرين وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية، وإصطلاحاتهم المذهبية، في كلام الله، وشكى هذه الحالة إلى أحد شيوخه بتونس فقال :"ذاكرت يومًا الشيخ النخلي فيما أجده في نفسي من التبرم والقلق فقال لي: "اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة وهذه الآراء المضطربة، يسقط الساقط، ويبقى الصحيح، وتستريح، فوالله لقد فتح بهذه الكلمة عن ذهني آفاقًا واسعة لا عهد لي بها"[3].

[1]- محمد بن إبراهيم الحمد – الشيخ محمد الخضر حسين سيرته ومؤلفاته ، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع ،ط01، السعودية- الرياض، 1435هـ-2014م:ص90- 91 باختصار.

[2]- محمد الخضر – رسائل الإصلاح : ص164 .

[3]- آثار ابن باديس : ج1 ص78 .

02:الموسوعات والمطولات:

أ .مفهوم الموسوعات :

–لغة : (و س ع: (وسعه) الشيء بالكسر يسعه "سعة" بالفتح، و "الوسع" و "السعة" بالفتح: الجِدَة والطاقة:ومنه قوله تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾(الطلاق: 7) ،أي على قدر سعته. و(أوسع) الرجل صار ذا سعة وغنى. ومنه قوله – تعالى –: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾ (الذاريات: 47) ، أي أغنياء قادرون، ويقال: (أوسع) الله عليك أي أغناك. و (التوسيع) خلاف التضييق تقول: (وسع) الشيء (فاتسع) . و (استوسع) أي صار (واسعا) . و (توسعوا) في المجلس تفسحوا[1].

اصطلاحا: (الموسوعة) عمل يضم مَعْلُومَات عَن مُخْتَلف ميادين الْمعرفَة أَو عَن ميدان خَاص مِنْهَا[2].

لقد امتازت هذه المرحلة بظهور الكثير من التفاسير التي سلكت مسلك الطول ، وصبغت بطابع الموسوعية ،وقد اختلفت أشكال ومضامين التفسير في العصر الحديث" فمنها ماهو أصيل أبدع فيه صاحبه ، ومنها ما هو تكرار لما قيل في التفاسير السابقة ، ومنها ما لم يضف إلى عالم التفسير شيئا يكاد يظهر"[3].

وتكاد تكون جل التفاسير التي أُلِّفت في هذه المرحلة تفاسيرَ ذات طابع موسوعي ، كتفسير القرآن الحكيم لرشيد رضا، وتفسير الطاهر بن عاشور، وتفسير محمد أبي زهرة المسمى زهرة التفاسير، والتفاسير التي ألفها محمد بن يوسف إطفيش"داعى العمل ليوم الأمل"، و "همیان الزاد إلى

[1]– الجوهري – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:ج3 ص1298.

[2]– مجمع اللغة العربية بالقاهرة– المعجم الوسيط، ج1 ، ص302.

[3]– الخالدي ،صلاح عبد الفتاح – تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، ط03،دمشق، 1429هـ–2008م: ص565 .

دار المعاد"، و "تيسير التفسير"، وهو مختصر من السابق.

المطلب الثالث :طرق ووسائل عرض التفسير وأشكالُه في العصر الحديث

تعددت طرق عرض التفسير وتلقي السامعين لها فكان منها طرق أشبه بطرائق السلف والأقدمين و كان منها طرائق أخرى ساعد في انتشارها ظهور وسائل جديدة استغلها أهل الفكر والعلم لإيصال علومهم —ومنها علم التفسير– إلى مختلف الطبقات والمستويات العلمية والثقافية ويمكن إجمال هذه الطرق في مايلي:

الفرع الأول:طريقة الإلقاء والسماع

أنزل الله كتابه العزيز على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأوكل إليه مهمة بيانه، وتوضيح ما أشكل على الناس فهمُه، وقد يكون هذا التوضيح جوابا عن سؤال سأله سائل ، أو يكون وحيا أوحاه الله عز وجل إلى نبيه، وكانت الطريقة المنتهجة لذلك هي الإلقاء من رسول الله والسماع من المؤمنين، وهكذا الأمر بالنسبة لعصر الصحابة ومن بعدهم.

ولما ظهرت مرحلة التأليف والتدوين بقيت طريقة الإلقاء من المفسر سارية جارية، والسامعون بين معتمد على ذاكرته يُدَون ما ألقاه المفسِّر ، وبين مُدَوِّن ومقيد لما يسمعه أو يلقيه الشيخ ، "وتمتاز هذه الوسيلة بأنها من أقوى وسائل الإقناع وأشدها تأثيرا ، فالمتلقي غالبا ما يصغي إلى ما يقوله المتكلم "[1]، وقد وفق الله عز وجل كثيرا من المفسرين إلى إملاء مادة التفسير على من يحضرون مجلسه، ولما كان الموضوع يقتضي الكلام حول الفترة التي عاصرها محمد الخضر حسين فإن هذه الطريقة كانت واسعة الانتشار، حيث نراها مادة علمية مقررة في الجامعات الكبرى ، جامع الزيتونة والجامع الأزهر وجامع القرويين .

[1]– سمير بن جميل راضي – الإعلام الإسلامي رسالة وهدف ، رابطة العالم الإسلامي ، دط، جدة ، السعودية ، 1417هـ : ص50.

وقد ذكر محمد الخضر أن مادة التفسير كانت مقررة في المسجدين ، الزيتونة والأزهر ؛ ففي معرض الحديث عن مقررات العلوم التي تدرس بجامع الزيتونة يذكر مايلي :" يعين القانون لقراءة التفسير: "الجلالين"، و"أسرار التنزيل" للقاضي البيضاوي"[1].

ثم يخبر أن هذه المقررات هي نفسها التي تدرس بالأزهر" ومن هنا يستبين الناظر أن الأزهر وجامع الزيتونة يتحدان في أغلب ما يدرس من الكتب، إذن، فالثقافة في المعهدين واحدة، أو متقاربة"[2].

وقد اصطلح بعضهم على تسمية هذا النوع من التفسير –والذي يعتمد على الإلقاء والإصغاء– التفسير الشفهي[3] ويرجع أصل التفسير إلى مادة شافهه والتي عرفها أهل اللغة بقولهم: "وشافهه: أدنى شفته من شفته" قال الجوهري: المشافهة المخاطبة من فيك إلى فيه[4]، يقال: شافهته مشافهة وشفاها، أي خاطبته بشفتي وواجهته بخطابي[5]، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ «أَقْرَأَنيها رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاهُ إِلَى فِيَّ» أَيْ مُشافَهة وتَلْقِيناً[6].

ومن المعنى اللغوي يمكن أن نستنتج التعريف الاصطلاحي بأنه :"المخاطبة من المفسر إلى المتلقين المستمعين مباشرة "[7].

---

[1]– محمد الخضر حسين – تونس وجامع الزيتونة:ص 34 .

[2]– المصدر نفسه : ص 34 .

[3]– نسبة إلى الشفة ،وإذا نسبت إليها فأنت بالخيار إن شئت تركتها على حالها وقلت شفي مثال دمي ويدي وعدي، وإن شئت شفهي. ولهذا قالوا: الحروف الشفهية، ولم يقولوا الشفوية ،الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة شفه ، ج6 ،ص2237 . تاج العروس :ج36 ص415 .

[4]– تاج العروس : ج36 ص 416 .

[5]– أَبُو محمد ابن المرزبان، تصحيح الفصيح وشرحه ، تحقيق: محمد بدوي المختون ،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، دط، القاهرة، 1419هـ – 1998م: ص433.

[6]– ابن الأثير، مجد الدين – النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، دط ، بيروت، 1399هـ – 1979م: ج3 ص481.

[7]– نادية وزناجي – أطروحة دكتوراه بعنوان :"التفسير الشفاهي وأثره في الإصلاح الحديث" ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ،

وهذا النوع من التفسير يكثر في:

أ- المساجد

ب- الجامعات ومراكز التعليم

ت- المحاضرات

ث- النوادي

ج- المسامرات والمناظرات العلمية والمذاكرة

وظيفة السامعين – في هذا النوع – "كتابة ما يُملى عليهم كلّه أو خلاصته، وكانت المحابر والأقلام والأوراق هي الأدوات اللازمة لروّاد مجالس العلم إلّا في مقامات مقابلة الأصول وضبطها، فهنا لا بدّ من إحضار النسخ الكاملة من الكتب"[1].

الفرع الثاني: اهتمام العلماء بالتفسير الشفهي:

لقد أعطى العلماء اهتماما كبيرا لهذه الطريقة وكانت وسيلة لإيصال تفسير كتاب الله لأكبر عدد، خاصة وأن ذلك كان يتم عبر المساجد والمنتديات التي يرتادها العامة، وإنما ظهرت عناية العلماء بالتفسير المسموع لأن " الكلام المسموع يؤثر في النفس أكثر مما يؤثر الكلام المقروء؛ لأن نظر المتكلم وحركاته وإشاراته ولهجته في الكلام – كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه، وأيضا يمَكِّن السامع من أن يسأل المتكلم عما يخفى عليه من كلامه فإذا كان مكتوبا فمن يسأل؟ إن السامع يفهم 80 في المائة من مراد المتكلم، والقارئ لكلامه يفهم منه 20 في المائة على ما أراد الكاتب"[2].

=

1428هـ-1429هـ/2007-2008: ص 04.

[1]- عبد الحميد محمد بن باديس – آثار ابن باديس :تحقيق : عمار طالبي ،دار ومكتبة الشركة الجزائرية ، ط1،الجزائر، 1388 هـ - 1968 م : ج2 ص101.

[2]- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) :ج1 ص13 .

لقد كان لرجال الإصلاح في هذه الفترة رغبة بالاحتكاك بالجماهير ، وقد لا يتاح لهم الاستقرار في مكان واحد ، لذا كانوا يعقدون مجالس للتفسير كلما وجدوا فرصة للقاء العامة، فهذا محمد عبده لما حل ببيروت "عقد مجلسا للتفسير ، ثلاث ليال في الأسبوع ، لا يتبع فيه الطريقة الملتزمة يومئذ من الاعتماد على كتاب يقرر كلامه ويدور البحث على مسائله وعباراته، ولكنه كان يقرأ الآية من القرآن، ويفيض في شرح معانيها ، واستخراج أسرار حكمتها ، ويلتفت على نور تلك الحكمة القرآنية إلى أحوال المسلمين وأوضاعهم مبينا فسادها بالمقارنة ، ومستمدا من الهدى القرآني ما يوضح ضررها ، ويشير إلى ما يدفع خطرها "[1].

و لما استقر بمصر "عاود درس تفسير القرآن العظيم بالجامع الأزهر أوائل سنة 1317هـ فاستمر على ذلك الدرس ست سنين بطريقته العجيبة، وكان تلميذه السيد محمد رشيد رضا يلخص تلك الدروس ، وينشرها في مجلته الإسلامية الكبرى : مجلة المنار"[2].

لقد كان الإقبال على تفسير كتاب الله من طرف محمد عبده بعد إلحاح وإصرار من تلميذه محمد رشيد رضا ، فقد كان محمد عبده رافضا للفكرة بحجة أنه لا توجد النفوس المهيأة لقبول ما كان يراه من هدايات للقرآن والتي هي جديدة على عقول وأفهام الناس يقول رشيد رضا :" ولم أزل به–أي محمد عبده – حتى أقنعته بقراءة التفسير في الأزهر فاقتنع وبدأ بالدرس بعد ثلاثة أشهر ونصف أي في غرة المحرم سنة 1317 هـ وانتهى منه في منتصف المحرم سنة 1323 هـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطَۢا ١٢٦﴾ النساء (126)، فقرأ زهاء خمسة أجزاء في ست سنين"[3].

[1]– الفاضل بن عاشور – التفسير ورجاله : ص165 .

[2]– المرجع نفسه : ص166 .

[3]– رشيد رضا، محمد – تفسير القرآن الحكيم : ج1 ص13 .

الفرع الثالث – اهتمام محمد الخضر حسين بالتفسير الشفهي:

أما محمد الخضر حسين فالمتتبع لحياته العلمية ومجالسه يرى اهتمامه بالتفسير الشفهي، فمنذ وجوده بتونس عكف على تدريس مادة التفسير في مساجدها، والنوادي التي يلتقي فيها العلماء والعامة، يقول في هذا الشأن :" وأذكر أنه طلب مني بعض الطلبة أن أقرأ لهم "تفسير البيضاوي" في جامع (حمودة باشا)، فأجبت رغبتهم، وقرأت منه دروساً"[1].

وفي كتابه الرحلات[2]" وهو كتاب لخص فيه رحلاته بوصف وجيز للمسالك والمعالم، واهتم فيه بذكر العلماء والأدباء وما كان له معهم من المحاورات ، وما عَنَّ له من الملاحظات والأفكار"[3]، وقد دون فيه جملة من المسامرات والمناظرات والدروس التي ألقاها في هذه الرحلات والتي كان غالبها يتعلق بتفسير كتاب الله ، ومن جملة ما ذكره في هذه الرحلة، رحلتُه إلى الجزائر وزيارته لكثير من مدنها كسوق اهراس ، العين البيضاء ، وتبسة ، وقسنطينة ، والجزائر العاصمة ، وذكر حضوره بقسنطينة لمجلس حمدان بن الونيسي فإذا هو يقرئ في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴿١٠٦﴾﴾، (البقرة :106) بتفسير الخازن.

ثم عرض محمد الخضر لما طُرح عليه – أي على محمد الخضر– من أسئلة تتعلق بالتفسير قال: "وبعد أن تم الدرس، تقدم إلينا بعض الطلبة الذين سبقت لهم بنا معرفة مسترشداً عن مسائل، منها: كيف يجمع بين قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴿٢٥﴾﴾ (الأنفال: 25). وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿١٦٤﴾﴾(الأنعام:164)؟ ، فكان الجواب: أن الله لا يؤاخذ أحداً بزلة أحد، وإنما يستحق العقوبة صاحب الذنب، إلا أن الله فرض على كل مسلم رأى منكراً أن يغيره، فإذا لم يفعل ما استطاع من تغييره، وسكت، كان

[1]– محمد الخضرحسين ، بلاغة القرآن ، ص71 .

[2]– ذكر محمد الفاضل بن عاشور أن فن الرحلات امتاز فيه من تونس ثلاثة كتاب هم : "محمد بن الخوجة" و"محمد الخضر حسين" ، و"علي الورداني" ، ينظر :محمد الفاضل بن عاشور – الحركة الأدبية والفكرية في تونس :ص107 .

[3]– المرجع نفسه :ص108 .

عاصياً، فينخرط مع صاحب الذنب في العقوبة، أحدهما بفعله، والآخر برضاه[1]، واستدل لها بقوله تعالى: ﴿ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ ﴿٧٩﴾ ﴾(المائدة:79).

فالفتنة في الواقع لا تصيب إلا صاحب الذنب، كما قال عمر – رضي الله عنه –: إن الله لا يعذب العامة بذنب الخاصة، ولكن إذا عملوا المنكر جهاراً، استحقوا العقوبة[2].

كما ذكر في رحلاته، رحلته إلى مصر ودخوله المسجد الأزهر، وما صاحب ذلك من اقتراح اقترحه عليه طلبة العلم، بل إلحاح ألحوا به عليه وهو إلقاء درس في التفسير :" والغرض إنما هو المحافظة على سنّة الكثير من أهل العلم حيث يمرون بالأزهر، فما وسعني إلا أن ساعدت مرغوبهم، فأحضروا "تفسير القاضي البيضاوي"[3].

ثم ذكر ما تم اختياره من آيات لتفسيرها "ووقع الاختيار على أن يكون موضوع الدرس: قولَه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ ﴿١٢٢﴾ ﴾(التوبة:122) ، إلى آخر الآية، وساق أقوال العلماء في الآية ، كابن عرفة وساق ما في الآية من هدايات وفوائد اجتماعية تصحح مفاهيم مغلوطة وغير صائبة تتبادر لبعض الناس :" فإذا نفر الشعب بحذافرهم، وولوا وجوههم شطر الارتواء من العلم، ضاعت واجبات اجتماعهم، وانتقضت عليهم قواعد العمران من زراعة وصناعة وتجارة"[4]، إلى غير ذلك من الأحكام والفوائد والنكت العلمية التي ذكرها وأجملها في نحوِ عشر صفحات .

فالرحلات لها فوائد جمة ومزايا عظيمة لما فيها من ملاقاة الرحالة للعلماء من مختلف البلاد والمذاهب وما يصحب هذه اللقاءات من مطارحات علمية ، ومناظرات في مختلف الفنون مما يُكَوِن لدى العالم ملكة فكرية ، ويزيد في إثراء ما لديه من علوم وقد نص محمد الخضر حسين على أن

[1]– الرحلات : ص32 .

[2]– الرحلات : ص32 .

[3]–المصدر نفسه : ص32 .

[4]– الرحلات : ص58 .

من أسباب نهضة العلوم–ومنها علم التفسير– في الأندلس تلك الرحلات التي أنشأها أصحابها إلى المشرق ، " ومما نهض بالعلوم في الأندلس: إقبال أهل العلم على الرحلة إلى الشرق، ويقيمون فيه الشهور والسنين، ثم يعودون إلى أوطانهم بما يتجدد من علم نافع، أو رأي راجح، أو استنباط بديع، وقلّما يمر الناظر على حياة عالم كبير من قدمائهم ولا يجد له رحلة "[1].

ثم يعود هذا العالم بعلم جم في مختلف الفنون، وهم بذلك يجسدون ما قاله الله عز وجل:

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾(التوبة :122).

وقد بين محمد الخضر الفائدة والغنيمة التي يرجع بها أولئك العلماء بعد تلك الرحلات الطويلة الشاقة "يرحل علماء الأندلس إلى الشرق، وربّما يملأ الرجل حقيبته من العلم، أو يبلغ في الاطلاع على البلاد ما استطاع، ينقلب إلى وطنه ليبث ما استفاد من علم، أو يحدّث بما شاهد من أحوال وآثار"[2].

ومن المفسرين الذين عاصروا محمد الخضرَ حسينا، وكانت لهم رحلات إلى المشرق وإفريقية ودونوا ماكان في رحلاتهم من مذاكرات، وأسئلة في مختلف العلوم وخاصة في التفسير ، "محمد الأمين بن المختار الشنقيطي"، فقد دون في رحلته إلى الحج ما طرح عليه في هذه الرحلة من مسائل.

وكان قد ذكر في مقدمته لكتابه الرحلة إلى الحج، مقاصد تدوين الرحلات فقال :"إنا أردنا تقييد خبر رحلتنا هذه إلى بيت الله الحرام ، ثم إلى مدينة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ؛ ليستفاد بما تضمنته من المذاكرة ، والأحكام ، وأخبار البلاد والرجال ، وما تجول فيه الأدباء من المجال ، والغرض الأكبر من ذلك تقييد ما أجبنا به عن كل سؤال علمي سئلنا عنه في جميع

[1]– محمد الخضر حسين –محاضرات إسلامية : ص63.

[2]– المصدر نفسه : ص63 .

رحلتنا"[1].

الفرع الرابع: المفسرون الذين أتموا تفاسيرهم الشفهية:

لقد من الله عز وجل على جماعة من المفسرين –التزموا هذا النوع من التفسير الشفهي– فوفقهم لختم كتاب الله ، وذلك يدل على مدى حرصهم وصبرهم ، فقد أخذ منهم هذا النوع جهدا كبيرا ووقتا طويلا.

ومن المفسرين الذين أكملوا تفسيرهم مشافهة :محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحَجَوي الثعالبي الجعفري الفلالي[2]:

تكلم عن تدريسه لمادة التفسير بجامع القرويين، وتدريس كتب متعلقة بالتفسير، كما تحدث عن الدرس الذي ألقاه بتونس، وهو تفسير العشر الآيات الأولى من سورة المؤمنون، ولقي قبولا من طرف الأوساط العلمية حيث قال :" قد درست صحيح البخاري بالرباط ومراكش لما كنت موظفًا، ثم بفاس، ولما بلغت كتاب التفسير قرأته مفصلًا، وكنت أملي فيه ملخصًا من جملة تفاسير؛ كالطبري والرازي والبيضاوي، وروح المعاني، وأحكام ابن العربي، والجصاص، وغيرها، بعدما تركوه مدة سنين من قبل"[3].

---

[1]– محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، رحلة الحج إلى بيت الله الحرام ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط01، مكة المكرمة ، 1426هـ: ص07.

[2]– من رجال العلم والحكم، ، من أهل فاس ولد سنة : 1291هـ – 1874م ،سكن مكناسة وجدة والرباط. ودرس ودرس في القرويين. وأسندت إليه سفارة المغرب في الجزائر: 1321 – 1323هـ وولي وزارة العدل فوزارة المعارف، في عهد (الحماية) الفرنسية ونفر منه كبار مواطنيه وابتعدوا عنه، وعزل. ثم توفي بالرباط، ودفن بفاس.سنة : 1376 هـ – 1956م ، له كتب مطبوعة، أجلها،الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، أربعة أجزاء، و ثلاث رسائل في الدين، وتفسير العشر آيات الأولى من سورة قد أفلح ، ينظر ترجمته : خير الدين الزركلي– الأعلام : ج6 ص96 / عمر رضا كحالة – معجم المؤلفين: ج4 ص250 .

[3]– الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ،محمد بن الحسن الحجوي ، ج1 ، ص19 . دار الكتب العلمية –بيروت– لبنان،الطبعة: الأولى – 1416هـ– 1995م.

ولما كان بعض الملوك والأمراء يتطيرون[1] من ختم التفسير ويظنون ذلك إيذانا بزوال ملكهم أو موتهم منع من مواصلة ذلك، وقد تحدث عن هذه الطيرة بقوله:" ورام بعض الولاة منعى منه بدعوى التطير بقراءته، وأنه يتسبب عنه موت السلطان، كما فعلوا بشيخي "جنون" فيما سبق، فعصمني الله منهم وأكملته والحمد لله، وكان ختمه سنة 1338هـ، وألقيت منه درسًا بتونس من أول "سورة المؤمنون"، ثم أعدته بفاس أيضًا لإيصال حلقاته، وقد اعتنت به الحكومة التونسية، فجمعته وطبعته على نفقتها"[2].

وقد نظم محمد بن الخوجة التونسي أبياتا أثنى فيها على درس محمد الحجوي الذي ألقاه بتونس يقول فيها :

بَشَائِرُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ صُحُفٍ تُقْرَا ... بِهَا أَفْلَحَ الْإِيمَانُ أَهْلًا وَلَا فَخْرَا
بِهَا نَزَلَ التَنْزِيلُ حَقًّا كَمَا تَرَى ... نُزُولَ غُيُوثِ النَّفْعِ دُنْيَا مَعَ الْأُخْرَى
أَفَادَ بِهَا الحَجْوِيُ قُدْوَةُ مَغْرِبٍ ... وَبَهْجَةُ إِسْلَامٍ فَلِلَّهِ مَا أَدْرَى
فَيَالَهُ مِنْ قُطْبٍ تَشَبَّهَ بِالْأُولَى ... تَمَلَّكَ مِنَّا اللُّبَ وَالسِرَّ وَالْجَهْرَا
كَبِيرُ الوُعَّاظِ يُرْشِدُنَا إِلَى ... طَرِيقِ الْهُدَى فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ تَتْرَى[3]

وممن تيسر لهم أمر ختم التفسير – في العصر الحديث- ، علماءُ يعدون على الأصابع منهم: عبد الحميد ابن باديس الذي ألقى تفسير كتاب الله مدة خمس وعشرين سنة ، وكان ختمه له بمدينة قسنطينة بالجامع الأخضر في يوم الأحد الثالث عشر من ربيع الثاني عام 1357هـ

[1]- الطيرة – بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن الياء: هي التطير؛ أي: التشاؤم، وأصلها: أن العرب في الجاهلية يعتمدون الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر ما، ورأى الطير طائراً على جهة اليمين، تيمَّن به، وذهب لأمره، وإذا طار على جهة اليسار، تشاءم به، ورجع، ينظر: محمد الخضر حسين، دراسات في الشريعة الإسلامية:ص94 .

[2]- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ،محمد بن الحسن الحجوي ، ج1 ، ص19 . دار الكتب العلمية –بيروت– لبنان،الطبعة: الأولى – 1416هـ- 1995م.

[3]- سعاد أشقر – التفسير والمفسرون بالمغرب الأقصى ، دار السلام للطباعة والنشر، ط1 ، القاهرة – مصر، 1431هـ-2010م : ص278 ، 279.

الموافق1938/06/12م،"وأراد الله، فحقّق للأستاذ أمنيته من ختم التفسير وللأمّة رجاءها في تسجيل هذه المفخرة للجزائر"[1].

وقد تحدث البشير الإبراهيمي عن هذا اليوم وكيف تم الاحتفال به، وحضور الوفود من مختلف ولايات الوطن وتحدث عن لحظة الختم وما خيم على الحاضرين من الخضوع والأنس، يقول محمد البشير الإبراهيمي"ما كادت تشرق شمس يوم الأحد حتى اكتظّ الجامع الأخضر بالوفود، فلم يبق فيه متنفس وشمل الخشوع تلك الصفوف المتراصّة حتى لا حركة ولا ضوضاء، وتجلّى جلال كلام الله في بيت الله فكان مشهدًا يستنزل الرحمات، ويتكفّل باستجابة الدعوات، وصعد الأستاذ المفسّر منبر الدرس فشخصت العيون وخفتت الأنفاس واستهلّ بتلاوة المعوذتين. وشرع في تفسيرهما بما هو معهود منه"[2].

لكن هذا التفسير الذي استمر كل هذه المدة لم يصلنا منه سوى تفسير المعوذتين الذي لخص مضمونه البشير الإبراهيمي، وإذا كان المفقود من التفسير –سوى المعوذتين– بنفس النَفَس والعمق والروح التي أضفاها ابن باديس على المعوذتين ، فإن الأمة الإسلامية ضاع منها خير كثير وعصارة عقل قَلَّما يتكرر مثله، وفهم جديد وإضافة جديدة لعلم التفسير ما كان ينبغي إهمالها أو التفريط فيها .

وقد تحدث محمد العيد آل خليفة عن هذا الختم وعلق عليه في قصيدة عنونها ب :ختمت كتاب الله ومما جاء فيها :

ودَرْسُكَ فِي التَّفْسِيرِ أَشْهَى مِنَ الجَنَى وَأَبْهَى مِنَ الرَّوْضِ النَّضِيرِ وَأَبْهَرُ
خَتَمْتَ كِتَابَ اللهِ خَتْمَةَ دَارِسٍ بَصِيرٍ لَهُ حَلُّ العَوِيصِ مُيَسَّرُ
فَكَمْ لَكَ فِي القُرْآنِ فَهْمٌ مُوَفَقٌ وَكَمْ لَكَ فِي الْقُرْآنِ قَوْلٌ مُحَرَّرُ

[1]– آثار البشير الإبراهيمي– جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي،ط1،بيروت، 1997 : ص335.
[2]– المرجع نفسه : ج1 ص337 .

قَبَسْتَ مِنَ الْقُرْآنِ مَشْعَلَ حِكْـــمَةٍ يُنَـارُ بِـهِ السِـرُّ اللَّطِيـفُ ويُبْصَـــرُ
وَبَيَّنْتَ بِالقُرْآنِ فَضْلَ حَضَـــــارَةٍ أَقَـرَّ لَهَـا كِسْـرَى وَأَذْعَـنَ قَيْصَـــرُ[1]

فهذه التفاسير الشفهية منها ما حفظ وأكثره ضاع مع الأيام ، أما الذين حفظت تفاسيرهم الصوتية فإنما ساعدهم على ذلك أمران:

1-حرصهم على تدوين ما كانوا يلقونه من تفسير، أو ما كان يعرض لهم من أسئلة، فيُدَونون ذلك عن قرب وربما فاتهم شئ مما كان ينبغي تدوينه بسب طول العهد بتلك المجالس فقد لا تسعف الذاكرة في استحضار كل ما دار في تلك المجالس.

2-ظهور وسائل الإعلام التي كانت تسجل ما يذاع من تفسير عبر جهاز الراديو أو التلفاز مما مَكّن من تفريغها في حياة المفسر فيُعَدِّل ما يراه بحاجة لذلك ، وإلا فإنها تفرغ بعد وفاته .

ويعد محمد الأمين الشنقيطي ممن ختموا تفسير كتاب الله في المسجد النبوي شِفَاهًا وإسماعا ذكر ذلك بعض تلامذته، منهم عطية محمد سالم الذي قال في ترجمته له في آخر تتمة أضواء البيان: " وكان درس الشيخ في التفسير، ختم القرءان مرتين"[2].

لكن هذا التفسير الصوتي لم يسجل إلا جزء يسير منه ، فأما طلبة الجامعة الذين سمعوا تفسيره فكان حجتهم في عدم التسجيل" كبر حجم المسجلات، حيث يصعب حملها مع حمل الكتب، ومنها أنها تحتاج إلى أشرطة كثيرة قد يصعب على الطالب شراؤها؛ لقلة النفقة"[3]، وسبب آخر يرجع إلى طبيعة الشيخ وترتيبه ،والذي كان بمنزلة الشرط الذي اشترطه على طلبته ألا وهو" أن الشيخ كان يكره أن يرى طالبا يكتب وقت إلقائه المحاضرة ويغضب غضبا شديدا "[4].

---

[1]- محمد العيد، آل خليفة – الديوان ، دار الهدى للطباعة والنشر ،د،ط، عين مليلة ، الجزائر ، 2010م : ص146.
[2]- عطية محمد سالم – تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : ج9 ص491 .
[3]- عبد الله بن أحمد قادري – معارج الصعود إلى تفسير الشنقيطي لسورة هود ، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط1 ، جده ، 1408هـ-1988م :ص 12.
[4]- المرجع نفسه : ص12 .

الفرع الخامس: المآخذ على طريقة الإلقاء والسماع

أورد العلماء عدة مآخذ وانتقادات على هذا النمط من التفسير منها:

1-أن أكثر تفاسير العلماء التي ألقوها في المجالس ضاعت ، وما بقي منه إنما هو ما استدركه المفسر وأعاد كتابته ، أو ما تم جمعه مما تفرق في أيدي السامعين من تقييدات أو ملخصات ، وطريقة التلقين أو الإلقاء ربما تكون مجدية إذا وجدت ملكات سريعة الاستيعاب وأقلاما سريعة التقييد، لكن بعض المفسرين لا يحبذون ذلك ، بل يلزمون الحاضرين بالسماع فقط، وبهذا قد ينتفع البعض ويُحرَم آخرون، يقول ابن خلدون :" اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلّمين إنّما يكون مفيدا إذا كان على التّدريج شيئا فشيئا، وقليلا قليلا، يلقى عليه أوّلا مسائل من كلّ باب من الفنّ هي أصول ذلك الباب، ويقرّب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوّة عقله واستعداده لقبول ما يرِد عليه حتّى ينتهي إلى آخر الفنّ "[1].

وأشار إلى المآخذ المسجلة على هذه الطريقة البشيرُ الإبراهيمي، ونعى على طلبة العلم إهمالهم لما يسمعونه في مجالس التدريس؛ قال هذا في معرض ضياع تفسير ابن باديس "نَنْعَى على السامعين إهمالهم لكتابة ما يسمعون فتضيع عليهم الفوائد التي يلقيها الأستاذ وقد تكون قيّمة، كما تضيع في عصرنا هذه الخطب والمحاضرات المرتجلة التي لا يكتبها ملقيها ولا متلقيها[2].

2-يؤخذ على هذه الطريقة أيضا أن المفسر قد يتناول مباحث لا تتعلق بالموضوع وقد يتناول علوما كثيرة وهو يفسر آية واحدة، مما قد يذهب بالوقت، وقد علق ابن خلدون على هذه الطريقة وذكر جملة من عيوبها حيث قال :" ومن المذاهب الجميلة والطّرق الواجبة في التّعليم أن لا يُخْلَط على المتعلّم علمان معا، فإنّه حينئذ قلّ أن يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن

[1]- ابن خلدون – ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب :ج1 734.

[2]- آثار البشير الابراهيمي: ،جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي،ط1، 1997: ج1 ص341.

كلّ واحد منهما إلى تفهّم الآخر فيستغلقان معا ويستصعبان ويعود منهما بالخيبة"[1].

لقد كان محمد الخضر حسين مولعا بهذه الطريقة ، والذي يقرأ ما أورده في كتاب الرحلات وغيره من الكتب التي دون فيها ما كان يقع في مجالسه، يرى كيف كان يكثر من الاستطرادات، ويتناول فنونا عدة في عرض مسألة قد تتعلق بالنحو أو الفقه أو الأصول أو التفسير خاصة ، وبالأحرى إذا كان الحضور جميعا طلبةً للعلم ،وقد عُرِض عليه إلقاء درس بالجامع الأزهر واستقر الرأي أن يكون الموضوع تفسيرَ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴿١٢٢﴾﴾(التوبة:122).

والملاحظ على محمد الخضر أنه كان في بداية أمره يستحسن هذه الطريقة وكان يقول: "افتكرت في المنهج الذي نتبعه في تحرير الدرس، فسبق لي استحسان إبرازه في الأسلوب المتعارف في جامع الزيتونة، فلا أسُلّ يدي من تقرير ما يناسب من مباحث عربيةٍ أو أصولية، أو أحكام فرعية؛ لأن المقترحين للدرس أزهريون"[2].

لكنه لما جلس إلى حلق بعض العلماء في الجزائر ، ومنهم عبد القادر المجاوي[3]، الذي راقته طريقته في الدرس، وعرضُه لمسائل الموضوع دون الخروج إلى مواضيع أخَرَ قد لا يكون لها صلة بالموضوع من قريب أو بعيد، علق – محمد الخضر–على دروس المجاوي التي كانت في شرح جوهرة التوحيد، وكذا في الأربعين النووية فقال مستحسنا :" نستحسن من دروس هذا الشيخ– أي الشيخ

[1]– ابن خلدون – ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب :ج1 ص 736 .

[2]– محمد الخضر – الرحلات : ص56 .

[3]– مصلح تقليدي سلفي، خطيب، من كبار العلماء. ولد بتلمسان سنة: 1264هـ الموافق ل 1848م وتعلم بتلمسان وبطنجة وتطاوين، وأكمل دراسته بجامعة القرويين بفاس. عاد إلى الجزائر، فعين مدرسا بجامع الكتاني بقسنطينة، ثم بالمدرسة الكتانية. ونقل إلى مدينة الجزائر :1295هـ = 1898م، وولي التدريس في القسم العالي بالمدرسة الثعالبية. من آثاره "اللمع في إنكار البدع " منظومة، و"إرشاد المتعلمين" في مبادىء العلوم، و "نصيحة المريدين" شرح على منظومة" آداب المريدين" لمحمد المنزلي، في التصوف توفي سنة 1332هـ– 1913م. ينظر: عادل نويهض– مُعجَمُ أعلام الجزائِر: ص 286 / حشلاف ، عبد الله بن علي – سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول ، المطبعة التونسية ،دط، تونس، 1347هـ–1929م: ص54.

عبد القادر المجاوي- اقتصارَه في كل فن على تقرير مسائله التي يشملها موضوعه، وعدم خلط بعضها ببعض"[1].

ثم ذكر ما استفاده من هذه الطريقة التي رآها على المجاوي ، وأثَرها في دروسه ومحاضراته بعد هذا، "وقد كنت -عافاكم الله- ممن ابتلي درسه باستجلاب المسائل المختلفة الفنون، وأتوكأ في ذلك على أدنى مناسبة، حتى أفضى الأمر إلى أن لا أتجاوز في الدرس شطر بيت من ألفية ابن مالك -مثلاً-، ثم أدركت أنها طريقة منحرفة المزاج، عقيمة عن الإنتاج، ونرجو أن تكون توبتنا من سلوكها توبة نصوحاً"[2].

ولأن هذه الرحلات إنما كانت في الفترة التي قضاها بتونس فقد استفاد منها هذه الاستفادة التي ظهر أثرها فيما كتب بعد من تفسير ، وتفسيره أسرار التنزيل خير دليل على ذلك التغيير.

الفرع السادس: طريقة النظم والرجز: عرفت الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى تأليف المنظومات العلمية في فنون عقلية وعلمية وشرعية مختلفة، وتضمنت مناهج التعليم آنذاك تأليف المنظومات الشعرية في العلوم المختلفة، ليسهل حفظها واسترجاعها وكتابة الشروح والحواشي والاستطرادات حولها لشرح ما أوجزته وتسهيل الطريق على الطلاب لفهمها،"لأن حفظ الشعر أهون على النفس، وإذا حفظ كان أعلق وأثبت"[3].

معنى المنظومات :يراد بها الأراجيز والقصائد التاريخية أو العلمية التي جاءت في حكم الكتب وكذلك الكتب التي نظموها فجاءت في حكم الأراجيز والقصائد، وهو ما يعبر عنه

[1]- محمد الخضر – الرحلات:ص38 .

[2]- الرحلات :ص38 .

[3]- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر- الحيوان،تحقيق : عبد السلام هارون،مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده،ط02، مصر،1386هـ-1967م: ج06 ص284.

المتأخرون بالمتون المنظومة التي تجمع قضايا العلوم والفنون وضوابطها"[1].

علوم القرآن كغيرها من العلوم نالت حظها من النظم قديما وحديثا، ومن جملة علوم القرآن التي انتهج فيها مؤلفوها طريقة النظم ، علم التفسير.

لقد انتهج جماعة من المفسرين طريقة النظم فمنهم من نظم كتبا للمفسرين السابقين، ومنهم من ألف منظومات متفاوتة الطول فسر فيها القرآن الكريم كله، أو سورا من القرآن الكريم ، ومنهم من انتهج نهجا آخر وأسلوبا مغايرا فطرح مسائل في التفسير على صورة ألغاز أو في شكل أسئلة ثم يجيب عليها، ومنهم من شرح منظومات لعلماء سابقين نظموها في مجال التفسير.

ومن المنظومات في التفسير: منظومة : مراقي الأواه إلى تدبر كتاب الله للشيخ :أحمدو ولد محمد ولد أحمذِّي الحسني[2] (1290هـ-1387هـ) قال في السبب الذي دعاه إلى نظمها:

هَـذَا وَلَمَّـا أَنْ رَأَيْـتُ القَوْمَـا ... قَـدْ هَجَـرُوا مَعْـنَى الْكِتَـابِ الْيَوْمَـا
مَـعْ أَنَّـهُ مِـنْ أَعْظَـمِ الْمَطْلُـوبِ ... مِـنْ أَهْلِـهِ تَـدَبُّرُ الْقُـلُوبِ
وَلَا تَـدَبُّرَ لِكَالْبَهِيمَـه ... كَيْـفَ السُّـرَى فِي اللَّيْلَـةِ الْبَهِيمَـه؟!
أَحْبَبْـتُ أَنْ أَكْشِـفَ عَـنْ بَيَـانِ ... بَعْـضِ مَعَـانِي غَامِـضِ الْقُـرْآنِ[3]

وقد بلغ عدد أبياتها ثلاثمائة وثمانية آلاف بيت (8300) وقد أشار الناظم إلى هذا العدد بقوله:

وَإِنْ تُـرِدْ اِحْصَـاءَهُ فَقَـدْ أَتَـى ... "حَـا" أُلـوفٍ مَـعَ"شِـين"[4]يَـا فَـتَى

---

[1]- عبد العزيز العتيق- الأدب العربي في الأندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،ط01 ،بيروت، 1995م: ص329.

[2]- ترجم له :محمد مولاي،محمد سيدي- التفسير والمفسرون في بلاد شنقيط ،دار يوسف بن تاشفين، ط01، موريتانيا، 1429هـ-2008م: ص377 وما بعدها.

[3]- أحمذَي الحسني، أحمدو ولد محمد- مراقي الأواه إلى تدبر كتاب الله ، أطروحة دكتوراه ، محمد أحمد ولد محمد مبارك، جامعة القرويين –المغرب.السنة الجامعية،1428-1429هـ-2007-2008م:ص38.

[4]- الحاء في حساب الجمل هي ثمانية وقوله حا ألوف أي ثمانية آلاف، والشين يوافق ثلاثمائة فيكون المجموع ثمانية آلاف وثلاثمائة.

وقد قسم المصنف كتابه إلى جزأين، ينتهي نصفه الأول عند نهاية سورة الكهف، ويبلغ عدد أبياته ثلاثة وثمانين وتسعمائة وثلاثة آلاف بيت(3983)، بينما يبدأ نصفه الثاني من أول سورة مريم إلى نهاية القرآن، ويبلغ عدد أبياته- سبعة عشر وثلاثمائة وأربعة آلاف بيت(4317)

سمى ابن أحمذي في خاتمة منظومته كتابه حيث قال :

نَظْمٌ تَعَرَّضَ لِمَا كَانَ انْبَهَمْ مِنْ ذِكْرِنَا مَعْنىً وَحِينَ النَّظْمِ تَمْ
سَمَّيْتُهُ مَرَاقِيَ الْأَوَّاهِ إِلَى تَدَبُّرِ كِتَابِ اللَّهِ[1]

أمثلة : منها تفسير معنى هارون في قوله تعالى﴿ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾(مريم :28)، وذكر الخلاف في ذلك:

كان أخاها من أبيها وهو من أفضل قومها بذلك الزمن
أو هي من أعقاب هارون النبي كيا أخا همدان عَنِّيَ اذهب
أو صالح في دهره أو طالح فهو لمدح أو لذم صالح[2]

ومن المؤلفات في هذا الجانب :"الرجز المفيد في تفسير غريب القرآن المجيد" لمؤلفه محمد الأمين بن أحمد زيدان الجكني، وهو نظم يزيد على خمسة آلاف بيت ،أوله:

الحمد قد فسر بالثناء والرب هو مالك الأشياء
والعالمين ما سوى الغفور من كل موجود على المشهور[3]

-ومن المؤلفات في هذا كتاب :"فيض الخبير وخلاصة التقرير على نهج التيسير": شرح منظومة التفسير ، وهو حاشية لعلوي بن عباس المالكي[4] على شرح محسن بن علي المساوي[1]،

[1]- مراقي الأواه إلى تدبر كتاب الله : ص383.

[2]- مراقي الأواه إلى تدبر كتاب الله :ص90.

[3]- محمد بن سيدي محمد مولاي - التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط : ص332 .

[4]- علوي بن عباس المالكي، الحسني: مدرس من علماء مكة. مولده ووفاته بها.ولد في: 1325 هـ-ت 1909م، تفقه في المسجد الحرام، ثم قام بالتدريس فيه، صنف نحو عشرين كتابا أو رسالة، طبع بعضها. وله نظم جمعه في " ديوان " ومن كتبه المطبوعة " المنهل اللطيف في بيان أحكام الحديث الضعيف " و " المواعظ الدينية " و " نفحات الإسلام من محاضرات البلد

لمنظومة التفسير التي نظمها :عبد العزيز الزمزمي[2].

كما أن هناك حاشية أخرى مطبوعة مع شرح عباس العلوي وهي لمحمد ياسين الفاداني[3].

وهذه الطريقة–طريقة النظم– أوردها محمد الخضر حسين في بعض مؤلفاته وأشار إليها في أحد مواقفه فقال:"وأذكر بهذه المناسبة أني زرت الشيخ محمد بن يحيى الشنقيطي في الحجرة التي نزل بها من زاوية الشيخ إبراهيم الرياحي[4] في تونس سنة 1315 هـ ، فوجدته يتلو من حفظه الأبيات التي وجهها السائل للشيخ السبكي، ويقول فيها:

أسـيدَنا قاضـي القضـاة ومَـن إذا بـدا وجهُـه اسـتحيا لـه القَمَـرانِ

=

الحرام ،ينظر: الأعلام:ج04ص250/ عبد الرحمن بن عبد اللطيف– مشاهير علماء نجد وغيرهم ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط02، الرياض، 1394هـ – 1974م : ص446 وما بعدها.

[1]– محسن بن علي بن عبد الرحمن المساوي: فاضل. أصله من حضرموت، ومولده في مدينة " فلمبان " بالملايوسنة: 1323هـ– 1905م– سكن مكة سنة 1341هـ وأسس بها مدرسة " دار العلوم الدينية " وصنف كتبا مدرسية طبع بعضها، منها " النفحة الحسنية " في الفرائض، و " نهج التيسير، شرح منظومة الزمزمي في أصول التفسير، توفي سنة: 1354هـ – 1935 م.ينظر: الأعلام:ج05 ص288 .

[2]– عبد العزيز ، الشيرازي الأصل، ثم المكي، الزمزمي، الشافعي نسبة لبئر زمزم مولده سنة 900هـ، وله تأليف في فتح مكة، وتأليف على حديث شيبتني هود ، نظم علم التفسير ،توفي سنة 976هـ، ينظر: الغزي ، نجم الدين – الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق: خليل المنصور، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1418 هـ – 1997 م :ج03 ص149 – 150 / أبو المعالي ، شمس الدين– ديوان الإسلام ، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية،ط01، بيروت – لبنان ، 1411 هـ – 1990 م: :ج02 ص391 / الأعلام:ج04 ص23 .

[3]– أبو الفيض علم الدين الفاداني، الأندونيسي أصلا، المكي ولادة ونشأة، الشافعي.وفادان، أو بادان: إقليم في أندونيسيا،ولد بمكة المكرمة سنة: 1335هـ– 1916م باشر التدريس في دار العلوم الدينية بمكة المكرمة عام 1356 هـ، وكان يلقي دروسا مختلفة بالمسجد الحرام، مؤلفاته كثيرة منها: إتحاف الإخوان باختصار مطمح الوجدان، إضاءة النور اللامع شرح الكوكب الساطع. توفي في: 1410 هـ– 1990 م، ينظر: محمد خير بن رمضان– تَكملَة مُعجم المؤلفين:ص563 . محمد خير ، رمضان –تتمة الأعلام للزركلي:ج02 ص235 .

[4]– إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد الرياحي التونسي، أبو إسحاق: فقيه مالكي، من أهل المغرب، له نظم.، ولد في تستور سنة: 1180 هـ– 1766 م ،ونشأ وتوفي بتونس، وولي رئاسة الفتوى فيها. له رسائل وخطب جمع أكثرها في كتاب سمي:تعطير النواحي بترجمة الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي ومن كتبه : ،ديوان خطب منبرية، توفي سنة:1266هـ–1850م ،ينظر: الأعلام:ج01 ص48/معجم المؤلفين:ج01 ص49 / دراسات في الشريعة الإسلامية :ص192 .

رأيــتُ كتــابَ الله أكــبرَ معجـــزٍ لأفضـلِ مـن يهـدى بـه الثقـــلانِ
ولكنــني أبصــرتُ في الكهــف آيــةً بهـا الفكـرُ عـن طـولِ الزمـانِ عيـاني
ومـا هـي إلا **اسـتطعما أهلَهـا** فقـد أرى **اسْـتَطْعَماهُمْ** مثلـه ببيـــان
فمـا السـرُّ للقـرّاء في وضـع ظـاهرٍ مكـان ضـميرٍ؟ إنَّ ذاكَ لِشـــانِ[1]

وهي مسألة تتعلق بقوله تعالى:" ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا ﴿٧٧﴾ (الكهف:77) ، والناظم يتساءل لماذا لم يقل الله استطعماهم ، بدل استطعما ، وما السر في التصريح بالمفعول به.

وذكر محمد الخضر الجواب عن ذلك: أن (أهلها) جمع مضاف يفيد العموم، فيدل على أنه استطعم جميع أهل القرية؛ بخلاف ما لو أتى به ضميرًا(استطعماهم) فإنه يحتمل أن يكون الاستطعام لمن أتاهم، وهم سكان أول القرية[2].

[1]- بلاغة القرآن:ص68-69 .

[2]- المصدر نفسه :ص69 .

المبحث الثاني : موقف محمد الخضر حسين من التفسيرووسائله ورجاله في القديم والحديث.

تعددت مدارس التفسير بين القديم والحديث واختلفت مناهجها وطرق فهمها لكتاب الله، كما كان لهذه المدارس أقطاب وشيوخ أسهموا كثيرا في نشر أفكارها، وقد يغلب على بعضهم المشرب الذي يميزه من أدب أو فقه أو معتقد ، وقد كان لمحمد الخضر آراؤه في بعض المناهج والمدارس ، كما كان له مواقف من أعلام تلك المدارس سواء المدارس التي سبقت زمنه أو المدارس التي أدركها وعاصرها، وهذا المبحث سيجلي مواقف محمد الخضر من تلك المدارس وأولئك الشيوخ ومظاهر موافقته أو مخالفته لهم.

المطلب الأول: طرائق التفسير وشروط المفسر عند محمد الخضر .

الفرع الأول: موقفه من طرق التفسير

لقد أجمعت كلمة العلماء وخاصة الذين كتبوا في التفسير وفي علوم القرآن على تقسيم التفسير إلى نوعين : نوع يعتمد على الأثر و"هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى من كتابه ونوع آخر وهو التفسير بالرأي الذي يُعمل فيه المفسر –الذي توفرت له وسائل التفسير– اجتهادَه.

وقد عرض محمد الخضر حسين لهذين اللونين وذلك بعد أن بين:" أن الله أنزل القرآن هادياً إلى سبيل السعادتين الأولى والآخرة، مؤيداً هدايته بالحجج التي لا تدع في النفوس شبهة"[1]، وعرض إلى طبقات المفسرين ليخلص في الأخير إلى نتيجة مفادها أن التفسير صنفان :" تفسير يستند إلى الآثار المنقولة عن السلف، ويسمى: التفسير بالمأثور، وتفسير يستند إلى فهم علماء اللغة والبلاغة،

[1]– محمد الخضر حسين – بلاغة القرآن:ص24 .

ويسمى: التفسير بالرأي، وفي كل من الطريقتين علم غزير يقدره المنصف البصير"[1].

وقد أبدى محمد الخضر رأيه في كلتا الطريقتين وفي ذينك الصنفين من أصناف التفسير، وأبدى ما ظهر له من مزايا فيهما وما يمكن أن يؤخذ عليهما قال في هذا الصدد:" أما التفسير بالمأثور، فقد دخله الخلل من جهة روايات لم يصح إسنادها إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – أو إلى من نسبت إليه من الصحابة"[2].

ثم بين بأن الإسرائيليات وجدت طريقها السهل لهذا النوع من التفسير، بل لا يكاد مُؤَلَّف من هذا النمط يخلو منها :"ودخل في التفسير بالمأثور أشياء يأسرها نفر من الإسرائيليين؛ مثل: كعب الأحبار، ووهب بن منبه، فربما ينقل هؤلاء القوم من الإسرائيليات ما له اتصال بتفسير بعض الآيات من قصص القرآن، ويتلقاها بعض المفسرين دون أن يعنوا بتمحيصها، والتثبت في صحة روايتها"[3].

والذي يتتبع تفسير محمد الخضر لآيات القرآن يتجلى له أنه يغلب عليه الميل إلى الرأي، فهو يوظف اللغة العربية وعلومها في فهم آيات القرآن لأنه " ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسيرُ شيء من كلام الله"[4].

لكن هذا لم يمنعه من الاستشهاد بالقرآن الكريم وكذا بالسنة المشرفة للتدليل على رأي يراه أو قول يميل إليه، ففي تفسيره لمعنى المغضوب عليهم الوارد في سورة الفاتحة، نراه يلجأ إلى الأثر لإيضاح هذا المعنى فيقول :"وورد في حديث مرفوع إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – تفسير

[1]– بلاغة القرآن : ص 25 .

[2]– المصدر نفسه: ص25.

[3]– المصدر نفسه :ص 25 .

[4]– البرهان في علوم القرآن : ج01 ص295 .

المغضوب عليهم باليهود، والضالين بالنصارى"[1].

ثم ساق قول السيوطي في قصر تفسير هذه الآية على المعنى المشار إليه آنفا : قال السيوطي: "رأيت في تفسير قوله سبحانه (غير المغضوب عليهم ولا الضَّالين) نحو عشرة أقوال مع أن الوارد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وجميع الصحابة والتابعين ليس "غير اليهود والنصارى"، حتى قال ابن أبي حاتم لا أعلم في ذلك خلافاً من المفسرين[2].

وفي تفسيره لقوله تعالى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (البقرة:38) ،ونفي الخوف والحزن ورد في الآية على وجه الإطلاق في حق من تبع هدى الله وظاهره: أن المهتدين لا يعتريهم الخوف ولا الحزن في دنياهم، ولا في آخرتهم[3].

لكننا نراه يستدرك ويلجأ إلى الآية التي تليها ، حتى يُجَلِي الأمر ويدفع التعارض الذي يمكن أن يتبادر لقارئ القرآن، من أن هذا الإطلاق يمكن أن يعارض بما نراه في الواقع مما يعتري المؤمن من أحزان وهموم في حياته حيث يقول :" ولكن قوله فيما يقابله من جزاء الكافرين: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾(البقرة:39)،يرجح أن يكون المراد: نفيَ الخوف والحزن عنهم في الدار الآخرة"[4] .

فهذا منه تفسير للقرآن بالقرآن، ثم يلجأ إلى الحديث ليقوي هذا الذي أراده، من دفع لما تبادر من التعارض " ثم إن الذين يتقون الله حق تقاته قد يأخذهم شيء من الحزن في الدنيا، وأوضح شاهد على هذا: قول النبي –صلى الله عليه وسلم– عند احتضار ابنه إبراهيم– عليه

[1]– أسرار التنزيل : ص12 .

[2]–السيوطي، جلال الدين– الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار الفكر،دط ، بيروت ،1432هـ–2011م: ج01 ص42.

[3]– أسرار التنزيل : ص75 .

[4]– أسرار التنزيل : 75 .

السلام –: "إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما برضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون"[1]، وقول يعقوب – عليه السلام – فيما قصة الله في القرآن: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾[2].

الفرع الثاني :شروط المفسر وملازمة محمد الخضر حسين للتفسير:

أ:شروط المفسر من منظور محمد الخضر حسين:

لقد تلقى محمد الخضر حسين تعليمه وثقافته على يد علماء تونس، وكان أكثر تكوينه بجامع الزيتونة فقد كان هذا الصرح في أوج عطائه بما كان مقررا فيه من مقررات في مختلف الفنون، وفي المنقول والمعقول، و إذا أردنا أن نعرف الكم الكبير من الفنون التي كان يتلقاها طالب العلم آنذاك، فهذه شهادة واحد ممن تلقوا العلم بجامع الزيتونة يلخص فيها طريقة التدريس ومواد التدريس، ألا وهو الشيخ عمار الجزائري[3]، فهو واحد ممن عاصروا محمد الخضر حسينا، وواحد ممن تلقوا العلوم ذاتها التي تلقاها معاصروه يقول:" وكانت برامج العلم يومئذ حافلة بموادَ وكتبٍ غزيرة المادة، يدرسها شيوخ أجلّة، فذكر مختصر خليل بشرح الدردير في أربع مراحل وذكر العاصمية ، وذكر التفسير والحديث، والأصول والتلخيص في علوم البلاغة ، و الأشموني في الألفية ، والجزرية والشاطبية في التجويد والقراءات ، وجمع الجوامع ، والمصطلح واللغة، وذكر المعلقات والشافية ومراح الأرواح ، والدرة البيضاء والسلم في المنطق للأخضري ، وبعد إتمام الدراسة في تسع سنوات يتخرج

[1]– رواه البخاري ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:: "إنا بك لمحزونون" رقم1303 ،

[2]– يوسف :86.

[3]– عمار الجزائري : هو عمار بن عبد الله بن طاهر بن أحمد الهلالي الجزائري ولد سنة 1316 هـ بقمار(ولاية الوادي) درس بالزيتونة وتخرج منها 1341هـ هاجر إلى المدينة المنورة ، حفظ القرآن ببلده قلباش بسكرة ، هو أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين ، درّس بالمسجد النبوي ، وتوفي بالمدينة المنورة 28 جمادى الأولى 1389هـ ، ينظر: عطية محمد سالم –من علماء الحرمين : ص 411-412 .

القارئ بشهادة التطويع المعادلة لشهادة العالمية"[1].

وهذا الذي أشار إليه محمد الخضر وأكده بقوله:"و علماء جامع الزيتونة لا يقرؤون تفسير القرآن إلا إذا قرءُوا علوم المعقول والمنقول، حتى يدركوا بلاغة القرآن"[2]،وقد كان الإمامُ مالك بن أنس يتوعد كل من يتعرض لتفسير كتاب الله دون أن يتشبع من علوم اللغة فكان يقول:" لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا"[3].

وفي موضع آخر يقول محمد الخضر حسين:" من شرائط المفسر للقرآن: أن يكون ملماً بفنون البيان، ذا ألمعية مهذبة تسعده على أن يعرف المواضع التي تفهم فيها الألفاظ على حقائقها، والمواضع التي يليق ببلاغة القرآن أن تفهم فيها على المجاز، أو التمثيل"[4].

ومما يدل على عنايته بهذا العلم إنكاره على علماء الزيتونة ولجان الامتحان إعفاء الطالب بالجامع من إجراء الامتحان التقييمي للطالب في هذه المادة–مادة التفسير– بخلاف ما هو عليه الأمر في باقي المواد، قال:" والذي يلاحظ: أنْ ليس في مواد الامتحان علم الحديث والتفسير، مع أنهما يُدَرَّسان في المعهد، ونحن نود أن يكون هذان العلمان في أول ما يجري فيه الامتحان"[5].

وقد عد محمد الخضر علم الحديث من آكد العلوم التي ينبغي للمفسر إتقانها حتى يجنب كلام الله التأويلات المبنية على الأحاديث الموضوعة أو الواهية :" فمن واجب الكاتب في التفسير أن يتجه إلى تمحيص الروايات، ولا يعول إلا على ما صحت روايته، وأن يكون عارفاً بعلوم اللغة

[1]– عطية محمد سالم – من علماء الحرمين :ص 413.

[2]– بلاغة القرآن : ص 71 .

[3]– الواحدي، أبو الحسن علي ، التفسير البسيط ، تحقيق: محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان، جامعة محمد بن سعود الإسلامية ، دط ، الرياض، 1430هـ: ج01 ص411.

[4]– بلاغة القرآن : ص 27 .

[5]– تونس وجامع الزيتونة: ص37 .

العربية، وفنون بلاغتها"[1].

ثم قسم المفسرين إلى أقسام وأنواع؛ من حيث الأحقية والتعامل مع النص القرآني، فمنهم من يقف تخصصه على بيان المعنى المراد من الآية، ويكشف عن جانبها اللغوي ، ومنهم من أوتي أدوات الاجتهاد بحيث يغوص في أعماق الآيات، ويستنبط ما انطوت عليه من الأحكام، يؤهله لذلك تلك العلوم المختلفة التي يتوسل بها إلى فهم النص القرآني، قال متسائلا تحت عنوان :" من يحق له تفسير القرآن؟ : وأجاب عن هذا التساؤل " من يحق له أن يفسر القرآن طائفتان: طائفة لم تبلغ درجة الإجتهاد في الأحكام الشرعية؛ كسيبويه، والزجاج، والزمخشري، وطائفة بلغت درجة الاجتهاد؛ كالأئمة الأربعة، ومن المأخوذ في شروط المجتهد: أن يكون بمكانة راسخة في علوم اللسان؛ بحيث يتفقه في معنى الآية بنفسه، ويفصل الحكم على مقتضى علمه"[2].

وهنا يظهر اجتهاد المفسر:"فمتى وجد اختلافاً في حكم لغوي، جرد نظره لاستطلاع الحقيقة ولا يقف وقفة الحائر، أو يستند إلى أحد الآراء على غير بينة"[3].

ب: التفسير في حياة محمد الخضر:

لا شك أن محمد الخضر حسينا نال النصيب الكبير من هذه العلوم التي أهّلته لأن يكون له حضوره المتميز بين المفسرين ، وقد صرح بنبوغه في علمين هما أساس فهم وتفسير كتاب الله عز وجل يقول مبينا وجه تفوقه: "ولما وليت التحرير بالقلم العربي في وزارة الحربية بالآستانة، قدموا لي ورقة لأكتب فيها شخصيتي، وما أميل إليه من العلوم أكثر من غيره، وَجِهَةَ تخصصي العلمي، فكتبت: أني مختص بعلوم البلاغة، وأصول الفقه الإسلامي"[4].

---

[1]- بلاغة القرآن :ص26 .

[2]- نقض كتاب في الشعر الجاهلي : ص 253 .

[3]- نقض كتاب في الشعر الجاهلي: ص 253 .

[4]- دراسات في الشريعة الإسلامية :ص178 .

يضاف إلى هذا ما امتاز به من روح ثائرة جعلته يقاوم كل انواع الظلم بسيف القلم وقوة الحجة والكلمة[1] ،وكذا تلك الإجازات[2] التي تلقاها عن علماء عصره مثل خاله محمد المكي بن عزوز، الذي أجازه بإجازات كثيرة وفي باب التفسير أجازه في كل من تفسير الجلالين وكذا تفسير البيضاوي بالسند المتصل إلى أصحابها[3] .

وقد ساق محمد الخضر حسين موقفا يتعلق بتدريسه للتفسير يدل على حرص الحكومة التونسية في ذلك الوقت على ألا يتصدر للتفسير إلا من كان أهلا له أو شهد له العلماء الراسخون أنه أهل لذلك " وأذكر أنه طلب مني بعض الطلبة أن أقرأ لهم "تفسير البيضاوي" في جامع (حمودة باشا)، فأجبت رغبتهم، وقرأت منه دروساً، فأرسل إليَّ القاضي المالكي يدعوني إلى المحكمة، فذهبت إليه، فقال لي: بلغني أنك تدرس التفسير، فقلت: نعم، فقال لي: على من قرأته؟ فقلت: على شيخنا عمر بن الشيخ، وشيخنا محمد النجار، فقال لي: هؤلاء ما قرؤوا التفسير إلا بعد أن صاروا شيوخاً كباراً، فبلغ الأمرُ إلى الوزير الكبير الشيخ محمد العزيز بوعتور، فقال: يترك المسجد الذي تكلم معه عنه القاضي المالكي؛ عملاً بقاعدة عدم النزاع مع الكبراء، ويدرّس في مسجد آخر، فقرأت التفسير في مسجد (أبي القاسم الجلّيزي)"[4].

ومن هنا كانت حياة محمد الخضر حافلة بتفسير كتاب الله، فمقالاته وردوده لا تخلو واحدة منها من التفسير إذ هو كثير الاستشهاد بالقرآن الكريم ولا يكاد يستشهد بآية حتى يشفع ذلك

[1]- يظهر ذلك في مقالاته القوية التي دونها ومحاضراته التي ألقاها في الحالات الصعبة التي كانت تمر بها الأمة مثل مقال ، ضلالة فصل الدين عن السياسة – رسائل الإصلاح : ص 185 وما بعدها ،ومقال الحرية في الإسلام –جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية :ص07 وما بعدها.

[2]- سبق لي أن ذكرت إجازات محمد الخضر حسين في مختلف الفنون ومنها علم التفسير في مذكرتي للماجستير ص47 وما بعدها.

[3]- ينظر إجازات محمد الخضر حسين التي تلقاها عن شيوخه في مختلف الفنون ، الإرث الفكري لمحمد الخضر حسين – جمع: علي الرضا الحسيني : ص149 وما بعدها .

[4]- بلاغة القرآن : ص 71 ، 72.

بذكر وجوه التفسير ومعاني الآية وهداياتها[1]، ويصلح على كثير من تلك المقالات إدراجها ضمن التفسير الموضوعي.

كما أنه لا يخلو مجلس من المجالس التي يجلسها أو المحاضرات التي يلقيها أو المسامرات التي كان يرتادها من عرض الفوائد التفسيرية والنكت اللغوية للآيات التي تكون فاتحة لمجلس من المجالس أو تكون سؤالا يسأله أحد الحاضرين أو المحاورين أو المسامرين عن وجه آية ما .

بل إنه كان يقترح على العلماء –الذين يرى فيهم الأهلية لتفسير كتاب الله ولم تكن لهم حلقات للتفسير، أو اعتنوا بعلوم اللغة أو أصول الدين أو الفقه ولم يزينوا مجالسهم بدرس للتفسير – ادخالَ التفسير ضمن برامج دروسهم ، ومن جملة من أوصاهم واقترح عليهم هذا الاقتراح:الشيخ عبد الحليم بن سماية[2] قال في ذلك:" شهدنا مجلس ختم الشيخ عبد الحليم[3] لكتابٍ في التوحيد لا أتذكر الآن ما هو؛ لأن الشيخ إنما قرر ما يتعلق بسورة الإخلاص، وبين كيف ينتزع منها العقائد الدينية بطريقة استحسنتها جداً، حتى إني كنت من المحرضين له على إقراء درس في التفسير زيادة عما هو بصدد إقرائه مثل درس السعد على "التلخيص"[4].

وفي احدى رحلاته ومسامراته يذكر ما وقع فيها من محاورات وما أثير من تساؤلات بخصوص تفسير بعض الآيات حيث قال :"دعانا الشيخ إبراهيم صمادح أحد المجاورين بالأزهر للسمر عنده ليلة يوم السبت، فقضينا نصف هذه الليلة في أسمار علمية، ومحاورات أدبية، ممن جاذبنا أطرافها:

[1]– ينظر على سبيل المثال مقاله : الدعوة في نظر الإسلام في كتابه: الدعوة إلى الإصلاح : ص10 وما بعدها.

[2]– عبد الحليم بن سماية: من أسرة علمية بالعاصمة. كان أبوه علي بن سماية من المدرسين في مدينة الجزائر مدة طويلة ولد عبد الحليم في 15 يوليو، 1866م، درس في مدرسة الجزائر الشرعية زار بلاد الشام، انتقل إلى تونس حيث أقام أياما من أجل أخذ الإجازة عن أحد العلماء وهو: محمد بن عيسى الجزائري، ينظر ترجمته:سعد الله ،أبو القاسم– تاريخ الجزائر الثقافي:ج03 ص93 .

[3]– يقصد عبد الحليم بن سماية ، قال عنه: كنت لقيته –رحمه الله تعالى– عندما زرت عاصمة الجزائر في رمضان سنة 1321هـ، فلقيت به عالماً بحاثاً شاعراً بمقتضيات العصر، ومسلماً غيوراً، وأديباً مهذباً، وشهدت درساً كان يلقيه في ليالي رمضان بأحد المساجد، فأعجبت بحسن تصرفه، وبراعة بيانه،ينظر:الهداية الإسلامية:ص228 .

[4]– الرحلات : ص46 .

الشيخ أحمد أمين الشنقيطي أحد العلماء الذين تجولوا في بلاد الشام والحجاز، والشيخ عبد المعطي السقا أحد المدرسين بالأزهر"[1].

ثم ساق ما تم إيراده في خطبة الجمعة بأحد المساجد وما جاء في موضوع الخطبة من إشارة إلى ليلة النصف من شعبان، ولخص محمد الخضر ما دار في المجلس المنعقد بعد تلك الخطبة وأن مما:" طرح من المباحث بمناسبة خطبة ذلك اليوم: تفسيرَ قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ ﴾(الدخان :03)،حيث أورد بعض الخطباء الآية في فضائل ليلة النصف من شعبان كما نقله بعض المفسرين عن عكرمة، وأورَدْنا في هذه المذاكرة إنكار أبي بكر بن العربي لهذا التفسير، وتحقيقه: أن المراد من الليلة المباركة: ليلة القدر، وهي التي يفرق فيها كل أمر حكيم[2].

ومما يدل على ولع محمد الخضر بالتفسير وشغفه به، أنه يوظف تفسير كتاب في أدنى مناسبة بل حتى لو كان الأمر مجرد شيء عارض، ففي زيارته "لبور سعيد" صادف أن مر بقناة السويس، فعاد إلى ذاكرته مسألة مجمع البحرين، التي ذكرت في قصة نبي الله موسى مع الخضر – عليهما السلام- في سورة الكهف فيقول :" ومررنا على جانب من فتحة السويس التي وصلت البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط، وحقّ لي عندما بلغت إلى مجمع هذين البحرين أن أذكر بيتين كان العلامة البليغ صاحبنا الشيخ السيد محمد الطاهر بن عاشور قد أرسلهما إليّ في بطاقة يدعوني بها إلى زيارته حيث حل بحضرته اثنان من أولي العلم والأدب، وهما:

تَأَلَّقَتِ الْآدَابُ كَالْبَدْرِ فِي السَّحَرِ وَقَدْ لَفَظَ الْبَحْرَانِ مِنْ مَوجِهِمَا الدُّرَرْ
فَمَا لِي أَرَى مِنْطِيقَهَا الآن غَائِباً وَفِي مَجْمَعِ البَحْرَيْنِ لَا يُفْقَدُ الخَضِرْ[3]

فمحمد الطاهر بن عاشور يستحضر قصة موسى عليه السلام وما كان بينه وبين الخضر عليه

[1]- الرحلات ،ص55.
[2]-الرحلات : ص55 .
[3]-المصدر نفسه:ص69 .

السلام، لكنه هنا يشبه ذينك العالمين بالبحرين ، وما نثراه من علوم بين يديه يشبهها بالدرر لكنه –أي الطاهر بن عاشور– يفقد صديقه وخليله محمد الخضر حسينا ، وكما وجد موسى عليه السلام الخضر عند مجمع البحرين ،كان ينبغي ألا يفقد محمد الخضر في حضور ذلك المجلس الذي حضرته بحور العلم ، وهذا من أبلغ التشبيهات.

فالمتتبع لحياة محمد الخضر والواقف على أسفاره ورحلاته ومجالسه يرى أن تفسير كتاب الله كان يزين تلك المجالس، وأن أدنى مناسبة تجعله يستفيض في تقرير كل ما يتعلق بالآيات من المباحث التفسيرية.

المطلب الثاني : موقف محمد الخضر حسين من قدماء المفسرين:

لم يكن محمد الخضر حسين مجرد ناقل لمن سبقه من المفسرين ، بل كان ناقدا ومجتهدا في الأخذ عنهم ، يذكر ما لهم ويعترف بفضلهم ويثني عليهم، ولا يمنعه هذا من الرد إذا رأى الأمر يقتضي ذلك ومن التفاسير والمفسرين الذين أبدى رأيه فيهم:

1.تفسير الطبري : تفسير ابن جرير الطبري– جامع البيان في تأويل القرآن– هو عمدة كل التفاسير ، ومن أتى بعده من المفسرين والتفاسير فهم عالة عليه ، ولهذا نرى هذا التفسير حاضرا في تفسير محمد الخضر، فهو كثير الاستشهاد به، إذ هو من جملة التفسير بالمأثور ، ومثال ذلك قوله:" وروى ابن جرير الطبري بسنده إلى ابن عباس – رضي الله عنه –: أنه قال في تفسير المهد: "مضجع الصبي في رضاعه"[1].

فتارة يعتمد–محمد الخضر– قولَ الطبري ، وتارة يذكر رأيه ثم يرد عليه كما في مسألة وجود بعض الكلمات الأعجمية في القرآن، فقد ذكر محمد الخضر إنكار الطبري لوجود هذه الكلمات في

[1]– بلاغة القرآن:ص151 .

القرآن[1] ، لكنه تعقبه بقوله:" ولا يصح القول بهذا في مثل إستبرق وسندس؛ لأن الثياب الحرير ليست من مصنوعات العرب، وإنما عرفوها من الفرس"[2].

وأحيانا نجد-محمد الخضر- يرد بدقةٍ الأقوال التي نسبت إلي ابن جرير الطبري كمسألة ولاية المرأة القضاء، فقد فند نسبة القول إلى الطبري وقال :" ونقل عن محمد بن جرير الطبري: "أنه يجيز أن تكون المرأة قاضية ولم يصح ذلك عنه"[3].

إن ميزة ابن جرير في نظر محمد الخضر حسين أنه :" ينقد الروايات، فإذا ظهر له أن الرواية غير موثوق بها، تركها، وأبدى رأيه الخاص"[4].

02 .تفسير الزمخشري :يعد تفسير الزمخشري" الكشاف عن حقائق التنزيل"، أحد التفاسير المعتمدة لكل من جاء بعده ، إذ اعتمدوه في بيان بلاغة القرآن الكريم، وشهدوا له بالإمامة في ذلك لولا ما اعتراه من توجه اعتزالي ناصر فيه مذهبه ونافح عنه، يقول ابن جزي :" ومما بأيدينا من تأليف أهل المشرق تفسير أبي القاسم "محمود بن عمر"الزمخشري فمسدّد النظر بارع في الإعراب متقن في علم البيان، إلّا أنه ملأ كتابه من مذهب المعتزلة وشرهم، وحمل آيات القرآن على طريقتهم، فتكدر صفوه، وتمرّر حلوه، فخذ منه ما صفا ودع ما كدر"[5] .

ومن هنا نجد للزمخشري وكشّافِه حضورا كبيرا في فكر محمد الخضر، فتارة يذكره باسمه وتارة يذكره بالكنية قائلا قال صاحب الكشاف[6]،بل كان يستدل بتفسيره في الرد على من أثار بعض القضايا زمن محمد الخضر؛ والتي من بينها قضية الشعر الجاهلي، وهل هو حقيقة أم منتحل؟،

---

[1]- محمد الخضر حسين- دراسات في اللغة وتاريخها: ص158 .

[2]- المصدر نفسه : ص 158 .

[3]- الشريعة صالحة لكل زمان ومكان : ص273 ، نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم :ص158 .علي الرضا الحسيني- الإرث الفكري لمحمد الخضر حسين : ص 11 .

[4]- بلاغة القرآن : 25 .

[5]- ابن جزي - التسهيل لعلوم التنزيل:ج1 ص21 .

[6]- بلاغة القرآن: ص103 /دراسات في اللغة العربية وتاريخها:ص128 / نقض كتاب في الشعر الجاهلي:ص77 .

فيستأنس محمد الخضر بما استدل به الزمخشري من شعر الجاهلية في تفسيره ، قال مستدلا "فهذا تفسير "الكشاف" الذي يعد من أكثر التفاسير حملاً للشواهد اللغوية إنما يحتوي نحو ألف بيت، وفي هذه الشواهد كثير من أشعار المخضرمين؛ كحسان، ولبيد، والنابغة الجعدي، والإسلاميين؛ كرؤبة، والفرزدق، وجرير، والعجاج، وذي الرمة، وأبي تمام، وأبي الطيب، والمعري، وغيرهم"[1].

ولكنه بالمقابل يعرض لما يمكن أن يكون الزمخشري قد شط فيه، وأبعد عن الصواب أو خالف جمهور العلماء فيه ، ومن جملة ما رد عليه فيه إنكار مسألة الصرع وأنه مما كان من تخيلات العرب فقط "فترون الزمخشري – وهو ينكر أن يصرع الشيطانُ الإنسان — يقول-الزمخشري- في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴿٢٧٥﴾﴾.(البقرة:275) . "تخبُّطُ الشيطان من زعمات العرب، يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرعه، فورد على ما كانوا يعتقدون"[2].

لكن محمد الخضر يستبعد ما ذهب إليه الزمخشري أن يمثل الله تعالى بأمر يزعمه النّاس زعماً باطلاً؛ فإن التمثيل به دون تنبيه على بطلانه لا يلائم ما عرف في هداية القرآن[3].

ثم ذكر ما قرره الأصوليون من قواعد مفادها: "أن ما يقصه القرآن من قول يتضمن رأياً، ولا يقرنه بتنبيه على بطلانه، أو يكون قد نبَّه عليه من قبل، فإنه يعد حقاً لا محالة"[4].

وفي الأخير يذكر ما يراه في هذه المسألة من أن القرآن لا يمثّل بشيء يزعمه العرب زعماً باطلاً، ولكنه قد يمثّل بشيء لا يدخل في قبيل المزاعم الباطلة، وإنما هو شيء يصفه بصفات

[1]- نقض كتاب في الشعر الجاهلي : ص 149 .

[2]- الزمخشري، جار الله – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج1 ص320 .

[3]- بلاغة القرآن : ص42 .

[4]- المصدر نفسه:ص42 .

مفهومة الحقائق، ممكنة الوقوع، وإن لم تقع عليها أعين النّاس مجتمعة"[1].

03-القاضي البيضاوي : لقد كان تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل أحد مقررات التدريس بجامع الزيتونة، إذكانت مجالس العلماء حافلة بهذا التفسير، و"هو على ما يبدو عليه من أختصار وما يتبادر لمتناوله باديء الرأي من بساطة ، قد أصبح كتابا عميق الغور ، صعب المراس ، ثري المطاوي ، محتاجا تقريره إلى الرجوع إلى مواده ، فأصبح تدريسه ميدانا للملكات الراسخة ومجالا لقوة العوارض ، ونفوذ الأنظار ، وسمو البيان وتتابعت العناية به لذلك تدريسا ، وتخريجا ، وتأليفا"[2].

وقد تحدث محمد الخضر عن حضوره لمجالس العلماء وتلقيه هذا التفسير عنهم وممن تلقى عنهم هذا التفسير شيخه محمد النجار ، الذي كان يدَّرِس هذا التفسير وغيره تدريس بحث وتحقيق يقول في ذلك: " كنت ممن حضر درسه لكتاب "المواقف"، ودرسه لتفسير القاضي البيضاوي، ودرسه لشرح عبد الباقي الزرقاني على المختصر الخليلي، ولشدة استقصاء الأستاذ لما يقرره الكاتبون، وعنايته بنقد ما يوردونه من الآراء، مكثنا بضع سنين في أبواب من هذه الكتب معدودة"[3] .

كما أنه كان أحد التفاسير التي اعتمدها محمد الخضر حسين في تفسيره، واعتمدها في المجالس التي كان يعقدها للتدريس أو المجالس التي كان يقترح فيها بعض الحاضرين تفسيرا لآية، أو معالجة موضوع من المواضيع، فكان محمد الخضر يعتمد نسخة تفسير البيضاوي وكلامه ثم يعلق على ما يقتضي التعليق أو تجلية المعنى وهاهو يقول متحدثا عن بعض تلك المجالس :" وأذكر أنه طلب مني بعض الطلبة أن أقرأ لهم "تفسير البيضاوي" في جامع (حمودة باشا)، فأجبت رغبتهم،

[1]- بلاغة القرآن : ص42 .

[2]- الفاضل بن عاشور – التفسير ورجاله : ص94 ، 95 .

[3]- تونس وجامع الزيتونة : ص121 .

وقرأت منه دروساً"[1].

4. تفاسير الأندلسيين : عُني محمد الخضر بتاريخ الأندلس وحضارة الأندلس وكان له مقالات ترجم فيها لبعض الفاتحين الذين كان لهم دور كبير في الأندلس مثل موسى بن نصير وعبد الرحمن الداخل (صقر قريش) .

كما اعتنى بتراجم علماء الأندلس حيث أفرد مقالة حافلة ترجم فيها لكثير من علماء الأندلس[2].

أما في جانب التفسير فقد ظهر هذا الاهتمام جليا حيث كثر استشهاده بتفاسير الأندلسيين وأظهر فضلهم على تفسير كتاب الله، خاصة في جانب تنقيح التفسير من الروايات الواهية والتأويلات الفاسدة، حيث نجده يعبر عن هذا الاعتراف قائلا: "فعلماء الأندلس في مقدمة من خلصوا التفسير من أخبار واهية، وروايات مصنوعة، وفي مقدمة من بسطوا القول في استخراج الأصول والأحكام من الآيات البينات، ومن يقلب نظره في مؤلفاتهم يشهد بأنهم في مقدمة من حاربوا الآراء الفاسدة في تأويل القرآن"[3].

هذا على وجه الإجمال أما على جهة التفصيل فالقاريء لتفسير محمد الخضر حسين يرى رجوعه إلى الكثير من مفسري الاندلس كالقرطبي، وابن جزي، وأبي حيان، وأبي بكر بن العربي، لكن هذا الأخير أخذ بلُب محمد الخضر وكيانه حتى إنه أرجع له الفضل في تكوين ملكته الاجتهادية بما أظهره من حرص على اقتناء مؤلفاته والعكوف على قراءتها.

وقد أفرد له ترجمة طويلة في كتابه : تراجم الرجال عرف فيها به وبمؤلفاته[4]، نرى هذا

---

[1]- بلاغة القرآن : ص 71 .

[2]- محاضرات إسلامية: ص59 وما بعدها.

[3]- محمد الخضر حسين – محاضرات إسلامية : ص 66 .

[4]- تراجم الرجال : ص115- 123 .

الاعتراف ظاهرا فيما سطره بقلمه :" ولأبي بكر هذا فضل في انصرافي عن دراسة علوم الدين دراسة تقليد ومتابعة، شأن من لا يزيد في التفقه على قراءة مثل "مختصر خليل" وشروحه وحواشيه"[1].

ثم ذكر بعض العلماء الذين كانوا الواسطة بينه وبين مؤلفات ابن العربي المالكي :" ذلك أني اتصلت بمكتبة خالي وأستاذي المرحوم الشيخ سيدي محمد المكي بن عزوز، واستعرت منها كتاب "العارضة"، وكتاب "القبس"، وجزءاً من "ترتيب المسالك" ثم اتصلت بمكتبة صديقي العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام المالكي بتونس لهذا العهد، واستعرت منها كتاب "الأحكام"، وكتاب "العواصم من القواصم"[2].

ولم يُخفِ محمد الخضر إعجابه بالطريقة التي انتهجها أبو بكر بن العربي في التأليف وقد راقت محمد الخضر، وهنا يقول مُنَوِّهًا:" فأعجبت بطريقة المؤلف في التأليف، ووجدتها الطريقة التي تنهض بالفكر حتى يكون مثمراً؛ بل الطريقة التي تحبب إلى ذي الفطرة السليمة دراسة العلوم الدينية، والواقع أن هذه الكتب كانت أول ما أخذني إلى النظر في علوم الشريعة بتلهف، بعد أن كنت قد انقطعت إلى علوم اللغة العربية وآدابها"[3].

ثم عرج على كتب التفسير التي ألفها ابن العربي والتي نرى استشهاد محمد الخضر بها في معظم ما يطرقه من تفسير، أو مقالات يؤيد مضمونها بأقوالٍ للمفسرين :"ويعجبني كتاب "قانون التأويل"[4] للحافظ أبي بكر بن العربي المتوفي سنّة 543 هـ، وهو تفسير للقرآن الكريم، وقد رأيت

---

[1]- تراجم الرجال:ص122 .

[2]- المصدر السابق:ص122 .

[3]- أحاديث في رحاب الأزهر : ص178 .

[4]- هذا الكتاب اختصار لكتاب أنوار الفجر الذي أملاه ابن العربي ولكنه ضاع في أيدي الناس ثم أراد استدراكه بكتاب قانون التأويل الذي قال ابن جزي في شأنه :" فأما ابن العربي فصنف كتاب «أنوار الفجر» في غاية الاحتفال والجمع لعلوم القرآن: فلما تلف تلافاه بكتاب «قانون التأويل» إلّا أنه اخترمته المنية قبل تخليصه وتلخيصه". ينظر :ابن جزي-التسهيل لعلوم التنزيل :ج1 ص20 .

منه جزءاً في دار الكتب المصرية،... ويعجبني في مؤلفاته أنه يصرح برأيه الخاص في الحكم الذي يذكره مستنداً للدليل[1].

غير أن كل هذا الاحترام وهذا التقدير من محمد الخضر لأبي بكر بن العربي، لم يمنعه من معارضة بعض الفتاوى التي صدرت من ابن العربي في تفسيره لآيات الأحكام، ومن ذلك ما قاله في تفسيره آيات الأحكام:"ولقد سئلت عن النصراني يفتل عنق الدجاجة ثم يطبخها: هل يؤكل معه أو تؤخذ طعاما منه؟ وهي: المسألة الثامنة: فقلت: تؤكل؛ لأنها طعامه وطعام أحباره ورهبانه، وإن لم تكن هذه ذكاة عندنا، ولكن الله تعالى أباح طعامهم مطلقا، وكل ما يرون في دينهم فإنه حلال لنا في ديننا، إلا ما كذبهم الله سبحانه فيه"[2].

وقد استند ابن العربي في هذه الفتوى على قياس طعام أهل الكتاب على حلِّ وطئهم :"ولقد قال علماؤنا: إنهم يعطوننا أولادهم ونساءهم ملكا في الصلح فيحل لنا وطؤهن، فكيف لا تحل ذبائحهم والأكل دون الوطء في الحل والحرمة"[3].

وقد ناقش محمد الخضر هذه المسألة والفتوى الصادرة عن "ابن العربي" وذكر أقوال المؤيدين للفتوى واقوال المعارضين كابن عرفة والرهوني[4] من علماء المذهب، والداعي الذي دعا ابن العربي إلى

=

وهذا الذي صرح به ابن العربي نفسه فقال في القبس في شرح باب التفسير من موطإ الإمام مالك :" وقد كنا أملينا فيه في كتاب أنوار الفجر في عشرين عاماً ثمانين ألف ورقة وتفرقت بين أيد الناس وحصل عند كل طائفة منها فن وقد ندبتهم إلى أن يجمعوا منها ولو عشرين ألفًا وهي أصولها التي يبنى عليها سواها قيل لي قد شاهدناك تملي فيه في نيف على عشرين عاماً ما لَوْ سطر لملأ النشر وعجز عن تحصيله البشر فقلت كان ذلك والشباب بنضارته والعمر في عنفوانه،فأما الآن فقد وليا فقد وليت معهما وهذا أوان تفريض . ينظر :أبو بكر بن العربي – القبس في شرح موطأ مالك بن أنس: ص1047 ،1048 .

[1]– أحاديث في رحاب الأزهر : ص178.

[2]– أحكام القرآن : ج2 ص45 .

[3]– المرجع نفسه : ص45.

[4]– محمد (بفتح الميم الأولى) بن أحمد ابن محمد بن يوسف، أبو عبد الله الرهوني: فقيه مالكي مغربي. نسبته إلى (رهونة) من قبائل جبال غمارة بالمغرب.ولد سنة1157هـ -1746م ،نشأ وتعلم بفاس. أكثر إقامته بوزان، وتوفي بها. له كتب، منها (أوضح المسالك وأسهل المراقي – ط) حاشية على شرح الزرقاني لمختصر خليل، في الفقه، ثمانية أجزاء و (حاشية على شرح

القول بالحل، بأنهم – أي أهلَ الكتاب – مصدَّقون بأن الميتة والخنزير حلال عندهم[1] ، حيث يقول: " وأما ما خنق أو حطم رأسه بنية الذكاة فليس بمحرَّم، إذ ليس هو من مشمولات آية والمنخنقة والموقوذة عند ابن العربي، ولكن يقال له: بأي دليل لم تره داخلاً في قوله والمنخنقة والموقوذة وأدرجته تحت عموم وطعام الذين ... الآية"[2].

ويرد محمد الخضر أبا بكر بن العربي إلى منزع أصولي: "وهو أن ما ذكاه أهل الكتاب بالخنق وحطم الرأس أحلَّه قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ ۖ﴾(المائدة:05). وحرمه قوله: ﴿وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ ۞ ﴾(المائدة:03) . ، لما بين الآيتين من العموم والخصوص الوجهي، فذلك المذكى هو محل الاجتماع، وتنفرد الأولى بالذبائح والثانية بما لم تقصد ذكاته"[3].

ثم يفند ما اعتمده ابن العربي في تأييد رأيه بمسألة حل وطء الكتابيات فكان القياس بعيدا:" وأما قياس "ابن العربي" أكل ذبائحهم على وطء نسائهم، فلا يُعدُّ من فرائد بدائعه، ... فقد اتضح لك أيها الناقد البصير أن القول بالحرمة أقرب إلى الصواب وأرجح من جهة النظر"[4].

وقد عمل محمد الخضر بهذا الذي انتهى إليه من حرمة هذا النوع من اللحوم وقت إقامة محمد الخضر بألمانيا حيث كان يتحاشى أكلها، فنراه يقول:" وأذكر أني حين كنت في ألمانيا لم آكل من لحوم حيوانهم؛ لأني عرفت أنهم لا يذبحون الحيوان بالطريق الشرعي، إنما يقتلونه بالضرب على رأسه، أو بالخنق، وأخذت في ذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ ۞ ﴾(المائدة:03)، عند تعداد المحرّم من الحيوان وهو منطبق على ما يفعلون[5].

=

ميارة الكبير للمرشد المعين) لم تكمل، و (التحصن والمنعة ممن أعتقد ان السنة بدعة توفي في: 1230هـ-1815م.ينظر:الاعلام :ج06 ص17 / الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي: ج02 ص352،

[1]- ينظر إباحة أبي بكر بن العربي لما خنقه الكتابي أو فتل عنقه ، ابن العربي ، أحكام القرآن، ج02،ص45 .

[2]- السعادة العظمى :ص194 .

[3]- محمد الخضر حسين – السعادة العظمى : ص194 .

[4]- المصدر نفسه : ص196 .

[5]- دراسات في الشريعة الاسلامية:ص156-157.

لقد كان لتفاسير القدماء حضور في تفسير محمد الخضر، يأخذ منها ويستفيد وينصف أصحابها حتى ولو لم يكونوا من أهل السنة ،كما يتعقب بعضها ويناقش الأقوال ويدافع عن حجته بالدليل والبرهان ، وهو قبل ذلك كله عف اللسان لا يجرح ولا يتعرض للقائل باللمز بل يناقش الفكرة بأدب وهذا الأسلوب استمر معه حتى مع المخالفين المعاصرين له ،كما سيظهر ذلك جليا عن قريب.

المطلب الثالث :المقالة التفسيرية وتوظيف وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة:

من المنابر التي استغلها العلماء لتبليغ دعوة الله ونشر كتابه وبيان مراد الله، ميدان الصحافة والإعلام، وما زخر به هذا الميدان من وسائل كانت واسطة بين المتكلم والمتَلقِي، من أجل هذا أولاها العلماء عناية بالغة ، وكان لتفسير كتاب الله مكان بين هذه الوسائل، فكيف استطاع المفسرون–ومنهم محمد الخضر حسين– استغلال هذه الوسائل لبث ما تحتاجه الشعوب من فهم لكتاب الله عز وجل وما ينطوي عليه من أحكام.

الفرع الأول: الصحف والمجلات:

أ.تعريف الصحيفة :

لغة: (صحف) الصاد والحاء والفاء أصل صحيح يدل على انبساط في شيء وسعة. يقال: إن الصحيف: وجه الأرض. والصحيفة: بشرة وجه الرجل، ومن الباب: الصحيفة، وهي التي يكتب فيها، والجمع: صحائف، وصحف أيضا، كأنه جمع صحيف[1].

قال الشاعر:

[1]– أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر،دط ،1399هـ – 1979م:ج03 ص334/ علي بن إسماعيل بن سيده ، المخصص، تحقيق : خليل إبراهم جفال ، دار إحياء التراث العربي ط01، بيروت ، 1417هـ 1996م:ج04 ص08 .

لَمَّـــا بَـــدَتْ غُـــدْوَةً جِبَـــاهُهُمُ حَنَّـــتْ إِلَيْنَـــا الْأَرْحَـــامُ وَالصُّـــحُفُ[1]

والْمُصَحِّفُ والصُّحُفِيُّ: الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف باشتباه الحروف[2].

ب.تعريف المجلة : والمَجَلّةُ: الصحيفة فيها الحكمةُ. قال أبو عبيد: كلّ كتاب عند العرب مَجَلةٌ[3].

وَفِي حَدِيثِ سويد بن الصامت "قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَعلَّ الَّذِي معَك مثْلُ الَّذِي مَعي، فَقَالَ: وَمَا الَّذِي مَعَكَ؟ قَالَ: مَجَلَّةُ لُقْمان" كُل كِتاب عند العرب مجلة، يريد كتابا فِيه حكمة لقمان[4].

قال محمد الخضر :"وصحبنا أحد الفضلاء فذكر لفظ "مجلة"، فاستنبأنا عن معناه لغة، فسُقنا إليه عبارة "القاموس": مجلة – بالفتح–: الصحيفة فيها الحكمة، أو كل كتاب"[5].

الفرع الثاني: تسخير علماء التفسير لوسائل الإعلام المقروءة والمكتوبة

تعتبر الصحافة إحدى الوسائل التي استغلها المفسرون لإيصال هذا العلم إلى أكبر شريحة من المجتمع، خاصة في هذه الفترة التي حصرنا الحديث– عن حركة التفسير في العصر الحديث – فترة نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين — "فهي–أي الصحف– مدارس متجولة في البلدان، ليست محصورة بين جدران ، ولا يختص بها مكان دون مكان، وهي أوسع دائرة للإرشاد من كل

[1]– البيت لقيس بن الخطيم ، ينظر :ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق :إبراهيم السامرائي ، أحمد مطلوب ، مطبعة العاني، ط1، بغداد ، 1381هـ– 1962م: ص42 / الأصمعي ، عبد الملك بن قريب – الأصمعات ، تحقيق : احمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف، ط:07، مصر، 1993م :ص198 /محمد بن المبارك – منتهى الطلب من أشعار العرب ، تحقيق وشرح : الطريفي محمد نبيل ، دار صادر، ط1، بيروت ،1999م: ج6 ص358.

[2]– ابن سيدة –المحكم والمحيط الأعظم:ج3 ص160 .

[3]– الجوهري – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:ج4 ص1658 .

[4]– ابن الأثير: مجد الدين – النهاية في غريب الحديث والأثر :ج1 ص 289 .

[5]– الرحلات :ص36 .

دوائر التعليم"[1].

من أجْل هذا استُغل هذا الفضاء للتواصل بين أهل الفكر على اختلاف مشاربهم وبين الشعوب على اختلاف مستوياتهم حيث كان الشيوخ "يتخذونها أداة لإبلاغ آرائهم، ونشر أفكارهم ودعوة الناس إلى مذاهب الخير التي يرتؤونها"[2]، فوسائل الإعلام المقروءة والمكتوبة "هي الأداة المشروعة المعترف بها لكل جمعية لنشر دعوتها والدفاع عن نفسها"[3].

لقد كانت اللسان المعبر عن اهتمامات الشعوب ،كما كانت الواسطة بين العلماء والأمة.

قال شوقي في شأن الصحافة والصحف:

لِكُلِّ زَمَانٍ مَضَى آيَـــــــــةٌ وَآيَـةُ هَـذَا الزَّمَـانِ الصُّـــــحُفُ
لِسَانُ الْبِلَادِ، وَنَبْضُ الْعِبَـــــادِ وَكَهْـفُ الحُقُـوقِ وَحَـرْبُ الجَنَـفِ[4]
تَسِيرُ مَسِيرَ الضُّحَى فِي الْبِـــلَادِ إِذَا الْعِلْـمُ مَـزَّقَ فِيهَـا السَّـــدَفَ[5]
وَتَمْشِـي تُعَلِـمُ فِي أُمَّـــــــةٍ كَثِـيرَةِ مَـنْ لَا يَخُـــــطُّ الأَلِـفَ[6]

لقد رأى رجال الفكر أن استغلال هذه الوسائل والاستفادة منها مسؤوليةٌ وواجبٌ؛ هدفه تحويلها إلى الوجهة الصحيحة" لخدمة الأهداف النبيلة والمباديء السامية والقيم المثلى ، والبناء الصحيح لكيان أمة الإسلام ومجتمعها الواسع المترامي، والعودة بها إلى المعين الصافي كتاب الله وسنة

[1]- الزيات ، أحمد حسن- تاريخ الأدب العربي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة- القاهرة: ص425.

[2]- طلس ، محمد أسعد – محاضرات عن الشيخ عبد القادر المغربي ، مؤسسة هنداوي ، ط1 ، القاهرة، مصر ، 2013م : ص35.

[3]- آثار ابن باديس :ج3 ص61 .

[4]- جنف: الجنف في الزور: دخول أحد شقيه وانضمامه مع اعتدال الآخر، جنف، بالكسر، يجنف جنفا، فهو جنف وأجنف. والأنثى جنفاء. ورجل أجنف: في أحد شقيه ميل عن الآخر. والجنف: الميل والجور، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا ﴿١٨٢﴾﴾ البقرة:182.ينظر: ابن منظور- لسان العرب ، مادة :ج ن ف :ج09 ص32/ القاموس المحيط:ص797 /تاج العروس: ج23 ص103 .

[5]- السدف: ظلام الليل، أو سواد شخص تراه من بعيد. والسدفة طائفة من الليل، يقال أسدف الليل. والسديف: شحم السنام. والسدفة: الباب .ينظر: كتاب العين، مادة س د ف :ج07 ص236 / لسان العرب:ج09 ،ص146 /جمهرة اللغة :ج02ص645.

[6]- شوقي ، أحمد – الشوقيات : ص215 .

رسول الله"[1].

وممن كانوا يُنَشطون الأكْفاء على إنشاء الصحف السياسية والاجتماعية والمجلات العلمية والأدبية : طاهر الجزائري فكم من مجلة أو جريدة أنشئت في القطر السوري أو المصري بتنشيطه ومؤازرته، وقد كان "يرى أن مطالعة مقالة علمية في مجلة أو جريدة أكثرُ فائدة من كثير من الدروس الحافلة بالمئات"[2]، وهو الرأي ذاته الذي رآه وأيده جمال الدين القاسمي فقد قال:" مقالة في جريدة خير من ألف درس للعامة"[3].

وقد ظهرت صحف ومجلات، تنوعت مواضيعها ومجالاتها، خاصة الصحف ذات الطابع الإسلامي أو اللغوي، وكان للتفسير حضوره في هذه الصحف والمجلات ، حيث كان يخصص للتفسير ركن أو عمود، قد يكون مفتوحا للعلماء يكتبون فيه، وقد يخصص لواحد من العلماء المفسرين، يستقل به ويدون تفسيره.

فصدرت صحف ومجلات لمؤسسات وجمعيات مثل الصحف والمجلات التي أصدرتها جماعة الإخوان المسلمين التي أسسها حسن البنا، ورأس تحرير العديد من مجلاتها الصادرةِ عنها كجريدة "الإخوان المسلمون"، و"مجلة الشهاب"، وقد اعتنتا عناية بالغة بالقرآن الكريم وتفسيره[4]، وكذا صحف أصدرها أفراد.

ومن أركان هذه الحركة البارزين الذين كانت لهم بصمتهم الواضحة في التفسير : سيد قطب في تفسيره "في ظلال القرآن " وباقي مؤلفاته في الدراسات القرآنية، وقد "كان رجلا سامي القيمة

[1]–الوشلي ، عبد الله قاسم – الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر ، دار عمار للنشر والتوزيع ، ط2، اليمن– صنعاء، 1414هـ– 1994م :ص25.

[2]–الباني ،محمد سعيد– تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر ،مطبعة الحكومة العربية السورية،دط ، 1339هـ–1920م :ص71.

[3]– العجمي ، محمد ناصر– الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي ،دار البشائر الإسلامية،ط01، بيروت– لبنان ،1422هـ–2001م :ص56.

[4]– ينظر: البنا ، حسن – نظرات في كتاب الله ، جمع وتحقيق :عصام تليمة ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، د.ط، مصر– القاهرة ، 1423هـ–2002م: ص63 وما بعدها.

متعدد نواحي العظمة ، فهو زيادة على كونه مجاهدا كاملا في قضية الإسلام ، كان إلى جانب ذلك شاعرا وكاتبا خياليا وقصصيا وناقدا أديبا وحكيما إسلاميا وباحثا في الثقافة والاجتماع ودارسا قرآنيا"[1].

وكان منطلق سيد قطب في تفسيره المسمى في ظلال القرآن عنوانا لمقالاته التفسيرية التي كان ينشرها في مجلة المسلمون الصادرة عام 1951م ، وقد نشر الحلقة الأولى من سلسلة (في ظلال القرآن) ثم استمر إلى سبع حلقات في سبعة أعداد متتابعة، وكان يفسر آيات القرآن حسب تسلسل المصحف، ووصل في نهاية الحلقة السابعة إلى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۚ لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٣ ﴾(البقرة :103) عند ذلك بدا لسيد قطب أن يكتب تفسير القرآن في كتاب وليس في مقالات في مجلة المسلمون[2] .

الفرع الثالث: إسهامات محمد الخضر حسين التفسيرية في صحف ومجلات عصره

من المجلات الصادرة عن أفراد والتي اعتنت بجانب التفسير ،"مجلة المنار" التي أنشأها رشيد رضا بعد مقدمه إلى مصر، وصدر عددها الأول في 22 من شوال عام 1315 هـ وكان الشيخ يكتب على صدرها: "مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشئون الاجتماع والعمران"[3]،ولقد عُنيت المجلّة بمحاور متعددة، فلم تقتصر على الأمور الشرعيَّة والدينيَّة،بل أَفْرَدت مساحات للأدب والشعر والقصة، ونشرت مقالات عديدة عن السنن الكونية والطب والصحة.

وكان لمحمد الخضر حسين مشاركات وكتابات في هذه المجلة، منها مقالة بعنوان: الحرية في الإسلام[4] ومقال: حياة اللغة العربية[1] ، وهذه المقالات شارك بها وقت إقامته بتونس وقبل هجرته

[1]- ابن عاشور، محمد الفاضل – ومضات وفكر ، الدار العربية للكتاب ، تونس ،1982 م: ص447.

[2]- الخالدي ،صلاح عبد الفتاح – تعريف الدارسين بمناهج المفسرين :ص602 .

[3]- ينظر : واجهة مجلة المنار– العدد الأول، مطبعة المنار، ط02 ، مصر، 1327هـ.

[4]- المنار:ج12 ص785 .

إلى المشرق، ومقال القياس في اللغة أثناء استقراره بمصر[2].

كذلك المجلات التي أنشأها محمد الخضر حسين كمجلة السعادة العظمى[3]، التي لقيت قبولا واسعا داخل تونس وخارجها،حتى أثنى عليها رشيد رضا بقوله :"وقد سَرَّنَا من هذه المجلة أنها دلت على تساهل من دولة فرنسا مع المسلمين في نشر العلم كما توقعنا،وعلى توجه المشايخ المشتغلين بالعلوم الاسلامية إلى الصحافة"[4]، ومجلة الهداية الإسلامية[5]، وكذا المجلات التي ترأس تحريرها كمجلة "نور الإسلام"[6]،والتي صارت تسمى مجلة الأزهر، ومجلة لواء الإسلام، هذه المجلات كانت منبرا لمحمد الخضر ، ينشر فيها مقالاته وبحوثه، منها مقالات وبحوث تتعلق بتفسير كتاب الله ، بل إن كتابه أسرار التنزيل تفسير آيات قرآنية هو في الأصل مقالات ومواضيع كتبها في مجلات ودوريات مختلفة بهذا العنوان ثم جمعت في كتاب واحد[7].

وقد تحدث محمد الطاهر الميساوي عن العدد الكبير من المقالات التي نشرها الطاهر بن عاشور صديق الخضر حسين وأشار إلى إلى تينك المجلتين اللتين أصدرهما "محمد الخضر"، وأَمَدِ بقائهما فقال :"ومن تلك المجلات والصحف ما لم يُمدَّ في عمره إلا برهة قصيرة فكان حاله كبارق صيف مثل مجلة "السعادة العظمى" التي أنشأها زميلُه وصديقُه الشيخ محمد الخضر حسين في تونس، ومنها ما عُمِّر لسنوات عدة شبَّ فيها وما اكتهل مثل مجلة "الهداية الإسلامية" التي أسسها كذلك الشيخ الخضر في القاهرة"[8].

=

[1]- المنار:ج13 ص131 .

[2]- المنار:ج22 ص602 .

[3]- مواعدة – محمد الخضر حسين حياته وآثاره: ص137 .

[4]- مجلة المنار : ج07 ص149 .

[5]- مقدمة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين:ص30 وما بعدها.

[6]- مواعدة – محمد الخضر حسين حياته وآثاره: ص104 وما بعدها.

[7]- علي الرضا- مقدمة أسرار التنزيل:ص03-04.

[8]- الميساوي محمد الطاهر – جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، دار النفائس، ط:01،الأردن ،

كما تحدث محمد أبو زهرة عن علاقته بمحمد الخضر حسين وعن مواصلته للكتابة في مجلة لواء الإسلام التي ترأس محمد الخضرحسين تحريرها،فكان يحرر فيها مقالاته التفسيريةَ فقال:" "كلما دعينا لمحاضرة عامة، جعلنا القول في علم القرآن غايتنا، فكنا نعود إليه الفينة بعد الفينة، حتى دعتنا مجلة دينية كانت لها مكانتها، ولصاحبها مكانة من تقوى الله، لنكتب فيها تفسيرًا أتمم به ما بدأه طيب الذكر فضيلة الشيخ محمد الخضر التونسي رضي الله عنه[1]، وكان قد وصل في تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ ﴿١٨٩﴾﴾(البقرة :189).

ثم ذكر الغاية التي انتهى إليها والآية التي وقف عندها التفسير فقال:"وقمنا بما استطعنا، ووسعته طاقتنا حتى وصلنا إلى قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ ﴿٥٩﴾﴾(الأنعام :59)، والآن قد ابتدأنا الكتابة في معاني القرآن الكريم من أوله إلى ما وصل إليه الشيخ الإمام الخضر، رحمه الله تعالى[2].

ثم تحدث عن برنامج مجلة لواء الإسلام التي كان محمد الخضر حسين يرأس تحريرها، ثم سميت مجلة الأزهر فيما بعد فقال :"وكانت مجلة " لواء الإسلام " تنشر في كل عدد منها تفسيرًا للقرآن، وكان يتولاه الرجل المؤمن العارف بالله الشيخ الخضر حسين، وواصل تفسيره حتى وصل إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ ﴿١٩٤﴾ ﴾.(البقرة :194)

وذكر الأسباب التي جعلت محمد الخضر يقف عند هذا الحد "ووقف عند هذه الآية، لأسباب نفسية، لم تكن من صاحب المجلة الرجل الطيب، فاعتذر، وطلب إليَّ أن أتمم ما بدأت، وأيده صاحب المجلة فيما طلب، فتوليت كتابة التفسير من هذه الآية راغبًا دائبًا، فعدت إلى التفسير

=
1436 هـ - 2015 م:ج1 ص11-12.
[1]- زهرة التفاسير : ج1 ص14 .
[2]- زهرة التفاسير :ج1 ص14 .

كما بدأت في حياتي العلمية[1].

وأرجع علي الرضا الحسيني سبب توقف محمد الخضر إلى أنه :" أثقلته السنون، وقد قارب عمره الطاهر على الثمانين عاماً، وتحت وطأة الشيخوخة، توقف عن متابعة هذا الجهد الرائع، والإنتاج الفكري العظيم"[2].

لم تقتصر منشورات محمد الخضر حسين في التفسير وغيره على المجلات التي أسسها أو رأس تحريرها بل تعداه إلى مجلات أخرى في المشرق والمغرب، فقد دون مقالات في مجلة المنار، وأخرى في مجلة الفتح التي أسسها محب الدين الخطيب ، كما أسهم اسهاما كبيرا في المجلات التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقد أشاد ابن باديس بتلك المساهمة وذلك الدعم الذي أولاه محمد الخضر لمجلات الجمعية، ومنها صحيفة الشهاب، فقال في شأنه :" العلامة الجليل الأستاذ السيد محمد الخضر حسين في مقدمة الأفاضل الذين أمَدُّوا هذه الصحيفة بآثار فضلهم من سنتها الأولى إلى الآن، فما هوجم الإسلام في وقعة إلا وكان للأستاذ حفظه الله دفاع أمتن من الفولاذ، وأرسخ من الجبال الراسيات[3].

ووضح ابن باديس السبب الذي دفعة للكتابة في موضوع:" العلماء وأولي الأمر" ، ألا وهو مقال جليل نفيس نشرته مجلة: "الهداية الإسلامية" بقلم أستاذنا العلامة الجليل الشيخ الخضر بن الحسين الطولقي الجزائري التونسي ثم المصري تحت عنوان (العلماء وأولو الأمر)[4] فأحببت أن أنقله إلى قراء (الشهاب)[5].

لقد أدرج ابن باديس هذا المقال ضمن أعداد مجلة الشهاب اعترافا بفضل شيخه الخضر حسين، وتذكارا لما كان يتلقاه بين يديه من دروس في التفسير والمنطق وغيرها من العلوم" وأحببت

---

[1]- زهرة التفاسير : ج1 ص 22 .

[2]- مقدمة أسرار التنزيل: ص03 .

[3]- آثار ابن باديس :ج04 ص149 .

[4]- نص مقال: العلماء وأولوا الأمر موجود في كتاب :محمد الخضر حسين بعنوان : الدعوة إلى الإصلاح :ص98 وما بعدها.

[5]- آثار ابن باديس : ج3 ص420 .

أيضا أن تكون مقدمتي هذه الصغيرة أمام ذلك المقال الكبير، تذكرة لجلوسي لتلقي تهذيب المنطق بين يدي الأستاذ بجامع الزيتونة- عمره الله- ولسماع دروس من صدر تفسير البيضاوي بدار الأستاذ بشارع باب منارة من تونس الخضراء العزيزة حرسها الله"[1].

مشيرا إلى المكانة المرموقة والقيمة التي نالها محمد الخضر بين الشعوب مشرقا ومغربا : "والسيد-محمد الخضر- حفظه الله محبوب من كل محب للإسلام، معروف فضله لكل من اتصل به من أبناء الشرق والغرب، وقد تعود من صدر حياته أن يحمل دنياه على آخرته، وأن يضحي بالأولى في سبيل الأخرى إذا تعارضتا"[2].

فهذه هي حركة التفسير في هذه المرحلة، وهذا هو اسهام محمد الخضر حسين وبصمته في هذا الجانب الكبير ، جانب التفسير الذي كان أحد رواده ، وأحد المراجع التي يرجع إليها المفسرون في زمنه و بعدَه.

المبحث الثالث :اتجاهات التفسير ومدارسه وأعيان المفسرين في عصر محمد الخضر حسين:

[1]- المرجع السابق:ج03 ص421 .

[2]- آثار ابن باديس : ج04 ص146 .

إن ما سبق الإشارة إليه في الفصل الأول من هذه الأطروحة من أحداث سياسية واجتماعية، كان له الأثر في كل مجالات المعرفة ، وكان للتفسير والمفسرين النصيب الأوفر من هذا التأثير، حيث تأثر كُتَّاب مسلمون أو محسوبون على الاسلام بتقلبات الواقع، فافتتن بما أنتجته المدنية الغربية ومفكروها وفلاسفتها، ورأى بأن كل ما يأتي من أوروبا خير محض ومصير لا بد منه، فكان منهم من دعا الى إحداث قطيعة مع كتاب الله-لأنه أصبح في نظرهم لا يواكب العصر الجديد وكذا القطيعة مع التراث الإسلامي وما تركه الفكر الاسلامي عبر قرونه الماضية.

كما أفرز هذا الواقع دعاة "شغفوا بخلق مواءمة واضحة بين النص القرآني ومشكلات المدنية الحديثة، ومن حسن الحظ أن هذا الموقف المعتدل في الإفادة من مستحدثات المدنية الجديدة مع الاحتفاظ بالأصول القديمة كان سبيل الطليعة الرائدة من مجددي الفكر الإسلامي كمحمد عبده وفريد وجدي، ورشيد رضا وغيرهم"[1].

المطلب الأول: اتجاهات التفسير وأعيان المفسرين في العصر الحديث:

لقد أوجد هذا الواقع أنواعا من المدارس والاتجاهات المتنوعة والمختلفة في التفسير ،كما احتاج الواقع إلى إيجاد طرق جديدة في تفسير كتاب الله تجمع بين الاصالة في المحافظة على أصول التفسير ومسايرة العصر في إيجاد إجابات شافية وردود مقنعة لما يطرح في الساحة من قضايا في مختلف شؤون الحياة، و أفرز هذا الواقع اتجاهات منحرفة في تفسير كتاب الله ألجأت العلماء إلى الوقوف في وجهها وصد شبهاتها والدفاع عن كتاب الله وبيان القول الحق والصواب، حماية لأجيال الأمة التي سعت المدنية الغربية إلى إغراقهم في وشبهاتها.

يقول صلاح الخالدي :"شهد العصر الحديث تحكم المادية الجاهلية الغربية في العالم ، حيث تقدمت أوروبا وأمريكا كثيرا في العلم والمادية والتكنولوجيا ، وبالغت في الجاهلية والابتعاد عن الله ، وانتشار الأفكار والفلسفات المادية والإلحادية ، والآراء التي تهاجم الدين والإيمان ، وتدعو

[1]- محمد ابراهيم شريف - اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم : ص340.

غلى اللادينية والنظريات العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، والنفسية"[1].

الفرع الأول :بيان معنى الاتجاه:

اختلفت أنظار المؤلفين في اتجاهات التفسير، حول تصنيف التفاسير المؤلفة في هذا العصر والمدارس التي تنتسب إليها، وكان لكل منهم تقسيمه الذي رآه، وأحيانا تتقاطع هذه التقسيمات، وأحيانا أخرى تختلف، ورأى أصحاب هذا التقسيم[2] أن التفاسير لا تخلو من اتجاه من اتجاهات ثلاثة، الاتجاه الهدائي،وهو منهج يعتمد علو التنبيه –أثناء التفسير– لهداية القرآن العامة في جميع جوانب الحياة والكشف عنها من أجل إصلاح المجتمع على ضوئها[3] .

أ:معنى الاتجاه:لغة: الوجه والجهة بمعنى يقال هذا وجه الرأي، أي هو الرأي نفسه،والاسم الوِجْهَةُ والوُجْهَةُ بكسر الواو وضمها[4].

اصطلاحا:عرفه محمد إبراهيم شرف بأنه :" مجموعة الآراء والأفكار والنظرات والمباحث التي تشيع في عمل فكري –كالتفسير– بصورة أوضح من غيرها، وتكون غالبة على ما سواها، ويحكمها إطار نظري أو فكرة كلية تعكس بصدق مصدر الثقافة التي تأثر بها صاحب التفسير ولونت تفسيره بلونها"[5].

أو هو:"الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون ما يكتبون"[6].

---

[1]– صلاح الخالدي ، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين : ص561 .

[2]– وهذا تقسيم انتهجه محمد إبراهيم شرف في كتابه :اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم:ص231 وما بعدها.

[3]– اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم : ص232 وما بعدها.

[4]-. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،جذر:وجه :ج06ص2254 -2255 .

[5]– اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم :ص60

[6]–الرومي ،فهد ، بحوث في أصول التفسير ومناهجه،ص55 .

الفرع الثاني: ألوان التفسير واتجاهاته:

إن المرحلة –محل البحث– شهدت إقبالا كبيرا على التأليف في علم التفسير ، وتنوعا في تناول هذا العلم الجليل وكان لكل مفسر طريقته في عرض التفسير وقد تتبع الكاتبون في مناهج التفسير ومدارسه هذه المؤلفات فوجدوها تنتظم في اتجاهات مختلفة ، فهذا محمد إبراهيم شرف يحصر الاتجاهات كما يلي :

أ:الاتجاه الأدبي: والذي يهدف إلى النظر في القرآن من حيث هو كتاب العربية الأكبر وأثرها الأدبي الأعظم[1]. ويمثل هذا الاتجاه أمين الخولي، وسيد قطب .

ب:الاتجاه العلمي: وفي رأي أصحاب هذا الاتجاه أن أن العلوم والمعارف التي أرشد القرآن إلى مصادرها،فإن أجدى وسائل أداء الأمانة أمانة تبليغ الدعوة الإسلامية إلى العالم اليوم هي الكشف عن حقائق القرآن العلمية لا سيما في وقت قارب العالم أن يصل فيه إلى قمة العلم[2].

بينما يذهب : فضل حسن عباس في كتابه:" التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث" إلى أن مدارس التفسير واتجاهاته في العصر الراهن تنقسم إلى أربع مدارس:

1. المدرسة العقلية الاجتماعية، تنتسب إلى محمد عبده أو مدرسة المنار ومن أعيانها: محمد عبده، محمد رشيد رضا،عبد القادر المغربي، محمد مصطفى المراغي.أحمد مصطفى المراغي، ومحمود شلتوت.
2. المدرسة العلمية في التفسير ورائدها طنطاوي جوهري[3] .
3. المدرسة التربوية الوجدانية، وأعني بها مدرسة ظلال القرآن لسيد قطب[4].

[1]– اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم:ص243 .

[2]– المرجع نفسه :ص242 .

[3]– التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته:ج02 ص301 .

[4]– المرجع نفسه :ج02 ص357 وما بعدها .

4. مدرسة الجمهور[1]: ويدخل فيها كل من:تفسير القاسمي.التفسير الوسيط.تفسير محمد فريد وجدي صفوة البيان لمعاني القرآن لحسنين مخلوف. تفسير السعدي

5. التفاسير الدعوية : وقد جعل منها كلا من: تفسير ابن باديس.تفسير حسن البنا تفسير حسين الذهبي، وتفسير محمد الخضر حسين.

حيث جعل فضل حسن عباس، محمد الخضر حسينا ضمن الجمهور وجعل تفسيره من التفاسير الدعوية مثل تفسير ابن باديس وحسن البنا .

-**أما** محمد حسين الذهبي: فإنه قسم ألوان التفسير في العصر الحديث إلى أربعة ألوان أشار إليها بقوله : نستطيع أن نُجمل ألوان التفسير فى العصر الحديث فى الألوان الأربعة الآتية وهى أهمها:

1. اللّون العلمى:ومن رواده طنطاوي جوهري في كتابه جواهر القرآن[2].

2. اللَّون المذهبى: وهو لون يجنح إلى تحكيم المقررات المذهبية العقدية والفقهية ، وقد مثل له حسين الذهبي بتفاسير المذاهب والفرق التي لا تزال قائمة كالإباضية و بعض فرق الشيعة والبهائية والقاديانية من الباطنية[3].

ومَثّل لبعض منها ككتاب :آلاء الرحمن فى تفسير القرآن" محمد جواد النجفى[4]، المتوفى سنة

[1]- المرجع نفسه :ج02 ص455 وما بعدها.

[2]-التفسير والمفسرون :ج02 ص370 .

[3]- المرجع السابق:ج02 ص381 .

[4]- محمد جواد بن حسن بن طالب بن عباس بن ابراهيم البلاغي، النجفي، الربعي. فقيه، اصولي، مجتهد، متكلم، مفسر، اديب، ناظم، فلكي، عارف بالعبرانية والفارسية والانجليزية. ولد بالنجف، سنة 1282هـ-1865م ونشأ بها ودرس مقدمات العلوم ، توفي بالنجف في 22 شعبان1252هـ-1933م . من تصانيفه الكثيرة: التوحيد والتثليث في الرد على النصارى، آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، وله شِعر. ينظر:الأعلام :ج02 ص142 - معجم المؤلفين:ج09 ص163 - معجم المفسرين

1352 هـ "هميان الزاد إلى دار المعاد" لمحمد بن يوسف إطفيش، المتوفى سنة 1322هـ.

3. اللَّون الالحادى: ويظهر ذلك في كتابات أولئك الذين تعلقوا بمشجب التجديد، وراحوا يؤولون آيات القرآن بتأويلات فاسدة وبعيدة، مثل :كتاب الفن القصصي في القرآن لمحمد أحمد خلف[1]، وقد تحدث الذهبي عن هذا الاتجاه وعن أقطابه وتحاشى أن يذكرهم بأسمائهم وألقابهم دفعا للفتنة[2]، ثم اكتفى بعرض شبههم وامتنع عن الرد عليها مبررا ذلك بقوله:" ولا أُطيل بذكر ما أُفَنِّد به هذا الرأى الشاذ وما يحمله من دعاوى غير صحيحة على المفسِّرين جميعاً، فقد سبقنى إلى هذا أحد أساتذتى الأجلاء[3]، ولست ببالغ مبلغه من العلم، ولا بآتٍ بأكثر مما أتى به فى الرد على صاحب هذا الرأي"[4].

4. اللَّون الأدبى الاجتماعى: يهدف هذا اللون إلى معالجة النصوص القرآنية معالجة تقوم أولاً وقبل كل شىء على إظهار مواضع الدقة فى التعبير القرآنى، ثم بعد ذلك تُصاغ المعانى التى يهدف القرآن إليها فى أسلوب شَيِّق أخَّاذ، ثم يطبق النص القرآنى على ما فى الكون من سنن

=

:ج02 ص509 .

[1]- أفرد له محمد الخضر حسين جانبا كبيرا من الرد وسيأتي في فصل تعقبات محمد الخضر حسين لأهل الإلحاد والانحراف في التأويل وسنرى موقفه مع هذا الاتجاه الذي يلحد في آيات الله.

[2]- التفسير والمفسرون :ج02 ص384 .

[3]- يقصد بأستاذه هنا: "محمد الخضر حسين" الذي تولى الرد على ما ورد في ذلك المقال وعَنْونَ الرد بقوله :"كتاب يلحد في آيات الله" فند فيه كل تلك الشبه ، ينظر : محمد الخضر حسين – بلاغة القرآن :ص181 .وقد أحال حسين الذهبي على كتب محمد الخضر حسين للرد المقنع على تلك الشبهاب حيث نراه يقول:" وإذا كان القارئ الكريم يود أن يقف على إبطال هذه المزاعم .... فليرجع إلى ما كتبه شيخنا العلامة الشيخ محمد الخضر حسين فى الجزء الثالث من "رسائل الإصلاح"، ولا شك أنه سيجد فيما كتب هنا وهناك ما يكفى لأن يذهب بتلك التأويلات أدراج الرياح، وما ينادى بأن صاحب هذه التأويلات قد انحرف عن الهدى، فهوى إلى مكان سحيق". ينظر: حسين الذهبي، التفسير والمفسرون:ج02ص400 . ملحوظة: أفردت الفصل الرابع لتعقب محمد الخضر حسين لهذه التأويلات والإجابة على أصحابها.

[4]- التفسير والمفسرون:ج02 ص386 .

الاجتماع، ونُظُم العمران[1].

المطلب الثاني: مدارس التفسير في العصر الحديث:

تبين من خلال المطلب الساب أن اتجاهات التفسير تعددت واختلفت وقد يكون يكثر المفسرون في اتجاه ما وتتوطؤ كلمتهم على خدمة كلمة ما ، وقد يكون بعضهم سائرا على المناهج القديمة لا ينفك عنها فيكون امتدادا لها، وقد يكتسي بعضهم طابع التجديد ومواكبة العصر، هذا الاختلاف في الاتجاهات ولَّد مدارس مختلفة للتفسير في العصر الحديث فماهي هذه المدارس؟ وما محل محمد الخضر حسين منها ؟كيف تعامل معها ومع أعيانها موافقة أو مخالفة؟.

معنى المدرسة: المدرسة بالمعنى الواسع جماعة من العلماء أو الفلاسفة ينتسبون إلى مذهب واحد، أو يدافعون عن مبدإ أساسي واحد[2].

الفرع الأول: المدرسة الإصلاحية

تعتبر المدرسة الإصلاحية أبرز مدارس التفسير في العصر الحديث والتي نادت ودعت إلى إبراز هدايات القرآن الكريم وأنه كتاب الله الذي لا تستغني عنه الأمة بحال، بل هو الملاذ الذي تلجأ إليه الأمة لحل مشكلاتها وقضاياها،" وكان لهذه المدرسة رجال، وكان لها مفسرون لهم نشاط واسع في: نشر هذه الثقافة، ومكافحة الاستعمار، ومقاومة الهجوم على الدين عامة والدين الإسلامي خاصة، وإلقاء تبعة التخلف الحضاري عليه[3].

وأبرز رواد ومؤسسي هذه المدرسة : جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، فقد عد أحمد أمين محمد عبده "مصلحا دينيا ومصلحا اجتماعيا ومصلحا للغة والأدب وشخصية بارزة في

[1]- التفسير والمفسرون :ج02 ص401 .

[2]- جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني ، دط، بيروت-لبنان، 1982م :ج02 ص358-359 .

[3]- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر- فهد الرومي: ج2 ص716 .

التفكير،وأخيرا مصلحا سياسيا"[1] ، وعده عثمان أمين: رائد الفكر المصري، وقد بين محمد عبده الغرض الذي يرمي إليه في قراءة التفسير وهو "ذهاب المفسر إلى فهم مراد القائل من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأخلاق والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام ليتحقق فيه معنى قوله (هدى ورحمة) أي الإهتداء بالقرآن[2].

وبيّن تلميذُه رشيد رضا معالم هذه المدرسة ونمط التفسير الذي ينبغي أن يتعامل مع كتاب الله فقال"التفسير الذي يجب على الناس – على أنه فرض كفاية – هو ذهاب المفسر إلى فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام، قال الأستاذ الإمام: وهذا هو الغرض الذي أرمي إليه في قراءة التفسير"[3].

وهذه المدرسة ترى بأن الذي ينبغي أن يقصد إليه المفسر هو :"الاهتمام بمواكبة قضايا أمته واستخلاص هدي الله فيما يتعلق بها[4] .

كما أن هذه المدرسة عظمت شأن العقل كثيرا وظهر جليا في تفاسير روادها "محمد عبده، رشيد رضا، والمراغي، وغيرهم ، وإذا كانت المدرسة العقلية قديما قد بالغت في تعظيم العقل إلى درجة اعتبار الحسن والقبح عقليين[5]، فإن المدرسة العقلية الحديثة ممثلة في "مدرسة المنار" نوهت كثيرا بأمر العقل، ونص مؤسسها الثاني "محمد عبده" على أنه"إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل، وبقي في النقل طريقان طريق التسليم بصحة المنقول، مع الاعتراف بالعجز عن فهمه،

---

[1]– أحمد أمين ، رواد الإصلاح ، ص323 .

[2]– الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ،تحقيق : محمد عمارة ،دار الشروق ، ط01، مصر– القاهرة ،1414هـ–1993م: ج04 ص13.

[3]– محمد رشيد رضا – تفسير القرآن الحكيم: ج1 ص22 .

[4]– اتجاهات التجديد في تفسير القرآن: ص308 .

[5]–ينظر تفصيل مسألة هل الحسن والقبح عقليان أم شرعيان:الرازي ،فخر الدين – معالم أصول الدين ،تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي ،دط ، لبنان ،2004م:ص93.

وتفويض الأمر إلى الله علمه ،أو تأويل النقل، مع المحافظة على قوانين اللغة، حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل"[1].

أسّس هذه المدرسة التفسيرية محمد عبده الذي يطلق عليه تلاميذه (الأستاذ الإمام) ، لقد كان شيخا للأزهر، ومفتيا لمصر وهو تلميذ جمال الدين الأفغاني ، قام بجهود كبيرة في الدعوة والإصلاح[2]، ولقد استطاع كل منهما من خلال المقالات التي تنشر بالصحف المختلفة الربط الموفق بين مرامي النص القرآني ومشكلات المجتمع المعاصر الملحة فتخففوا كثيرا من الإلتزام بتسلسل الآيات التي قد تكون مدلولاتها بعيدة عن دائرة مقالاتهم ، وركزوا نظرتهم على تحليل الآيات التي تتعرض لمقالاتهم فحسب للعثور منها على وجهة النظر الإسلامية والمبدإ الإسلامي الذي يحكم المشكلات، أو موضوع المقالات، وأسسوا بذلك دعائم منهج جديد أثرى الفكر القرآني والتفسير الحديث في مختلف اتجاهاته[3].

لقد سعت هذه المدرسة إلى التقليل كثيرا مما يسمى بالمنهج المدرسي[4]، وخرجت بالتفسير عن دائرة التخصص إلى الدائرة العامة ، بحيث يأخذ المفسر في الاعتبار المدارك المتاحة للمثقف الحديث، دون أن يفقد التفسير طابعه العلمي أو يتخلى عن بعض قواعد التفسير المعروفة[5].

وتعد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من المتأثرين بمنهج المدرسة الإصلاحية ، وخاصة في التفسير فابن باديس يرى أن " فهم القرآن يتوقف – بعد القريحة الصافية، والذهن النير– على: التعمق في أسرار البيان العربي،والتفقه لروح السنة المحمدية المبينة لمقاصد القرآن، الشارحة لأغراضه

[1]– محمد عبده – الأعمال الكاملة لمحمد عبده: ج03 ص301 .

[2]– الخالدي – تعريف الدارسين بمناهج المفسرين:ص563.

[3]– محمد إبراهيم شرف – اتجاهات التجديد في تفسير القرآن :ص155.

[4]– يطلق لقب" المدرسي" على كل رجل يتصف بالعقلية المدرسية، ويرغب في التقيد بالآراء التقليدية، ويخضع لسلطان القدماء، ويتقاعس عن تجديد نفسه بتجارب الحياة. ينظر:جميل صليبا ، المعجم الفلسفي: ج02ص359 .

[5]– ينظر: مقال بعنوان: التفسير المدرسي في انتاج المفسرين الجزائريين ،بلحاج جلول ، مجلة الحضارة الإسلامية، مجلد:20،عدد02 ، ديسمبر،2019 ،ص87 .

بالقول والعمل،والاطلاع الواسع على مفهوم علماء القرون الثلاثة الفاضلة، ثم على التأمل في سنن الله في الكائنات، ودراسة ما تنتجه العلوم الاختبارية من كشف لتلك السنن وعجائبها"[1].

وقد اتجهت وجهة هذه المدرسة إلى بيان السنن الاجتماعية وأساليب الهداية النفسية وأسباب التطورات التاريخية، واستنباط ذلك من آيات القرآن الكريم ليكون حافزا للمسلمين إلى استعادة مجدهم بالقرآن وربط حياتهم الاجتماعية بتعاليمه وشرائعه[2].

الفرع الثاني –محاسن المدرسة الإصلاحية:

من محاسن المدرسة الإصلاحية أنها- نظرت للقرآن نظرة بعيدة عن التأثر بمذهب من المذاهب، فلم يكن منها ما كان من كثير من المفسِّرين من التأثر بالمذهب إلى الدرجة التى تجعل القرآن تابعاً لمذهبه، فيؤوِّل القرآن بما يتفق معه، وإن كان تأويلاً متكلفاً وبعيداً[3].

-كما أنها وقفت من الروايات الإسرائيلية موقف الناقد البصير، فلم تُشَوِّه التفسير بما شُوِّهَ به فى كثير من كتب المتقدمين، من الروايات الخرافية المكذوبة، التى أحاطت بجمال القرآن وجلاله، فأساءت إليه وجرَّأت الطاعنين عليه.

-كذلك لم تغتر هذه المدرسة بما اغتر به كثير من المفسِّرين من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة التى كان لها أثر سيء فى تفسير القرآن الكريم[4].

ومن الباحثين من آثر أن يطلق على هذه المدرسة : "المدرسة العقلية الاجتماعية" لأن فئة من المنتمين إليها حاولت"التقريب والتوفيق بين العلم والدين وبينت للناس أن الدين الإسلامي الحق لا

[1]- ابن باديس – في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير:ص17 .
[2]- حسن البنا – مقاصد القرآن، دار الوثيقة ،ط01 ، الخالدية ،الكويت ،1425هـ-2004م : ص32 .
[3]-التفسير والمفسرون :ج02 ص401 .
[4]- المرجع السابق :ج02 ص401.

يحارب العلم الصحيح ولا ينافي العقل الصريح وأن الإسلام دين العقل والحرية والفكر"[1].

ثم إن هذه المدرسة، نهجت بالتفسير منهجاً أدبياً اجتماعياً، فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه، وأوضحت معانيَه ومراميَه، وأظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم ونظم الاجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة، ومشاكل الأُمم عامة، بما أرشد إليه القرآن، من هداية وتعاليم.

-ومن رجالاتها : "محمود شلتوت" في تفسيره للعشرة أجزاء الأولى من القرآن الكريم ، ومن البارزين في هذا الاتجاه: "أحمد مصطفى المراغي" في كتابه: تفسير المراغي ، كما يعد من روادها محمد "فريد وجدي" في "المصحف المفسر" وكذا عبد القادر المغربي في تفسيره لجزء تبارك[2].

الفرع الثالث: مدرسة التفسير الحركي والاجتماعي

تعتمد هذه المدرسة على ربط معاني القرآن الكريم بمظاهر الحياة الحديثة علمية واجتماعية وخلقية وقد ظهرت بذور هذه المدرسة في جماعة الإخوان المسلمين ابتداءا من مؤسسها الأول حسن البنا ومرورا بالعلماء الذين انخرطوا فيها وتشربوا مبادئها، فقد تأسست جماعتهم عقب سقوط الخلافة الإسلامية، وقد تركت هذه الحركة آثارا واضحة في الحياة الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع.

كما كان لها أثرها في جانب التفسير، إذ كان لها مفكرون عديدون أثروا المكتبة الإسلامية بدراسات قرآنية، وفي مقدمتهم مؤسسها "حسن البنا" الذي ترك عدة مقالات ورسائل تتعلق بتفسير كتاب الله ، كما كان له بصمته التجديدية في تفسير كتاب الله ، وقد جمعت مقالاته تحت عنوان "نظرات في كتاب الله" ، اعتنى بها عصام تليمة، كما اعتنى نجل-حسن البنا- سيف الإسلام

[1]- فهد الرومي -اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر : ص717 .

[2]- المحتسب، عبد المجيد - اتجاهات التفسير في العصر الراهن، مكتبة النهضة الإسلامية، ط03 ، عمان -الأردن،1402هـ-1982م : ج01 ص103.

بجمع ما تناثر من كتابات تتعلق بتفسير كتاب الله[1] تحت عنوان "مقاصد القرآن الكريم" ، يضاف إلى ذلك ما تناثر في رسائله.

لقد انتدبه أعضاء مكتب الإرشاد العام لكتابة التفسير من حيث انتهى رشيد رضا عند قول الله عز وجل : ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴿١٠١﴾﴾ (يوسف:101)، ثم أتم بقية السورة "بهجة البيطار"، ليشرع حسن البنا في تفسير سورة الرعد وقد أخذ على نفسه أن يواصل بالنهج نفسه الذي سار عليه رشيد رضا والذي كان يعنون لتفسيره في مجلة المنار بأنه تفسير "سلفي أثري مدني عصري إرشادي اجتماعي سياسي "، قال حسن البنا : "على هذه الأصول سأكتب تفسير المنار إن شاء الله ،فإن وفقت :فمن الله وهو ولي التوفيق ، وإن كانت الأخرى فحسبي أني حاولت أداء الواجب واجتهدت في تحري الفائدة"[2].

وعلى ما كان بين حسن البنا ورشيد رضا من الخلاف لكن الإخلاص لله جعل حسن البنا يواصل ما بناه رشيد رضا ويعترف له بالفضل، ويشيد بجلائل أعماله، يقول محمد الغزالي:"قال لي الأستاذ البنا –عليه الرضوان– :"إنه تناقش مع الشيخ رشيد رضا في إحدى القضايا الفقهية، واتسعت مسافة الخلف بينهما، ولم يصلا إلى وفاق"[3].

ثم يضيف قائلا:"ثم رأيت الأستاذ البنا يصدر صحيفة الشهاب[4]، ويبدأ فيها باب التفسير،

---

[1]– ينظر ما خطه يوسف القرضاوي في مقدمته لكتاب نظرات في كتاب الله، وذكره ما كان من إلحاحه على سيف الاسلام نجل حسن البنا وتحريصه له إلى جمع تراث حسن البنا، وقد وعد بذلك وتحقق الوعد بإخراج كتاب "مقاصد القرآن"، نظرات في كتاب الله :ص10 .

[2]– حسن البنا – نظرات في كتاب الله :ص340 .

[3]– الغزالي ، محمد– علل وأدوية ،دار القلم، ط03، دمشق ، 1419هـ–1998م : ص123.

[4]– بل هي صحيفة المنار كما صرح حسن البنا حيث قال : سأكتب التفسير في المنار مستمدا من الله تعالى الحول والقوة:

فإذا هو يستفتح بسورة الرعد قلت له: لِمَ هذا البدء ؟ قال من حيث انتهى الشيخ الكبير محمد رشيد رضا"[1].

لكنه بعد ذلك استقل بمنهج خاص وطريقة مبتكرة في التفسير، وقد صرح بهذه الطريقة وذلك المنهج في كتابة وتدوين التفسير فقال:"عدلت إلى الكتابة في التفسير على نهج كنت جريت عليه من قبل في بعض دروسي ومحاضراتي للإخوان المسلمين، وذلك بأن أتناول المقاصد العامة في القرآن بحسب ما يلهمني الله إياه من فهم وتدبر وفقه ، مع الحرص على وحدة الموضوع بقدر الإمكان"[2].

وفي مقدمة المفسرين المنتمين لحركة الإخوان: سيد قطب وسعيد حوى، وقد كان سيد قطب "جامعا بين موهبته الأدبية والحكمية "[3]، هاتان الموهبتان أكسبتاه فهما فذا لكتاب الله حيث نجده يوضح الغاية التي لأجلها يُفسَّر كتابُ الله، وكيف نفهم عن الله كلامه الشريف، حيث يرى أن "هدفنا الأول أن نعرف ما ذا يريد منا القرآن أن نعمل؟ما هو التصور الكلي الذي يريد منا أن نتصور؟كيف يريد القرآن أن يكون شعورنا بالله؟كيف يريد أن تكون أخلاقنا وأوضاعنا ونظامنا الواقعي في الحياة؟[4].

وكتاب في ظلال القرآن لسيد قطب"أراد مؤلفه أن يعيش الأجواء القرآنية، ويستمد منها ما يملأ نفوس الشباب من الإيمان والتضحية لينبعثوا إلى الحياة بروح القرآن وإيمانه وبنفوس المؤمنين المحبة وعزة المجاهدين وصبرهم"[5].

ومن الباحثين المنتمين لهذه المدرسة والذين أصدروا دراسات قرآنية:محمد الغزالي في كتبه(

=

ينظر : نظرات في كتاب الله :ص339.

[1]- المرجع نفسه : ص123.

[2]- حسن البنا – مقاصد القرآن:ص19 باختصار .

[3]-ومضات فكر : ص448 .

[4]- سيد قطب – معالم في الطريق ، دار الشروق، ط06 ،القاهرة- مصر ،1399هـ- 1970م:ص18.

[5]- مساعد، مسلم آل جعفر – محي هلال السرحان – مناهج المفسرين ، دار المعرفة ، ط01 ،1980م :ص265.

كيف نتعامل مع القرآن ، نظرات في القرآن ، المحاور الخمسة للقرآن الكريم ،نحو تفسير موضوعي للقرآن ، معركة المصحف .....)، والبهي الخولي في كتبه (الثروة في ظل الإسلام ،آدم عليه السلام، فلسفة تقويم الإنسان وخلافته ...)، ويوسف القرضاوي[1] في كتبه(كيف نتعامل مع القرآن العظيم ، المرجعية العليا للقرآن والسنة،تفسير جزء عم، العقل والعلم في ،وأبو الأعلى المودودي وهؤلاء عاصروا محمد الخضر حسينا، ومنهم من شرف بالدراسة على يدي محمد الخضر بالجامع الأزهر.

الفرع الرابع: المدرسة الجامعة

يقصد بالمدرسة الجامعة، تلك المدرسة التي حافظت على القديم واعترفت للسابقين بالفضل ولم تجحد جهودهم، قال أحد أقطاب هذه المدرسة:" ولسنا منكرين لما بذله العلماء الذين خصوا معاني القرآن بأكبر عناية، بل إننا نجد فيما كتبوا أو نقل عنهم ذخيرتنا التي ندَّرع بها غير مفتاتين عليهم في قول، ولا متهجمين عليهم في رأي"[2] .

وميزتها أيضا أنها جمعت بين الرواية والدراية، والعقل والنقل ، وقد نص أبو زهرة – وهو من روادها– على مقاصد هذا التوجه وهذه الطريقة فقال:" وإن الطريقة المثلى التي توصل إلى الغاية في فهم القرآن، وتعرف معانيه، وإدراك دلائل إعجازه هي الاعتماد على النقل والعقل، فلا يصح الاقتصار على النقل وحده، ولا على العقل وحده، وإنما النظر الأمثل هو أن يعتمد على العقل والرأي "[3].

كما أنها سايرت الواقع واستفادت من توظيف العلوم الحديثة في التفسير، ووقفت عند الآيات الكونية والعلمية فوظفت ما يقرب إلى فهمها من نظريات وحقائق علمية، كما اعتنت هذه

[1]– تعريف الدارسين بمناهج المفسرين:ص564 .

[2]– أبو زهرة ، محمد بن أحمد – زهرة التفاسير :ج01 ص23،24 .

[3]– أبو زهرة ،محمد بن أحمد – زهرة التفاسير :ج01 ص35 .

المدرسة ببيان هدايات القرآن ، وما يستفاد من قيم .

يقول محمد الخضر حسين في هذا الشأن:" أنشأ أولو الأحلام الراجحة من الزعماء والكتّاب، يأخذون بما يظهر من جديد صالح، ولا ينكثون أيديهم من قديم نافع، فاستطاعوا بهذه الحكمة والروية أن يسلكوا قلوب الأمة في وحدة، ويخطوا بها إلى حياة العلم والحرية والاستقلال"[1].

ومن أبرز أعيان هذه المدرسة: الطاهر بن عاشور التونسي في كتابه: "التحرير والتنوير أو "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" فقد تكلم في مواضع من تفسيره على المقاصد التي ألف لأجلها تفسيره فقال في أحدها "جعلت حقا علي أن أبدي في تفسير القرآن نكتا لم أر من سبقني إليها، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها، فإن الاقتصار على الحديث المُعاد، تعطيل لفيض القرآن الذي ماله من نفاد"[2].

ثم بين منهجه الوسط الذي يأخذ من السابقين ما في تفاسيرهم من خير ويتحفظ عما لا يستند إلى دليل ، أو ليس له علاقة بالتفسير، "ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين: رجل معتكف فيما أشاده الأقدمون، وآخر آخذ بمعوله في هدم ما مضت عليه القرون"[3].

ولا شك أن هذا يدخل ضمن قول القائل :

عليك بأوساط الأمور فإنّها طريق إلى نهج الصّواب قويم

ولا تك فيها مُفْرِطًا أَوْ مُفَرِّطًا كِلاَ طَرَفَيْ قَصْدِ الأُمُورِ ذَمِيمٌ[4]

ولهذا ذم ابن عاشور هذين المسلكين المتطرفين وبيَّن مساوئهما:" وفي كلتا الحالتين ضر كثير،

---

[1]- نقض كتاب في الشعر الجاهلي : ص07 .

[2]- محمد الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير: ج1ص07 .

[3]- المرجع السابق :ج01 ص07 .

[4]- البيت لا يعرف له قائل :ينظر :محمد شراب – شرح الشواهد الشعرية في أُمَّات الكتب النحوية ، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ،ط01 ، 1427 هـ- 2007 م :ج03 ص08. عبد القادر بن عمر البغدادي ،خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،ط04، القاهرة ، 1418 هـ - 1997 م:ج 02 ص123،122.

وهنالك حالة أخرى ينجبر بها الجناح الكسير، وهي أن نعمد إلى ما شاده الأقدمون فنهذبه ونزيده، وحاشا أن ننقضه أو نبيده، عالما بأن غمض فضلهم كفران للنعمة، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة"[1].

ومن هنا كانت المنابع التي تلقى منها محمد الطاهر بن عاشور ومحمد الخضر حسين منابعَ واحدة ومنهجا واحدا شهد به محمد الخضر حسين نفسه فقال:" "شب الأستاذ"أي ابن عاشور" على ذكاء فائق، وألمعية وقَّادة، فلم يلبث أن ظهر نبوغه بين أهل العلم"[2] ، فهذه شهادة من عرفه عن قرب ودراية.

ثم عرَّج على ذكر ما كان يحدث في مجالس العلم بجامع الزيتونة فقال" ولما كان بيني وبينه من الصداقة النادرة المثال، كنا نحضر دروس بعض الأساتذة جنباً لجنب؛ مثل: درس سالم أبي حاجب لشرح القسطلاني على البخاري، ودرس الأستاذ الشيخ عمر بن الشيخ لتفسير البيضاوي، ودرس الأستاذ الشيخ محمد النجار لكتاب "المواقف"، وكنت أرى شدة حرصه على العلم ودقة نظره متجليتين في لحظاته وبحوثه"[3].

كما أن من أقطاب هذه المدرسة جمال الدين القاسمي في تفسيره محاسن التأويل والذي جمع في تفسيره بين القديم والحديث وأكثر النقول من تفاسير السابقين وأقوال الأئمة في مختلف المسائل اللغوية والعقدية جامعا بين المأثور والتفسير بالرأي ،كما أنه أشار إلى بعض النظريات العلمية التي كانت شلائعة في زمانه، مستعينا بما قاله أهل الفلك وعلماء الطبيعة في العصر الحديث حيث ظهر ذلك جليا في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾(البقرة :29) فقد أطال

[1]- محمد الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير: ج1ص07.

[2]- تونس وجامع الزيتونة: ص156 .

[3]- تونس وجامع الزيتونة : ص156 .

النفس في تفسيرها بما كان رائجا آنذاك من أن تفسير السموات السبع المقصود به الكواكب السبع السيارة[1].

الفرع الخامس: المدرسة المذهبية:

وهي تفاسير كانت امتدادا لمدارس سابقة تنصر أصول مذاهبها، وإن كان عدد التفاسير في هذه الفترة أقلَ منه بكثير عن تفاسير القرون السابقة، ومن التفاسير في هذا العصر: كتاب "بيان السعادة فى مقامات العبادة" تأليف سلطان محمد الخراسانى، من أهل القرن الرابع عشر الهجرى، ، وكتاب "آلاء الرحمن فى تفسير القرآن" لمحمد جواد النجفى، المتوفى سنة 1352 هـ[2]..

ومن تفاسير الإباضية التي ناسبت عقائدهم وسايرت مذهبهم كتاب "هميان[3] الزاد إلى دار المعاد" للشيخ محمد بن يوسف إطفيش، المتوفى سنة 1322هـ-1914م بوادي ميزاب بالجزائر الذي طبع مرة أولى في ثلاثة عشرمجلدا بالمطبعة السلطانية بزنجبار، سنة1305هـ-1888م، وطبع ثانية بمطبعة سجل العرب، القاهرة ،مصر ووزارة التراث العمانية سنة1401هـ-1980م ، أما تفسيره الثاني فهو في سبعة مجلدات بعنوان (تيسير التفسير).طبع طبعة حجرية بالجزائر سنة 1335هـ-1952م، وأعيد طبعه حديثا بمطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة نشر وزارة التراث العمانية،1981م.

هذان التفسيران وضعا على المذهب الإباضي واعتمدا الجانب اللغوي أساسا مع تأثر في بعض المسائل بالفكر الاعتزالي[4] .

---

[1]- القاسمي ،جمال الدين - محاسن التأويل :ج01 ص282 وما بعدها .

[2]- التفسير والمفسرون : ج02 ص382.

[3]- الهميان: الوعاء فيه النفقة جِلدا أو خِرْقَة، ويقال للذي تجعل فيه النفقة، ويشد على الوسط ،ينظر:الأزهري- تهذيب اللغة : ج 06 ص176 / الرازي- مختار الصحاح: مادة همي :ص328 /أحمد تيمور- معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية ،تحقيق: حسين نصّار- دار الكتب والوثائق القومية، ط02 ،القاهرة - مصر،1422 هـ - 2002 م:ج05 ص251.

[4]- النيفر، احميدة بن مأمون- التفاسير القرآنية المعاصرة قراءة في المنهج ،دار الفكر المعاصر،ط01 ، دمشق – سورية،

الفرع السادس: المدرسة التي ينتمى لهامحمد الخضر حسين في التفسير:

لقد سبق الإشارة إلى مدارس التفسير في العصر الحديث ومنها: المدرسة الاصلاحية والتي قامت على إبراز هدايات القرآن ومعاني الإصلاح،"وفهم المراد من القول وحكمة التشريع في العقائد والأحكام"[1] ،كما أعطت للعقل جانبا مهما في تفسير النصوص،وهذا أيضا ما دعت إليه مدرسة التفسير الحركي والاجتماعي ، ولا يخفى ما بين المدرستين من التوافق والتقاطع والتشابه في كثير من القضايا.

وإذا استقرينا ما كتبه محمد الخضر حسين من تفسير ومقالات وظف فيها التفسير، نخلص إلى أن تفسير محمد الخضر حسين يدخل ضمن المدرسة الجامعة التي تجمع بين ميزات المدارس القديمة، وتستفيد من مناهج المدارس الحديثة، فقد وافق المدرسة الإصلاحية في جوانب عدة وخالفها في أخرى، إذ كان من أول الداعين إلى فتح باب الاجتهاد في تونس.

وهو القائل:" وقد كنت – بعد أن نلت درجة العالمية من جامعة الزيتونة – أنشأت مجلة علمية أدبية، قلت في أول عدد منها: "ودعوى أن باب الاجتهاد مغلق، لا تُسمع إلا مع دليل يبطل الدليل الذي انفتح به أولاً"[2] .

ومعنى فتح باب الاجتهاد يتضمن إصلاح وتجديد مختلف العلوم وعلى رأسها علم التفسير، وهذا الذي جسده عند تنصيبه لمنصب مشيخة الأزهر فكان من جملة ما دعا إليه، إدخالُ العلوم الكونية والاجتماعية في مقررات الأزهر وخاصة تخصصَ- التفسير ليوظف المفسر تلك العلوم في تفسيره، يقول:" وربما أشار بعض الكاتبين في إصلاح الأزهر بقصر التعليم فيه على العلوم الدينية والعربية، وهو رأي لا يستقيم مع ما يقتضيه حال العصر من أن يكون العالم الديني على جانب من

=

1421هـ-2000م:ص21.

[1]- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: ص219.

[2]- دراسات في الشريعة الإسلامية : ص130 .

العلوم الكونية والاجتماعية"[1].

كما وافق مدرسة التفسير الحركي والاجتماعي في جوانب من منهجها، إلا أنه اعترف للمدارس السابقة بالفضل ووظف منهجها في شرح المفردات شرحا لغويا منطلقا من قواميس اللغة، كما اعتنى ببيان بلاغة القرآن الكريم.

وقد صرح بهدي القرآن عموما وأنه كتاب الزمن كله فقال:" إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، يهدي إلى الحرية الصادقة، إلى العدالة الناصعة، إلى المساواة الخالصة، فيه آداب نفسية، وسنن اجتماعية، وقوانين قضائية، ونظم سياسية"[2].

المطلب الثالث: مظاهر الموافقة والمخالفة بين محمد الخضر ومدارس التفسير الحديثة:

كان محمد الخضر موافقا لبعض مباديء مدارس التفسير التي عاصرها واحتك ببعض رجالاتها يقول بأقوالها ويدعو إلى ذات أفكارها ، كما أنه كان مخالفا لها في بعض توجهاتها واجتهاداتها:

الفرع الأول: مظاهر موافقة محمد الخضر لمدارس عصره:

أولا–الموافقة في الهدايات:

لقد كان محمد الخضر حسين أحد الداعين إلى العناية بهداية القرآن الكريم والمحرضين على إثارة هدايات القرآن يدل على ذلك قوله: " أنزل القرآن لمقصدين ساميين:

1-: هداية البشر إلى سبل السعادة في الحياتين الدنيا والآخرة.

2-: دلالته على صدق الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيما ادعاه من الرسالة التي هي مطلع تلك الهداية العامة، فكان أعظم معجزة وأخلدها على وجه الأرض.

[1]- هدى ونور: ص123 .

[2]- نقض كتاب في الشعر الجاهلي :ص281.

فمن أراد تفسير القرآن، فليتجه إلى وجوه الهداية التي أرشد إليها؛ من نحو: العقائد، والعبادات، والأخلاق، والآداب، وأحكام المعاملات، ويتجه مع هذا إلى الوجوه التي كان بها معجزة خالدة"[1].

وقد أنكر على أولئك الذين يغرقون في معالجة قضايا بعيدة عن مقصد القرآن الكريم، فتأخذ من كلامهم حيزا كبيرا ويتيه القاريء بين تلك العلوم فيُصرف عما تريده الآيات من المكلفين" وتجاوز قوم حدود هذين الهدفين، وأطلقوا لأقلامهم العنان، فاستطردوا في التفسير مباحث لا يتوقف عليها فهم القرآن من حيث إنه هداية، أو مباحث لا يحتاج إليها في تقرير وجه من وجوه إعجازه، وإنما هي مسائل ترجع إلى علوم أخرى مستقلة بنفسها"[2].

وهو بهذا يتوافق مع ما قاله رشيد رضا بعد أن ذكر ثمانية أوجه للتفسير: "وقد عرفت أن الإكثار في مقصد خاص من هذه المقاصد يخرج بالكثيرين عن المقصود من الكتاب الإلهي، ويذهب بهم في مذاهب تنسيهم معناه الحقيقي؛ لهذا كان الذي نُعنَى به من التفسير هو ما سبق ذكره، أي من فهم الكتاب من حيث هو دين، وهداية من الله للعالمين[3].

– نماذج من الإشارات الهدائية في تفسير القرآن الكريم– عند محمد الخضر:

أ–في جانب السياسة:

لقد ظهرت عناية محمد الخضر حسين بما في القرآن الكريم من هدايات حيث أشار إلى ما ينبغي للمفسر أن يعتني به من بيان هدايات القرآن الكريم ،ثم طبق ذلك وأورده في مواضع من تفسيره، ربطها بواقع الأمة واحتياجاتها وظروفها ، وهاهو يشير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿۞وَمَا

[1]– بلاغة القرآن : ص28 .

[2]– المصدر السابق : ص28 .

[3]– مقدمة تفسير المنار:ص18 .

كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢ ﴾[1]. إلى معنى التفقه في الدين وأن معناه أوسع مما يتبادر إلى الأذهان فيلحق بالتفقه في الدين عند محمد الخضر"كل علم يعد في وسائل الرسوخ في علوم الدين؛ كالنحو، والبلاغة، بل يلحق بالتفقه في الدين كل علم يتوقف عليه استقلال الأمة وسلامتها من أيدي أعدائها؛ كفنّ صنع الغواصات والطيارات وما شاكلها من وسائل القوة المشار إليها[2] بقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ٦٠ ﴾[3] .

وفي مقام الجهر بالحق، والدعوة إلى الاصلاح يستدل بموقف نبي الله نوح وشجاعته في تبليغ رسالة الله ﴿۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ٧١ ﴾[4].

ليخرج من هذا الموقف من نبي الله نوح عليه السلام بهداية تدل لأمة على وسيلة من وسائل التخلص من الاستبداد أو الاستعمار " فالأمة التي تملك الشجاعة الحربية لا تصل إليها يد العدو بأذى، فإذا ضمَّت إلى ذلك الشجاعة الأدبية، استقامت شؤونها الداخلية، وأمنت من أن يفسد عليها رؤساؤها أمر سياستها، أو يضلوا السبيل، فيهيئوا لأبنائها مستقبلاً منكراً شقياً"[5].

---

[1]- التوبة :122 .

[2]- الرحلات : ص7 .

[3]- الأنفال :60 .

[4]- يونس:71 .

[5]- محمد رسول الله وخاتم النبيئين : ص98 .

-استفاد من قوله تعالى: ﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾[1] وتقترب الأمة من الحرية بقدر ما تقل فيها المظالم،فالعدل يجعل الأمة في سلام داخلي؛ حيث يبث الألفة والأخوة بين الأفراد، كما يجعلها في سلام خارجي؛ حيث ينهض بها إلى أن تدافع عن كيانها وحقوقها بما تملك من قوة[2].

أما عند وقوفه على قصة آدم من سورة البقرة فإنه خرج منها بأحكام عدة، وفي مجالات مختلفة، فعبر عن ذلك بأن القصة:" – مع كونها حقيقة واقعة – تنطوي على حكم شائقة، وعبر لامعة"[3]، ثم ذكر ما يستفاد منها في موضوع السياسة فقال:" ويستفيد منها الرئيس الأعلى كيف يفسح المجال لمرؤوسيه المخلصين يجادلونه في أمر يريد قضاءه، ولا يزيد على أن يبين لهم وجهة نظرة في رفق، وإذا تجاوزوا حد الأدب اللائق به، راعى في عتابهم ما عرفه فيهم من سلامة القلب، وتلقي أوامره بحسن الطاعة"[4].

ب– في جانب الدعوة:

وقف محمد الخضر عند بعض الآيات وأخذ منها دروسا للدعاة إلى الله في كل زمن ومن هذه الآيات قوله تعالى :﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾[5].

فمما يتعلمه الدعاة من هذا الموقف في حياة رسول الله وعتاب الله له على ما بدر منه تجاه

---

[1]- البقرة:279 .

[2]- دراسات في الشريعة الإسلامية:ص135 .

[3]- أسرار التنزيل:ص77 .

[4]- المصدر نفسه :ص78 .

[5]- عبس :1-10 .

ابن مكتوم رضي الله عنه أنه، "كان لمحمد – صلوات الله عليه – أن يعتذر لابن أم مكتوم حين انصرف عنه بوجهه بأنه كان يرجو هداية أولئك الغاوين الذين تصدى لدعوتهم، وكل أصحابه يتلقون هذا العذر بقبول، ولكن الله تعالى يريد أن يعلمنا أن للنفوس الزاكية مزيداً وفضلاً على النفوس الطاغية، فليس لأحد أن يعبس في وجه نفس تطلب الخير، ملتفتاً عنها إلى نفس مضروبة في الغواية"[1].

–وفي بيان فضل الدعوة الجماعية على الدعوة الفردية وقف على قوله تعالى :﴿۞وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾[2]، فقد قال معقبا على ما فسر به بعض المفسرين الطائفة بأنها الواحد فأكثر لكنه مال إلى أن تفسيره بالجماعة أقرب لما في الدعوة الجماعية من أثر "وقالوا في وجه الاستشهاد: إن الطائفة في لسان العرب: الواحد فما فوقه، وهذا القول مستقيم بالنظر إلى إبلاغ الأمر والنهي، ووضع الحق بين أيدي الغافلين عنه، أما من حيث فعل الدعوة في النفوس، ودخولها مدخل الإقناع، فمن البيّن بنفسه أن للدعوة التي تقوم بها الجماعة أثراً لا تبلغه دعوة الفرد[3].

وفي ما يتعرض له الدعاة من استهزاء وأذى ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٠ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١١﴾[4] يقول في هدايات هذه الآية:"يقص علينا من بذائهم ومكرهم ما يصح أن يكون من حكمةِ تسلية الدعاة، وتأكيد عزمهم على مواصلة الدعوة، وقلة الاكتراث بما يلاقونه من شغب وإساءة، فإذا لقي رُسُل الله– عليهم السلام– من سفهاء القوم أذى كثيراً، فأغمضوا عنه، وداسوه بأقدامهم، فلا يسع غيرهم ممن يريد

[1]– محمد رسول الله وخاتم النبيئين :ص99 .

[2]– التوبة:122 .

[3]– الدعوة إلى الإصلاح :ص17 .

[4]– الحجر:11 .

الخير لأمته إلا أن ينصح لهم، ويفتح في طرق الهداية أبصارهم، ولا يبالي بمن ينغض[1] إليه رأسه ساخراً، أو يطلق فيه لسانه لامزاً"[2].

ج: جوانب أخـــرُ: كما كان لمحمد ابلخضر استنباطات لهدايات في جوانب من جوانب الحياة مختلفة منها:

-وفي ما يستعمله بعض الناس من استعمال آيات الله أو إيرادها في مقام السخرية والاستهزاء، وقد يصدر ذلك من بعض طلبة العلم أو من بعض حفظة كتاب الله، يحذر محمد الخضر من هذا المسلك الذي قد تكون عاقبته وخيمة ، ويتجلى ذلك في قوله تعالى :﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧﴾[3]،حيث نبهت الآية على أن الاستهزاء بأمر من أمور الدين جهل كبير، ومن الجهل ما يلقي صاحبه في أسوأ العواقب، ويقذف به في عذاب الحريق، ومن هنا منع المحققون من أهل العلم استعمال الآيات كأمثال يضربونها في مقام المزح والهزل، وقالوا: إنما أنزل القرآن ليتلى بتدبر وخشوع، وقصد إلى المحافظة على العمل به[4].

-وقف محمد الخضر حسين على قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦ ﴾[5] ، وبعد عرضه لتفسير الآية استوقفته سنة من سنن الله في

---

[1]- اقتباس من قوله تعالى ﴿فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ ٥١﴾ :الإسراء:51 . أنغض رأسه أي حركه، كالمتعجب من الشيء - ينظر:القرطبي: ج10ص275 .

[2]- الدعوة إلى الإصلاح :ص47 .

[3]- البقرة:97.

[4]- أسرار التنزيل:ص128.

[5]- الأنفال:29.

ما يكون فيه القوم من ضعف وخوف، وبؤس وهوان على الناس[1]،ثم سَوقِه بعد ذلك لمواصفات المؤمنين من الإيمان الصادق والصبر على البلاء ومجانبة مودة أهل الفسق وأخذ الحيطة والحذر من الأعداء[2]، راح بعدها يسقط ما ترمي إليه الآيات، على واقع الناس آنذاك وما كانوا يلقونه من استضعاف من طرف المستعمرين ، وما أصاب المؤمنين من الهوان وأسباب ذلك فقال:" فنقتبس من هذا أن سنة الله في القوم الذين يحتفظون بهذه الخصال أن يجعلهم في أمن ومنعة وعزة، وعيشة راضية، ولا عجب أن نرى المسلمين اليوم في كثرة، وهم فيما نرى ونسمع من استضعاف، فقد أضاعوا جانباً عظيماً من الخصال التي تقوم عليها سنة الله في تخليص القوم من عدو يضع يده فوق أيديهم[3].

ثانيا–الموافقة في التنويه بأمر العقل :

إن العقل هو مناط التكريم والتفضيل، وعمدة التكليف بالأحكام ، ودليل هاد إلى التوحيد الحق، ومفتاح لمغالق النص الشرعي يقول القرطبي: "والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يُعرَف الله ويفهم كلامه"[4]، وقد نوه القرآن الكريم بشأن العقل ومكانته وتكرر وروده في القرآن الكريم بمختلف الصيغ، يعقلون تعقلون عقل نعقل يعقل، " ومن أبرز ما جاء:صيغة الاستفهام الإنكاري الدالة على التحريض والإلهاب، تلك الصيغة المنكرة الملهبة المحرضة﴿ **أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾؟ وقد ذكرت في القرآن ثلاث عشرة مرة[5].

من كل هذا يتبين أن شريعة الله رفعت مكانة العقل ونوهت به وأمرت بالمحافظة عليه وصيانته

---

[1]– أسرار التنزيل :ص401.

[2]– المصدر نفسه:ص401.

[3]– أسرار التنزيل:ص403 ،404.

[4]– القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد– الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط02 ، القاهرة ،1384هـ–1964م :ج10ص294.

[5]– القرضاوي ، يوسف – العقل والعلم في القرآن الكريم ،مكتبة وهبة ، القاهرة ،ط01، 1416هـ–1996م : ص13.

فحرمت كل ما يكون وسيلة إلى تأذيه أو تغييبه " فانظر إليها – أي الشريعة–كيف رفعت مقام العقل، وحثت على إعماله في النظر والبحث، والوثوق بما يدركه من نتائج، وما يجنيه من ثمرات[1].

أ–مفهوم العقل عند محمد الخضر حسين:

عرَّف محمد الخضر العقل عند تفسيره لقوله تعالى ﴿۞أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ **أَفَلَا تَعۡقِلُونَ** ٤٤﴾[2]، يطلق العقل على قوة في النفس تستعد بها لقبول العلم، ويطلق على إدراك الأشياء بتلك القوة[3].

كما استدل لتعريف العقل بقول الحارث المحاسبي: سئل الحارث المحاسبي عن العقل: ما هو؟ فقال: نور الغريزة مع التجارب، يزيد ويقوى بالعلم والحلم[4].

ومن أروع ما هدى إليه القرآن في جانب الفكر والعلم: تنويهه ب"أولي الألباب"و"أولي النهى"أي أصحاب العقول وقد وردت كلمة أولو الألباب أو أولي الألباب في القرآن ست عشرة مرة[5].

ب. موقف محمد الخضر من العقل: لقد عرَّف محمد الخضر معنى العقل وذلك عند تفسيرة لمصطلح الألباب الوارد في القرآن الكريم فقال: ﴿الْأَلْبَابِ﴾: جمع لُبّ، وهو العقل الخالص من شوائب الأوهام، أو العقل الذكي، وهو ما لا يبطئ في استبانة الحقائق، واستخراج لطائف المعاني من مكامنها[6].

---

[1]– محمد رسول الله وخاتم النبيئين :ص70 .

[2]– البقرة :44 .

[3]– أسرار التنزيل : ص87 .

[4]– الشريعة صالحة لكل زمان ومكان : ص245.

[5]– القرضاوي ،يوسف – القرآن والعلم: ص22 .

[6]– أسرار التنزيل :ص323.

وفي هذا تنويه بشأن من يوظف العقول في الموضع الذي يجب أن توظف له فيتدبر آيات الله، ويدرك ما ترمي إليه، " وخص النداء بأولي الألباب، مع أن الخطاب بحكمة القصاص شامل لهم ولغيرهم؛ لأنهم الذين يتدبرون عواقب الأمور، ويعرفون قيمة الحياة، ويقدرون حِكَم التشريع قدرَها"[1].

ويعتبر محمد الخضر حسين أن الله إنما اختار نبيه محمدا لتلقي الرسالة لما امتاز به من وفور العقل ورجحانه وكماله فقد كمل الله عقل رسوله "وأودعه تعالى في كُمَّل خلقه؛ ليفهم به مقاصد الوحي، فيقوم ببيانها، ويدرك أمراض النفوس، فيصف أدواءها، ويتدبر أمور الجماعات، فيحسن سياستها"[2].

ج. موافقة القرآن الكريم لصريح العقل وصحيح العلم:

إن العقل الخالي من أي مؤثر لا يسعه إلا الإقرار بأن القرآن الكريم كلام الله، وأن كل ما ورد به لا يتعارض بحال مع العقل، ،فمحمد الخضر يجزم أن الحقيقة التي نصدع بها موقنين، ونخرج من مقام الدفاع عنها ظافرين، هي أن كل ما يقرره الدين لا تجرؤ العقول على إنكاره، إلا عقولاً لا ترجع في إنكارها إلى منطق صحيح[3].

ثم إن أحكامه لا تتعارض بتاتا مع المنطق الصريح ولا مع حقائق العلم وهذا كفيل بكونه كلام الله الذي أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير وقد أكد هذا المعنى أيضا ورجحه محمد الخضر وعده من وجوه دلالة القرآن على صدق الرسول – عليه الصلاة والسلام فمعاني القرآن كلها تجيء على الوجوه المعقولة، ولا تخالف العلوم الصحيح[4].

---

[1]– نفسه: ص323 .

[2]– محمد رسول الله وخاتم النبيئين : ص128 .

[3]– محاضرات إسلامية: ص144.

[4]– محمد رسول الله وخاتم النبيئين :ص53 ، بتصرف يسير.

فجميع حجج القرآن واردة على قانون المنطق الصحيح، ومن لم ينتفع بها، ويستقم على طريقتها، فلأنه استكبر عليها، أو لم يوقع النظر على وجه دلالتها[1].

وقد أخطأ خطأً كبيرا؛ من ظن أن القرآن الكريم يخالف ما توصل إليه العلماء من حقائق علمية لأن في ذلك اتهاما للقرآن بالقصور وعدم الصلاحية لكل زمان ومكان مصداق هذا قول الله عز وجل : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[2] ،يقول البيضاوي في تفسيرها لوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً من تناقض المعنى وتفاوت النظم ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض، وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض" فيفهم من كلام البيضاوي:" أن القرآن غير ذلك وأنه سالم من تضارب ألفاظه ومعانيه، ومن مناقضة العقل و حقائق العلم"[3] ، وقد شهد بهذا المعنى محمد الخضر فقال:"فمن سمّى نفسه مسلمًا، ثم قال: إن في القرآن ما يخالف العلم الصحيح، فقد غمس لسانه في حمأة النفاق؛ لكي يستطيع العبث بالدين، واختلاس العقيدة السليمة من قلوب أبناء المسلمين وهم لا يشعرون"[4].

وإذا أقرَّت العقول إمكانَ شيء، وأخبر الدين القائم على البرهان بوجوده، تلقينا خبره بالقبول، ولم نفرق بينه وبين ما أدركناه بالمشاهدة، أو ثبت بالأدلة العقلية مباشرة[5].

الفرع الثاني : مظاهر مخالفة محمد الخضر للمدرسة العقلية الإصلاحية:

لقد وافق محمد الخضر حسين المدرسة الإصلاحية في كثير مما كانت تدعو إليه وفي الكثير من

---

[1]- المصدر نفسه :ص95 .

[2]- النساء :82 .

[3]- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج02 ص86 .

[4]- نقض كتاب في الشعر الجاهلي : ص75 .

[5]- بلاغة القرآن :ص158 .

آرائها وأفكارها، ولكنه خالفها أيضا في أفكار وتوجهات، وهذا لا يستغرب منه ، فإنه تلقى تكوينه الأول على يد شيخين ،أحدهما يميل إلى تيار الإصلاح وهو شيخه سالم بوحاجب ، والآخر من المحافظين وهو محمد النجار، وكأن محمد الخضر امتزج فيه التوجهان فكان وسطا بينهما "وكان لظهور مجلته السعادة العظمى في معمعة تلك الخلافات كطلوع الحكم العدل، تنزهت به المجادلات عن الفحش وتطهرت عن الهمز واللمز، وتسامت عن التشهير والأذى الشخصي"[1].

وهذا الذي يلمسه من يقرأ تراثه وردوده، وقد التزم بهذا الأدب مع رواد المدرسة الإصلاحية وذكر بعض ملاحظاته على ما ما ذهبوا إليه في جانب التفسير.

ومن ذلك رده على "محمود شلتوت"، في مقال حول الهجرة وشخصيات الرسول صلى الله عليه وسلم[2]، ومما يتعلق بالقرآن الكريم قول "محمود شلتوت": إن الوحي في مكة كان يدور حول تحديد الدعوة، وبيان الغرض منها، ولفت الأنظار إلى أدلتها[3]، وهي عبارة موهمة-في رأي محمد الخضر- أن "الوحي في مكة وقف دون شرع الأحكام العملية"، لكن الواقع غير هذا فإن الوحي بمكة قد شرع أحكامًا ترجع إلى العبادات، وأخرى إلى العادات أو المعاملات: كالصلوات الخمس، ونزل الوحي فيما يحل ويحرم من المطعومات، ووردت آيات وأحاديث في الأمر بأعمال صالحة[4].

ومن أمثلة ردود محمد الخضر على بعض رواد مدرسة الإصلاح تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾[5].

---

[1]- الحركة الأدبية والفكرية في تونس:ص92.

[2]- محمد رسول الله وخاتم النبيئين :ص227 وما بعدها.

[3]-المصدر نفسه :ص229.

[4]- محمد رسول الله وخاتم النبيئين :ص229 .

[5]- البقرة:73 .

يقول محمد الخضر حسين في تفسيرها :"وقد تعاطى تفسير الآية شيخان معاصران[1]، أحدهما كتب في التفسير، والآخر كتب في قصص الأنبياء، وقد ذهبا مذهب التعسف في التأويل،أما الكاتب في التفسير، فقد جعل آيات: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔٔتُمْ فِيهَا ۖ ﴿٧٢﴾﴾[2]،من تتمة القصة المبتدأة بالأمر بذبح البقرة كما يقول أهل العلم من السلف، ولكنه يرى أن ذبح البقرة وسيلة عندهم للفصل في الدماء عند التنازع في أمر القتل، لتعرُّف الجاني[3].

ثم ذكر تفسير الآية من منظور رشيد رضا : "ومعنى إحياء الموتى-على تفسيره-: "حفظ الدماء التي كانت عرضة لأن تسفك بسبب الخلاف في قتل تلك النفس التي يحييها بمثل هذه الأحكام"[4].

ثم أورد ما ذهب إليه عبد الوهاب النجار من تفسير الآية: اضربوا المتهم ببعض النفس، وهي

---

[1]- يقصد بالشيخين كلا من الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء،والشيخ رشيد رضا في تفسيره (تفسير القرآن الحكيم) أمّا عبد الوهاب النجار فقد قال بين يدي قصة البقرة أما قولهم: إن القتيل ضرب ببعض البقرة فحيي وأخبر بقاتله فهذا شيء زائد على ما نص في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – وكل ما قصوه في هذا الموقف في كتبهم ليس إلا إسرائيليات تلقفها أولئك المفسرون من مسلمة أهل الكتاب ، أمثال كعب الأحبار ووهب بن منبه الذين لا يبالون بما ينسبونه إلى كتاب الله التوراة ، وإذا كانت المسألة خالية من نص قطعي الثبوت والدلالة جاء في القرآن ومن نص عن المعصوم صلى الله عليه وسلم تجب به الحجة وتثبت به القضية ، وليس فيه سوى تلك الإسرائيليات المعلوم أمرها كان من الظلم أن تفسر العقول على فهم وجه ليس به حجة ولا برهان ، وأن تكف عن فهم كتاب الله تعالى على وجه مقبول في العقول سائغ في الأفهام ، أما رشيد رضا فقد قال في قوله تعالى:"فقلنا اضربوه ببعضها): والآية ليست نصا في مجمله فكيف بتفصيله؟ والظاهر مما قدمنا أن ذلك العمل كان وسيلة عندهم للفصل في الدماء عند التنازع في القاتل إذا وجد القتيل قرب بلد ولم يعرف قاتله؛ ليعرف الجاني من غيره، فمن غسل يده وفعل ما رسم لذلك في الشريعة بريء من الدم، ومن لم يفعل ثبتت عليه الجناية. ومعنى إحياء الموتى – على هذا – حفظ الدماء التي كانت عرضة لأن تسفك، بسبب الخلاف في قتل تلك النفس، أي يحييها بمثل هذه الأحكام، وهذا الإحياء على حد قوله – تعالى -: (ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) (المائدة: 32) وقوله: (ولكم في القصاص حياة) (البقرة: 179) فالإحياء هنا معناه الاستبقاء كما هو المعنى في الآيتين. ثم قال: (ويريكم آياته) بما يفصل في الخصومات، ويزيل من أسباب الفتن والعداوات ينظر : تفسير القرآن الحكيم: ج1 ص291.

[2]- البقرة:72.

[3]- أسرار التنزيل:ص134.

[4]- تفسير القرآن الحكيم :ج1 ص291.

القتيل، فإذا كان قاتلاً، ظهر عليه انفعال نفسي ورعدة يعلم بسببها أنه القاتل دون سواه، أو هو على اتصال به.

وكان خلاصة الرد على الرأيين والقولين أن كلا منهما مخالف لما ورد عن السلف، وبعيد عن أسلوب القرآن وبلاغته، ولو كان المراد من قوله: ﴿ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ معنى الآيتين، لقال مثلاً: كذلك يحيي الله الناس، أو قال: ولكم في هذا الحكم حياة[1].

فهذه هي بعض مواقف محمد الخضر حسين من المدرسة الإصلاحية والعقلية ، مخالفةً أو موافقة، وهذه بعض جهوده في التفسير وإسهاماته في هذا الباب العظيم.

وإذا كان له حضور بارز في باب التفسير فكيف كان حضوره في باقي علوم القرآن المختلفة؟ هذا ما سأحاول الإجابة عنه في الفصل الثالث والذي كان بعنوان جهود محمد الخضر حسين في لوم القرآن.

[1]- محمد الخضر حسين – أسرار التنزيل :ص 134-135 .

الفصل الثالث:
جهود محمد الخضر حسين في علوم القرآن

●المبحث الأول: حركة التأليف في علوم القرآن و نظرة محمد الخضر إلى القرآن وعلومه

- ✓ حركة التأليف في علوم القرآن في القرن 19-20 م.
- ✓ بيان معاني القرآن وعلومه والوحي
- ✓ القرآن في حياة محمد الخضر حسين

●المبحث الثاني: عربية القرآن الكريم الكريم

- ✓ فضل اللغة العربية ومكانتها وسِرُّ نزول القرآن بها
- ✓ خدمة محمد الخضر حسين للغة القرآن ودفاعه عنها
- ✓ موقف محمد الخضر حسين من ترجمة القرآن

●المبحث الثالث: آراء محمد الخضر حسين واجتهاداته في مسائلَ من علوم القرآن

- ✓ إعـــجاز القرآن الكريم
- ✓ النسخ في القرآن الكريم
- ✓ مطاعن في مسائل تتعلق بالنسخ

لقد سعى العلماء منذ عصر التنزيل إلى العصر الحديث في خدمة القرآن الكريم تعظيما لهذا الكتاب، الذي كلما امتد الزمن بالأمة، كلما زاد اكتشافهم لعجائبه وأسراره، وقد انطوى هذاالكتاب على علوم عديدة، وأحكام وحكم، فتنافس العلماء في استخراج هذه العلوم بعدما كانت حبيسة الأفكار، وظهر ذلك جليا في عصر التدوين حيث دُوِّن التفسير باعتباره أحد علوم القرآن، كما دونت مباحث من علوم القرآن كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ومشكل القرآن

وغريبه وإعجاز القرآن وإعرابه، وكان لكل مرحلة مؤلفون ومصنفات.

أمّا عصر محمد الخضر حسين فقد امتاز بظهور علوم جديدة للقرآن الكريم كان سببُ ظهورها تلك الحملات المغرضة على كتاب الله وعلى لغة القرآن الكريم، وكذا حاجة غير الناطقين باللسان العربي إلى ترجمات لكتاب الله، جعلت العلماء يدرسون هذه المواضيع ويصدرون أحكاما في ذلك.

وهذا الفصل ستُعالج مباحثه ثلاث قضايا جوهرية، وسيكون مبحثه الأول حول حركة التأليف في علوم القرآن ابتداء من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين، مع التركيز خاصة على المدة التي عاشها محمد الخضر أو بعدها أوقبلها بقليل، وذِكر العلماء الذين كان لهم حضور علمي في هذه الفترة، مبرزا بعض اسهامات محمد الخضر حسين ومؤلفاته في هذا الباب سواء المؤلفات الكبرى أو المحاضرات والأبحاث التي أثرى بها علوم القرآن.

وأما المبحث الثاني فيكون عن عربية القرآن الكريم وسر اختيار هذه اللغة وعاء لهذا الكتاب، وكيف خدم محمد الخضر حسين هذه اللغة ودافع عنها، ورأيه في ترجمة هذا الكتاب العربي إلى مختلف اللغات، كما سيفرد المبحث الثالث لذكر بعض مسائل علوم القرآن التي كثر الحديث عنها ووُجهت إليها المطاعن وسيبرز هذا المبحث اجتهادات محمد الخضر في هذه المسائل وآراءَه وردودَه..

المبحث الأول: حركة التأليف في علوم القرآن و نظرة محمد الخضر إلى القرآن وعلومه :

سخَّر علماء الإسلام ألسنتهم وأقلامهم للتعريف بهذا القرآن وباللغة التي أنزل بها ، كما برمجت معاهدُ التعليم وكبرى الجامعات الإسلامية مواد لعلوم القرآن ،وفتحت تخصصات لعلوم القرآن عموما وتخصصات دقيقة في هذه العلوم ، وسَّعت من دائرة علوم القرآن وشجعت على إضافة مباحث أخرى واتمام وإكمال ما بدأه الأولون.

المطلب الأول: حركة التأليف في علوم القرآن في القرن 19–20 م.

زخرت مقدمات المفسرين بكثير من علوم القرآن ومباحثه، فكانت سراجا يستضيء به من جاء بعدهم كمقدمة عبد الحق بن أبي بكر المشهور بابن عطية الأندلسي، وقد عثر محمد أبو شهبة على كتاب لم يعرف مُؤلفه طبعه وصححه المستشرق "آرثر جفري" في جزئه الثاني نص فيه مؤلفه أنه بدأ في تأليفه سنة أربعمائة وخمس وعشرين صدره صاحبه بمقدمة تقع في عشرة فصول حول علوم القرآن[1].

ثم تتابعت التآليف بعد ذلك فألف أبو بكر الباقلاني " في إعجاز القرآن" وعلي بن إبراهيم الحوفي في "إعراب القرآن" والماوردي في "أمثال القرآن" وعلم الدين السخاوي في "علم القراءات" ثم جاء ابن الجوزي فألف كتابه فنون الأفنان في عجائب القرآن" ثم جاء بدر الدين الزركشي فألف كتابه (البرهان في علوم القرآن). ولا زالت مجموعة هذه الأبحاث أو العلوم يتزايد عددها، حتى بلغت ذروتها في كتاب "الإتقان في علوم القرآن"للسيوطي فقد بلغت فيه ثمانين نوعا[2] .

وممن عاصر جلال الدين السيوطي وألف كتابا جامعا في علوم القرآن: أبو علي الحسين بن

---

[1]– أبو شهبة ، محمد – المدخل لدراسة القرآن الكريم ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، ط:03، السعودية – الرياض ، ، 1407هـ-1987م: ص34 .

[2]– من دراسة وتحقيق :حسن ضياء الدين عتر – لكتاب :فنون الأفنان في عيون علوم القرآن – ابن الجوزي ،أبو الفرج عبد الرحمن ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت– لبنان ، ط:01 ،1408هـ-1987م: ص71.

علي الرجراجي الشوشاوي[1] في كتابه: "الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة"، قال في مقدمته :"هذا ما جمعه العبد الضعيف.....حسين بن علي الرجراجي الشوشاوي ألفه على بعض فوائد القرآن ، نفعه الله به بمنه وفضله .....وسماه "الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة" فقال :الكلام في القرآن في عشرين بابا..."[2]، وإن الناظر لحركة التأليف في هذا العلم يراها مرت بمراحل لكل منها طابعها المميز.

الفرع الأول: مراحل وأغراض التأليف في علوم القرآن :

أولا: مراحل التأليف:

-**المرحلة الأولى:** تميزت بامتزاج علوم القرآن بغيرها من العلوم الشرعية، فكان مدونا ضمن المؤلفات الحديثية. وقد صدَّر بعض المفسرين في القديم والحديث كتبهم بمقدمات نفيسة في علوم القرآن، لتكون مفتاحا لهذه التفاسير، ولا تزال إلى اليوم مرجعا للكاتبين في هذا الفن[3].

- **المرحلة الثانية:** تميزت فيها علوم القرآن عن غيرها من العلوم الشرعية، وذلك بتخصيص المؤلفين لرسائل مفردة في مباحث خاصة من علوم القرآن (كالمحكم والمتشابه ، وأسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ).

- **والمرحلة الثالثة:** تميزت باتجاه المؤلفين إلى تأليف كتب جامعة لا تختص بمبحث واحد من

[1]- حسين بن علي بن طلحة الرجراجي، الشوشاوي، وكنيته: أبو علي السملالي أما الرجراجي: فنسبة إلى قبيلة رجراجة دفين أولاد برحيل ، بقبيلة المنابهة من مؤلفاته :رفع النقاب عن تنقيح الشهاب، شرح مورد الظمآن،الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة، حلية الأعيان على عمدة البيان ، توفي بتارودانت 899 هـ-1493م. ينظر ترجمته :السوسي محمد المختار- سوس العالمة ،مطبعة فضالة ، دط، المحمدية ، المغرب الأقصى ، 1380هـ-1960م: ص 177/ السوسي، محمد المختار - خلال جزولة ، المطبعة المهدية ، دط ،تطوان ، المغرب ،1377 هـ:ج04 ص 160 /الأعلام : ج02 ص247 / معجم المؤلفين : ج03 ص254 .

[2]- الرجراجي ، الشوشاوي - الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة ، تحقيق : إدريس عزوزي،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط:01 ، الرباط- المغرب، 1409هـ-1989م: ص145.

[3]- الفاضل، أحمد محمد-الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن،مركز الناقد الثقافي ، ط:01 ، دمشق، 2008م، ص80.

علوم القرآن.

ثانيا: أغراض التأليف في علوم القرآن في العصر الحديث:

يُقِر المعاصرون بالفضل لقدامى المؤلفين في علوم القرآن ويرون أنهم- أي المعاصرين- عالة على كثير من المباحث التي تناولها الأقدمون بالبحث والدراسة ولكن كل هذا الاعتراف لم يمنع المعاصرين من التأليف في علوم القرآن وكان من أغراضهم :

1. تدارك ما أغفله الأوائل من مباحث فقد غلب المنهج التاريخي على أبحاثهم القرآنية ، فلم يفسح المجال لتصوير الجانب الأدبي الفني الذي يسد الفجوات ويملأ الثغرات حين يكتم التاريخ بعض الحقائق الكبرى[1].
2. المزج بين حاجة الأزهريين إلى البحث والتحليل وبين رغبات جماهير القراء المعاصرين في تقريب الأسلوب وتعبيد السبيل[2].
3. علاج الشبهات التي أطلق بخورها أعداء الإسلام وسددوا سهامها الطائشة إلى القرآن[3].
4. ظهور مباحث جديدة مثل ترجمة القرآن الكريم إلى لغات أخرى تناولها العلماء بالبحث وألفوا للانتصار لآرائهم الكتب والرسائل[4].
5. كون مادة علوم القرآن صارت مادة مقررة وتخصصا يوجه إليه الطلبة في الجامعات العلمية كالأزهر والزيتونة والقرووين.

[1]- صبحي الصالح - مباحث في علوم القرآن ،دار العلم للملايين ، ط:10 ، بيروت ، لبنان ، 1977 م:ص10.

[2]- الزرقاني، عبد العظيم - مناهل العرفان في علوم القرآن :ص11 .

[3]- المرجع نفسه :ص11 .

[4]- أبو شهبة ، محمد - المدخل لدراسة القرآن الكريم :ص41 .

الفرع الثاني: المؤلفات في علوم القرآن في عصر محمد الخضر حسين

بعد الإشارة إلى مراحل التأليف في علوم القرآن ومرورا بالقرون التي كثر فيها التأليف في هذا العلم وانتهاء بزمن السيوطي في ق10 ، ثم فَتَرَتْ همة التأليف بعد ذلك ، بل قال بعضهم : وبهذا التأليف أي-الإتقان توقف التأليف في علوم القرآن أو كاد[1] ، وظهرت مؤلفات معدودة مثل " الفوز الكبير في أصول التفسير" تأليف ولي الله الدهلوي ، و"الزيادة والإحسان في علوم القرآن " لابن عقيلة، أما في العصر الحديث فقد نشط للتأليف في علوم القرآن علماء كثيرون واختلفت طريقتهم في التأليف فمنهم من استفتح تفسيره بذكر مباحث لابد منها في علوم القرآن، ومنهم من جمع معظم مباحث القرآن في مؤلف واحد، على طريقة الزركشي والسيوطي، ومنهم من اقتصر على مبحث واحد أو بعض المباحث، ومنهم من تناول بعض المباحث التي تعرضت للنقد من قبل المستشرقين والمفكرين الغربيين ومن رأى رأيهم من المستغربين، فجعل من هذه المباحث ردودا يدْفَع بها عن كتاب الله .

أ.علوم القرآن في مقدمات التفاسير:

ضمَّن كثير من المفسرين كتبهم بمقدمات أشاروا فيها إلى مباحث من علوم القرآن وقد اختلفت هذه المقدمات طولا وقصرا ومضمونا ومن كتب التفسير التي حوت مقدمتها بعض مواضيع علوم القرآن كتاب "محاسن التأويل" لجمال الدين القاسمي فقد صاغ مباحث في علوم القرآن على شكل قواعد ك"قاعدة في معرفة النزول ، قاعدة في الناسخ والمنسوخ ، قاعدة هل في القرآن مجاز) وهكذا والملاحظ أن يكثر من النقول ولعل أبرز مَن نقل عنهم في هذه المقدمات ومباحثها أبو اسحاق الشاطبي[2]،أما الطاهر بن عاشور فقد قدم لتفسيره "التحرير والتنوير بعشر مقدمات جعل نصفها لعلوم القرآن ابتداءً من المقدمة الخامسة التي جعلها في معرفة أسباب النزول

[1]- أبو شهبة ، محمد -مدخل إلى علوم القرآن :ص 41 .

[2]- ينظر مقدمة محاسن التأويل:ج01 ص56 وما بعدها.

وانتهاءً بالمقدمة العاشرة التي تكلم فيها عن إعجاز القرآن[1] وما كان بينهما من مقدمات حول القراءات[2] وأسماء القرآن والسور، أما أحمد مصطفى المراغي فقد اكتفى في مقدمة تفسيره بذكر خلاف العلماء في التزام الرسم العثماني[3].

وتصدير هؤلاء المفسرين لكتب التفسير بهذه المباحث يوحي بأن "الذي يتصدى لتفسير القرآن لا بد له في أثناء التفسير من الكلام على المباحث التي تتصل بفهمه والكشف عن معانيه وأسراره كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات وما تفيده من المعاني وبيان المحكم والمتشابه اللذَيْنِ ورد ذكرهما فيه وبيان مزايا أسلوبه التي صار بها معجزا"[4].

ب. كتب جامعة لكثير من مباحث علوم القرآن:

بعد انقطاع التأليف وركوده مدة طويلة، نشط للتأليف في هذا الفن جماعة من العلماء، ومن المؤلفات التي جمعت العديد من الأبحاث في علوم القرآن كتاب:

1. التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتقان: ألفه طاهر الجزائري الدمشقي، اعتنى بالكتاب وقدم له عبد الفتاح أبو غدة،" وهي مباحث انتخبها الجزائري انتخاب العالم الذواقة، والمحقق المتقن"[5]،وقد أودعه الشيخ زبدة ما وقف عليه من مباحث علوم القرآن الأصيلة والموضوعات الهامة، والفرائد الدقيقة النادرة، بعيدا عن الحشو والفضول والمسائل المكرورة"[6].

---

[1]- التحرير والتنوير- ج01 :ص46 وما بعدها.

[2]- المرجع السابق :ج01 ص101 وما بعدها .

[3]- تفسير المراغي :ج01 ص13 وما بعدها .

[4]- غزلان ، عبد الوهاب عبد المجيد – البيان في مباحث من علوم القرآن ، مطبعة دار التأليف، دط ، القاهرة ، د س ط : ص17.

[5]- الرومي، فهد – دراسات في علوم القرآن الكريم ، مكتبة الملك فهد للنشر، ط14، الرياض ، 1426هـ-2005م: ص48.

[6]- مقدمة عبد الفتاح أبي غدة لكتاب التبيان لطاهر الجزائري : ص06 .

فرغ صاحبه من تأليفه في شهر جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وثلاث مئة وألف في مصر[1].

2. منهج الفرقان في علوم القرآن: ألفه محمد علي سلامة[2] في مجلدين وضمنه خمسة عشر مبحثا ، قام بتحقيقه محمد سيد أحمد المسير، وهو كتاب حافل وضعه مؤلفه لطلاب تخصص الدعوة والإرشاد[3].

03- مناهل العرفان في علوم القرآن: وهو كتاب غنى بالمعلومات الوفيرة، والاجتهادات الصائبة التي تختص بعلوم القرآن المختلفة[4].

قال فيه علي الطنطاوي الشامي:"إن مناهل العرفان من أجمع المؤلفات في علوم القرآن، وهو كتاب جليل، ولكنه لا يخلو من استطراد وتطويل، وربما اختار في الأمور الخلافية القول المرجوح وترك الراجح، وإن كانت هذه الهنات الهينات لا تسلب الكتاب قدره ولا تحط مؤلفه عن منزلته[5].

04-كتاب المعجزة الكبرى: القرآن الكريم: تأليف محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، وقد اعتنى فيه بعدة مواضيع منها نزول القرآن وما يتعلق بذلك ، ومنها القراءات وأحكامها، ومنها إعجاز القرآن الكريم ، قصص القرآن ، كما أنه أدرج مباحث جديدة عنونها ب:علم الكتاب: عالج فيها مواضيع عدة، مثل بعض القضايا العقدية والاجتماعية كيوم البعث ،

---

[1]- طاهر الجزائري- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن: ص317 .

[2]- محمد علي سلامة. عالم مشارك في علوم القرآن والمنطق والمناظرة. ولد في بلدة زرقان سنة 1895م ، من مؤلفاته: منهج العرفان في علوم القرآن، آداب المسامرة في البحث والمناظرة، والمنطق الحديث والقديم بالاشتراك مع بعض زملائه.توفي سنة 1362هـ-1941م .ينظر: معجم المؤلفين:ج11 ص13 .

[3]- مناهل العرفان في علوم القرآن،ج01 ،ص38 .

[4]- عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني – خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، مكتبة وهبة،ط01،مصر، 1413 هـ – 1992 م: ج01 ص165.

[5]- تقديم علي الطنطاوي لكتاب : الصباغ، محمد بن لطفي – لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير المكتب الاسلامي،ط:03 ، بيروت ،1410هـ-1990م : ص13- 14.

والعدالة في القرآن، الأسرة في الإسلام....

05- بلاغة القرآن لمحمد الخضر حسين : وهو مجوعة مقالات ضمت مباحث في علوم القرآن ومباحث أخرى تتعلق بالتفسير وقد أطال النفس في بعض هذه الأبحاث، ومن هذه المواضيع:بلاغة القرآن، ترجمة القرآن ونقل معانيه إلى اللغات الأجنبية، إعجاز القرآن وبلاغته ، أمثال القرآن، المحكم والمتشابه في القرآن وغير ذلك. كما له بحوث في كتب أخرى منها النسخ في الشريعة الإسلامية .

ج: كتب حوت موضوعات من علوم القرآن:

هناك من اكتفى من المؤلفين- في هذه الفترة- بمسألة من مسائل علوم القرآن فشرحها وبينها ودلل عليها وربما أطال الحديث فيها، فقد ألَّف الحداد بن علي بن خلف الحسيني المالكي[1]،جملة من الرسائل في علوم القرآن منها:خلاصة النصوص الجلية في نزول القرآن وجمعه وحكم اتباع رسم المصاحف العثمانية،الكواكب الدرية فيما ورد في إنزال القرآن على سبعة أحرف، وقد جمعت رسائله في علوم القرآن بعنوان :الأعمال الكاملة اعتنى بها وحققها:حمد الله حافظ الصفتي وقدم له أحمد عيسى المعصراوي ويحيى الغوثاني ، كما أن من الرسائل المؤلفة: رسالةَ : إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف لمحمد حبيب الله بن مايابى الجكني[2] .

ولمحمد الخضر حسين بحوث أفردها لبعض مسائل علوم القرآن، كبحث نقل معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية، وبحث الأحرف السبعة ، وبحث حقيقة ضمير الغائب في القرآن الكريم.

[1]- محمد بن علي بن خلف الحسيني، المعروف بالحداد: مقرئ، من فقهاء المالكية بمصر. ولد في بلدة (بني حسن) بالصعيد سنة 1282 هـ- 1865م، وتعلم بالأزهر ثم عين شيخا للقراء بالديار المصرية سنة 1323هـ. له كتب، منها:الكواكب الدرية فيما يتعلق بالمصاحف العثمانية - وفتح المجيد في علم التجويد و إرشاد الحيران في رسم القرآن ..توفي سنة: 1357هـ-1939م.ينظر:الأعلام :ج06 ص304 .

[2]- محمد حبيب الله بن عبد الله بن أحمد ما يابا الجكني الشنقيطي: عالم بالحديث. ولد: سنة: 1295هـ- 1878م بشنقيط وتعلم بها، وانتقل إلى مراكش، فالمدينة المنورة، واستوطن مكة. ثم استقر بالقاهرة، مدرسا في كلية أصول الدين، بالأزهر، وتوفي بها سنة: 1363 هـ- 1944 م. من كتبه :زاد المسلم، فيما اتفق عليه البخاري ومسلم ،دليل السالك إلى موطأ مالك . ينظر: الأعلام :ج06 ص79/ معجم المؤلفين :ج09 ص176 .

د: كتب الدفاع عن القرآن وعلومه :

لم تقف مباحث علوم القرآن عند الأنواع التي عُني بها المؤلفون قديما وحديثا، بل جَدَّت مباحث كان سببها ما أثاره المستشرقون والملاحدة والمبشرون وتلامذتهم من شبه ومطاعن حول القرآن الكريم، "فرأى الغيارى المخلصون من علماء "الأزهر" وغيرهم أن يناهضوا هذه الحركة الهدامة، التي تتعرض لأقدس ما يقدسه المسلمون، وهو "القرآن الكريم" فوضعوا في الرد على هؤلاء الطاعنين بعض الكتب والرسائل"[1].

ومن هذه الرسائل والكتب:

01. تحت راية القرآن، لمصطفي صادق الرافعي وقد ألفه دفاعا عما أثاره طه حسين في كتبه من شبهات تتعلق بالقرآن وعلومه ، وكذلك له :

02. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ألفه لبيان وجوه الإعجاز في القرآن.

ومن هؤلاء الذين حملوا شرف الدفاع عن القرآن الكريم الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين- رحمه الله- أحد شيوخ الجامع الأزهر الشريف في العصر الأخير[2] فقد ألف كتبا في علوم القرآن هدفت إلى الدفاع عن كتاب الله ومنها:

03- نقض كتاب في الشعر الجاهلي:وهو كتاب نحى منحى مصطفى صادق الرافعي، رد فيه على الشبهات المثارة من قِبل طه حسين "مع العفة في القول، والأصالة في النقد كما هو شأن العلماء الراسخين"[3]، كما حوى كتابه: بلاغةُ القرآن الكثير من الردود التي أثارها بعضٌ ممن فتن بأفكار المستشرقين.

---

[1]- أبو شهبة ، محمد – مدخل إلى القرآن وعلومه: ص42 .

[2]- المرجع نفسه :ص42 .

[3]- المرجع السابق: ص42 .

04- حقيقة ضمير الغائب في القرآن الكريم: وهي رسالة ألفها محمد الخضر ردا على طه حسين إذ رحل هذا الأخير مندوباً إلى مؤتمر المستشرقين السابع عشر بجامعة (أكسفورد)، وألقى هنالك محاضرة عنوانها: "ضمير الغائب واستعماله اسم إشارة في القرآن".

05- الظاهرة القرآنية: لمالك بن نبي ألفه دفاعا عن قضية الوحي وأنه من الله عز وجل وشحنه بعدة ردود عن المستشرقين.

06- النبأ العظيم:ألَّفه محمد عبد الله دراز "وهو موقوف على بيان وجوه جديدة من وجوه "الإعجاز القرآني البياني واللغوي والعقلي"[1]،وقد لقي ثناء وقبولا لدى العلماء وطلبة العلم وممن أثنوا عليه عبد العظيم الزرقاني حيث قال فيه:" اطلعت أخيرا على صدر كتاب اسمه النبأ العظيم عن القرآن الكريم، والطريقة المثلى في دراسته فراعني دقة بحثه وتفكيره وراقني رقة أسلوبه وتعبيره ووددت لو تم هذا الكتاب"[2].

07- الوحي المحمدي : محمد رشيد رضا.

08- معركة المصحف في العالم الإسلامي : لمحمد الغزالي ، وقد صرح بالهدف والغاية التي لأجلها ألف كتابه فقال : "ولقد ألَّفت هذا الكتاب ليكون جهدا مع الجهود المبذولة للدفاع عن المصحف المهاجَم وأمته المَعناة في أنحاء الأرض"[3].

---

[1]- مقدمة: عبد العظيم إبراهيم المطعني لـ محمد عبد الله دراز – النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار القلم للنشر والتوزيع،1426هـ- 2005م: ص 06.

[2]- مناهل العرفان :ج01 ص39.

[3]- الغزالي، محمد السقا – معركة المصحف في العالم الإسلامي ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط:05 ،مصر- القاهرة، 2005م :ص10.

المطلب الثاني: تعريفات ومحددات مصطلح القرآن وعلومه والوحي:

الفرع الأول: تعريف القرآن واشتقاقه:

أ: المعنى اللغوي والاشتقاقي لكلمتي "قرآن" و"كتاب":

معنى القرآن في اللغة: القرآن في الأصل مصدر على وزن فُعلان بالضم، كالغفران والشكران والتكلان. تقول: قرأته قرءًا وقراءةً وقرآنًا بمعنى واحد، أي تلوته تلاوة، وقد جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدري في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُو وَقُرْءَانَهُو ﴿١٧﴾﴾[1] ،أي قراءته[2].

أو هو مأخوذ من : قَرَأَ الْكِتَابَ قِرَاءَةً وَقُرْآنًا وهو قارئ وهم قراء وقرأة واقرأ سلامي على فلان وقولهم أقرئه سلامي (والقرآن) اسم لهذا المقروء والمجموع بين الدفتين على هذا التأليف وهو معجز بالاتفاق[3].

واختلف في اشتقاق كلمة قرآن فقال الزجاج: ومعنى قرآن معنى الجمع، يقال ما قرأت هذه الناقة سَلًّى قط أي لم يَضْطَمَّ رحمُها على ولد قط .

قال الشاعر:

ذراعي عَيْطَلٍ[4] أدماءَ بكر هجينَ اللون لم تقرأ جنينا[5]

---

[1]- القيامة:17 .

[2]- دراز ،محمد عبد الله – النبأ العظيم، دار الثقافة ، دط ،قطر- الدوحة ، 1405هـ-1985م : ص12 .

[3]- الرازي، زين الدين أبو عبد الله – مختار الصحاح ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ،ط5 ، 1420هـ - 1999م: :ص249 /برهان الدين الخوارزمي المطَرِّزِيّ ، المُغرب ، دار الكتاب العربي،دط، دس ط: ص 376.

[4]- العيطل: الطويلة العنق من النوق،ينظر: الزَّوْزَنِي، حسين بن أحمد- شرح المعلقات السبع ، دار احياء التراث العربي،ط:01 ، 1423هـ - 2002 م: ص218 /المجذوب، عبد الله بن الطيب – المرشد إلى فهم أشعار العرب ،دار الآثار الإسلامية- ،ط02 ، الكويت ،1409 هـ - 1989 م:ج03 ص497.

[5]- البيت لعمرو بن كلثوم، ينظر: يعقوب، إميل بديع – المعجم المفصل في شواهد العربية ،دار الكتب العلمية، ط:01،

قال أكثر النَّاس: لم تَجْتمع جنيناً أي لم تضم رحمها على الجنين[1]،قال أبو عبيدة: معناه لم تضم في رحمها ولدا قط[2].

وقال في موضع آخر: والذي عندي أن القرءَ في اللغة الجمع، " وأن قولهم قَرَيْتُ الماءَ في الحوض: هو مِن هذا، وإن كان قد أُلْزِمَ الماء – فهو جمعته، وقولك قرأت القرآن أي لفظت به مجموعاً[3].

فمعنى القرآن على هذا هو" الضم والجمع"[4]،ثم صار علمًا شخصيًّا لذلك الكتاب الكريم. وهذا هو الاستعمال الأغلب، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴿٩﴾﴾[5] ويسمى –أيضًا– الكتاب، ومنه قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾[6] .

– وقد سمي الْقرآن قرآنا لجمعه الْقَصَص وَالْأَمر والنهي والوعد والوعيد، وَقوله فِي الْقرآن أن تقرأه نائما ويقظان قيل معناه تجمعه حفظا على حالتيك من قولهم ما قرأت الناقة جنينا أي لم تشتمل عليه[7].

والمغزى في تسمية القرآن كتابا فيه " إشارة إلى أن من حقه العنايةَ بحفظه في موضوعين لا في

=

بيروت– لبنان، 1417هـ - 1996م: ج08 ص95.

[1]– الزَجاج ، أبو اسحاق – معاني القرآن وإعرابه:ج01 ص170 .

[2]– الأنباري،أبو بكر – شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ،تحقيق:عبد السلام هارون،دار المعارف، القاهرة، ط2008،05 م :ص380.

[3]– الزجاج – معاني القرآن وإعرابه:ج01 ص305 .

[4]– أبو منصور ابن الجواليقى – شرح أدب الكاتب لابن قتيبة ، تحقيق:طيبة حمد بودي ، مطبوعات جامعة الكويت، ط1 ، الكويت ،1415هـ-1995م: ص91.

[5]– الإسراء:09 .

[6]– البقرة:01-02 .

[7]– عياض بن موسى اليحصبي – مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، المكتبة العتيقة ، دط، تونس،دس ط، :ج 2 ص175.

موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعًا، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب، المنقول إلينا جيلًا بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة. ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر"[1].

اصطلاحا: عرف محمد الخضر القرآن، بأنه: "كلام الله المنزل على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم –، المنقول إلينا ما بين دفتي المصحف نقلًا متواترًا"[2].

أما كونه معجزة، فهي ارتفاعه في حكمة المعاني، وسمو المقاصد، وفصاحة الكلم، وجودة النظم، وروعة الأسلوب، إلى مرتبة يقف دونها فطاحل البلغاء بمراحل[3].

الفرع الثاني – تعريف الوحي:

تمثل قضية الوحي مبدأ اتصال عالم الغيب بعالم الشهادة كما يمثل الوحي، مصدر المعرفة الإنسانية عن عالم الغيب،"ويعرف المسلمون سلفُهم وخلفهم: أن في الوحي الذي نزل به الروح الأمين على أكمل الخليقة عقائد وآداباً ومبادئ حكم وسياسة"[4].

أ.**الوحي لغة** : (وحى) الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك. فالوحي: الإشارة. والوحي: الكتاب والرسالة. وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان. وأوحى الله تعالى ووحى. قال:وحى لها القرار فاستقرت[5].

أو هو: ما يوحيه الله تعالى إلى أنبيائه. سُمي: وَحْياً، لأن المَلك ستره عن جميع الخلق، وخص

[1]– دراز ، محمد عبد الله ، النبأ العظيم ، دار الثقافة، دط ،قطر– الدوحة ، 1405هـ–1985م : ص13.

[2]– الشريعة صالحة لكل زمان ومكان :ص78 .

[3]– محمد رسول الله وخاتم النبيئين :ص50 .

[4]– نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم :ص282 .

[5]– أحمد بن فارس – معجم مقاييس اللغة :ج6 ص93.

به النبي المبعوث إليه. قال الله تعالى: ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ ١١٢ ﴾[1]، فمعناه: يُسِر بعضهم إلى بعض[2]. فهذا أصل الحرف.

ثم يكون " الوحي " بمعنى " الإلهام " كقوله عز وجل: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ٦٨ ﴾[3]، أراد: ألهمها. وكقوله: ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥ ﴾[4].أراد: ألهمها[5].

وكقول القائل :

يُوحِي إليها بِإِنْقَاضٍ ونَقْنَقَةٍ كما تَرَاطَنُ في أَفْدَانِها[6] الرُّومُ[7]

ويكون " الوحي " بمعنى " الأمر "، كقوله عز وجل: ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي ١١١﴾[8]. أراد: أمرتهم[9].

ويكون بمعنى " الإشارة "، كقوله عز وجل: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ

---

[1]- الأنعام:112 .

[2]- تفسير القرطبي: ج06ص363 .

[3]- النحل :68 .

[4]- الزلزلة :05 .

[5]- تفسير القرطبي: ج10ص133 .

[6]- يقال: أنقض "إنقاضاً" إذا دعا أولاده. و"النقنقة": ضربٌ من صوته، أيضاً. والنقيق: صوت الضفادع. والإنقاض: دعاء الإبل. و"الفدن": القصر. وجمعه أفدان. شبه إنقاضه بكلام الروم، يقول: لا يفهم هذا، ولا ذاك يفهم.ينظر: الأخفش الأصغر، علي بن سليمان بن الفضل-الاختيارين،تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، ط01 ، بيروت – لبنان، 1420 هـ - 1999 م: ج01 ص636 .

[7]- البيت لعلقمة بن عبدة ، ينظر: الضبي، المفضل بن محمد- المفضليات ،تحقيق: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط05 ، القاهرة، د س ط، :ص400 /الجاحظ، عمرو بن بحر - الحيوان ، دار الكتب العلمية ، ط02، بيروت، 1424 هـ: ج04 ص439.

[8]- المائدة :111 .

[9]- زهرة التفاسير: ج05ص2401 .

إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾﴾[1] أراد: أشار إليهم[2].

ويكون بمعنى " **الكتابة** " كقول جرير :

عَرَفْتُ الدارَ بعدَ بِلَى الخيام سُقيتِ نَجِيَّ مرتجزٍ رکامِ
كأنّ أخا اليهودِ يَخطُّ وَحْياً بكافٍ في منازِلها ولامِ[3]

أراد: يخط كتاباً.

وقال الآخر:

كوحي صحائفٍ في عهدِ كِسرى فأهداها لأَعْجَمَ طِمْطِمِيِّ[4]

ب – الفرق بين الالهام والوحي: قيل: الالهام يحصل من الحق تعالى من غير واسطة الملك.

والوحي: من خواص الرسالة، والالهام من خواص الولاية، وأيضا الوحي مشروط بالتبليغ، – كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴿٦٧﴾﴾[5]– دون الالهام، ومنهم من جعل الإلهام نوعا من الوحي، وقال في الغريب: " يقال لما يقع في النفس من عمل الخير: إلهام،ولما يقع من الشر، وما لا خير فيه: وسواس.ولما يقع من الخوف: إيحاش، ولما يقع من تقدير نيل الخير: أمل[6].

وقال بعض المحققين: " الوحي فيضان العلم من الله إلى النبي بواسطة الملك ؛ والإلهام:

---

[1]– مريم:11 .

[2]– أبو زهرة، زهرة التفاسير: ج09ص4616.

[3]– شرح محمد بن حبيب– ديوان جرير، تحقيق :نعمان محمد أمين طه، ، دار المعارف، القاهرة – مصر،ط03 ،1986م: ج01 ص197 / ابن ميمون،محمد بن المبارك– منتهى الطلب من أشعار العرب ، تحقيق:محمد نبيل الطريفي،دار صادر، ط01 ، بيروت، 1999م: ج05 ص150.

[4]– أبو بكر الأنباري – الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ،بيروت ، 1412 هـ –1992م : ج2 ص341–342.

[5]– المائدة:67 .

[6]–العسكري ،أبو هلال، معجم الفروق اللغوية، مؤسسة النشر الاسلامي،ط01 ،قم،إيران ، 1412هـ. : ص 69.

الالقاء، في قلبه ابتداء[1].

ولهذا عد محمد الخضر الرؤيا الصالحة من قبيل الإلهام قال:"والرؤيا الصالحة من قبيل الإلهام الصادق"[2].

ج.تعريف الوحي اصطلاحا : اختلف العلماء في تعريف الوحي شرعا ،

قال ابن حجر الوحي شرعا : الإعلام بالشرع وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه أي الموحى وهو كلام الله المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم[3].

أو: هو كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه. وهو تعريف له بمعنى اسم المفعول، أي: للموحى به[4].

عرّفه الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد، فقال: الوحي عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثّل لسمعه أو بغير صوت[5].

الفرع الثالث: معنى علوم القرآن:

لغة: أنواع العلوم التي تتصل بالقرآن الكريم.

اصطلاحا: هو : أنواع من المسائل يبحث فيها عن أحوال القرآن الكريم من حيث نزولُه وكيفية النطق به وأدائه وكتابته وجمعه وترتيبه في المصاحف وبيان ألفاظه وما يتعلق بكلٍ من

[1]- المرجع السابق : ص 69 .
[2]- أسرار التنزيل : ص410 .
[3]- ابن حجر،أحمد بن علي - فتح الباري : ج01 ص09 .
[4]-البغا ، مصطفى ديب-مستو، محي الدين - الواضح في علوم القرآن:ص17 .
[5]- محمد عبده - رسالة التوحيد : ص 102 .

معانيه وألفاظه من الأحكام[1].

أو هو المباحث الكلية التي تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه وجمعه، وكتابته، وتفسيره، وإعجازه وناسخه ومنسوخه، وغير ذلك[2].

ويتضح من هذا التعريف أن (علوم القرآن) علم عربي إسلامي في نشأته وتكوينه، بدأ مع نزول القرآن الكريم، وما زال ينضج ويتكامل حتى قيام الساعة[3].

المطلب الثالث: القرآن في حياة محمد الخضر حسين:

كان القرآن الكريم يملك على محمد الخضر كيانه ويملأ حياته، فلا يخلو مجلس من مجالسه من قراءة للقرآن أو مدارسته ، ويشهد لهذا أمور منها:

الفرع الأول: تعظيم محمد الخضر للقرآن الكريم:

لقد شغل القرآن الكريم حيزا واسعا من كتابات محمد الخضر فلا تجد مقالة له أو موضوعا يطرقه، أو قضية يعالجها، إلا ويُصَدِّرها بآيات قرآنية، ويحشد الشواهد الكثيرة للتدليل عليها، فهو يرى أن "أعظم خير ينزله الله على المسلمين، ويشتد حسد أهل الكتاب لهم عليه هو القرآن الكريم؛ لما فيه من حكمة رائعة، وحجة بالغة، وبلاغة باهرة"[4].

كما يرى أن "القرآن كتاب إرشاد، ومأخذ عبر"[5]،وإذا كان كل نبي مؤيدا بمعجزات تدل على

---

[1]- محمد علي سلامة – منهج الفرقان في علوم القرآن ،تحقيق : محمد أحمد المسير ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط:01 مصر ، 2002م :ج01 ص22.

[2]- محمد عتر، نور الدين – علوم القرآن الكريم ، مطبعة الصباح،ط01 ،دمشق ، 1414هـ-1993م :ص8.

[3]- مصطفى ديب البغا ، محي الدين ديب مستو-الواضح في علوم القرآن ، دار الكلم الطيب،ط02 ، دمشق ، 1418 هـ – 1998 م :ص8.

[4]- أسرار التنزيل :ص192 .

[5]- بلاغة القرآن :ص246 .

على صدقه فالقرآن الكريم "هو أعظم هذه المعجزات باقٍ ميسَّر إدراكه لمن جاء بعده – صلى الله عليه وسلم"[1].

ولا يصح إيمان العبد حتى يعتقد اعتقادا جازما أن القرآن كلام الله "فالمسلم الحق من يؤمن بأن القرآن مُنَزّل من عند الله، لا من صنع محمد– عليه الصلاة والسلام –"[2].

كما أنه يرى من مقاصد إنزال القرآن الكريم أنه "أنزل هادياً إلى سبيل السعادتين الأولى والآخرة، مؤيداً هدايته بالحجج التي لا تدع في النفوس شبهة"[3].

ثم هو قبل ذلك ينافح عن كتاب الله ويجاهد بقلمه لرد كل شبهة، أو تأويل فاسد أو خاطيء لآياته، فهو يعتبر القرآن كتاب هداية وإصلاح ودعوة للأمم كلها وليس مخصوصا بالأمة العربية وحدها فيقول:" القرآن لا يراد منه إصلاح حال العرب وحدهم، وليس من نحلة باطلة أو عقيدة مبتدعة إلا وفي أصوله ما يمحو أثرها، ويقطع دابرها"[4].

ثم هو يؤمن بأن القرآن كتاب السعادة وملاذ المجتمعات التي تصبو إلى الرقي والحضارة فيقول: " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، يهدي إلى الحرية الصادقة، إلى العدالة الناصعة، إلى المساواة الخالصة، فيه آداب نفسية، وسنن اجتماعيه وقوانين قضائية، ونظم سياسيه وقد نهض بالمسلمين يوم كانوا يقرؤونه بتدبر حتى بلغ بهم من العزّة ما رفعهم فوق من يقدّسون ألإلياذة[5]

[1]– دراسات في الشريعة الإسلامية :ص178 .

[2]– بلاغة القرآن :ص133 .

[3]– بلاغة القرآن :ص24 .

[4]– نقض كتاب في الشعر الجاهلي : ص 66 .

[5]– إلياذة: بالكسر، ملحمة يونانية للشاعر هوميروس يروي فيها أخبار حرب طروادة بين الإغريق والطرواديين نقلها إلى العربية شعرًا سلمان البستاني. يوناني(Iliados) وهو مشتق من (Ilios) بمعنى طروادة .وقد تكون كلمة إلياذة مأخوذة في العربية من الصيغة الإيطالية (Iliade). ينظر: ف. عبد الرحيم – معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها ،دار القلم ، ،ط1 ،دمشق ، 1432 هـ – 2011 م : ص 35

و"الأوديسا"[1]، وغيرهم من الأمم درجات"[2].

ثم يضيف قائلا:"وإنما نزل القرآن ليهدي الأدباء وغيرَ الأدباء إلى ما يلائم الفِطَر السليمة من عقائدَ وآدابٍ وأعمال، فوجهته الدعوةُ إلى الإصلاح الشامل"[3].

والقرآن في نظر محمد الخضر كاف لوحده في الرد على الجاحدين، وفيه الحجج الواضحة للرد عليهم ويتجلى هذا الرأي فيما استنبطه محمد الخضر" بأن القرآن وحده دعوة وحجة، ويشير إلى هذا قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُـمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦ ﴾[4]؛ حيث جعل سماعه للقرآن حجة كافية في الدعوة"[5].

وقد نص محمد الخضر في تفسير الآية أنها :" منبهة إلى أن تلاوة القرآن على الضالين تكفي في هدايتهم، وإقامة الحجة عليهم متى كانوا يتدبرون، ومجادلتهم- بعد إسماعهم القرآن- إنما هي لازاحة الشبهة التي تخالظ أوهامهم، أو تكشف عما يلفقونه من زور وبهتان"[6].

ومن هنا رأى محمد الخضر ضرورة عناية الفقيه والمجتهد بعلوم القرآن فهي السبيل لمعرفة مرامي القرآن ومقاصده "فالتفقه في الكتاب والسنّة على النحو الذي يحفظ الحقوق، ويسير بالأمة في أهدى سبل المدنية إنما يستطيعه من امتلأ بعلوم القرآن والحديث، وخاض في حكمة التشريع،

[1]- الأوذيسية: ملحمة تقصر عن الإلياذة ، بضعة آلاف من الأبيات يغلب على الظن أن هوميروس نظمها في شيخوخته، وموضوعها رحلة أوذيس أثناء عوده إلى بلاده بعد انتهاء حرب طروادة،وهي كالإلياذة في أربعة وعشرين نشيدا. ينظر:سليمان البستاني – مقدمة ترجمة الإلياذة ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط ،القاهرة ،مصر ،2012م: ص28/ الزيات ، أحمد حسن- في أصول الأدب :ص229.

[2]- نقض كتاب في الشعر الجاهلي: ص281.

[3]- بلاغة القرآن :ص134 .

[4]- التوبة:09 .

[5]- بلاغة القرآن : ص71 .

[6]- محمد رسول الله وخاتم النبيئين :ص92 .

وعرف مقاصد الشارع، وقدَّر المصالح والمفاسد بميزانها الصحيح"[1].

لقد طالب القائمين على برامج التربية والتعليم بإعطاء العناية الفائقة لمادة القرآن الكريم وأسف لما آلت إليه مدارس التعليم من إهمال لهذه المادة، يقول في هذا :"إن مادة القرآن الكريم قلّت عناية الوزارة بها عن ذي قبل، فأصبحت المدارس لا يتخرج فيها من الحفّاظ مثل من كانوا يتخرجون فيها من قبل، لا كثرة في العدد، ولا جودة في الأداء"[2].

كما حرَّض الناشئة على الاعتناء بحفظ القرآن ومدارسته وفهمه لأن في ذلك سعادةَ الدارين ومناعةً للأجيال" ويجب أن يعنى بتحفيظ القرآن الكريم أتم عناية، على نحو يستبقي لمصر مجدها في كثرة من يتخرج فيها من حفاظ، وبطريقة واسعة تشبع رغبات الأهلين في تزويد أولادهم باستظهار كتاب الله تعالى"[3].

ثم يطمئن – محمد الخضر- الأمة بأن هذا القرآن كتب الله له الحفظ فضمن الله حفظ حروفه وحفظه من دخول التأويلات المنحرفة إليه ، وذلك بتقييض من يدفع عنه من العلماء الراسخين ،وإذا كان الله عز وجل أوكل حفظ الكتب السابقة إلى أهلها فإن القرآن الكريم امتاز من بينها أن الله تكفل بحفظه وقد تكفل الله تعالى بحفظ الذكر في قوله العزيز: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾[4]، وهذا الحفظ لم يكن مقصورا على حفظ حروفه وحسب، ولكنه حفظ للشريعة كاملة، وحفظ لأحكامها، وحفظ للسنة الشارحة لهذا الكتاب المحفوظ، ومن الجليّ أن الحكمة في حفظه إنما هي حفظ أصول الشريعة التي أراد الله تعالى أن تكون الشريعةَ العامةَ

[1]- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان:ص27 .

[2]- الدعوة إلى الإصلاح:ص188 .

[3]- الدعوة إلى الإصلاح :ص191 .

[4]- الحجر:09 .

الخالدةَ"[1].

وهذا ما يضفي على أتباع هذه الملة الطمأنينة على هذا الدين "فلا نخشى ضياع القرآن؛ فإن الله تكفل بحفظه، وإنما نخشى إعراض المسلمين عن تلاوته، وجهلهم لما اشتمل عليه من أصول وحقائق وآداب"[2].

من كل ما سبق يتبين ما كان لمحمد الخضر من عناية فائقة بالقرآن الكريم ومن تعظيم له ، بل كان مصاحبا للقرآن متزودا منه أينما توجه وحيثما حل بمجالس العلم أو المدارسة والمذاكرة.

الفرع الثاني: مظاهر عناية محمد الخضر حسين بالقرآن الكريم:

1 – نفي الزيادة في القرآن الكريم: عرض العلماء لمسألة :هل في القرآن كلمة أو حرف زائد يصلح أن نطلق عليه ما أطلقه النحويون عند إعراب الحرف أو الكلمة بأنها زائدة،هذه القضية توجه إليها محمد الخضر عرضها وأبدى رأيه فيها ردا على مقال نشر في "مجلة السياسة" تحت عنوان" إعرابان جديدان في صيغة التحذير"[3] أنكر فيه صاحب المقال ما قاله أعلام النحويين في إعراب صيغة التحذير، ورماهم بالتكلف وأن الواو الداخلة على المحذر منه زائدة وَمثَّل للواو الزائدة من القرآن الكريم فقال :" ومن الواو الزائدة أيضاً: قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ﴿٧٣﴾﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ

[1]– الشريعة صالحة لكل زمان ومكان :ص114 .

[2]– دراسات في الشريعة الإسلامية :ص208 .

[3]– صيغة التحذير: تنبيه المخاطب على مكروه ينبغي الاحتراز منه بألفاظ؛ وهي: (إياك) – بمعنى: احذر– و(إليك) – بمعنى: تنح ينظر: ابن الصائغ،محمد بن حسن بن سِباع– اللمحة في شرح الملحة ،تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي،عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط01 ، المدينة المنورة،المملكة العربيةالسعودية، 1424هـ–2004م: ج02 ص529 /المرادي ،بدر الدين حسن بن قاسم– توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان،دار الفكر العربي، ط01، بيروت،1428هـ – 2008م :ج03 ص1153.

[4]– الزمر:73.

﴿١٠٤﴾[1] وقد أجاب محمد الخضر عن ادعاء أن في القرآن الكريم حروفا زائدة، بأن فريقاً ممن يقدرون بلاغة القرآن قدرها أنكروا أن يكون في القرآن حرف زائد، وذهبوا إلى أن الواو في الآيتين عاطفة، وجعلوا الآية الأولى من قبيل ما حذف فيه جواب إذا.

وجعلوا الآية الثانية من قبيل ما حذف فيه جواب لما، والتقدير: "فلما أسلما، وتله للجبين، وناديناه أن يا إبراهيم"؛ فإن هناك ما لا يوصف من ألطافه تعالى[2]، وهذا ما جلاه أيضا محمد عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم فقد خلص إلى أنه :" ليس في القرآن كلمة مقحمة ولا حرف زائد وما من كلمة إلا وهي مفتاح لفائدة جليلة، وليس فيه حرف إلا جاء لمعنى"[3].

قال هذا وهو يعرض لمعنى حرف الكاف[4] في قوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[5] .

وبعد أن أشار- محمد الخضر- إلى ما قاله صاحب كتاب "المثل السائر" في حرف :"أن" من قوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ ﴿٩٦﴾﴾[6] وأنّ حرف أن جيء به بسبب أن المدة منذ ألقوه ألقوه في الجب إلى مجيء البشير طويلة فلهذا جيء بأن وإلا لو لم تكن المدة طويلة لقال : فلما جاء البشير دون ذكر **"أَنْ"** وخلص في الأخير إلى أن " هذه دقائق ورموز لا تؤخذ من النحاة؛ لأنها ليست من شأنهم"[7].

---

[1]- الصافات:104 .

[2]- دراسات في اللغة :ص 117 ، 118 .

[3]- النبأ العظيم:ص130 .

[4]- المرجع السابق : ص132 وما بعدها.

[5]- الشورى:11 .

[6]- يوسف :96 .

[7]- ابن الأثير، نصر الله بن محمد- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،دط ، مصر ،1358هـ-1939م: ج02 ،ص165.

يعقب محمد الخضر حسين فيقول"ونحن لا نمنع أن يجيء في القرآن شيء من الحروف التي يسميها النحاة حروف الصلة؛ مثل: إن، وأن، وما، ومن، والباء؛ مما شاع استعماله في كلام البلغاء ...ولا نجيز لأحد أن يقصد إلى حرف في القرآن من غير هذه الحروف المعهود استعمالها في كلام البلغاء ويحمله على الزيادة[1].

ثم خلص إلى ما يشبه القاعدة في حروف المعاني التي يُحكم عليها نحويا أنها حروف زائدة، ليختلف ذلك مع القرآن الكريم ، "وتخريجُ الآيات على حذف بعض أجزاء الكلام لظهور معناه، أيسرُ من الحكم على بعضها بالزيادة"[2].

2- كثرة اقتباسه من القرآن الكريم :

أ:معنى الاقتباس:

لغة: القبس: شعلة من نار ؛ وكذلك المقباس. يقال: قبست منه نارا أقبس قبسا فأقبسني، أي أعطاني منه قبسا. وكذلك اقتبست منه نارا، واقتبست منه علما أيضا، أي استفدته. قال اليزيدي: أقبست الرجل علما، وقبسته نارا. فإن كنت طلبتها له قلت: أقبسته[3].

اصطلاحا: عرف السيوطي الاقتباس بأنه: تضمين الشعر أو النثر بعض القرآن لا على أنه منه بألا يقال فيه قال الله تعالى ونحوه، فإن ذلك حينئذ لا يكون اقتباسا[4].

وقد اختلف العلماء في جوازه، وحقق محمد الخضر هذه المسألة، وخلص إلى أن التحقيق:" أنه في الدعاء أو الموعظة والحديث الذي يراد به تعليم الحكمة جائز، واستعماله في المزاح والكلام

---

[1]- دراسات في اللغة : ص118 .

[2]-المصدر السابق :ص 118-119 .

[3]- الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة :"قبس":ج03 ،ص960 / ابن فارس -مجمل اللغة : ص740 / مقاييس اللغة :ج05 ص48.

[4]- الإتقان في علوم القرآن:ج01 ص386 .

الذي لا يكون معه القلب خاشعاً لله لا يجوز[1].

والملاحظ لكتابات محمد الخضر حسين ومقالاته يراه يكثر من الاقتباس من القرآن الكريم، وقد سئل يوما "رأيناكم كثيراً ما تقتبسون من القرآن في مقالاتكم فهل يجوز ذلك؟[2].

فأجاب : نعم، ودليله قوله – صلى الله عليه وسلم –: " اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾[3]"قالها ثلاثا[4].

ثم ذكر محمد الخضر المؤلفين الذين ألفوا في هذا الموضوع ورأوا جوازه ، ومنهم"أبو عبيد القاسم ابن سلام" ألّف كتاباً، جمع فيه للصحابة والتابعين من ذلك بالأسانيد المتصلة إليهم، وألّف فيه من المتأخرين " داود الشاذلي" كراسة قال فيها: "لا خلاف بين الشافعية والمالكية في جوازه"، ونقله عن "عياض" و"الباقلاني"، وقال: "كفى بهما حجة"[5]، وضعَّف القول بأن مالكا رحمه الله يحرم الاقتباس بإطلاق، فما ينقله بعضهم من أن مذهب مالك تحريمُه غير صحيح، نعم هو محرَّم في المجون والخلاعة وهزل الفساق وشَرَبة الخمر ولا ينبغي أن يختلف في ذلك[6].

ونبه–محمد الخضر– إلى المواضع التي لا يجوز فيها الاقتباس من القرآن الكريم كقول بعض الولاة لبعض المساجين: ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾[7] وقول آخر في عُمّالِهِ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[8]. فهذا لا شك منازعة لله في ربوبيته

[1]– بلاغة القرآن :ص62 .

[2]– السعادة العظمى :ص180 .

[3]– الصافات :177 .

[4]– رواه البخري ، بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي الفَخِذِ، رقم :371 ،باب ما يحقن بالأذان من الدماء ، رقم 610 ، باب غزوة خيبر ، رقم4197 ، و مسلم ، باب غزوة خيبر ، رقم:1365 ، الترمذي، باب الغارات ، رقم :1550 .

[5]– السعادة العظمى :ص180 .

[6]–المصدر نفسه :ص180 .

[7]– المومنون :108 .

[8]– الغاشية:25–26 .

وكبريائه، اللذين هما من خصائص الله "وذلك تشبُّهٌ بالإله، ومعصية كبيرة"[1]، وقد أورد محمد الخضر قصة بمناسبة ذكر صاحب "نفح الطيب" لاعتناء أهل الأندلس بأمر النظافة حيث قال المقري:" وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون[2].....".

فذكَّره هذا النص بما وقع للشاعر الصفاقسي[3] المسمى: "الغراب" أنه :ترك عباءة له عند أحد أحد أصحابه بتونس ليغسلها، ويرسلها له، فتأخر إرسالها، فأرسل له خطاباً يقول فيه:" إذا فقد الماء من بلدكم والصابون، وهاد إليكم من بلدنا الجمَّالون، جاءك الماء مع الذين هادوا والصابون". واقتبس قوله: الذين هادوا والصابون من الآية[4]: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾[5] وهذا على رواية ورش ، ولم يعلق محمد الخضر على هذا الاقتباس لا بالتأييد ولا بالإنكار .

وقد يكثر الاقتباس عند الشعراء ويقع بعضهم في الاقتباس المحظور فبين-محمد الخضر- حكمهم بقوله:" ومن الشعراء من تجرأ واقتبس بعض القرآن والأحاديث النبوية في شعر غزلي أو هزلي، فالإيمان يقضي بتجنب ذلك، فهو إعراض عن الحق إلى ضلال مبين"[6].

كما وصفهم بالفسق والخروج عن الطاعة في موضع آخر فقال:" وإن تعجبوا لطائفة من فسقة الشعراء يقتبسون آيات من كتاب الله، ويقصدون بها معاني قبيحة منكرة، فاعجبوا لفئة أخرى

---

[1]- بلاغة القرآن :ص63 .

[2]- المقري، التلمساني - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ج01 ص223 .

[3]- أبو الحسن علي الغراب الصفاقسي: الفقيه العالم الماهر الألمعي الذكي الأديب الشاعر. أخذ عن أبي الحسن اللومي والشيخ محمَّد سعادة وجماعة. له ديوان شعر كبير مَن وقف عليه اعترف له بالنبل والنباهة لما اشتمل عليه من التوريات والتشبيهات والكتابات وللناس اعتناء به. توفي في 1183هـ-1769 م – ينظر: شجرة النور الزكية: ج01ص501/ الأعلام: ج04ص319 .

[4]- دراسات في الشريعة الإسلامية :ص175 .

[5]- المائدة :69 .

[6]- المصدر نفسه :63 .

يوردون في بعض مؤلفاتهم من هذه الأشعار ما يتصبب له الجبين من الحياء عرقاً"[1].

ب- أمثلة لاقتباسات محمد الخضر من القرآن الكريم:

كثر اقتباس محمد الخضر حسين من القرآن الكريم، وآثار الشيخ ومؤلفاتهشاهدة على ذلك، ومن الأمثلة في هذا:

- قوله :فهل لإخواننا الكرام أن يسمحوا لنا بأن نعرض عليهم حاجة في أنفسنا ليقضوها[2]،وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ ﴿٦٨﴾﴾[3] .

- وإن قال قائل منهم: إنها كبرت كلمة تخرج من أفواهنا[4]، وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾[5].

-لا نود التعرض لما تكتبه أقلام ليس علينا من حسابها من شيء[6]، وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ ﴿٥٢﴾ ﴾[7].

- فإنما هو الطعن بمكيدة، والله لا يهدي كيد الخائنين[8]، مقتبس من قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾[9].

---

[1]- محمد الخضر حسين - الخيال في الشعر العربي : ص118 .

[2]- الرحلات :ص25 .

[3]- يوسف:68 .

[4]- الرحلات :ص25 .

[5]-الكهف:05 .

[6]- محاضرات اسلامية :ص215 .

[7]- الأنعام :52 .

[8]- نقض كتاب في الشعر الجاهلي:ص269 .

[9]- يوسف:52 .

-وأن ما يحسبه المؤلف من مظاهر الحكومة النبوية هيناً، هو عند ذوي العقول الراجحة والآراء الرصينة عظيم[1]، اقتبسه من قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾[2].

-وفي خطاب أرسله إلى محمد رشيد رضا ختمه بقوله : وسلام عليك يوم تُقَرِّظُ ويوم تنقد، ويوم تكون للحق ولياً[3]، مقتبَس من قوله تعالى: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾[4]، وغير ذلك من الاقتباسات الكثيرة في مقالاته وكتبه .

3- الرقية بالقرآن:

تعريف الرقية: الرقى جمع رقية: وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع ولدغ الحيات والعقارب ونحوها، كما يرقى بها من العين[5].

يرى محمد الخضر أن القرآن الكريم أنزل دعوة للحق وهداية إلى مصالح الدنيا والآخرة فشرعت تلاوته للتعبد والتدبر في آياته، ويتبع ذلك تلاوته للاستشفاء من عوارض جسمية وهي : الرقية فيشفي الله من رقية القرآن، كما يهدي بتلاوته من يشاء من عباده، فالقرآن الكريم أذن الشرع في اتخاذه وسيلة لدفع شرورٍ ومكاره دنيوية[6].

وقد أسف كثيرا لما آل إليه بعض المسلمين في زمنه إلى الإكثار من الحديث عن تصرفات

---

[1]- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم :ص229 .

[2]- النور:15 .

[3]- أوراق ومذكرات محمد الخضر حسين:ص90 .

[4]- مريم:15 .

[5]- ابن الأثير- النهاية في غريب الحديث والأثر:ج02 ص254 .

[6]- بلاغة القرآن :ص61 .

الجن، واتخاذ أمثال ما كان في عهد الجاهلية لمعالجتها؛ كهذا الصنيع الذي يسمونه: "الزّار"[1].

لقد أيد الرأي القائل بمنع كتابة القرآن على شكل حروز وتعليقه[2] ،لأن هذا – في رأي محمد الخضر – لم يثبت عن رسول الله ولا عن سلف الأمة فقال :"وأما كتابة بعضه في ورقة، واتخاذه حرزاً يُتقى به من شرور الدنيا، فلم أره في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم–، ولا سيرة السلف الصالح"[3].

ولما ساق أحاديث تنهى عن تعليق التمائم والخرزات[4] والأحجار وغيرها خلص إلى" أن هذه الأحاديث – وإن وردت في تمائم الجاهلية –، فإن السلف الصالح لم يُعرفوا بتعليق التمائم، وإنما كانوا يستشفون بالقرآن الكريم على وجه الرقية كما ثبت في السنة"[5].

4– الاستخارة بالقرآن الكريم: من الأمور التي اعتنى بها محمد الخضر حسين والتي تدخل تحت عنايته بالقرآن الكريم مسألة الاستخارة بالقرآن الكريم، فقد نبه في عرضه لمسألة الاستخارة إلى ما يجوز منها وما لا يجوز، حيث بين كيفيتها بقوله :"وقد شرع النبي – صلى الله عليه وسلم – الاستخارة بصلاة ركعتين، وقراءة سورتين: الكافرون، وقل هو الله أحد"[6]،ويقول عقب الركعتين: "اللهم إني أستخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علّام الغيوب، اللهم إن كنتَ تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله، فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني

[1]– محمد رسول الله وخاتم النبيئين :ص174 .

[2]– ينظر حكم تعليق التمائم ولو كانت من قرآن وآراء المانعين والمجيزين ،القرضاوي يوسف ، موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى ، مكتبة وهبة ، ط01 ، القاهرة ، 1415هـ-1994م: ص 146وما بعدها.

[3]– بلاغة القرآن : ص61 .

[4]– خرزات، وخرز،ج خرزة: حبة تنظم في سلك أو خيط لتكون عقدا يتزين به، وخرزة زرقاء: حلقة من الزجاج الأزرق تتخذ تعويذة. أحمد مختار،معجم اللغة العربية المعاصرة،مادة خ ر ز: ج01 ص630 .

[5]– محمد رسول الله وخاتم النبيئين :ص175 .

[6]– بلاغة القرآن :ص65 .

ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان، وأرضني به"[1].

وذكر صفة الاستخارة بالمصحف ولعلها كانت من الصور الرائجة في زمنه فقال: ومنهم من يستخير بالقرآن على وجه آخر، وهو أن يفتح المصحف، ويضع المفتاح بنصف المصحف، ويربطه ربطاً محكماً، ويضع جانباً من عروته على إصبعه، وجانباً على إصبع جانبه، فإن دار عن يمينه، استدل به على الإذن في الفعل، وإن دار على اليسار، استدل به على المنع من الفعل؛ والقرآن إنما نزل هداية[2].

لقد سئل عن حكم الاستخارة بالقرآن الكريم ، ويُقصد بذلك فتح المصحف فتقع عين المستخير على آية من الآيات يوحي مضمونها بالإقدام على الأمر أو الإحجام عنه، فأجاب: الاستخارة من القرآن والاستفتاح به بدعة لم ينقل فعلها عن السلف[3]،واستدل بقول أبي بكر الطرطوشي وتلميذه ابن العربي في الأحكام :"إنّ المصحف لم يُبيَّن ليعلم به الغيب إنما بُيِّنت آياته ورُسمت كلماته ليُمنَع عن الغيب، فلا تشتغلوا به ولا يتعرض أحدكم له"[4].

واعتبر محمد الخضر أن ذلك من البدع المحرمة، ومن أجلبها للخسار: ما يعوق عن فعل خير؛ كالاستخارات غير الشرعية، فقد يتفق لفاتح المصحف أن يقع نظره على آية فيها معنى النهي- مثلاً -فيترك الأمر، ويكون في فعله - لو استشار، أو اعتمد على الاستخارة الشرعية - خير

[1]- البخاري - الجامع الصحيح ، باب ما الدعاء عند الاستخارة، رقم:6382 - أبو داوود ، السنن ، باب الاستخارة ، رقم:1538 - الترمذي ، السنن ، باب ما جاء في صلاة الاستخارة ، رقم:480 .

[2]- بلاغة القرآن: ص65 .

[3]- السعادة العظمى ،ص189 .

[4]- ابن العربي ،أبو بكر- أحكام القرآن،تحقيق :عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، ط:03 ،بيروت – لبنان، 1424هـ - 2003 م :ج02 ص31.

كثير[1].

ولما تحدث عن استقسام العرب بالأزلام طلبا لمعرفة الغيب ألحق بذلك كل طريقة أو وسيلة يلجأ إليها العبد لكشف ما في الغيوب خاصة ما يتعلق بالفأل للسفر أو الزواج "وإبطال الشريعة للأزلام يجري حكمه في كل ما يتخذ وسيلة للاطلاع على عواقب الأمور من غير طرقه الشرعية أو العلمية؛ مثل: الاستخارة بالمصحف، أو السبحة، ونحوها، فكل هذا ما عدا الاستخارة الشرعية بدعة لا يجوز التعلق بها"[2].

وعَدَّ جملة من أنواع التشاؤم الممقوت، ومنها: فتح المصحف على آية عذاب أو نهي أوغير ذلك "ويدخل في التشاؤم الممقوت: ما أحدثه الناس من الاستخارات غير الشرعية؛ كالاستخارة بالسبحة، والاستخارة المنامية، والاستخارة بالقرآن المجيد[3].

ولا يستأنس لجواز الاستخارة بالمصحف بما يقع لبعض الناس على جهة الموافقة لما يعزمون فعله، أو المصادفة لما ينوون عمله فتكون تلك التجربة دليلا على الجواز ، وقد نبه لذلك محمد الخضر بما حكاه "بعض المؤرخين أن بعض العلماء أراد السفر في البحر، ففتح المصحف، وقابله قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾[4] فترك السفر، وغرق المركب في البحر براكبيه، وهذا مصادفة، ولم يَرد القرآن لأخذ الفأل منه، بل نزل شفاء لما في الصدور[5].

تلك كلها مظاهر لعناية محمد الخضرحسين بالقرآن الكريم ، واقتباس آياته في وجههه الذي أذن فيه الشرع ، وتجنب استعمالها أو استعمال المصحف الشريف في غير محله ، لما في ذلك من الافضاء إلى البدعة المحرمة وامتهان كتاب الله .

---

[1]- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان :ص136 .

[2]- محمد رسول الله وخاتم النبيئين :ص173 .

[3]- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان:ص178 .

[4]- الدخان :24 .

[5]- بلاغة القرآن: ص64 .

المبحث الثاني : عربية القرآن الكريـــــم:

اختار الله عز وجل اللغة العربية لتكون وعاء للكتاب الخاتم القرآن الكريم وذلك لأن آخر الأنبياء نبي عربي وأول ما بعث؛ بعث في العرب، وإنما اختيرت اللغة العربية لما امتازت به عن غيرها من اللغات من كثرة الأساليب وتنوعها وغزارة المرادفات واتساع مجال الاشتقاق.

المطلب الأول: فضل اللغة العربية ومكانتها وسِرُّ نزول القرآن بها:

الفرع الأول: فضل اللغة العربية

إذا كان في التاريخ لغات غاب ذكرها اليوم وغابت آثارها فإن هذه اللغة –أني اللغة العربية– لا تزال باقية إلى اليوم، يقول محمد الخضر حسين في مبحث سماه :"اللغة العربية لا تموت":"واذا فرضنا أن شعوبًا غير عربية رضيت أن تتخلى عن لغاتها؛ فإن الشعوب الذين ينطقون باللغة العربية أحرصُ الناس على حياة لغتهم، فمن المحال أن يتبدلوا بها لغة أخرى، وإن تضافر على هذه اللغة أمم الأرض جميعاً ؛ تأبى هذه الشعوب هجر اللغة العربية، وتحويل ألسنتها إلى لغة أخرى"[1].

ثم بين علة هذا الإباء وهذا الرفض لتبديل اللغة العربية بغيرها فقال:" لأنها لغة القرآن، الذي هو معجزة الرسالة، ومطلع الهداية، ولأنها تملك من فصاحة الكلم، وحكمة الأساليب، وغزارة المادة ما يجعل خطيبها أو شاعرها أو كاتبها المجلي في حلبة البيان، فلو زهدت هذه الشعوب الإسلامية في اللغة العربية، كانت قد فرَّطت في جنب الله، وأضاعت من يدها لساناً بلغ في الإبداع أقصى ما يمكن أن تبلغه لغات بني الإنسان"[2].

وقد أحسن الرافعي حين تكلم عن هذه اللغة وما امتازت به عن غيرها من اللغات من سعة ومواكبة لكل عصر إذ في مفرداتها ما يدل على أنها لغة ولود يمكن أن تسمي كل جديد أو طاريء

[1]– محمد الخضر حسين : دراسات في اللغة العربية وتاريخها:ص18: ص18.

[2]– محمد الخضر حسين – دراسات في اللغة: ص18 –19.

على المجتمعات بمسماه الذي يناسبه حيث يقول:"العربية أوسع اللغات مدى، أغزرهن مادة، وأوفاهن بالحاجة الحقيقية من معنى اللغة؛ لكثرة أبنيتها، وتعدد صيغها، ومرونتها على الاشتقاق، وانفساحها من ذلك إلى ما يستغرق اللغات بجملتها..."[1].

ولا يعني نزولُ القرآن الكريم باللغة العربية أن أحكامه خاصة بالعرب دون غيرهم بل" يجب أن تعلموا قطعا أن ليس المراد من خطاب العرب بالقرآن أن يكون التشريع قاصرا عليهم أو مراعيا لخاصة أحوالهم"[2].

وهو المعنى ذاته الذي قرره محمد الخضر بقوله :" إن الوحي كله –متلوّاً وغير متلوٍّ– إنما نزل بلسان العرب، ولا يرد على هذا كونه – صلى الله عليه وسلم – بعث إلى الناس كافة، عرباً وعجماً وغيرهم؛ لأن اللسان الذي نزل عليه به الوحي عربي، وهو يبلغه إلى طوائف العرب، وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم "[3].

ومما يدل على مكانة اللغة العربية أن من شروط المفسر الذي يتصدر لتفسير كتاب الله، الإلمامَ بعلوم اللغة العربية وكذلك هي من شروط المفتي الذي يتصدر للفتوى واستنباط الأحكام ، وفي مقارنة محمد الخضر لبعض العلوم، بَيَّن فضل اللغة العربية على علم المنطق بأن "اللغة تفضل على المنطق بعلو ثمرتها التي هي فهم دلائل القرآن والحديث"[4] .

كما نص محمد الخضر على أنه أعلم في أحد دروسه أننا "أخذنا في شروط المجتهد: أن يكون قائمًا على علوم اللغة العربية، بحيث يبلغ في فهم الكلام العربي مبلغ العرب الناشئين في الجاهلية أو في صدر الإسلام، وقال في موضع آخر:" ولا يبلغ مرتبة الاستنباط في الشريعة إلا من كان له في

[1]– مصطفى صادق – تاريخ آداب العرب : ج 1 ص 145 .
[2]– محمد الطاهر بن عاشور– التحرير والتنوير:ج1 ص39 .
[3]– بلاغة القرآن:ص21 .
[4]– الدعوة إلى الإصلاح : ص229 .

علوم اللغة قدم راسخة"[1].

قال الشاطبي: "لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة"[2].

وقد نص ابن فارس في كتابه الصاحبي على :أن لغة العرب هي أفضل اللغات وأوسعها مستدلا بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[3]،حيث وصف الله كتابه بأبلغ ما يوصف به الكلام وهو البيان مستدلا على هذا المعنى الأخير بقوله جل وعلا : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾[4] حيث قدم جل وثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرد بإنشائه ، من شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المحكمة والنشايا المتقَنة"[5].

يقول الإمام الشافعي:" ولسان العرب: أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها "[6].

الفرع الثاني: عطاءات القرآن الكريم للغة العربية وأثره فيها:

إن نزول القرآن الكريم باللغة العربية ساهم في بقاء هذه اللغة وامتدادها عبر القرون كما أنه أثرى هذه اللغة ثراء كبيرا، فقد كان" القرآن الكريم هو المحور الذي نشأت حوله جميع معارف العرب

[1]- دراسات في العربية وتاريخها: ص242 .

[2]- الموافقات : ج2 ص131 .

[3]- الشعراء :195 .

[4]- الرحمن :03-04 .

[5]- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها : ص 19 بتصرف /السيوطي ، المزهر في علوم اللغة،ج01ص254/القنوجي ، محمد صديق خان،البلغة في أصول اللغة:ص109.

[6]- الشافعي، محمد بن إدريس – الرسالة ،تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي،ط01 ، مصر ، 1358هـ- 1940م:ص34.

التي جدّت في حياتهم بعد الإسلام، إذ شكل القرآن المصدر الأول للثقافة العربية الإسلامية- وملاذها الأخير- فقد تعددت علوم الثقافة العربية واتسعت لها لغة العرب بعد نزول القرآن الكريم"[1].

هذه الثقافة الواسعة التي اشتملت على علوم القرآن والحديث، والأدب واللغة والسيرة والفلسفة والفقه والأصول ..."وإن-هذا- الاتصال بين اللغة العربية الفصحى والقرآن الكريم قد أورث اللغة أساليب بديعة، وارتقت بفنونٍ تُبَلِّغها إلى ذروة الكمال"[2] .

وهذا فضل عظيم للقرآن أقر به كل من درس اللسان العربي قبل نزول القرآن وبعده، فرأى ما اكتسبته اللغة من المعاني والأساليب الجديدة، ومنذ "طلع الإسلام على العرب وفي هدايته من المعاني ما لم يكونوا يعلمون، بل في هدايته ما لم تف اللغة يومئذ بالدلالة عليه، فعبر عن هذه المعاني بألفاظ ازدادت بها اللغة نماء"[3] .

لذا أصبح القرآن الكريم أحد المصادر الكبرى لها بل هو "أفضل ما يحتجُّ به في تقرير أصول اللغة: ؛ لأنه نزل بلسان عربي مبين، ولا يمتري أحد في أنه بالغ في الفصاحة وحسن البيان الذروة التي ليس بعدها مرتقى"[4].

وقد حض محمد الخضر على الاعتناء باللغة العربية مبينا فضلها وسر بقائها :

لغةٌ قَدْ عَقَدَ الدّينُ لها ذمةً يَكْلؤُها كلُّ بَشَرْ
أولمْ تُنْسَجْ على مِنوالها كَلِمُ التَّنْزيلِ في أرْقى سُوَرْ

[1]- عدنان محمد زرزور- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه،دار القلم، ط02، دمشق- سورية، 1419هـ- 1998 م:ص37 بتصرف يسير.

[2]- محمد الخضر حسين - دراسات في اللغة :ص126 .

[3]- المصدر نفسه:ص21 .

[4]- دراسات في اللغة العربية وتاريخها :ص35 .

فـــأقيموا الوجْـــهَ في إحيائهـــا وتلافـوا عقـدَ مـا كـان انتشـرْ[1]

وهـذه مسـألة عـرض لهـا العلمـاء قـديما مفادهـا: هـل يحتج بـالقرآن الكـريم والسـنة الصـحيحة لإثبات اللغة العربية، بمعنى هل مصادر اللغة هي شعر العرب في الجاهلية فقط؟ أم أن القرآن الكريم هو الأصلح للاحتجاج.

الفرع الثالث: آراء العلماء في الاحتجاج بالقرآن لإثبات اللغة:

1.رأي ابن حزم: نرى ابن حزم يعجب لمن تقع يده أو عينه على شعر ينسب للجاهلية وقد لا يُعرف قائله فيحتفي به بعض المنتسبين للغة، فإذا وردت كلمة قرآنية مما لم يألفه أهل اللغة ،أو ورد إعراب قد يخالف ما درج عليه أهل اللغه توجسوا منها، يقول ابن حزم:" ولا عجب أعجب ممن إن وجد لامرئ" القيس، أو لزهير، أو لجرير، أو الحطيئة، .... أو من سائر أبناء العرب لفظاً في شعر أو نثر، جعله في اللغة، وقطع به، ولم يعترض فيه، ثم إذا وجد لله تعالى خالقِ اللغات وأهلِها كلامًا، لم يلتفت إليه، ولا جعله حجة، وجعل يصرفه عن وجهه، ويحرفه عن موضعه، ويتحيل في إحالته عما أوقعه الله عليه"[2].

فابن حزم يرى أن القرآن الكريم هو أجَلُّ مصادر اللغة العربية، بل هو مصدر وسر ثرائها بين اللغات.

2.رأي الرازي :وهو العجب ذاته الذي عجب له الرازي في تفسيره حيث قال:" إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول، فجواز إثباتها بالقرآن العظيم أولى؛ وكثيراً ما نرى النحويين متحيرين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن، فإذا استشهدوا في تقريره ببيت مجهول، فرحوا به"[3]،ثم يعرب عن شدة عجبه إذ هم يقدمون ما جُهل مورده ومصدرُه على ما عرف مصدره ومورده ألا وهو القرآن

[1]- حياة اللغة العربية: ص167 .

[2]- ابن حزم – الفِصَل في الملل والأهواء والنحل :ج03 ص107 .

[3]- فخر الدين الرازي-مفاتيح الغيب :ج09 ص401 .

الكريم فيقول:" وأنا شديد التعجب منهم، فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلاً على صحته، فلأنْ يجعلوا ورود القرآن دليلاً على صحته كان أولى"[1].

3.رأي محمد الخضر حسين: وكان لمحمد الخضر حسين رأيه في هذا فقد أدلى بدلوه، ووافق ابن حزم والرازي في اعتماد القرآن الكريم لإثبات اللغة العربية" فمن الحق أن مكانة القرآن الكريم المتناهية في الفصاحة والبلاغة تقضي بالاحتجاج به في كل حال"[2].

ولم يكتف بهذا بل جعل السنة الصحيحة كذلك، حيث قدم بحثا إلى مجمع اللغة العربية بعنوان "الاستشهاد بالحديث في اللغة" وبذل جهدا في استقصاء ما كتبه فيها أهل العلم ، وقد حرر محل النزاع في دراسة مقارنة مستفيضة بين المانعين والمجوزين وأدلة كل فريق منهما وبعد مناقشة أدلة الفريقين خرج بترجيح مفاده "أنَّا نرى الاستشهاد بألفاظ ما يروى في كتب الحديث المدونة في الصدر الأول، وإن اختلفت فيها الرواية، ولا نستثني إلا الألفاظ التي تجيء في رواية شاذة، أو يغمزها بعض المحدثين بالغلط ، أو التصحيف غمزا لا مرد له"[3].

وبين فضل صحيح البخاري وأنه من الدواوين المعتمدة لإثبات اللغة فقال" إن الجامع الصحيح-أي صحيح البخاري- ساعد على حفظ اللغة العربية، وإقامة قواعدها من وراء مساعدته على حفظ الشريعة وتأييد دعائمها؛ فإن ما في كتاب البخاري من أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم –، وأقوال الصحابة والتابعين يصح أن يستشهد به في اللغة"[4].

وقد أرجع محمد الخضر حسين أسباب ارتقاء اللغة العربية حتى بلغت أشدها إلى هذين الأصلين القرآن الكريم والسنة وهذه الأسباب في رأيه هي:

---

[1]- المرجع السابق:ج09 ص401 .

[2]- دراسات في اللغة العربية وتاريخها :ص35 .

[3]- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان :ص184

[4]- المصدر نفسه: ص120 .

1-ما جاء به القرآن الحكيم من صورة النظم البديع، والتصرف في لسان العرب على وجه يملك العقول؛ فإنه جرى في أسلوبه على منهاج يخالف الأساليب المعتادة للفصحاء قاطبة، وان لم يخرج عما تقتضيه قوانين اللغة، واتفق كبراؤهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه اللائق به.

2- ما تفجر في أقوال الرسول – صلى الله عليه وسلم – من ينابيع الفصاحة، وما جاء في حديثه من الرقة والمتانة والإبانة من الغرض بدون تكلف.

3- ما أفاضه الإسلام على عقولهم بواسطة القرآن والحديث من العلوم السامية، وبما نتج عن تعارف الشعوب والقبائل، والتئام بعضها ببعض من الأفكار ومطارحة الآراء[1].

ومن فضل القرآن الكريم على اللغة العربية أن بقاء اللغة العربية منوط ببقاء القرآن الكريم لا محالة إلى حين يأذن الله برفعه من الصدور ثم من المصاحف، لأنها: "لغة المستقبل، ولا شك أنه يموت غيرها، وتبقى حية حتى يُرفع القرآن نفسُه"[2].

وبقاءُ القرآن الكريم هو صِمامُ أمان وعاملُ ضمانِ لبقاء اللغة العربية إلى ذلك الحين الذي لا يعرف وقته إلا الله ، يقول الزحيلي: "كان للقرآن الفضل الأكبر في الحفاظ على اللغة العربية، في مسيرة القرون الأربعة عشر الغابرة، بما اشتملت عليه من فترات ضعف وتخلف وتسلط المستعمرين الأوربيين على بلاد العرب[3].

---

[1]- دراسات في العربية وتاريخها:ص126 ،127 .

[2]- المصدر نفسه: ص19 . و هذه الجملة في الأصل ل "جول فرن"،قالها في سياق عرض قصة خيالية لسياح يخترقون طبقات الكرة الأرضية حتى يصلوا أو يدنوا من وسطها، ولما أرادوا العود إلى ظاهر الأرض، بدا لهم أن يتركوا هنالك أثراً يدل على مبلغ رحلتهم، فنقشوا على الصخر كتابة باللغة العربية ، فلما سئل "جول فرن" عن وجه اختياره للغة العربية قال هذه الجملة.- ينظر: دراسات في العربية وتاريخها:ص19.

[3]- الزحيلي ،وهبة بن مصطفى – التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، دار الفكر المعاصر، ط2 ،دمشق،1418 هـ: ج1 ، ص36

هذه بعض آراء العلماء قديما وحديثا في بيان فضل القرآن الكريم وأثره في اللغة العربية، وقد أبدى محمد الخضر آراءه معضدا لها بأدلتها.

الفرع الرابع : تفضيل لغة قريش ولسانها :

اصطفى الله عز وجل اللغة العربية فشرفت بنزول القرآن الكريم بها واصطفى من لغات العرب ولهجاتهم لغة قريش، فنبي الله عز وجل أفصح الناس، وأرسله الله بلسان قومه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾[1].

وقد امتازت لغة قريش ولسانها عن باقي لغات قبائل العرب بميزات لخصها صاحب كتاب الصاحبي بقوله :" أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة. وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمدا -صلى الله عليه وسلم- فجعل قريشا قطان حرمه، وجيران بيته الحرام، وولاته"[2].

والذي جعل لقريش هذه المكانة هو كونهم أهل الحرم وأن القبائل العربية كانت تفد إليهم لأداء الحج وتقام هناك أسواق للتباري في هذه اللغة وكان المرجع الّذي يحتكمون إليه عند الاختلاف هو لغةَ قريش، يضيف ابن فارس في مظاهر هذا التفضيل:" أن وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم. وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم. ولن تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميها أهل الله لأنهم الصريح من ولد إسماعيل عليه السلام، لم تشبهم شائبة، ولم تنقلهم عن مناسبهم ناقلة، فضيلة من

[1]-إبراهيم :04 .

[2]- الصاحبي : ص28.

الله –جل ثناؤه– لهم وتشريفا. إذ جعلهم رهط نبيه الأدْنَينَ، وعترته الصالحين"[1].

ويوجز محمد الخضر حسين أسباب تفضيل لغة قريش على سائر لغات العرب، واعتبارها أفصح هذه اللغات، بوجهين:

أحدهما: بعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم. ولهذا لم يحتجّ أهل الصناعة العربية إلا بلسانهم أو ما كان قريبا منه، ولم يعتمدوا لغات القبائل التي تجاور غيرها من الأمم، كلغة لخم وجذام وقضاعة وغسان.

ثانيهما: أن العرب كانوا يفدون عليهم في موسم الحج ويقيمون عندهم قريبا من خمسين يوما، فيتخيرون من لغات أولئك الوفود ما تعادلت حروفه وخف وقعه على الأسماع، ويرفضون كل ما يثقل على الذوق ولا يجد في السمع مساغا[2].

وقد أشار محمد الخضر إلى هذا التفضيل شعرا فقال:

وَلَمْ أَنْــضُ الْقَــــريحَةَ في نسِيــــبٍ وَلا عَــــذْلاً شَــكَوْتُ وَلا بُعــــادَا
فَمَــا أَهْــوى سِــوى لُغَــةٍ سَقَاهَــــا قُــــرَيْشٌ مِــــنْ بَــــراعَتِهِمْ شِهــــادَا
أَداروا مِــــنْ، سَلاسَــــتِها رَحيقــــاً وهَـزُّوا مِـنْ جَزالَتِهـا صِعـــــــــادا
وطَوَّقَهــــا كِتــــابُ اللهِ مَجْــــدًا وزَادَ سَنا بَلاغَتِها اتِّقــــــــــادَا[3]

ولهذا تحرت قريش أن تختار من اللغة أصفاها وأحسنها خاصة إذا اقترب موعد مجيء الوفود للحج يقول ابن فارس :"وكانت قريش، مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك

[1]– المرجع السابق: ص28 .
[2]– محمد الخضر حسين – دراسات في العربية وتاريخها : ص132-133 .
[3]– ديوان خواطر الحياة:ص71.

اللغات إلى نحائزهم[1] وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب[2].

غير أن هذه الأقوال أثارت عدة تساؤلات مفادها : هل نزل القرآن بلغة قريش وحدها أم نزل بباقي لغات العرب ؟ واختلفوا في تأويل حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ، يَقْرَأُ سُورَةَ الفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْرَأَنِيهَا، وَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا، فَقَالَ لِي: "أَرْسِلْهُ"، ثُمَّ قَالَ لَهُ: "اقْرَأْ"، فَقَرَأَ، قَالَ: "هَكَذَا أُنْزِلَتْ"، ثُمَّ قَالَ لِي: "اقْرَأْ"، فَقَرَأْتُ، فَقَالَ: "هَكَذَا أُنْزِلَتْ إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ"[3].

فذهب جماعة إلى أن القرآن نزل على سبع لغات متفرقة في القرآن، فبعضه نزل بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة تميم، وبعضه بلغة أزد وربيعة، وبعضه بلغة هوازن وسعد بن بكر وكذلك سائر اللغات ومعانيها في هذا كله واحدة، قال الأزهري في التهذيب إنه المختار واحتج بقول عثمان حين أمرهم بكتب المصاحف:" وما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش فإنه أكثر ما نزل بلسانهم"[4] وقال البيهقي في شعب الإيمان: "إنه الصحيح أي أن المراد اللغات السبع التي هي شائعة في القرآن"[5].

لقد رجح الباقلاني نزول القرآن بلغة قريش مع أنه حوى بعضا من لغة القبائل المجاورة لكن

---

[1]- والنحائز: الإبل المضروبة، واحدتها نحيزة، والنحيزة: الطبيعة، وقيل: النفس، وقيل: السيرة والطريقة.ينظر: المرسي، أبو الحسن علي-المحكم والمحيط الأعظم: ، جذر:ن ح ز:ج03 ص221 ،222.

[2]- الصاحبي : ص28 .

[3]- صحيح البخاري ، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض ، رقم :2419 -باب أُنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم: 4992 .

[4]- الزركشي - البرهان في علم القرآن :ج1 ص218 .

[5]- البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين - شعب الإيمانتحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ،ط01 ،الرياض ،1423 هـ - 2003 م:ج03 ص535.

أغلبه كان بلغة قريش ولسانها، وعلل هذا التغليب بعدة علل منها :

أ-كان طبيعياً أن يكون القرآن بلغة قريش، لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم قُرشي، ثم ليكون هذا الكلام زعيمَ اللغات كلها كما امتازتت قريش من العرب بجوار البيت، وسقاية الحاج، وعمارةِ المسجد الحرام، وغيرها من خصائصهم؛ وقد ألف العرب أمرهم ذلك واحتملوا عليه وأفردوهم به، فلأن يألفوا مثلَه في كلام الله أؤلى.

ب- أن القرآن لو نزل بغير ما أَلِفَه النبي – صلى الله عليه وسلم – من اللغة القرشية وما اتصل بها، كان ذلك مَغمزاً فيه، إذ لا تستقيم لهم المقابلة حينئذ بين القرآن وأساليبه، وبين ما يأثرونه من كلام النبي – صلى الله عليه وسلم – فيهون ذلك على قريش، ثم على العرب، فيجدون لكل قبيلة مذهباً من القول فيه، فتنشق الكلمة، ثم يصير الأمر من العصبية والمشاحنة والبغضاء إلى حال لا يلتئم عليه أبداً[1].

لقد بحث محمد الخضر مسألة الأحرف السبعة في كتابه بلاغة القرآن –كما بحثها العلماء السابقون – وذكر الخلاف في ذلك ومال إلى الرأي الذي يرى أن المقصود بالأحرف هي لغات العرب وعلى رأسها لغة قريش ليخرج بنتيجة حاصلها :" وإذا اعتمدنا تغير الأحرف باللغات، فإنما نعني: أن الله تعالى أنزل القرآن على هذه اللغات حتى يتيسر لكل عربي أن يقرأه على وفق لغته، لا أنه أباح للعرب أن يقرأ كل القرآن بلغته، ولو لم يسمع القراءة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ويدل على أن هذه الأحرف متلقاة من النبي – صلى الله عليه وسلم –: حديث عمر، وهشام[2].

[1]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ص46 .

[2]- محمد الخضر حسين – بلاغة القرآن : ص276 .

المطلب الثاني: خدمة محمد الخضر حسين للغة القرآن ودفاعه عنها:

الفرع الأول: خدمة محمد الخضر للغة القرآن الكريم :

لمباحث علوم القرآن علاقة وثيقة باللغة العربية وعلومها، بل يكاد هذان العلمان يتداخلان، فعلم المعاني بأقسامه وعلم النحو والصرف وعلم البديع تتقاطع مع علوم القرآن والتفسير، ولأهمية اللغة العربية في فهم هذه المباحث استُحسن أن نقف على ما ألفه محمد الخضر حسين من كتب ورسائل خدم بها لغة القرآن من جهة، ودافع بها عن هذه اللغة من جهة أخرى.

ودفاعه عن اللغة العربية هو دفاع عن القرآن الكريم، وخدمته للغة العربية هي خدمة جليلة لكتاب الله عز وجل؛ الذي اختار الله له اللغة العربية لتكون وعاءَه وقالَبه، يقول الزركشي:" ويحتاج الكاشف عن غريب القرآن إلى معرفة علم اللغة اسما وفعلا وحرفا فالحروف لقلتها تكلم النحاة على معانيها فيؤخذ ذلك من كتبهم"[1].

ولهذا نجد المؤلفين في علم من علوم القرآن يكثرون الاعتماد على كتب اللغة ، كمقاييس اللغة والصاحبي والقاموس ولسان العرب وغيرها، وتُعتمد هذه الكتب في الاستشهاد للروايات، ووجوه القراءة، ونقل آراء النحويين في كثير من المسائل القرآنية، ونلحظ في كتب علوم القرآن تردد أسماء أئمة اللغة والنحو مثل: سيبويه وابن مالك والزجاج وغير ذلك.

لقد نال محمد الخضر حسين حظه الكبير من علوم اللغة فوجه عنايته لها واهتمامه بها ، وذلك بما تلقاه في بيته فقد كان بيته بيت علم –كما سبق الإشارة إليه في ترجمته– حيث تلقى مباديء النحو على يد أمه حليمة السعدية، قال على الرضا الحسيني –ابن أخ محمد الخضر– "إن السيدة حليمة السعدية بنت الشيخ مصطفى ابن عزوز والدة الإمام كانت أول من لقن أولادها العلوم الدينية واللغوية، وأن الشيخ محمد الخضر– شأن إخوته الآخرين– قد أخذ عن والدته: كتاب

[1]– البرهان في علوم القرآن :ج01 ص291 .

الكفراوي في النحو، وكتاب السفطي في الفقه المالكي"[1].

ثم ما تلقاه عن شيوخه بمسقط رأسه مدينة نفطة ، ثم ما ناله من دروس شيوخه بجامع الزيتونة، فالبرامج المسَطرة بهذا الجامع متنوعة الفنون والعلوم، ومن علوم اللغة التي كان يتلقاها طالب الزيتونة، مجموعة مقررات لكل علم مقرر خاص، وقد قُرر " لعلم النحو: "مغني اللبيب"، و"شرح الأشموني على الخلاصة"، ولعلم البلاغة: "التلخيص بشرح المطول للسعد"، والقسم الثالث من "المفتاح بشرح السيد"، ولقراءة علم اللغة والأدب: "المزهر" للسيوطي، و"الحماسة بشرح المرزوقي"، و"المثل السائر لابن الأثير"[2].

وقد صرح في سياق حديثه عن العلوم التي درسها فقال: "كنت قد انقطعت إلى علوم اللغة العربية وآدابها"[3]، وذكر وَلَعَه بكتب اللغة وعكوفه على قراءتها ،كما ذكر إعجابه ببعض هذه الكتب " ويعجبني في النحو "شرح الخلاصة" لأبي إسحاق الشاطبي صاحب "الموافقات"، فإنه أحسن الشروح على ألفية ابن مالك، ، وكنت أطالعه أيام كنت أدرس "شرح الأشموني على الخلاصة" بجامع الزيتونة"[4].

وقد أكسبه هذا الانقطاع وذلك التكوين الزيتوني ملكة ودُربة طوعت له علوم اللغة حتى بُرِّز فيها ومُكِّن من ناصية البيان، وقد شهد بهذا كل من استمع إليه، أو قرأ مؤلفاته ورسائلَه "فهو كاتب بليغ حرّ اللفظ جزل التعبير ، متضلع من العلوم ، يعجب الناظر من محاسن كلمه ومجاري قلمه"[5]، وقد شهد بهذا التميز محمد الفاضل بن عاشور حتى قال فيه :"وكان محمد الخضر كاتبا بليغا، ذا طبع خاص وأسلوب قوي الروح الأدبية ، فصيح العبارة، بليغ التركيب، ينزع إلى طرائق

[1]- مقدمة كتاب :دراسات في اللغة:ص03 .

[2]- تونس وجامع الزيتونة :ص34 .

[3]- تراجم الرجال،ص122 .

[4]-أحاديث في رحاب الأزهر:ص178 .

[5]- مقدمة ياسر بن حمد المطيري لكتاب: الخطابة عند العرب – لمحمد الخضر حسين ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط01 ، السعودية-الرياض ، 1433هـ:ص160.

كتاب الترسل الأولين من العصر العباسي وقد بلغ قمة الإجادة الفنية في نثره"[1].

الفرع الثاني: عناية محمد الخضر باللغة في مقالاته ومحاضراته

-مؤلفاته في اللغة العربية: لقد ظهرت عناية محمد الخضر حسين باللغة العربية في كل ما يكتب، أو يحاضر ، ولا ترد على قلمه كلمة غريبة إلا ويشرحها ويذكر ما قاله أهل اللغة فيها، خصوصا في جانب التفسير ، فبالرجوع إلى الآيات التي فسرها نراه يعتني بشرح المفردات ، ومن أمثلة ذلك قوله في شرح هدى : الهدى في الأصل: مصدر هدى يهدي، واستعمل هنا بمعنى: هادٍ، مبالغة في الوصف بالهداية. والعرب يستعملون المصدر في معنى اسم الفاعل، مبالغةً في وصف الشيء بما صدر منه من الأفعال، أو قام به من الصفات"[2]، وقوله أيضا في شرح لفظة الصيام: والصيام في أصل اللغة كالصوم: الإمساك عن الفعل؛ من نحو: الأكل، والمشي، والكلام[3].

وفي شرحه لمعنى المحكم قال: أما المحكم لغة: فإن مادة "حكم" تدور على معنى الصرف والمنع، ومنه: حَكَمَةُ اللجام: للحديدة التي تمنع الفرس من الاضطراب والجموح[4] .

أما عن مؤلفات محمد الخضر التي خدم بها القرآن الكريم من جهة ، وخدم بها لغة القرآن فإنها كثيرة، وتنوعت بين كتب ورسائل ومحاضرات ومقالات، ومن هذه المؤلفات:

1. كتاب دراسات في العربية وتاريخها: وهو مجموعة رسائل ومحاضرات منها فضل اللغة العربية ومسايرتها للعلوم، حياة اللغة العربية، الاستشهاد بالحديث في اللغة إلى غير ذلك من الأبحاث.

2. كتاب دراسات في اللغة: وإن كان عنوانه قريبا من عنوان الكتاب السابق ولكنهما يختلفان في المحتوى، وقد حقق محمد بن إبراهيم الحمد أن العنوانين إنما صاغهما على الرضى الحسيني ابن أخ

[1]- الحركة الأدبية والفكرية في تونس: ص107،108 .

[2]- أسرار التنزيل:ص16 .

[3]- أسرار التنزيل:ص334 .

[4]- بلاغة القرآن:ص45 .

محمد الخضر حسين لما جمع مؤلفاته ضمن الأعمال الكاملة وإلا فإن مضمونه مقالاتٌ ومحاضراتٌ في اللغة العربية"[1].

ومن المواضيع التي عالجها في هذا الكتاب: المجاز والنقل وأثرهما في حياة اللغة العربية، نيابة بعض الحروف عن بعض، اللهجات العربية في هذا العصر، من وُثق من علماء العربية ومن طعن فيه، الأمثال في اللغة العربية. حياة اللغة العربية وهذ البحث الأخير هو:" من أوائل المحاضرات التي تحدثت بها الأندية الأدبية، وتلقفها أهل الفكر في تونس: تلك التي تناول بها: "حياة اللغة العربية"[2].

3. القياس في اللغة العربية: وهو في الأصل بحث قدمه لنيل العضوية في هيئة كبار العلماء بالأزهر فقد كان "من شروط العضوية في (هيئة كبار العلماء): أن يتقدم العضو ببحث فريد ومميز، وأن يكون بلغ مرتبة علمية رفيعة تؤهله لإشغال هذا المنصب"[3].

ولما وضع محمد الخضر قيد الامتحان وجلس بين يدي لجنة التحكيم طرحت عليه أسئلة في الموضوع الذي تقدم به "فأبدى من الرسوخ والتمكن ما أصاب اللجنةَ الفاحصة بالدهشة والإكبار والتعظيم له، وكأنه بحر يهدر بغزارة وفيض، حتى إن الشيخ اللبان[4] صاح بإعجاب أمام كافة الحضور: "هذا بحر لا ساحل له، فكيف نقف معه في حِجاج؟! "[5].

لقد اقتحم محمد الخضر حسين هذا الموضوع بهذا الكتاب أو هذه الرسالة وصرح بأن هذا

---

[1]- الحمد،محمد ابراهيم- منهج الشيخ محمد الخضر حسين في مواجهة الانحرافات العقدية والفكرية ، دار ابن خزيمة للنشر، ط01، الرياض ،المملكة العربية السعودية، 1426هـ-2015م: ج01 ص139.

[2]- دراسات في اللغة وتاريخها :ص03 .

[3]- تصدير علي الرضا الحسيني لموسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين :ص31.

[4]- فقيه مصري.ولد في: 1287هـ- 1870 تعلم في الأزهر. وتولى مشيخة كلية أصول الدين فيه منذ إنشائها (1932 م) إلى وفاته. له كتب مدرسية طبع منها كتاب " السيرة النبوية " و " دروس الأخلاق الدينية " مختصران توفي سنة: 1361 هـ- 1942 م، ينظر:الأعلام :ج04 ص150 /الأزهر في ألف عام :ج03 ،ص110 .

[5]- تصدير علي الرضا الحسيني لموسوعة الأعمال الكاملة لمحمد الخضر حسين : ص32.

الفن" من أجمل الفنون التي يرجع النظر فيها إلى جهة المعنى"[1]، كما اعترف بأنه موضوع خاضه أساطين البلاغة كالجرجاني، لكن محمد الخضر بعث الموضوع من جديد بعد أن قل التأليف فيه، وإضافة محمد الخضر للموضوع تجلت في قوله:" ولا تجدني – إن شاء الله– أحكي مقالهم دون أن أعقد بناصيته، أو أبث خلاله، أو أضع في ردفه جملًا تلبسه ثوباً قشيباً، أو تنفخ فيه روحاً كانت هادئه"[2].

4.الخيال في الشعر العربي: هو كتاب لمحمد الخضر عن موضوع صناعة التخييل، والتي يُقصد بها عند علماء البيان:"تصوير حقيقة الشيء للتعظيم"[3]، أو هو قصد البليغ فى نظمه ونثره على جهة التخييل أن يوهم فى الشيء القاصر عن نظيره أنه زائد عليه[4].

وقد ألمح محمد الخضر إلى الإضافة التي أضافها من وراء هذا التأليف، فهو لا يكرر ما قاله الأولون وحسب، ولكنه يقول مصرحا بهذه الإضافة:" ولا تجدني – إن شاء الله– أحكي مقالهم دون أن أعقد بناصيته، أو أبث خلاله، أو أضع في ردفه جملًا تلبسه ثوباً قشيباً، أو تنفخ فيه روحاً كانت هادئه"[5].

وقد أعجب العلماء بهذا المؤلَّف الفريد وأثنوا عليه شعرا ونثرا، وممن أثنى عليه: عبد القادر بن المبارك[6] الذي بعث قصيدة طويلة إلى المؤلِّف يشكره، ومما جاء فيها:

---

[1]– الخيال في الشعر العربي:ص04 .

[2]– الخيال في الشعر العربي:ص05 .

[3]– النويري ، شهاب الدين –نهاية الأرب في فنون الأدب ، دار الكتب والوثائق القومية، ط01، القاهرة، 1423 هـ:ج07 ص132.

[4]– المؤيد بالله ، يحي بن حمزة– الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية – بيروت،ط01 ، 1423 هـ: ج01ص179.

[5]– المصدر السابق: ص05 .

[6]– عبد القادر بن محمد بن المبارك الجزائري الدمشقي: 1304هـ– 1887م أديب، غزير العلم بمفردات اللغة، جزائري الأصل. مولده ووفاته في دمشق. اشتغل بالتعليم. وكان من أعضاء المجمع العلمي العرب،توفي في 1364 هـ– 1945 م،من

لمحمـــد الخضـــر الحســـين التونســـي سـامي كتـاب خيـال شـعر مـؤنس
يحـــوي فنـــون قـــوى المفكـــرة الـــتي هـــي ربَّـة المعـنى الأغـرّ الأنـــفس
طالعتـــه فظننـــت أن قـــد ضمـــني في جنَـة الشـعراء أبهـى مجلـــس
أُســـرى إليـــه بي الخيـــال ودأبـــه أن يقطـع الفلـوات غـير معـــرّس
فتمثّلـــت لي ثـــروة الشـــعر الـــتي هي سر إغناء الخيال المفـــلس[1]

كما بادله محمد الخضر بقصيدة مماثلة جاء فيها:

صُـغْتَ (عَبْـدَ الْقـادرِ) التَّقْـريظَ في طَـــرْزِ حَسَّـــانَ وإبـــداع حبيـــب
لَمْ أُجِـدْ صُـنْعاً ولا هَـزَّتْ يَـــدي قَلَمـــاً يَبْهَـــرُ بالسِّـــحْرِ الْعَجيـــبِ
وبـــديعُ السِّـــحْرِ في وِدٍّ صَـــــفا وأراكَ الحُسْـــنَ في وَجْـــهِ المِعيـــبِ
خُضْـتُ في بَحْـرِ خَيـالٍ وأنـــــا مُـــوجِسٌ خِيفَـــةَ تَثْريـــبِ الرَّقيـــبِ[2]

05 : القواميس اللغوية: لقد ظهرت خدمة محمد الخضر حسين للغة القرآن –زيادة على ما سبق–، بأن توجه لمجال القواميس فكتب كتابات حول الكلمات العربية تصلح هذه الكتابات أن تكون قواميس لغوية، بل إنه خصص قواميس للألوان وقواميس للمصطلحات الطبية، وكل هذا من أجل إبراز سعة اللغة العربية وأنها في هذا المجال غنية عن الاقتباس من اللغات الأخرى،" فربما بدا لذي النظرة القصيرة أن اللغة العربية فقيرة من أسماء الألوان، وأننا في حاجة إلى أن نستمد للألوان مصطلحات من لغات أخرى"[3].

أما المصطلحات الطبية فقد بين محمد الخضر ما كتبه فيها إلى غنى هذه اللغة و" أن علم الطب قد وجد في اللغة العربية مدداً أكثر مما وجده غيره من العلوم المنقولة إليها ووجد علماء الطب بعد ذلك المدد أصولاً في اللغة تسمح لهم بوضع مصطلحات لمعانٍ طبيةٍ لم يتقدم للعرب أن وضعوا

=
مؤلفاته: فرائد الأدبيات العربية، ينظر :الأعلام:ج04ص45/ معجم المؤلفين :ج05 ص301 ،302 .
[1]– ديوان خواطر الحياة، الهامش:ص33 ،44
[2]– ديوان خواطر الحياة :ص36 .
[3]– دراسات في العربية وتاريخها: ص215 .

لها أسماء"[1].

وقد أرجع محمد الخضر" أسباب أخذ علم الطب مكانة في اللغة الفصحى إلى:" أن كثيراً من رجال هذا العلم كانوا قد درسوا اللغة العربية إلى أن صاروا من أئمتها، أو صاروا من كبار أدبائها"[2].

ومَثَّل لذلك بأبي عبد الله محمد بن عمر المازري[3] الذي قالوا فيه: "كان يُفزع إليه في الطب كما يفزع إليه في الفتوى"[4].

كما مثل بطبيب آخر وهو "مهذب الدين عبد الرحيم بن علي"[5]، الذي كان يستعين بكتب اللغة العربية والمعاجم أثناء تدريسه لمادة الطب مثل: "الصحاح" للجوهري، و"المجمل" لابن فارس، وكتاب "النبات" لأبي حنيفة الدينَوري[6]، فكان إذا جاءت في الدرس كلمة لغوية محتاج إلى كشفها

[1]-المصدر نفسه: ص239 .

[2]- المصدر نفسه: ص242 .

[3]- أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري المالكي. مولده بمدينة المهدية من إفريقية، وبها مات، في ربيع الأول، سنة ست وثلاثين وخمس مائة، وله ثلاث وثمانون سنة.مصنف كتاب "المعلم بفوائد شرح مسلم" ومصنف كتاب "إيضاح المحصول في الأصول"، وله تواليف في الأدب، وكان أحد الأذكياء، الموصوفين والأئمة المتبحرين، وله شرح كتاب "التلقين" لعبد الوهاب المالكي في عشرة أسفار، هو من أنفس الكتب.ينظر: سير أعلام النبلاء:ج14ص482 /المقري،شهاب الدين -أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض:ج03 ص165،166.

[4]- ابن فرحون- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، دط ، القاهرة، 1972م :ج02 ص251.

[5]- شيخ الطب، الأستاذ، مهذب الدين، عبد الرحيم بن علي بن حامد، ولد: سنة نيف وستين وخمس مائة. انتهت إليه رئاسة الصناعة، وحظي عند الملوك، ونال دنيا عريضة، وأخذ العربية عن الكندي مات في صفر، 628هـ، ودفن بقاسيون ينظر ترجمته: الذهبي- سير أعلام النبلاء:ج22 ص316-317 / ابن أبي أصيبعة -عيون الأنباء في طبقات الأطباء وما بعدها، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت، دط،د س ط:ص728/ حاجي خليفة - سلم الوصول إلى طبقات الفحول تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا،دط، إستانبول – تركيا ، 2010 م:ج02 ص272.

[6]- أحمد بن داود ،من أهل الدّينَوَر، أخذ عن البصريين والكوفيين، وأكثر أخذه عن ابن السّكّيت وأبيه، وكان مفتّنا فى علوم كثيرة، منها النحو واللغة والهندسة والهيئة والحساب، ثقه فيما يرويه ويمليه، معروفا بالصدق، وله من الكتب كتاب الفصاحة. كتاب الأنواء، كتاب النبات ،توفى سنة 282هـ، ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة:ج01 ص78 / الوافي بالوفيات :ج06

وتحقيقها، نظرها من تلك الكتب"[1].

الفرع الثالث: دفاع محمد الخضر حسين عن لغة القرآن الكريم

لقد سخر محمد الخضر حسين قلمه لخدمة القرآن الكريم والدفاع عنه وعن لغته، حيث تجندت أقلام وأجلبت على هذه اللغة بكل وسيلة للنيل منها ومن الكتاب الذي نزلت به، كما عملت هذه الأقلام على إبعاد أهلها عن هذا المعين الثر والمورد الذي لا ينضب، وقد ظهرت هذه العداوة من مفكرين تربوا بين أوساط المسلمين، فضلا عن العداوة الدائمة لكثير من أعداء الإسلام،وقد قيض الله قلم محمد الخضر ليذود عن حياض هذه اللغة وينافح عنها شعرا ونثرا بما وهبه الله من فصاحة الكلام وبلاغة الأسلوب،ومن كتب ورسائل الدفاع عن اللغة التي ألفها محمد الخضر:

1.نقض كتاب في الشعر الجاهلي: وهو كتاب ألفه دفاعا عن إثبات الشعر الجاهلي وأنه ليس منتحلا -كما زعم طه حسين- ، فمحمد الخضر في كتابه هذا دافع عن موروث كبير من تراث العرب والمسلمين كما أنه دافع عن أمور تتعلق بعلوم القرآن والتفسير -كما سيأتي الحديث عن ذلك في الفصل الرابع من هذه الأطروحة.

2.ومنها بحث له عن "حقيقة ضمير الغائب في القرآن الكريم"[2]، رد به على المؤلف ذاته الذي رد عليه في كتاب نقض كتاب في الشعر الجاهلي كان غرضُه من هذا الرد على ما أثاره طه حسين في مسألة عود الضمير والتي تشبث فيها طه حسين برأيه في " أن ضمير الغائب يجب أن يعود إلى مذكور لفظاً ورتبة "[3]، وكان ملخص الرد تصحيحَ هذا الأمر- الذي فهمه طه حسين-

=

ص233 / الذهبي- تاريخ الإسلام:ج06 ص682 .

[1]- دراسات في العربية وتاريخها:ص243 244 .

[2]- بلاغة القرآن :ص79 وما بعدها.

[3]- بلاغة القرآن :ص85 .

إلى أن:" الأصل تقديم مفسر ضمير الغائب"[1].

إن محمد الخضر حسينا أظهر في كتاباته غيرة على هذه اللغة، وكثيرا ما كان يدعو هذه الأمة إلى العناية بها، ويحذرها من التقصير فيها فكان من تحذيراته قوله:" ومتى أهملت الأمة لغتها، وزهدت في تعلمها، انفصمت عرا جامعتها لا محالة، وتفرقوا أيدي سبأ، فإذا قام مناد يدعو أمة إلى نبذ لغتها، وأن تستبدل بها لغة أخرى، فإنما -يريد انقسام وحدتها، وإخراجها من صبغة جنسها"[2].

وقد تألم كثيرا لما آلت إليه اللغة العربية والتي كانت دوما تتماشى مع غيرها من العلوم، فلا يجد من يطلب علوم الطب أو علوم الهندسة مشكلة في إيجاد ترجمة عربية لمصطلحات هذه العلوم، ولكن في بداية القرن التاسع عشر والقرن العشرين تُرك تدريس هذه العلوم – من اللغة العربية إلى لغات أخرى- فقد " ظل هذا العلم يتقدم بخطوات سريعة، وبقيت لغتنا واقفة دونه بمراحل، ولما أقبل أبناء العربية على دراسته، اضطروا إلى أن يدرسوه بلغات أجنبية، وأصبح علم الطب وهو في ديارنا يدرس بلسان غير عربي"[3].

وهذه الحالة ألحَّت على إيجاد مجمع لغوي يقوم بوضع مصطلحات العلوم؛ كي تسير اللغة الفصحى مع العلوم كتفًا إلى كتف، كما أنها شككت في قدرة اللغة العربية على مسايرة العلوم، يظهر هذا في محاورة بعضهم لمحمد الخضر وزعمه" أن هذه اللغة ضيقة النطاق، لا تسع تحريرات العلوم العصرية، ولا يمكن أن يوجد فيها أسماء لهذه المخترعات، نحو: فوتغراف، وتلفون"[4].

وهذا الزعم رده محمد الخضر وفنده واستشهد على ذلك شاهدَي عدل وهما "التاريخ والعلم،" فعن شهادة التاريخ يقرر محمد الخضر "أن علوم الحكمة والطب والهندسة والحساب والفلك والمنطق

[1]- ينظر تفصيل المسألة: الوقاد ،زين الدين المصري- شرح التصريح على التوضيح ، دار الكتب العلمية،ط01، بيروت،لبنان،1421هـ- 2000م:ج01 ص416/ الصبان، أبو العرفان محمد بن علي- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ،دار الكتب العلمية، ط01 ، بيروت- لبنان،1417 هـ -1997م:ج01 ص162.

[2]- دراسات في العربية وتاريخها:ص123 .

[3]- دراسات في العربية وتاريخها:ص244 .

[4]- حياة اللغة العربية :ص161 .

وغيرها قد ترجمت في عهد الدولة العباسية، ودونت بالقلم العربي، وأصبحت تدرس بلسان عربي مبين"[1].

وعن شهادة العلم يقرر أيضا :" أنه يمكننا أن نضع لهذه المعارف الحديثة أسماء عربية، وهو أحسن الطرق وأفضلها؛ لئلا تكثر الألفاظ الدخيلة"[2].

وهو الجواب نفسه الذي صاغه حافظ إبراهيم شعرا فقال على لسان اللغة العربية:

رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عِدَاتِي
وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ
فَكَيْفَ أَضِيقُ اليَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءٍ لمخترعات[3]

أما فيما يتعلق بطغيان اللغة العامية على اللغة العربية وكذا اختلاط العامية باللغات الأجنبية فيما يسمى بالرطانة[4]، فقد كان لمحمد الخضر ملاحظاتٌ على هذين الموضوعين، وقد وجه نقدا قدمه "فريد أبو حديد" إلى مجمع اللغة العربية بمصر بعنوان: "موقف اللغة العامية من اللغة العربية الفصحى" حيث أرجع محمد الخضر هذه الهيمنة للعامية على الفصحى إلى" قلة التعليم، وعدم وجود جماعات تسارع إلى أن تضع لكل معنى يحدث اسماً يليق به، وتذيعه بين الناس"[5].

وسبب آخر وجيه ذكره في موضع آخر وهو" قلة العناية بتعلمها، وتمرينِ النشء على التخاطب بها"[6]، وقد ألقى باللائمة على نظّار جامع الزيتونة بتونس وحمَّلهم مسؤولية ضعف هذا الجيل من حيث اللغة العربية وذلك بسبب إقصاء مادة الإنشاء من مناهج التدريس ، وتدريس هذه

[1]- دراسات في اللغة وتاريخها:ص161 .

[2]- المصدر نفسه :ص161 .

[3]- حافظ إبراهيم- ديوان حافظ إبراهيم، تحقيق:أحمد أمين وآخرين،دار اليقين للنشر والتوزيع، ط01 ، المنصورة- مصر ، 1432هـ-2011م : ص127.

[4]- الرطانة: الكلام بالأعجمية. تقول: رطنت له رطانة وراطنته، إذا كلمته بها. وتراطن القوم فيما بينهم ، إذا أتوا بكلام لا يفهم. ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية- مادة رطن :ج05 ص2124 / معجم مقاييس اللغة:ج02 ص404 / الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية:ص465 .

[5]- دراسات في اللغة:ص95 .

[6]- المصدر نفسه: ص128 .

المادة :يقصد به :"إبلاغ المتعلم إلى الإفصاح عن مراده، كتابة أو قولا من أقرب طريق، وسلوك سبل الإفهام بأحسن ما يستطاع من التعبير"[1].

ومن غيرته على اللغة عموما وعلى هذه المادة – مادة الإنشاء– أرسل خطاباً مفتوحاً في أبيات سنة 1328 هـ، إلى نظّار جامع الزيتونة، ومن جملة ما جاء فيه:

مَقـــامُكُمُ الجَـــديرُ بـــأنْ يُهابـــا وَمَطْلَبُنـــا الجَـــديرُ بـــأَنْ يُجابَـــا
أَرى بالجـــامِعِ السَّـــامي بُحـــوراً مِـــنَ الْعِرْفـــانِ زاخِـــرةً عِـــذَابَا
وَلَكـــنَّ الخَصاصَـــةَ في فُنـــونٍ تَهـــيجُ بِناالمِحاقَـــةَ أَنْ نُعابـــا
فَـإِنَّ صِـناعَةَ الإِنْشـاءِ خاسَـتْ بِضـاعَتُها فَلَـمْ تَبْلُـغْ نِصـابا
وَكَيْـفَ يَعِـزُّ والأَلْفـاظُ فُصْـحَى عَلَيْنـا أَنْ نُعيـدَ لهـا الشَّـبابا[2]

لقد تفطن محمد الخضر حسين لمخطط تغريبي هدف إلى طمس هُوية الأمة ودخل إلى مناهج تعليمها، ودفعتهم عداوتهم للغة العربية الفصحى إلى "قلب أوضاعها، وإحلال اللغة العامية في التعليم والكتابة والخطابة محلها، ولا ذنب لها –فيما يضمرون– إلا أنها لسان هدى الله، تعرض حكمته، وتقرر حجته"[3].

كما حذر الشعوب الإسلامية من التفريط في لسانها لأن ذلك يعني الانهيار والانحطاط، لأن لغة أي شعب هي مصدر قوته وعنوان هويته "ولو زهدت هذه الشعوب الإسلامية في اللغة العربية، كانت قد فرَّطت في جنب الله، وأضاعت من يدها لساناً بلغ في الإبداع أقصى ما يمكن أن تبلغه لغات بني الإنسان"[4].

[1]– ابن عاشور، محمد الطاهر– أصول الإنشاء والخطابة ، تحقيق ياسر حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، السعودية– الرياض،ط01 ،1433هـ: ص47.

[2]– ديوان خواطر الحياة:ص29 .

[3]– هدى ونور:ص81 .

[4]– دراسات في العربية وتاريخها:ص19 .

كل هذا يدل على عناية محمد الخضر بلغة القرآن الكريم واعتزازه بها والمساهمة في نشرها والدفاع عنها كلما تربص بها متربص من الداخل أو الخارج.

فإذا كان قد تبين مما سبق اختيار الله عز وجل اللغة العربية وتشريفها لتكون لغة الرسالة الخاتمة المتمثلة في القرآن الكريم، وتبين خلو القرآن الكريم من الألفاظ الأعجمية، فما هو حكم ترجمة هذا الكلام العربي إلى اللغات الأخرى؟

المطلب الثالث: موقف محمد الخضر حسين من ترجمة القرآن الكريم.

لقد تبين من ما سبق أن عربية القرآن الكريم حكم مسمط وأمر لا لَبس فيه ، قضت بذلك نصوص الوحيين وإجماع ال'لماء،وقد أنزل الله كتابه إلى المسلمين عربا وعجما وقضى بتيسير حفظه وتسهيل فهمه ، وأوكل مهمة تفهيمه وشرحه لأهل العلم العارفين باللسان العربي وعلوم اللغة.

لكن غير الناطقين باللغة العربية قد يشق عليهم قراءته وفهم معانيه ، وقد يعانون في قراءته مشقة ، فقد اعتنقت الإسلامَ شعوبٌ مختلفة اللغات وفي كل القارات، وأصبح تفهيم الإسلام من فروض الكفاية التي لا يجوز للأمة أن تتواطأ على التخلف عنها أو التقصير فيها ، وإذا لم يكن المسلمون قديما بحاجة إلى نقل معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية -بسبب إقبال الأقاليم المفتوحة على معرفة اللسان العربي ولِما تمتع به المسلمون من قوة وسلطان، فإن المتأخرين" ناموا عن واجب الدعوة إلى سبيل ربهم، فخسروا مظاهر عزِّهم، وفقدوا الوسائل التي كانت تسعد اللغة العربية، فتنطلق بها ألسنة المخالفين، ويدخلون منها إلى الاطلاع على ما في القرآن من بلاغة وحكمة"[1].

فهل يبيح الشرع ترجمة القرآن الكريم بلغة غير العربية؟ ، وهل يجوز كتابته بحروف أخرى؟ وكيف نظر محمد الخضر حسين إلى هذه المسألة —مسألة ترجمة القرآن الكريم -؟.

الفرع الأول: معنى الترجمة وأنواعها:

أ: معنى الترجمة :

لغة :قال صاحب تاج العروس :قال الجوهري:الترجمان المفسر للسان، وقد ترجمه وترجم عنه: إذا فسر كلامه بلسان آخر [2].

ترجم الكلام: بينه ووضحه وفسره ترجم القرار إلى عمل: نفذه، أو نقله إلى مستوى

[1]- بلاغة القرآن :ص20 .

[2]- تاج العروس: ص327 /الجوهري / مختار الصحاح :119 .

التطبيق- ترجم عن آماله: أبانها وعبر عنها.ترجم الكتاب: نقله من لغة إلى أخرى، فسره بلغة أخرى[1].

اصطلاحا : ترجمة القرآن هي التعبير عن معاني ألفاظه العربية ومقاصدها بألفاظ غير عربية مع الوفاء بجميع هذه المعاني والمقاصد[2].

ب- أنواع ترجمة القرآن :

1.- ترجمة القرآن بمعنى تبليغ ألفاظه.

تطلق ترجمة القرآن إطلاقا مستندا إلى اللغة ويراد بها تبليغ ألفاظه وحكمها حينئذ أنها جائزة شرعا.

2.- ترجمة القرآن بمعنى تفسيره بلغته العربية.

هذا هو الإطلاق الثاني المستند إلى اللغة أيضا ويراد به تفسير القرآن بلغته العربية لا بلغة أخرى وغني عن البيان أن حكمة الجواز.

3.- ترجمة القرآن بمعنى تفسيره بلغة أجنبية : ويراد به تفسير القرآن بلغة غير لغته أي بلغة عجمية لا عربية[3].

وهذا هو المقصود وتترتب عليه مسألتان :

أ- ترجمة حروفه وألفاظه .

ب- ترجمة معانيه .

[1]- معجم اللغة العربية المعاصرة:ج1 ص 288 .

[2]- الزرقاني - مناهل العرفان: ج2 ص144 .

[3]- المرجع نفسه: ج 2 ص131-132 .

الفرع الثاني: آراء العلماء في ترجمة القرآن الكريم :

مسألة ترجمة القرآن من المسائل التي كثر السؤال عنها والتأليف فيها في هذه الفترة ، فمن العلماء من جعلوها ضمن علوم القرآن وفصلوا في المسألة وحكمها ، ومنهم من أفردها بالتأليف في رسائل أو بحوث، وممن ألف في هذا الموضوع : مصطفى صبري في كتاب بعنوان:مسألة ترجمة القرآن، ومحمد حسنين مخلوف في رسالة بعنوان:حكم ترجمة القرآن الكريم وكتابته بغير اللغة العربية، ومحمد مصطفى المراغي في بحث في ترجمة القرآن الكريم وأحكامها،كما ألف محمد مصطفى الشاطر رسالة في منع ترجمة القرآن بعنوان:" القول السديد في حكم ترجمة القرآن المجيد والتي لقيت ردا مقابلا لها لمحمد فريد وجدي في رسالته المسماة: الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية.

أ:الآراء:

-أمّا عن آراء العلماء في المسألة فقد:

اختلف العلماء في جواز أو عدم جواز ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى وتباينت أقوالهم فيها، فمنهم من منعها بإطلاق ومنهم من أباحها بإطلاق ومنهم من فصل في المسألة :

فممن أباحها بإطلاق الإمام محمد مصطفى المراغي[1] ، أما المانعون بإطلاق فمنهم محمد مصطفى الشاطر[2] ،رشيد رضا فقد شدد في منعها وساق خمسة عشر وجها للمنع نذكر منها ما يلي :

1. إن ترجمة القرآن ترجمة حرفية تطابق الأصل متعذرة، والترجمة المعنوية عبارة عن فهم

[1]- المراغي ، محمد مصطفى- بحث في ترجمة القرآن الكريم وأحكامها ، مطبعة الرغائب ، دط ، مصر، 1355هـ-1936م : ص14 وما بعدها.

[2]- الشاطر،محمد مصطفى- القول السديد في حكم ترجمة القرآن المجيد: ، مطبعة حجازي ، القاهرة، ط01 ،1355هـ-1936م :ص122 وما بعدها

المترجم للقرآن، أو فهم من عساه يعتمد هو على فهمه من المفسرين .

2. إن القرآن هو أساس الدين الإسلامي فالذين يأخذون بترجمته يكون دينهم ما فهمه مترجم القرآن لهم، لا نفس القرآن المنزل من الله تعالى على رسوله محمد . صلى الله عليه وسلم والاجتهاد بالقياس إنما هو فرع عن النص، والترجمة ليست نصا من الشارع، والإجماع عند الجمهور لا بد أن يكون له مستند والترجمة ليست مستندا.

3. إن القرآن منع التقليد في الدين وشنع على المقلدين. فأخذ الدين من ترجمة القرآن هو تقليد لمترجمه، فهو إذا خروج عن هداية القرآن لا اتباع لها[1].

فالباحث في صحة ترجمة القرآن ينظر إلى ناحيتين: المعاني الثانوية التي تمَّ بها الإعجاز، والمعاني الأصلية التي تحصل من مجرد إسناد فعل إلى فاعل، أو خبر إلى مبتدأ[2].

ب. محمد الخضر حسين وترجمة القرآن:

أما محمد الخضر حسين فكان له بحثان حول الموضوع: أحدهما :"نقل معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية"، والآخر:"ترجمة القرآن" ، وقد طبعا معا ضمن أبحاثه التي ألفها في علوم القرآن في كتاب: بلاغة القرآن الكريم.

لقد هيج محمد الخضر حسينا –للكتابة في هذا الموضوع– كثرةُ الأسئلة الواردة عليه في هذا الموضوع حيث قال:" يتحدث الناس عن نقل معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية، وتأتينا الرسائل في السؤال عن حكم هذا النقل، وذلك ما دعاني أن أنظر في هذا الموضوع الخطير، وأعرض ما وصلت إليه من نتيجة"[3].

[1]– محمد رشيد رضا – تفسير القرآن الحكيم : ج9 ص277 .

[2]– بلاغة القرآن : 74 .

[3]– بلاغة القرآن :ص11 .

ومن الأسباب التي يراها محمد الخضر حسين ملحة ودافعة إلى ترجمة القرآن الكريم:

1.ضعف المسلمين وذهاب سلطانهم الذي كان في يوم ما سببا لإقبال الشعوب على اللغة العربية.

2.أن إبلاغ دعوة الإسلام إلى الشعوب غير الإسلامية فريضة وليس في يدنا اليوم وسيلة إلاَّ نقل معاني القرآن إلى ألسنة من نريد دعوتهم إلى شريعته الغراء، ولا شك أن الوسائل تأخذ حكم المقاصد والغايات، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

3. أن كثيراً من الأوربيين –ومنهم قُسس– قد ترجموا القرآن إلى لغاتهم تراجم مملوءةً بالخطأ، وإنما يُكفى شر هذا الفساد بإراءة أصحاب تلك اللغات معاني القرآن على وجهها الصحيح[1].

4. عناية المستشرقين بكتب التراث وترجمتهم لكثير من الآثار الأدبية العربية إلى لغاتهم، فقد ترجم الشاعر (ركرت) أحد المترجمين للقرآن "ديوان الحماسة" في شعر ألماني. وترجم المستشرق (ريشر) قصائد أبي الأسود الدؤلي، و"مقامات الهمذاني"، و"أطباق الذهب" لعبد المؤمن الأصفهاني، و"مقامات الزمخشري"، و"الأدب الصغير" لابن المقفع، وكتاب "أحسن ما سمعت" للثعالبي[2].

وهذا السبب الأخير وافق فيه محمدُ فريد وجدي محمدَ الخضرَ حسينا، حيث يرى أن المسلمين مضطرون إلى ترجمة القرآن "لأن الأوروبيين ترجموا القرآن تراجم سقيمة فلا يرى المسلمون مندوحة من تقويم هذه الترجمات الخاطئة، ولا يسعهم تركها على حالها[3].

لقد درس محمد الخضر حسين المسألة دراسة ضافية استوفى فيها أقوال العلماء المتقدمين

[1]– المصدر نفسه :ص20،21 .

[2]– الرحلات :ص170 .

[3]–وجدي، محمد فريد– أدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية، مطبعة المعاهد الدينية ،ط01 ،مصر، 1355هـ-1936م :ص12.

والمتأخرين ويؤخذ من هذه الدراسة أن محمد الخضر جسينا يقسم معاني القرآن الكريم إلى:

1.**معان أصليـــــــة:** وهي ما يستوي في فهمه كل من عرف مدلولات الألفاظ المفردة، وعرف وجوهَ إعرابها؛ من فاعلية، ومفعولية، وحالية، وإضافية، وما يشاكل ذلك من الأحوال المبحوث عنها في علم النحو.

2.**معان ثانوية أو تابعة:** وهي خواص النظم التي يرتفع بها شأن الكلام، وتتسابق في مجالها فرسان البلاغة من الخطباء والشعراء[1].

وعلى هذا التقسيم فإن ترجمة القرآن –في رأي محمد الخضر– بالنظر إلى المعاني الثانوية غيرُ ميسورة[2]، وهذا هو الذي أشار إليه مصطفى الرافعي بقوله:" إن من أعجب ما يحقق الإعجاز أن معاني هذا الكتاب الكريم لو ألبست ألفاظًا أخرى من نفس العربية، ما جاءت في نمطها وسمتها والإبلاغ عن ذات المعنى لا في حكم الترجمة، ولو تولى ذلك أبلغ بلغائها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا "[3].

وذلك لما امتازت به اللغة العربية عن غيرها من اللغات من خواص التراكيب كالتقديم والتأخير، وكالغرض من تقديم المعمول على العامل أو تقديم المفعول على الفاعل وكذا التنكير وأغراض هذه المذكورات، كالاختصاص، والاهتمام، والتعظيم، والتحقير، وغيرِ ذلك من الأغراض البلاغية التي استقلت بها اللغة العربية عن غيرها من اللغات، لكن "الترجمة إن حجبت إعجاز القرآن اللفظي فلا يمكن أن تحجب إعجازه المعنوي"[4].

وقد شهد الزمخشري في كشافه بهذه الخصوصية،"بأنّ في كلام العرب خصوصا في القرآن

[1]– بلاغة القرآن :ص12 .

[2]– بلاغة القرآن:ص12 .

[3]– تاريخ آداب العرب : ج2 ص 163 .

[4]–وجدي ،محمد فريد – الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن :ص16.

الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها"[1].

وبهذا المعنى يمكن أن يقال بأنه "يمكن ترجمة القرآن من ناحية الدلالات الأصلية، ويستحيل ترجمته من ناحية الدلالات التابعة"[2].

وهذا الرأي قديم قال به الشاطبي في موافقاته "إن ترجمة القرآن على الوجه الأول –يعني: النظر إلى معانيه الأصلية– ممكنٌ، ومن جهته صح تفسير القرآن وبيانُ معانيه لمن ليس له فهم على تحصيل معانيه، وكان ذلك جائزاً باتفاق أهل الإسلام، فصار هذا الاتفاق حجَّة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي"[3].

فما يريده أبو إسحاق الشاطبي في نظر محمد الخضر حسين أن نقل المعاني الأصلية قد يقع صحيحا بالنسبة لآيات واضحة المعنى، بحيث لو نقل معناها الأصلي إلى لغة أجنبية ، لتساوى كلام المفسر المحقق العربي،والناقلِ له إلى اللغة الأجنبية في أداء ذلك المعنى الأصلي[4]، ومَثَّل لذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[5]،وهذه الآية لم يقصد بها إبلاغ القرآن وتحمله والتعبد به وإنما هو اقتباس قصد به أداء المعنى المراد في هذا المقام[6]،

---

[1]–الزمخشري –الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج04 ص281 .

[2]– المراغي ، محمد مصطفى – بحث في ترجمة القرآن الكريم وأحكامها ، ص06 ،07.

[3]– الشاطبي، إبراهيم بن موسى– الموافقات : تحقيق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان ، ط1 ، 1417هـ-1997م :ج2 ص107.

[4]– بلاغة القرآن :ص75 .

[5]– آل عمران:94 .

[6]– مخلوف ، محمد حسنين – حكم ترجمة القرآن الكريم وقراءته وكتابته بغير اللغة العربية،، مطبعة مطر، مصر، دط،

وهي الآية التي صدَّر بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خطابه إلى قيصر وكسرى في الدعوة إلى الإسلام، وهما لا يعرفان العربية، وإنما يتلقيان معناها من طريق الترجمة كبقية ما اشتمل عليه خطاب الدعوة[1].

الفرع الثالث: أقسام الترجمة:

لقد سبق الإشارة إلى أن نقل المعاني الأصلية قد يقع صحيحاً، و في مستطاع من يجيد لغة أجنبية أن ينقل هذه المعاني من اللغة العربية إلى اللغة التي أجاد معرفتها، وبقي النظر في تفصيل حكم هذا النقل، وبيان حال المنع منه، أو الإذن فيه، وعليه يمكن تقسيم الترجمة باعتبار آخر من حيث الشكل والمضمون إلى:

أ.ترجمة حرفية:

وهي نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى، مع مراعاة الموافقة فى النظم والترتيب، والمحافظة على جميع معانى الأصل المترجَم[2].

أما محمد الخضر حسين فقد عرفها ب: "أن يعمد المترجم إلى كل كلمة عربية، ويضع بدلها ما يرادفها من اللسان غير العربي، ثم يسوق الجملة مراعياً ترتيبها على قدر ما تسمح به قواعد ذلك اللسان[3].

ب. ترجمة تفسيرية(معنـــوية): فهى شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى، بدون مراعاة

=
1343هـ-1925م:ص22.

[1]- بلاغة القرآن :ص75 .

[2]- حسين الذهبي – التفسير والمفسرون: ج01 ص19 .

[3]- بلاغة القرآن :ص17 .

لنظم الأصل وترتيبه، وبدون المحافظة على جميع معانيه المرادة منه[1].

ويعرفها محمد الخضر بـ:" أن يلم بمعنى الجملة العربية، ثم يصوغه في جملة من اللغة الأخرى، سواء أساوت ألفاظُ الترجمة ألفاظَ الأصل، أو اختلفتا إيجازاً وإطناباً[2].

فالفرق بين الترجمة الحرفية والتفسيرية أن الأولى تكون باستحضار معنى لفظ الأصل المترجم وإبداله بما يدل عليه من اللغة الأخرى، والثانية تكون بفهم معنى الأصل وشرح غامضه وتوضيح خافيه وتفصيل مجمله بألفاظ وجمل من اللغة الأخرى[3].

وعلى هذا التقسيم فإن من اللآيات ما يمكن ترجمته لما في معانيها من قطعية الدلالة وذلك كقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿١٩﴾ ﴾[4]، وقوله: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ ﴿٩١﴾ ﴾[5]، وقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[6]، أما الآيات ظنية الدلالة كقوله تعالى:﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ ﴿٢٢٨﴾﴾[7] ، فمعنى القرء يحمل على الطهر أو الحيض[8]، فالذي يترجم هو أحد المعنيين، وهذه الترجمة تكون للمعنى الذي فهمه المفسر من آية القرآن[9]، وهنا يجب عليه أن يختار معنى واحدا من معاني الأسماء المشتركة والمتضادة ثم ينقل المعنى بعد فهم الآيات إلى اللغة التي يترجم

---

[1]- حسين الذهبي - التفسير والمفسرون : ج1 ص19 .

[2]-بلاغة القرآن:ص17 .

[3]- مخلوف ، محمد حسنين ،حكم ترجمة القرآن وقراءته وكتابته بغير اللغة العربية ، مطبعة مطر، مصر، دط ،1343هـ-1925م: ،ص09.

[4]- محمد :19 .

[5]- المومنون :91 .

[6]- البقرة :43 .

[7]- البقرة:228 .

[8]- ينظر الخلاف في معنى القرء: ابن رشد الحفيد،أبو الوليد- بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، دار الحديث – القاهرة،دط، 1425هـ - 2004 م:ج03،ص108.

[9]- دراسات في الشريعة الإسلامية:ص230 .

بها[1].

الفرع الرابع– الإشكالات العارضة لترجمة القرآن الكريم :

لقد أورد محمد الخضر حسين إشكالات يمكن أن تلحق هذا النوعَ من الترجمة حتى ولو كان مقصودها دعويا يهدف إلى تعريف وتوضيح وتقريب معاني القرآن للناطقين بغير اللسان العربي فقال رحمه الله :" يقع في الذهن أن لترجمة القرآن المجيد فائدة هي نشر دعوة الإسلام بين الشعوب التي لا تفهم الكلام العربي، ويضاف إلى هذا: أن كثيراً من الأوربيين قد صنفوا ما سمَّوه: ترجمة القرآن، واشتملت هذه التراجم على أخطاء فاحشة صدرت منهم على جهالة، أو على عمد، ولا يكفي شرَّ هذا الفساد إلا أن ننقل معاني القرآن إلى تلك اللغات على وجه صحيح[2].

لقد زار محمد الخضر دولا غربية وزار مكتباتها والتقى كثيرا من المستشرقيين خاصة من اعتنوا بترجمة القرآن إلى لغتهم، كالمستشرق "هردر"، ومن الدول التي زارها دولة ألمانيا ، والتي اطلع فيها على كثير من الترجمات باللغة الألمانية، وساعده على تقييم تلك الترجمات معرفته باللسان الألماني، وإنما اكسبه تلك المعرفةَ المدةُ الطويلةُ التي قضاها بهذا البلد، وقد أخبر عن ترجمات أنها مملوءة بالخطإ والتحريف[3].

وهذا الاطلاع جعله يعطي ملاحظاته على عموم الترجمات، حرفية كانت أو معنوية.

ومن هذه الملاحظات:

1. قد يكون اللفظ ذا معنيين، أو معانٍ تحتملها الآية، فيضطر المترجم إلى أن يضع بدله من اللغة الأجنبية اللفظ الموضوع لما يختاره من المعنيين أو المعاني؛ حيث لا يجد لفظاً يشاكل اللفظ

[1]– المراغي ، بحث في ترجمة القرآن وأحكامها:ص05. .

[2]– بلاغة القرآن : ص76 .

[3]– الهداية الإسلامية :ص199 ،200 .

العربي في احتمال تلك المعاني المتعددة.

2.اشتمالُ القرآن على آيات كثيرة تحتمل وجوهاً من التأويل –ولاسيما الآيات المتشابهة؛ كآيات الصفات– يجعل من يحاول ترجمته مضطراً إلى أن يأخذ في الترجمة بالوجه الذي يراه راجحاً، فتخرج التراجم –إذا تعددت– مختلفةً اختلافاً متباعداً، وذلك الاختلاف يفتح باباً لتوهم المطلعين عليها –من غير العارفين بالعربية– أنه قد وقع في نُسَخ القرآن اختلاف كما وقع في غيره من الكتب السماوية.

3. لا نأمن من إخراج شيء يقال له: ترجمة القرآن أن تحل هذه التراجم في أذهان العامَّة من غير العرب محل القرآن نفسِه، ويكتفون بها عن قراءة القرآن في الصلاة، وتلاوتِه على وجه التعبد، ولا يدرون أنهم يتعبدون بغير ما أنزل الله"[1].

4. ترجمة المعاني الأصلية وحدها، وتسميتها: ترجمة للقرآن، يوهم أن المترجم أخذ معاني القرآن من أطرافها، ونقلها إلى اللغة الأجنبية، كما يقال في ترجمة غيره: ترجمة طبق الأصل، وهذا هو الفرق بين التفسير والترجمة، فالمفسر يتكلم بلهجة المبيِّن لمعنى الكلام على حسب فهمه، فكأنه يقول للناس: هذا ما أفهمه من الآية، والمترجم يتكلم بلهجة من أحاط بمعنى الكلام، وصبَّه في ألفاظ لغة أخرى[2].

وقد مثّل محمد الخضر في بحث له عن ترجمة معاني القرآن لغير العربية بعدة أمثلة حاد فيها المترجمون الأجانب للقرآن عن الصواب، وظهر الخلل الكبير في ترجماتهم لجهلهم بأساليب اللغة العربية؛ وما امتازت به عن غيرها من كنايات، واستعارات، ومجاز، وإيجاز، وحذف، وغير ذلك، فمثل بأمثلة لغوية وأخرى عقدية .

أ.**الأمثلة اللغوية** :"ما صنع (ماكس هينج) مترجم القرآن للِّسان الألماني، فإنه ترجم الإبِلَ في

[1]– بلاغة القرآن : ص17 –18 .

[2]– المصدر السابق: ص77 .

قوله: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾[1] باللفظ الموضوع في اللسان الألماني للسحاب، وهو أحد المعاني التي حملت عليها الآية[2]، أما المترجم الإنكليزي فقد ترجمها بمعنى الحيوان المعروف، فالأوروبي الذي يقرأ الترجمتين يتوهم أن هذا الاختلاف في أصل نُسَخ القرآن، ولا يخطر له أن هذا الاختلاف نشأ من جهة أن كلاً من المترجمين نقل معنىً من معنيين يحتملهما لفظ الآية[3].

-ومن الخلل الذي يدخل الترجمة الحرفية: أن يستعمل القرآن اللفظ في معنى مجازي، فيأتي المترجم بلفظ يرادف اللفظ العربي في معناه الحقيقي.

وهذا ما صنع (مارماديوك بكتهول)[4] مترجم القرآن إلى اللسان الإنكليزي في كثير من الآيات، وقد وقع من هذه الناحية في أخطاء لا تحصى، تجدونه -مثلاً- يترجم قوله تعالى: ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ من آية: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾[5] بمعناها الأصلي، وهو: (فيشج رأسه)، ويترجم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴿٢٩﴾﴾[6] بمدلولها الأصلي، وهو جمع اليد إلى العنق، وإطلاقها، والقارئ الإنكليزي لم يعتد أن يفهم من مثل شج الرأس معنى الغلب، ولا من جمع اليد إلى العنق وإطلاقها معنى البخل والإسراف[7].

---

[1]- الغاشية:17 .

[2]- بلاغة القرآن: ص18 .

[3]- المصدر نفسه :ص22 .

[4]- محمد مارمادوك بكتال أو مارمادوك بكتال) بالإنجليزية(Mohammed Marmaduke Pickthall : ولد في 19 مايو – 1875 وتوفي في-1936م- هو بريطاني مسلم مختص في الدين الإسلامي، مشهور بترجمته لمعاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية والتي كتبها بأسلوب أدبي شعري-2021-11-12:11/23/http/wikipedia.org/wiki-

[5]- الأنبياء:18.

[6]- الإسراء:29.

[7]- بلاغة القرآن : ص18 .

ب .الأمثلة العقـــــــدية :

عرض محمد الخضر حسين إلى إشكال آخر يمكن أن يتحفظ من أجله معارضوا الترجمة ألا وهو ترجمة معاني آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[1] وخلاف العلماء معروف في جواز التأويل أو عدمه ، ولا شك أن من ينحو منحى التأويل لا بد أنه "يحتاج إلى ذوق في لغة العرب سليم، ونظر في فهم أصول الدين مستقيم"[2].

وحكى محمد الخضر ما أشار إليه أبو حامد الغزالي في كتابه "إلجام العوام" للأخبار الموهمة للتشبيه"، وقرر الإمساك عن التصرف في ألفاظها بتفسيرها بلغة غير عربية، وقال: "لا يجوز النطق إلا باللفظ الوارد، لأن من الألفاظ العربية ما لا يوجد لها فارسية تطابقها، ومنها ما يوجد لها فارسية تطابقها، لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها للمعاني التي جرت عادة العرب باستعارتها، ومنها ما يكون مشتركاً في العربية، ولا يكون مشتركاً في الفارسية"[3].

ومع كل هذا التحفظ والإذن في الترجمة المشروط والمقيد بتلك القيود إلا أن محمد الخضر رأى أنه لا مفر اليوم من الترجمة مؤيدا رأيه ومقويَه بأقوال لعلماء الإسلام، حيث عرض وجهة رأيه قائلا: " أصبحنا أمام أمر واقع، هو: عدم استطاعتنا لنشر اللغة العربية في غير بلاد إسلامية يرأسها مسلم طاهر السريرة، وإبلاغ دعوة الإسلام إلى الشعوب غير الإسلامية فريضة لا تسقط إلا حين يسقط غيرها من الفرائض، فلا بد لنا من ابتغاء الوسيلة إلى القيام بهذه الفريضة، وليس في يدنا اليوم وسيلة إلاَّ نقل معاني القرآن إلى ألْسنة من نريد دعوتهم إلى شريعته الغراء"[4].

---

[1]- طه :05 .

[2]- بلاغة القرآن :ص19 .

[3]-الغزالي ، أبو حامد – مجموعة رسائل الإمام الغزالي (رسالة إلجام العوام عن علم الكلام) ، تحقيق : إبراهيم أمين محمد ، المكتبة التوفيقية ، دط، القاهرة ، مصر ، دس ط :ص325.

[4]- بلاغة القرآن: ص20.

الفرع الخامس: كتابة القرآن بالأعجمية:

هذه مسألة تمايزت فيها أقوال العلماء بين الحظر والإباحة فمن منعها راعى جانب التوقيف ونظر أيضا لظاهر النص أي النصوص القرآنية التي صرحت بعربية القرآن، ومن أباح نظر لتغليب المصلحة ما دام الناطق ينطق بالحرف سليما ولو أنه كتب بحرف غير عربي، وممن منعوا ذلك بشدة محمد رشيد رضا حيث نص على أن :" "المعول عليه عند الأئمة وسائر العلماء أنه لا تجوز كتابة القرآن ولا قراءته ولا ترجمته بغير العربية مطلقا، إلا فيما نقل عن أبي حنيفة وصاحبه من جواز قراءة القرآن بالفارسية في خصوص الصلاة"[1] .

ونقل الزرقاني الإجماع على ذلك فقال :" ونسترعي نظرك إلى أمور مهمة أولها أن علماءنا حظروا كتابة القرآن بحروف غير عربية وعلى هذا يجب عند ترجمة القرآن بهذا المعنى إلى أية لغة، أن تكتب الآيات القرآنية -إذا كتبت- بالحروف العربية كيلا يقع إخلال وتحريف في لفظة فيتبعهما تغير وفساد في معناه[2].

أما محمد الخضر حسين فقد فصَّل في المسالة على إثر ورود سؤال إليه يسأله صاحب السؤال عن حكم ترجمة ألفاظ القرآن، وكان نص السؤال :"طلب مني بعض الأوروباويين ممن لا يحسنون القراءة والنطق باللغة العربية، ودخل في الديانة السمحاء، أن أكتب له بعض سور من كلام الله تعالى بلفظها العربي والأحرف الفرنساوية "لاتينية"، ليمكن له حفظها وقراءتها وقت أدائه فريضة الصلاة[3].

وكان ملخص الجواب كالآتي:

إن القرآن يشتمل على أحرف لا يوجد في القلم الفرنسوي أشكال تدل عليها، مثل "ح خ ذ

[1]- محمد رشيد رضا -تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) :ج9 ص281 .
[2]- مناهل العرفان في علوم القرآن : ج2 ص137 .
[3]- السعادة العظمى:ص183 .

ث ط ض ص ع غ ق"، فالآيات التي تضمنت بعض هذه الأحرف تمتنع كتابتها بالقلم الفرنسوي قطعاً؛ لأن الكاتب إما أن يترك تلك الأحرف أصلاً، أو يرسمها بأشكال أحرف أخرى، كوضع الهاء موضع الحاء، أو السين موضع الصاد، والأول نقص والثاني تبديل، وما كان لنا أن نحذف منه ولا أن نبدّله من تلقاء أنفسنا[1].

وعلى هذا فإن ما كتب بالأحرف العجمية على أنه قرآن يسلبه وصف القرآنية ، "إذ القرآن هو هذا النظم المعجز الذي وصفه الله تعالى بكونه عربياً، وبالترجمة يزول الإعجاز"[2]،ولا تسقط عليه أحكام مس المصحف وقد استدل محمد الخضر لهذا بقول القرافي: "فلو كتب بالعجمي جاز مسّه للمحدث لأنه تفسير للقرآن لا قرآن"[3].

الفرع السادس: الحلول التي تدفع التناقض بين الترجمات:

من التحفظات التي تخوف منها العلماء المجيزون للترجمة،اختلاف المترجمين في معاني بعض الكلمات أو اختيار معنى يخالف المعنى الذي اختاره المترجم الآخر بحكم ما امتازت به اللغة العربية من كثرة المعاني، كلفظة الإل في قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ ﴿١٠﴾﴾ فقد فسرت لفظة الإل ب:الله ، القرابة،الحِلْف،والعهد[4] ،واختار الطبري حملَ كل هذه المعاني عليها[5]، فغير الناطقين باللسان العربي إذا وقعت أعينهم على ترجمة تترجم هذه اللفظة بمعنى ووقفوا على ترجمة أخرى تفسرها بمعنى آخر مغاير قد يتبادر إليهم أن هذا تناقض.

---

[1]- المصدر السابق:ص183 .

[2]- بلاغة القرآن :ص15 .

[3]- محمد الخضر حسين - السعادة العظمى :ص173 – 174 .

[4]- الشنقيطي، محمد الأمين - العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ،تحقيق:خالد بن عثمان السبت،دار عالم الفوائد، ط02 ، مكة ،1426هـ:ج05 ص290 وما بعدها.

[5]-الطبري، محمد بن جرير- جامع البيان في تأويل القرآن:ج14 ص148 .

ولتفادي هذا الإشكال اقترح محمد الخضر حسين مايلي:

1. لا بد في نقل معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية من إشعار القارئين بأن هذا النقل تفسير لا ترجمة، ومن طرق التنبيه: جمل تكتب في حواشي الصحائف يبين بها أنَّ هذا أحد وجوه، أو أرجح وجوه تحتملها الآية.

2. أن تتولى الترجمة جمعية ذات نيات صالحة، وعقول راجحة، وهي على بينة من مقاصد القرآن، وعلى رسوخ في معرفة تلك اللغات، وأن تتحامى الوجوه التي دخل منها الخلل في التراجم السائرة اليوم في أوروبا[1].

وهناك مخارج أخر وحلول أضافها محمد أبو زهرة قال عنها:"وإنه لِكَمال الاحتياط يجب أن يكون النشر بحيث لا يفهم أنه ترجمة لآي القرآن مباشرة"[2]،ثم بين الحلول التي اقترحها مصاحبة لطباعة المصحف وهي:

أ. يطبع المصحف في وسط الصفحة وترقّم آياته بأرقام أفرنجية، ويكتب حول تفسير كل آية مرقَّمًا برقمها الذي رقمت به الآية، بحيث يكون القرآن مكتوبًا بلغة القرآن، والتفسير مكتوبًا باللغة العربية.

ب. يكتب تفسير باللغة التي ترجم إليها التفسير مرقَّمًا بالأرقام التي رقِّمت بها آيات المصحف، وبحيث يفهم القارئ غير العربيّ أن ما يقرؤه هو ترجمة تفسير للقرآن، وبحيث يفهم تفسير كل آية من رقمها الذي رقمت به في المصحف، وفي التفسير[3].

فهذه هي آراء محمد الخضر حسين ومواقفه من ترجمة القرآن الكريم بأنواعها.

---

[1]- بلاغة القرآن :ص22 ،23 .

[2]- محمد أبو زهرة – معجزة القرآن : ص420 .

[3]- المرجع نفسه: ص420 .

الخلاصـــــــة:

من كل ما سبق خلص محمد الخضر إلى جواز ترجمة القرآن الكريم بالنسبة للمعاني الأصلية ولكن هذه الترجمة لا تتأتى لكل القرآن الكريم بل هناك آيات يتعذر ترجمتها بحكم احتمال بعض الآيات لمعان كثيرة يضطر المترجم إلى اختيار معنى واحدٍ، "وهذا ليس بترجمة، وإنما يصح أن يسمى: تفسيراً، إذ يجوز نقل معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية على أنها تفسير، لا على أنها ترجمة مطابقة للأصل"[1]. وجملة القول أن الترجمة الحرفية للقرآن بدون المِثْل غير جائزة شرعا وأن الترجمة التفسيرية كتفسير القرآن جائزة بشرط أن يكون التفسير صحيحا.

[1]- بلاغة القرآن :ص22 .

المبحث الثالث: آراء محمد الخضر حسين واجتهاداته في مسائلَ من علوم القرآن:

لقد أبدى محمد الخضر حسين رأيه وكانت له مواقف حول بعض الأبحاث المتعلقة بعلوم القرآن خاصة المباحث التي طالتها أيادي المستشرقين ومن لف لفهم بالتشكيك أو الطعن، وقد اختير في هذا المبحث بعض المباحث فقط، والتي سيتجلى من خلالها آراؤه واجتهاداته وترجيحاته.

المطلب الأول : إعجـــاز القرآن الكريم.

من الموضوعات التي فرضت نفسها وأَولاها العلماء – قديما وحديثا– بالعناية موضوع: "إعجاز القرآن الكريم"، هذا الموضوع الذي اعتنى العلماء به، وألفوا فيه، وقد ظهر استدلال واعتماد محمد الخضر حسين على تلك المؤلفات، ومن تلك المؤلفات: إعجاز القرآن لأبي عبيدة ،بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان الخطابي البستي[1] ، النكت في إعجاز القرآن لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني[2] ، الرسالة الشافية لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني وكتابه أيضا: "دلائل الإعجاز" ، وإعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني ، معترك الأقران في إعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي، ومن المعاصرين مصطفى صادق الرافعي في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، بديع الزمان النورسي في: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، وغير ذلك وسيتبين من خلال هذا المطلب تعامل محمد الخضر حسين مع هذا الموضوع :

---

[1]– البستي : محدث، لغوي، فقيه، أديب. ولد، 319 هـ– 931 م،وتوفي ببست من تصانيفه: معالم السنن في شرح كتاب السنن لابي داود ، شرح البخاري، ، إصلاح الغلط. توفي سنة : 388 هـ– 998 م ،ينظر:ابن نقطة ، محمد بن عبد الغني – التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد،تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية،ط01 ،بيروت، 1408 هـ – 1988 م: ص254 ،255 /لقنوجي، محمد صديق خان–التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،ط01 ، قطر، 1428 هـ – 2007 م:ص30 .

[2]– علي بن عيسى الرماني النحوي المعتزلي ، ولد سنة: 296هـ ،صنف في التفسير واللغة والنحو،والكلام ، توفي سنة 384هـ من مؤلفاته: شرح أصول ابن السراج،ينظر:الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد– تاريخ بغداد وذيوله ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ،ط01، بيروت ، 1417 هـ:ج12 ص17 / التنوخي ، المفضل بن محمد – تاريخ العلماء النحويين ،تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر،ط2 ، القاهرة ، 1412هـ – 1992م:ص30– 31.

الفرع الأول: معنى المعجزة والفرق بينها وبين معجزة القرآن:

أ: معنى المعجزة [1]: المعجزة فعل يظهر على يدي مدعي النبوة بخلاف العادة فِي زمان التكليف موافقا لدعواه وهو يدعو الخلق إلى معارضته ويتحداهم أَن يأتوا بمثله فيعجزوا عنه فيبين بِهِ صدق من يظْهر على يَده[2]،وإعجاز القرآن: ارتقاؤه فِي البلاغة إِلَى أَن يخرج عَن طوق الْبشر ويعجزهم عَن معارضته[3].

فالتعريف يقتضي أنه لا بد للمعجزة أَن تكون مقرونة بالتحدى عِند دعوى النبوة وظهورها من البراهين المثبتة لنبوة من ظهرت على يده، لأن النبى يسْتند إليها فى دعواه أنه مبلغ عن الله، فإصدار الله لها عند ذلك يعد تأييدا منه له فِي تِلْك الدعوى[4].

ب:الفرق بين معجزات الأنبياء ومعجزة النبي صلى الله عليه وسلم:

إذا كان الله أيد الأنبياء والرسل من قبل بمعجزات دلت على صدق نبوتهم، وانقضت تلك المعجزات بوفاتهم، فإن معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تمثلت في القرآن فكانت معجزة خالدة باقية ما دامت الدنيا، قال السفاريني:" القرآن العظيم كلام الله القديم، ونوره المبين، وحبله المتين، وفيه الحجة والدعوة، فله بذلك اختصاص على غيره[5] ،كما ثبت في الصحيح أنه – صلى الله عليه وسلم – قال: " مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ، أَوْ آمَنَ، عَلَيْهِ

[1]– سيأتي في المبحث الثالث من الفصل الرابع تعريف أوسع للمعجزة وشروطها وتعقب محمد الخضر لمنكري المعجزات المادية أو القاصرين لها على معجزة القرآن فقط ، أما في هذا المطلب فإنه يركز الحديث حول إعجاز القرآن ودلائل ذلك.

[2]– الأسفراييني، طاهر بن محمد– التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، تحقيق :كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب،ط01 ، لبنان، 1403هـ – 1983م: ص169.

[3]– الكفوي ، أبو البقاء– الكليات: ص149 .

[4]– محمد عبده – رسالة التوحيد ، تحقيق: محمد عمارة ، دار الشروق ، ط1 ،مصر، 1414هـ–1994م: ص 82.

[5]– شمس الدين ، السفاريني – لوامع الأنوار البهية، مؤسسة الخافقين ومكتبتها،ط2 ،دمشق ، 1402 هـ – 1982 م: ج1 ص177.

البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ "[1].

قال ابن حجر في الفتح:" يعني أن معجزتي التي تحديت بها، الوحيُ الذي أنزل علي وهو القرآن، لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح، قال: وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه بل المراد المعجزة العظمى والآية الكبرى التي اختص بها دون غيره – صلى الله عليه وسلم – من الأنبياء عليهم السلام"[2].

فهذا الإعجاز يدل دلالة قاطعة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكي يتم الإعجاز والتسليم به لابد من توفر شروط ثلاثة في الأمر المعجز :

01 – أن يوجد التحدي به :فهو الذي يدفع إلى المعارضة من الخصم ، وبغير هذا لا يكترث أحد لدعواه .

02 – .أن يوجد المقتضي للمعارضة من الخصوم ،كالدفاع عن معتقداتهم ، وما ورثوه عن آبائهم.

03 – أن تمتنع الموانع من معارضته[3] .

يقول محمد الخضر حسين بهذا الصدد وفي هذا السياق:" والحقيقة أن دلالة القرآن على صدق من جاء به لا تقف في ناحية واحدة، بل القرآن يدل على صحة نبوة سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – من وجوه مختلفة، فمن هذه الوجوه: بلوغه في حسن البيان منزلة يحسها البلغاء بعقولهم وأذواقهم، ولا تنالها ألسنتهم ولا أقلامهم"[4].

---

[1]– رواه البخاري،باب قول النبي صلى الله عليه وسلم :بعثت بجوامع الكلم،رقم :7284 – ومسلم ،باب الإيمان برسالة نبينا محمد إلى جميع الناس ، رقم:239 .

[2]– ابن حجر– فتح الباري شرح صحيح البخاري:ج09 ص06،

[3]– يوسف القرضاوي –كيف نتعامل مع القرآن :ص38 .

[4]– محمد الخضر حسين – محمد رسول الله وخاتم النبيين:ص 51.

ثم ذكر الإجماع على إعجار القرآن وأنه لم يخالف في ذلك أحد يعتد بمخالفته" وقد أجمع المسلمون على أنه معجز للخلق كافة، وقد صرح القرآن نفسه بأنه معجز"[1].

ثم ذكر الشواهد على بلوغ القرآن الكريم مرتبة الإعجاز فقال:" يشهد لك ببلوغه مرتبة الإعجاز: ذوقك السليم، وبصيرتك النقية[2].

ويؤيد هذه الشهادة: أن الله تعالى قد تحدى به العرب على لسان نبيه – صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[4].

وقد علق محمد الخضر حسين على الآيات السابقة مبينا وجه التحدي فقد" تحداهم بالقرآن، ونادى عليهم بالعجز عن أن يأتوا بسورة من مثله، ولم يستطع أحد منهم، وهم المجلَّون في حلبة البلاغة، أن يتصدى لمعارضته، ولو بمقدار سورة"[5].

وقال في موضع آخر:" فإذا عجزوا عن الإتيان بسورة من مثله، فذلك لبلوغه في البلاغة والحكمة مرتبة يقف فصحاؤهم دونها بمراحل فسيحة"[6].

عبر عن هذا العجز صاحب :"في ظلال القرآن" فقال "وقد ثبت هذا التحدي وثبت العجز

---

[1]– دراسات في الشريعة الإسلامية:ص216 .

[2]– محمد رسول الله وخاتم النبيين :ص51 .

[3]– الإسراء:88 .

[4]– البقرة:23 .

[5]– محمد الخضر حسين – محمد رسول الله وخاتم النبيين: ص51.

[6]– أسرار التنزيل ،ص15 .

عنه، وما يزال ثابتاً ولن يزال، والذين يدركون بلاغة هذه اللغة، ويتذوقون الجمال الفني والتناسق فيها، يدركون أن هذا النسق من القول لا يستطيعه إنسان"[1].

ثم بين محمد الخضر شدة تأثير القرآن الكريم في النفوس وأثره في القلوب فقال:" ولما عرفوا أنه يمتلك ببلاغته النفوس، ويستولي بحكمته على القلوب، لم يكن منهم إلا أن حاولوا صرف الناس عن سماعه[2]، وكانوا يقولون لأوليائهم: ﴿ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾[3] فقوله تعالى: ﴿ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾[4]، فيه تحدٍ لهؤلاء المشركين وتَرْكُ الحرية لهم في أن يستعينوا على معارضة القرآن بكل وسيلة يستطيعونها، والمعنى "استعيوا بمن وجدتموه من علمائكم، وأحضروهم ليشاهدوا ما تأتون به، فيكون الرد على الجميع أوكدَ في الحجة عليهم"[5].

قال محمد الخضر:"أي نادوا الذين اتخذتموهم أولياء من غير الله؛ ليعينوكم على المعارضة، أو ليشهدوا لكم أنكم أتيتم بمثل القرآن بلاغة وحكمةَ بيانٍ[6].

الفرع الثاني: دلائل الإعجاز ومظاهره

اختلف العلماء في الوجه الذي لأجله كان القرآن معجزا وفي بيان ضابط الإعجاز وحصر بعضهم هذه ضوابط إعجاز القرآن في:

---

[1]- في ظلال القرآن :ج03 ص1785 .

[2]- محمد الخضر حسين – محمد رسول الله وخاتم النبيين : ص51-52 .

[3]- فصلت :29 .

[4]- البقرة:23 .

[5]-القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ،تحقيق :عبد الله بن عبد المحسن التركي ،محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط01، 1427هـ-2006م:ج01 ص350.

[6]- أسرار التنزيل : ص46 ،47 .

1. الصرفة[1]:وهو أن الله تعالى صرف هممهم عن معارضته مع تحديهم أن يأتوا بسورة من مثله، فلم تحركهم أنفة التحدي، فصبروا على نقص العجز، فلم يعارضوه.

قال الخفاجي: وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك[2].

2. للنظم.

3. لسلامة ألفاظه من التعقيد.

4.لخلوه عن التناقض.

5.لأجل اشتماله على المعانى الدقيقة.

6.لاشتماله على الإخبار بالعلوم الغيبية.

7. لأجل الفصاحة[3] .

---

[1]- المقصود بالصرفة : إن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات وهذا قول النَظَّام من المعتزلة ونسب ابنُ عاشور لابن حزم القول بهذا الرأي ،التحرير والتنوير :ج01 ص130، وقد بين فساد هذا الرأي كثير من العلماء، من ذلك قول الباقلاني في إعجاز القرآن "ومما يبطل ما ذكروه من القول " بالصرفة " أنه لو كانت المعارضة ممكنة – وإنما منع منها " الصرفة " – لم يكن الكلام معجزاً، **ينظر**: إعجاز القرآن للباقلاني:ص30 **–** الزركشي في البرهان :ج02 ص94 ،وأبو زهرة – المعجزة الكبرى:ص57 وما بعدها ، أما محمود محمد شاكر فقد نبه في مقدمته لكتاب– دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني– ص08 ، أن هذا القول ليس قول كل المعتزلة فقد خالف ذلك القاضي عبدُ الجبار في كتابه :المغني، ورد مقالة الصرفة ونقضها،أما ابن كثير فإنه رأى أن طريقة الصرفة وإن لم تكن مرضية لأن القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته إلا أنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق، ينظر: تفسير القرآن العظيم:ج01 ص110 ،

[2]- الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد– سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية، ط01 ، بيروت–لبنان، 1402هـ– 1982م:ص100.

[3]–**الفَصاحَة**: صوغ الْكَلَام على وَجه له توفيَة بتمام الإفهام لمعناه بتبيين المراد، وتزيين الألفاظ بما يقرب معناه ، ويعذب نظمه، ويعذب استماعه، ويعجب ابتداعه، وَيدل مطالعه على مقاطعه، وينم مبادئه على تواليه لَا بِاستعمال الشوارد الَّتِي لَا تفهم،

8.لأجل البلاغة[1].

9. لما يتركب من بعض هذه الوجوه[2].

أما محمد الخضر حسين فقد مال إلى الرأي الذي يرى أن إعجاز القرآن الكريم بلاغتُه، وذلك في قوله :" للقرآن معانٍ أصلية، وأخرى تابعة، وهي مظهر بلاغته، وملاك إعجازه"[3].

وفي إحدى مسامراته، تذاكر محمد الخضر مع عارف المنير[4] –أحدِ علماء الشام– في علوم القرآن، فأخبره–أي المنير– بأن بعضهم قال له: ما وجه معجزة القرآن؟ فأجابه الشيخ عارف بقوله: بلاغته، فقال له المعترض: بلوغ الكلام الدرجة العليا من بلاغة اللغة لا يدل على أنه معجزة[5].

وكان من الحجج التي اعتمدها المحاور ما ألَّفه الشاعر اليوناني هوميروس[6] حيث قال "كما أن

=

والأوابد الَّتِي لَا تعلم ، ينظر: جلال الدين السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم تحقيق : محمد إبراهيم عبادة، كتبة الآداب ، القاهرة – مصر،ط1 ، 1424هـ – 2004 م:ص93 .

[1]– بلاغة المتكلم:بلوغه في تأدية الْمعنى حدا له اخْتصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشْبيه، والمجاز، والكناية على وجهها، وَقيل: البلاغة هي التعبير عن المعنى الصحيح لما طابقه من اللفظ الرائق من غير مزيد على المقصد ولا انتقاص عنه في البيان، وقيل: ملكة يُقتدر بهَا على تأليف كلام بليغ يطابق الْغرض الْمقصود، ينظر: جلال الدين السيوطي–معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب،ط01 ، القاهرة – مصر، 1424هـ – 2004 م :ص93 / الكفوي– الكليات معجم في المصطلحات:ص236.

[2]– ينظر: الماوردي ، النكت والعيون ، تحقيق: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم،دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان:ج01 ص33/ المؤيد باللَّه، يحيى بن حمزة– الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية ، ط01، بيروت، 1423 هـ :ج03 ص217.

[3]– بلاغة القرآن :ص12 .

[4]– محمد عارف بن أحمد بن سعيد المنير الحسيني الدمشقي: فاضل من فقهاء الشافعية. مولده ووفاته في دمشق.ولد سنة: 1264هـ– 1848م، له رسائل، منها أسمى الرتب في العقل والعلم والأدب،حسن الابتهاج بالإسراء والمعراج ، الامتنان بتكذيب المفتري على القرآن و (الحصون المنيعة في براءة عائشة الصديقة باتفاق أهل السنة والشيعة توفي في: 1342 هـ– 1923 م.ينظر:الأعلام:ج06 ص180،181 – معجم المؤلفين :ج10 ص114 ،115.

[5]– بلاغة القرآن : ص68.

[6]– هوميروس: ولد في ضاحية أزمير وتعلم بها ثم حبب إليه ركوب البحر فكان كثير الأسفار حتى كف بصره فاستقر في إزمير كان ظهوره في القرن العاشر قبل الميلاد لم شعر كثير منه :الإلياذة ، والأوذيسية ينظر ترجمته :مقدمة ا سليمان البستاني لكتاب

(هوميروس) ألَّف في تاريخ اليونان قصيدة قالوا: هي أبلغ ما قيل في لغة اليونان، ولم يستطع أحد أن يقول مثلها في البلاغة، ولم يكن بذلك رسولاً"[1]؛ عندها وضح محمد الخضر هذه الشبهة وجلّى هذا الإبهام وقال للشيخ عارف: "الفرق بين بلاغة (هوميروس) وبلاغة من يليه فرق قريب، أما الفرق بين بلاغة القرآن، وأبلغِ متكلم باللغة العربية، ففرق بعيد، فيصح أن يكون معجزة للرسول، وإن أحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – بليغة في ذاتها، ولكنْ هناك فرق بينها وبين القرآن"[2].

وحتى الذين اشتهروا بالبلاغة بين الناس فإن هذه البلاغة لا تلازمهم في كل كلام يقولونه، بل قد تخونهم اللغة أحيانا، خاصة عندما يتكلمون في فن لا يحسنونه ،"ثم إنك تجد القرآن لا يتناول فناً من فنون الكلام إلا أتى باللفظ الرائع، والأسلوب البديع، وقصارى الواحد من بلغاء البشر أن يبرع في بعض فنون القول، ويضيق باعه في فنونه الأخرى، فلا يدرك فيها سوى المنزلة المتوسطة أو السفلى"[3].

الفرع الثالث: بلاغة القرآن وفصاحته:

يرى محمد الخضر حسين أن أجلَّ أوجه الإعجاز – إعجازِ القرآن – بلاغتُه إذ بلاغة أي كلام ترتكز على ثلاث ركائز:

1- أن تكون ألفاظه فصيحة : بأن يسهلَ جريانها على اللسان،ويخفَّ وقعها على السمع، ويألفها الذوق.

2-أن يكون نظمه محكماً: بأن تقع كل كلمة منه موقعها اللائق بها؛ بحيث تكون كلماته

=

الإلياذة ، الإلياذة، ترجمة سليمان البستاني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،دط، القاهرة- مصر ،2012م: ص12 وما بعدها.

[1]- بلاغة القرآن:ص68..

[2]- بلاغة القرآن : ص68 وما بعدها .

[3]- محمد رسول الله وخاتم النبيئين:ص92 .

متناسبة، يأخذ بعضها برقاب بعض، فلا تمرُّ بك كلمة منه إلا وجدتَّها محكمة الوضع، خفيفة الوقع على السمع.

3- أن تكون دلالته على المعنى منتظمة وافية: بأن يطرق اللفظُ سمعك، فيخطر معناه في قلبك. فإنك ترى فيه التشابيه الرائعة، والأمثال البارعة، والاستعارات الطريفة، والمجازات اللطيفة، والكنايات المنقطعة النظير.

4- أن تكون دلالته على المعنى وافية: بأن يؤدي اللفظ صورَ المعاني التي يقصد المتكلم البليغ إفادتها للمخاطبين على وجه أكمل فإنك تنظر في الآية، وتتدبر المعنى الذي سيقت من أجله، فتعود منها ويدك مملوءة من الفوائد التي تقع إليها [1].

وأورد مظهرا آخر يتعلق بالقصة القرآنية، خاصة القصص التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم كقصة آدم عليه السلام أو قصة موسى عليه السلام، فمن مظاهر بلاغة القرآن الكريم "أنه يورد القصة في أوفى درجة من حسن البيان، ثم يعيدها في سُورَةٍ أخرى على حسَب ما يقتضيه مقام الوعظ، حتى إذا عقدت موازنة بين حكايتها هنا، وحكايتها هناك، وجدتهما في مرتبة واحدة من البلاغة، لا تنزل إحداهما عن الأخرى بحال"[2].

أمثلة على بلاغة القرآن وإعجازه:

أ- ذكر محمد الخضر حسين جملة من الأمثلة على بلاغة القرآن الكريم، ومن ذلك وقوفه على آية القصاص من سورة البقرة والتي بين ما فيها من الإشارات البلاغية فقال في شأنها :"وإذا شئت أن تزداد خبرة بفضل بلاغة القرآن، وسمو مرتبته في حسن البيان على مرتبة ما نطق به بلغاء البشر، فانظر إلى هذه الجملة: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ

[1]- بلاغة القرآن : ص4- 5 .

[2]- المصدر السابق :ص10 .

تَتَّقُونَ﴿١٧٩﴾[1] وإلى قولهم: "القتل أنفى للقتل"،فقد عقد محمد الخضر حسين موازنة بين نص الآية وما نطق به بلغاء العرب وعقلاؤهم بتلك الحكمة فقال" وأقم بينهما-أي الآية والحكمة- وزناً بالقسط، فإنك تجد من نفحات الإعجاز ما ينبهك لأن تشهد الفرق بين كلام الخالق وكلام المخلوق"[2]،ثم يضيف قائلا " ومن فضل بيان الآية: أنها جعلت سبب الحياة القصاص، وهو القتل عقوبة على وجه التماثل، أما العبارة العربية، فقد جعلت سبب الحياة القتل، ومن القتل ما يكون ظلماً، فيكون سبباً للفناء لا للحياة[3].

وقد جعل هذا الفرقُ محمد الخضرَ حسينا ينزع إلى تعديل الحكمة، وتصحيحها حتى تكون موافقة لروح الآية ومقصد التنزيل الحكيم" وتصحيح هذه العبارة أن يقال: القتل قصاصاً أنفى للقتل ظلماً، والآية جاءت خالية من التكرار اللفظي، فعبرت عن القتل الذي هو سبب الحياة بالقصاص، والعبارة العربية كرر فيها لفظ القتل، فمسها بهذا التكرار من الثقل ما سلمت منه الآية"[4].

ب.- وقف محمد الخضر على الآية الثامنة عشرة بعد المائة الأولى من سورة المائدة وبين وجوه الإعجاز في مخاطبة الله لنبي الله عيسى عليه السلام فقال :"ومن بلاغة القرآن: قولُه تعالى حكاية عن عيسى - عليه السلام - ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾[5] ، فقد بين المراد من تذييل الآية بصفتي العزة والحكمة دون صفتي الرحمة والمغفرة فقال:" فالمراد: وإن تغفر لهم، فإنك أنت القوي الغالب الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة"[6]، ولا يصح الوقف إلا على قوله: ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾، وليس مراده الاستشفاعَ لهم حتى يقول: فإنك

[1]- البقرة:179 .
[2]- أسرار التنزيل:ص322 .
[3]- المصدر نفسه :ص322 .
[4]- المصدر نفسه :ص322 .
[5]- المائدة:118 .
[6]- بلاغة القرآن :ص70 .

أنت الغفور الرحيم – كما توهمه بعضهم، فقد يتعجل متعجل ويرى أن الأنسب أن تختم الآيات باسم الغفوز بدل اسم العزيز " وقد يتصرف في مسألة الوقف فيقف على قوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾،وجعل قوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾[1]، مستأنفاً[2].

ولكن لفظ العزيز أنسب عند التأمل في قوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾، والمعنى: إن تعذبهم، فإنهم عبادك ليس لأحد سلطان لأن يمنعك من عذابهم، وإن تغفر لهم، فلا سبيل لأحد أن يصدك عن المغفرة لهم، فإنك أنت العزيز؛ أي: الغالب على كل شيء، الحكيم الذي يضع كل شيء الموضع اللائق به"[3].

والغرض من كل هذا دفع ما قد يتوهمه القاريء أو السامع للآية فيظن المقام مقامَ شفاعة، ولكن المقام مقامُ من "يفوض الأمر إلى الله ليفعل ما يشاء، وهو العالم بما يقتضيه حالهم من التعذيب والمغفرة لهم"[4]، وهذا الوجه من وجوه الإعجاز لا يدركه إلا من عرف بلاغة اللغة العربية[5].

العربية[5].

كما أن هناك بعضَ وجوه الإعجاز أشار إليها في مواضع من مؤلفاته منها ما ورد في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴿٢٣﴾﴾[6] فقال: "وفي القرآن وجوه أخرى من الإعجاز؛ كالإخبار عن غيوب ماضية، أو غيوب مستقبلية، وكاشتماله على معان علمية دقيقة لا عهد للأميين بها"[7].ووقعت هذه الأمور الغيبية كما أخبر مثل

---

[1]– المائدة:118 .

[2]– بلاغة القرآن: ص70،71 .

[3]– دراسات في الشريعة الإسلامية:ص68 .

[4]– المصدر السابق: ص68 .

[5]– بلاغة القرآن :ص71 .

[6]– البقرة:23 .

[7]– أسرار التنزيل:ص46 – محمد رسول الله وخاتم النبيئين: ص52 وما بعدها.

مثل ما أشار إليه كتاب الله في الخمس آيات الأولى من سورة الروم ، وكذا الآيات التي أشارت إلى حقائق علمية موافقة لصحيح العلم.

المطلب الثاني: النسخ في القرآن الكريم

تعد مسألة النسخ في القرآن الكريم من المسائل التي كثر التأليف فيها لدى العلماء، فقد تناوله المؤلفون في علوم القرآن ،فأفردوا له أبوابا في كتبهم ، وتناوله الأصوليون في مباحث هذا الفن–علم الأصول– كما اعتنى بالوقوف عليه المفسرون والفقهاء في بعض الأحكام، وقد تباينت آراء العلماء في هذه المسألة فمنهم من أنكر ثبوته في القرآن الكريم، ومنهم من توسع فيه حتى أدخل فيه ما ليس منه وخلطه بباب التخصيص أو التقييد ، ومنهم من توسط في المسألة، ومنهم من ادعى النسخ في مواضع من كتاب الله وخالفه آخرون فيها، ومنهم "من جعل من باب النسخ منفذا للطعن في القرآن الكريم"[1].

ولأهميته؛ عد العلماء العلم بالناسخ والمنسوخ أحد العلوم التي ينبغي أن يتقنها المفتي، أو المجتهد، أو المفسر، قال الزركشي"العلم به عظيم الشأن....ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ"[2]، وقال عنه الفيروزآبادي:" ومن أَراد أَن يخوض فى بحر التفسير ففَرْضٌ عليه الشروعُ فى طلب معرفته، والاطِّلاع على أَسراره، ليسلَم من الأَغلاط، والخطإِ الفاحش، والتأْويلات المكروهة"[3].

أما محمد الخضر حسين فقد وقف على الموضوع عند تفسيره لبعض آي القرآن كما عرض دراسة مقارنة بين فيها أقوال المجيزين والنافين، وسيتبين لنا رأيه من خلال أقواله وترجيحاته في

[1]– المطيري ، عبد المحسن – دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري ، دار البشائر الإسلامية، ط01، بيروت ، لبنان ، 1427 هـ – 2006 م :ج01 ص267 وما بعدها.

[2]–البرهان في علوم القرآن :ج02 ص9 .

[3]–الفيروزآبادي،مجد الدين أبو طاهر –بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ،تحقيق: محمد علي النجار،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط01 ، القاهرة،1416 هـ – 1996 م:ج01 ص117.

المسألة.

الفرع الأول: معنى النسخ لغة واصطلاحا:

أ:لغة: نَسَخَ: النسخ والانتساخ: اكتتابك في كتاب عن معارضه، والنسخ: إزالتك أمرا كان يعمل به، ثم تنسخه بحادث غيره، وتناسخ الورثة، وهو موت ورثة بعد ورثة، والميراث لم يقسم، وكذلك تناسخ الأزمنة، والقرن بعد القرن[1]،قال محمد الخضر في تعريفه :"الإبطال والإزالة، يقال: نسخت الشمسُ الظل؛ أي: أزالته[2].

ب:اصطلاحا: اختلف العلماء في تحديد معنى النسخ فقال بعضهم: هو" الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا به مع تراخيه عنه[3]، وعرفه أحد علماء المعتزلة بأنه "قول صادر عن الله عز وجل أو منقول عن رسول الله أو فعل منقول عن رسوله يفيد إزالة مثل الحكم الثابت بنص صادر عن الله أو بنص أو فعل منقولين عن رسوله مع تراخيه عنه على وجه لولاه لكان ثابتا"[4].

أما محمد الخضر حسين فعرف النسخ بأنه :"بيان انتهاء مدة الحكم بخطاب لولا هذا الخطاب، لاستمر الحكم على مشروعيته بمقتضى النص الذي تقرر به أولاً[5]،أو هو "بيان انتهاء الحكم الشرعي المقدر في أوهام المكلفين دوامه، ويكون بيان انتهاء الحكم بخطاب"[6].

والملاحظ بين تعريف محمد الخضر والتعريفين السابقين، أن التعريفين السابقين قيدا معنى

---

[1]- العين :ج04 ص201 /أساس البلاغة :ج02 ص266 / مختار الصحاح :ص309 .

[2]- أسرار التنزيل :ص193 .

[3]- الخطيب البغدادي – الفقيه و المتفقه ،تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي ، ط02 السعودية، 1421هـ:ج01 ص244.

[4]- البَصْري، أبو الحسين- المعتمد في أصول الفقه ،تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية،،ط01، بيروت ، 1403هـ:ج01 ص367.

[5]- أسرار التنزيل :ص193 .

[6]- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان :ص104 .

النسخ بلزوم التراخي في حين أن التراخي لم يرد له ذكر في تعريفي محمد الخضر حسين، وقد أجاب عن هذا الإهمال لذكره بقوله:" ولم نقيد المبيّن لانتهاء الحكم بالتراخي كما ورد في بعض تعريفات النسخ؛ لأن التراخي إنما يذكر على أنه شرط، وقد جرى الخلاف في شرطيته"[1].

الفرع الثاني: النسخ بين المنكرين والمجيزين وموقف محمد الخضر من الفريقين:

جرى الخلاف في جواز النسخ ووقوعه فادعت طائفة أنه لا نسخ في القرآن الكريم وأول من قال بذلك أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني(ت 322هـ)، فقد أنكر وقوع النسخ في شريعتنا، وحمل النسخ الوارد في الآية على معنى نسخ شرائع الأنبياء المتقدمين[2]، ومن المعاصري القائلين بعدم النسخ محمد الخضري في كتابه تاريخ التشريع[3] ، ومحمد عبده فيما يفهم من نقل صاحب تفسير المنار عنه[4] .

ولم يزل علماء السلف منذ عهد الصحابة – رضي الله عنهم – يذهبون إلى أن نسخ بعض الأحكام ثابت في الشريعة كادت تجمع على ذلك طوائف المسلمين بل نص بعض الشيعة على:" أن النسخ جائز عقلا وعرفا وواقع في الشريعة الإلهية والقوانين الوضعية"[5].

وقد تبع محمدَ بنَ بحر الأصفهانيَ[6] في هذا القول أقوامٌ اتكؤوا في إنكارهم للنسخ على عدة

---

[1]– المصدر نفسه :ص103 .

[2]– أسرار التنزيل:ص194 / الكليات :ص892 .

[3]– الخضري ، محمد بك ، تاريخ التشريع الإسلامي ، دار المعرفة،ط03، بيروت ، لبنان ،1423هـ-2002م:ص 22 وما بعدها.

[4]– ينظر رأي محمد عبده – الأعمال الكاملة للشيخ الإمام محمد عبده :ج 04 ص255 / رشيد رضا- تفسير القرآن الحكيم:ج01 ص343 ،

[5]– مغنية ، محمد جواد – علم أصول الفقه في ثوبه الجديد ،دار التيار الجديد ،بيروت- لبنان ،ط03 ،1408هـ-1988م: : ص74.

[6]– أبو مسلم: من أهل أصفهان. معتزلي. من كبار الكتاب. كان عالما بالتفسير وبغيره من صنوف العلم ولد في : 254هـ-868م، من كتبه (الناسخ والمنسوخ) ملتقط جامع التأويل لمحكم التنزيل،توفي في: 322 هـ- 934 م، ينظر ترجمته،معجم الأدباء: ج06 ص2437 / بغية الوعاة :ج01 ص59 / الأعلام:ج06 ص50 / معجم المفسرين :ج02 ص490.

حجج أهمها:

1.أن القول بالنسخ قول بالبداء[1] الذي ينبغي أن ينزه عنه رب العزة: لأن الأمر بالشيء يقتضي كونه مصلحة والنهي عنه بعد الأمر به يدل على أنه قد بدا للآمر وانكشف له أن ما كان أَمَر به مفسدةٌ ليس بمصلحة على ما توهمه، وذلك منتف عن الله جل ذكره[2]، ومن القائلين بالبداء اليهود والكيسانية[3] من الشيعة.

2. أن اللفظ الدال على الحكم الأول إما أن يدل على الدوام، فإذا جاء الناسخ، كان متناقضاً، وإما أن لا يدل على الدوام، فيكون مطلقاً، ويكفي للعمل به مرة واحدة، وينقضي بذاته، فلا يحتاج إلى النسخ.

3. تأويل كلمة آية في قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ ﴿١٠٦﴾ ﴾[4] بالمعجزة وليس آية الأحكام.

4. وهناك شبهة رابعة نسبها الأصوليون لليهود تفيد أن النسخ منافٍ للحكمة؛ لأن النهي

---

[1]- **البداء** معناه : ظهور الرأي بعد أن لم يكن ، والبدائية: هم الذين جوزوا البداء على الله تعالى أي أن الله عز وجل يبدو له الشيء فيكون، وهذا ينقص العلم القديم، وفيه تشبيه الله بخلقه ينظر:الجرجاني- التعريفات :ص43 / المناوي، زين الدين- التوقيف على مهمات التعاريف ،عالم الكتب ، ط01 ، القاهرة ، 1410هـ-1990م: ص72 /سعيد حوى - الأساس في السنة وفقهها ، دار السلام للطباعة والنشر ، ط02 ،مصر،1412 هـ - 1992 م: ج01 ص421/ السالوس،علي بن أحمد- مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع، دار الثقافة، ط07 ، قطر، 1424 هـ - 2003 م:ج01 ،ص303 وما بعدها.

[2]- الباقلاني ،أبو بكر محمد بن الطيب - تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل ،تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، ط01 ، لبنان، 1407هـ - 1987م:ص214.

[3]- الكيسانية من الشيعة الرافضة هؤلاء اتباع المختار بن ابى عبيد الثقفى الذي قام بثأر الحسين بن على بن ابي طالب وقتل اكثر الذين قتلوا حسينا بكربلاء وكان المختار ويقال له كيسان وقيل أنه أخذ مقالته عن مولى لعلى رضي الله عنه كان اسمه كيسان، ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل : ج01 ص147 /الفرق بين الفرق:ص27 /التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين:ص30 / محمد الخضر حسين - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان :ص171 - الهداية الإسلامية:ص156،155.

[4]- البقرة:106 .

يعتمد المفسدة الخالصة أو الراجحة، فلو جاز نسخه بعد ذلك، لزم تجويز أن يأمر الله تعالى ويأذن في فعل المفاسد الخالصة أو الراجحة، وذلك محال على الله تعالى[1].

الفرع الثالث: إجابات محمد الخضر الحسين على دعاوي منكري النسخ:

1. أجاب محمد الخضر حسين على الشبهة الأولى أن بين النسخ والبداء فرقاً أجلى من الشمس، والفارق هو أن البداء يكون في الأمر بالشيء مع عدم العلم بما تؤول إليه حاله، وهذا هو المحال عليه تعالى، وأما النسخ ، فيكون الآمر عند شرعه الحكمَ الأول عالماً بأنه سيرفعه بعد مدة معلومة، وهذا يصح أن يكون من صفاته تعالى[2].

2. أما الشبهة الثانية بأنه تعالى يأمرنا بالشيء، ولا ينص على دوام، ولا على عدم الدوام، وإنما يأتي الأمر بصيغة يفهم منها تكرار العمل، فنمتثل مقدرين استمراره، فإذا جاء الناسخ، نعلم أنه تعالى أمرنا بالأمر، وهو يريد العمل به إلى هذا الوقت المعين في علمه، وهذا الوقت لا يلزم أن يكون معلومًا لنا.

وقد جمع الإجابة عن الشبهتين السابقتين الحارث المحاسبي ونص على أن "الناسخ والمنسوخ لا يجوز أن يكونا إلا في الأحكام في الأمر والنهي والحدود والعقوبات في أحكام الدنيا ولا يعني ذلك البداء أو التناقض ولكنه أَمَرَ بأمر وحكم بحكم وهو يريد أن يوجبه إلى وقت ويريد أن يأمر بتركه بعد ذلك الوقت"[3].

3. تعلق المنكرون للقياس بأن المقصود بالآية هي المعجزة وحجتهم في هذا ما جاء بعد آية

[1]- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان:ص104 وما بعدها.

[2]- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان : ص104 ،105 .

[3]- المحاسبي ، الحارث بن أسد – فهم القرآن ومعانيه، تحقيق: حسين القوتلي، دار الفكر ،ط02 ،بيروت ، 1398هـ:ص251 ،252.

النسخ من الكلام على قدرة الله ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾[1]،ومنهم من زعم أن آية النسخ كانت مقدمة للدفاع في قضية تحويل القبلة إلى المسجد الحرام ، فكأنه يقول :إن الله إذا نسخ آية :أو بدل حكما بحكم فإنما ذلك بمقتضى حكمته ....وعلى هذا فإن أقرب مفهوم إلى النسخ الذي أشارت إليه الآية هو نسخ التوجه إلى بيت المقدس،إلى البيت الحرام وكلا البيتين آية من آيات الله إذ قاما بأمره[2].

وقد سلم محمد الخضر جدلا لهذا القول من حيث اللغة ولكنه أنكره من حيث الرواية فنراه يصرح قائلا:" وهذا الرأي مستقيم من جهة اللغة"[3]، ثم يفند هذا الزعم من جانب الرواية بأن " السلف منذ عهد الصحابة – رضي الله عنهم – تضافروا على تفسيرها بآية الأحكام، ولم ينقل عنهم – فيما علمنا – خلافٌ في ذلك"[4].

وقد أورد المنكرون للنسخ شبهة أخرى وهي على فرض أن الآية في قوله تعالى : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴿١٠٦﴾ ﴾[5] لا يقصد بها المعجزة فما إجابتكم عما يفهم من الآية أنها وردت شرطية، والقضية الشرطية لا تستلزم الوقوع[6]،وقد تولى –محمد الخضر– الإجابة عن ذلك : بأن الآية – وإن كانت شرطية – فقد وقعت في سياق الامتنان، والشرطية إذا وقعت في سياق الامتنان من الله

---

[1]– البقرة:106 .

[2]– صبح ، عبد المجيد ،الرد الجميل على المشككين في الإسلام ، دار المنارة للنشر والتوزيع، ط02 ،مصر– المنصورة ، 2003م:ص120.

[3]– أسرار التنزيل :ص195 .

[4]– أسرار التنزيل:ص195 .

[5]– البقرة:106 .

[6]– القضية الشرطية :هي التي يصح الارتباط بين جزءيها، سواء كانا ممكنين أو ممتنعين، ولا يلزم من صدقها شرطية صدق جزءيها جملتين؛ فالاعتبار إنما هو بصدقها في نفسها، وقالوا في شأنها:إن القضية الشرطية لا يلزم أن يكون مقدمها واقعاً بل قد يكون محالاً وإنما الواجب هو التلازم بين المقدم والتالي في الصدق والارتفاع، ينظر: ابن القيم – إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق : مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية،ط01 ،1433هـ :ج05 ص225 /ابن عاشور، محمد الطاهر – حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح ،مطبعة النهضة، ط01 تونس، 1341 هـ:ج02 ص77.

تعالى، دلّت على وقوع فعل الشرط وجزائه[1].

4. أما الشبهة التي نسبت لليهود فقد ردها طائفتان من علماء المسلمين:

أ.- المنكرون لتعليل الأحكام[2]: قالوا إن الأحكام: مسندة إلى محض إرادة الله تعالى من غير باعث، فالله تعالى هو الحاكم المطلق الفعّال لما يريد، فيجوز في حقه أن يضع حكماً، ويرفع حكماً، لا لغرض، ولا لباعث.

وقد قال بهذا الرأي الظاهرية وعلى رأسهم ابن حزم[3].

ب.القائلون أن أحكام الله معللة: أي أن أحكام الله تعالى مراعىً فيها مصالح العباد، واللطف بهم، فيجيبون عن هذه الشبهة؛ بأن المصالح تختلف بحسب اختلاف الأوقات، فقد يكون الفعل مفسدة في وقت، ومصلحة في وقت آخر[4].

المطلب الثالث: مطاعن في مسائل تتعلق بالنسخ

وجه أهل الزيغ والإلحاد مطاعن مختلفة لبعض الآيات القرآنية، سواء التي ثبت حكمها ونسخ رسمها، أو التي ثبت حكمها ورسمها معا، وكان لمحمد الخضر حسين إجاباته عن تلك المطاعن، ورؤدوده الوجيهة ومن هذه الآيات:

الفرع الأول–آية الرجم:

---

[1]- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان :ص107 .

[2]- المقصود بتعليل الأحكام :أن للشارع في شرع الأحكام مقاصد وحكما، أو أن أحكام الله معللة بمصالح العباد ، ينظر: التعريف وذكر خلاف العلماء في القول بالتعليل وعدمه ، شلبي، محمد مصطفى ، مطبعة الأزهر،دط ،1947م:ص96 وما بعدها / اليوبي ، محمد سعد – مقاصدالشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية ، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض– المملكة العربية السعودية،ط01 ،1418هـ-1998م: ص80 وما بعدها / نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم :ص248 وما بعدها .

[3]- ابن حزم ، أبو محمد – الإحكام في أصول الأحكام وما بعدها ،تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت،ط02 ، 1403هـ-1983م :ج08 ص76 /الريسوني ، أحمد – نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الدار العالمية للكتاب الإسلامي،ط02 ، 1412 هـ - 1992م:ص 200 وما بعدها.

[4]- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان :ص105.

من جملة ما تعلق به بعض أهل الإلحاد وجعلوه مدخلا للنيل من القرآن الكريم وحفظِ الله له وسلامتِه من التحريف آيةُ الرجم ، كما اتخذوا من التشكيك في ثبوتها مطعنا في ثبوت حكم الرجم في الشريعة الإسلامية "فقد تظاهرت الأخبار بنسخ تلاوة آية الرجم مع بقاء حكمها، وهي قوله تعالى:" الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم"[1].

وأجمع الصحابة رضي الله عنهم ومن تقدّم من السلف وعلماء الأمة، وأئمة المسلمين على أن من زنى وهو محصن فإنّه يرجم حتى يموت، ولا نعلم خلافا في ذلك لأحد إلا بعض المبتدعة من الخوارج[2].

ولقد استدل الخوارج بأدلة ثلاثة لنفي ثبوت الرجم:

أولا: الرجمُ أشدُّ العقوبات فلو كان مشروعاً لذكِر في القرآن، ولما يذكر دل على أنه غير مشروع.

ثانياً: إن حدّ الأمة نصف حد الحرة ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ﴿٢٥﴾ ﴾[3].

والرجم لا ينتصف فلا يصح أن يكون حداً للحرة.

ثالثاً: إن الحكم عام في جميع الزناة وتخصيص (الزاني المحصن) من هذا الحكم مخالف للقرآن[4].

ويجاب عن هذا بما ثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال:".... أَيُّهَا النَّاسُ. قَدْ سُنَّتْ لَكُمُ السُّنَنُ. وَفُرِضَتْ لَكُمُ الْفَرَائِضُ. وَتُرِكْتُمْ عَلَى الْوَاضِحَةِ. إِلاَّ أَنْ تَضِلُّوا بِالنَّاسِ يَمِيناً وَشِمَالاً. وَضَرَبَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى. ثُمَّ قَالَ: إِيَّاكُمْ أَنْ تَهْلِكُوا عَنْ آيَةِ الرَّجْمِ، أَنْ يَقُولَ

---

[1]- الغزالي ، أبو حامد – المستصفى ، محمد عبد السلام عبد الشافي،دار الكتب العلمية، ط01 ، لبنان،1413هـ – 1993م:ص99.

[2]- السايس ،محمد علي- تفسير آيات الأحكام ،تحقيق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر،دط، 2002:ص532.

[3]- النساء:25 .

[4]- الصابوني ،محمد علي – روائع البيان تفسير آيات الأحكام:ج02 ص22 .

قَائِلٌ لاَ نَجِدُ حَدَّيْنِ فِي كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ رَجَمَ رَسُولُ اللهِ، وَرَجَمْنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلاَ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: زَادَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي كِتَابِ اللهِ لَكَتَبْتُهَا: الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ، فَإِنَّا قَدْ قَرَأْنَاهَا[1].

وقد بين محمد الخضر حسين خوف عمر بن الخطاب إنما كان من أصناف متعددة من الناس:

1.أناس يخالفونه في أن آية الرجم هذه نزلت في القرآن.

2.أناس يقولون إن هذه الآية غير مجمع عليها، وغير منقولة بالتواتر ولا يكتب في المصحف إلا ما نقل بالتواتر على أنه قرآن.

3.أناس يقرون بأنها نزلت قرآناً، ولكنهم يرون أنها نسخت تلاوتها، وبقي حكمها، فلا يجوز إثباتها في المصحف[2].

واستظهر محمد الخضر أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: كان يرى أن آية الرجم لم تنسخ تلاوتها[3].

واستدل لهذا بما ورد في سنن أبي داوود[4]:" وَلَوْلَا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَزِيدَ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَكَتَبْتُهُ فِي المِصْحَفِ"[5]، فيفهم من هذا الأثر: أن عمر بن الخطاب: كره أن يكتب آية الرجم، ولو في حاشية المصحف؛ لأنها زائدة على القرآن، وقد أمروا بتجريد القرآن عن كل ما ليس بقرآن يتلى؛ حذرًا من

[1]– مالك بن أنس – الموطأ، تحقيق :محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان للأعمال الخيرية والإنسانية، ط01 ، أبو ظبي – الإمارات، 1425 هـ – 2004 م: ج05 ص1203.

[2]– الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان :ص110 .

[3]– المصدر نفسه : ص110 .

[4]– ذكر محمد الخضر أن هذا الأثر مروي في سنن أبي داوود والصحيح أنه مروي في سنن الترمذي ولا وجود له في سنن أبي داوود.

[5]– سنن الترمذي– ج04 ص28 رقم 1431 ، باب ما جاء في تحقيق الرجم.

أن يتجه الناس – ولو بعد حين – إلى اعتقاد أنه من القرآن المتعبد بتلاوته[1].

وأيد هذا الرأي بقول ابن حزم في الإحكام : "ونحن لا نقطع أنها كانت قرآناً يتلى في الصلوات، ولكن نقول: إنها كانت وحيًا أوحاه الله تعالى إلى نبيه – صلى الله عليه وسلم – مع ما أوحي إليه من القرآن، فقرئ المتلو مثبوتاً في المصاحف والصلوات، وقرئ سائر الوحي منقولاً محفوظاً معمولاً به كسائر كلامه الذي هو وحي فقط"[2].

وهذا الذي يُستنتج من مقالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه "قرأناها" فقد نُسخ عنها مصطلح الآية لكنها بقيت تتلى على الألسن، وهذا يندرج تحت ما نسخ رسمه وبقي حكمه فلا يتعبد بتلاوتها ولا يصح إدراجها بين دفتي المصحف.

ومن هنا رجح محمد الخضر أن آية الرجم صارت من قبيل الأحاديث وليست قرآنا، مستدلا بما جاء في معجم الطبراني: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، عَنْ خَالَتِهِ الْعَجْمَاءِ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ بِمَا قَضَيَا مِنَ اللَّذَّةِ"[3].

لقد تبين من كل ما سبق أن حكم الرجم ثابت بالشرع وأن عدم التنصيص عليه في القرآن الكريم لا يدل بحال على عدم ثبوته فقد نصت الآية المنسوخة على ذلك، وقد استدل محمد الخضر لثبوته أيضا بجملة من الأدلة منها ما ثبت في "صحيح البخاري"[4] أنه–أي حكم الرجم– موجود في التوراة، ومنه قضى النبي – صلى الله عليه وسلم – به على يهودي ويهودية اعترفا بالزنا"[5]، لينبه

[1]– الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان:ص111 .

[2]–الإحكام في أصول الأحكام: ج04 ص79 .

[3]– الطبراني ، سليمان بن أحمد ،المعجم الكبير ، باب العين،عن العجماء الأنصارية ، تحقيق :حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة،ط01 ، 1415 هـ - 1994 م: ج24 ص350.

[4]– ينظرأحاديث الرجم ،صحيح البخاري،باب رجم المحصن رقم6812 ،6814 ، سنن ابن ماجة ،باب رجم اليهودي واليهودية ،رقم :2556 ،

[5]– دراسات في الشريعة الإسلامية:ص227 .

محمد الخضر إلى أن الشريعة الإسلامية أولى بتشريع هذه العقوبة " ولا تكون التوراة أحرص على المرأة وحماية الأسرة من الكتاب الحكيم"[1]، كما دلت الأحاديث الصحيحة على تنفيذ هذا الحكم في حياة رسول الله، وفعله الخلفاء من بعده، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "قَالَ عُمَرُ: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ، حَتَّى يَقُولَ قَائِلٌ: لاَ نَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ، أَلاَ وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى وَقَدْ أَحْصَنَ، إِذَا قَامَتِ البَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ الحَبَلُ أَوِ الِاعْتِرَافُ – قَالَ سُفْيَانُ: كَذَا حَفِظْتُ – أَلاَ وَقَدْ «رَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ"[2].

ثم أوصى محمد الخضر حسين كل من أمَّنه الله على أحكامه من أهل العلم أن يصدع بهذه الحقيقة وأن لا يستجيب لمن كان هواه إرضاءَ الغرب تحت حجة ترغيب غير المسلمين في الإقتناع بتعاليم هذا الدين ونفيِ القسوة والغلظة عن أحكامه، فيقول حاضا أهل العلم:"وعلى العالم أن يبين الحقائق التي تلقاها من النبي – صلى الله عليه وسلم –، ومن السلف الصالح، ولا يبالي من يخالفه، ويبتغي بديلاً منها"[3].

فالإسلام بإقامته لهذا النوع من الحدود لا يريد التشفي، أو إيلام النفس أو تشويه الجسد بلا مبرر، وإنما يبتغي تقويم السلوك ، وتهذيب النفوس، وتكفير الذنوب ، وإيجاد المجتمع السليم المتكامل الذي يعيش كل فرد فيه آمنا على نفسه وماله وعرضة[4].

الفرع 2- نسخ آية الميراث: هذه المسألة مبنية على حكم نسخ القرآن الكريم بالسنة النبوية[5]، وفرعوا على هذا الخلاف اشكالا مفاده هل آية الميراث وهي قوله تعالى:﴿كُتِبَ

---

[1]- المصدر نفسه :ص227 .

[2]- صحيح البخاري – باب الإعتراف بالزنا: رقم:6829 .

[3]- دراسات في الشريعة الإسلامية:ص227.

[4]- يوسف ، محمد السيد – منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع ،دار السلام للطباعة والنشر، ط02، مصر- القاهرة ، 1424هـ-2004م:ص458.

[5]- اختلف العلماء في حكم نسخ القرآن الكريم بالسنة النبوية المتواترة فقال بجوازه : المالكية وأصحاب أبي حنيفة وجمهور المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة وحجتهم أن السنة وحي من الله كما أن القرآن كذلك ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ

عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[1] منسوخة بحديث :"إن الله أعطى كل ذي حق حقه، ألا لا وصية لوارث"[2]؟.

وردت هذه الآية في الوصية للوالدين والأقربين، والمعروف عند الأمة منذ عهد السلف أن الوصية لا تصح لوارث، والوالدان لهما نصيب مفروض في المواريث، ومقتضاه: عدم صحة الوصية لهما؟[3]، وقد أجاب عن هذا الإشكال محمد الخضر في تفسيره للآية "بأن فريقاً من أهل العلم – وهم جمهور المفسرين– ذهبوا إلى أن آية الوصية قد نسخ منها حكم الوصية للوارث"[4].

ويتضح وجه النسخ في أن آية المواريث– التي بينت أنصباء الوارثين– نزلت بعد آية الوصية،فقامت مقامها في الوصية للوارث، وهذا الذي ارتضاه منكروا نسخ القرآن للسنة، فرأوا أن الآية نسختها آية في قوتها[5]، لكن محمد عبده نفى أن تكون آية المواريث متأخرة عن آية الوصية فلا دليل على ذلك[6] ، لكننا نرى محمد الخضر حسين لا يكتفي بهذا بل يرى أن حديث لا وصية لوارث ناسخ للآية، وإن كان القائلون بالمنع قديما قالوا بغير هذا حتى قال الغزالي :" وهذا فيه نظر؛

=

إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾:النجم:04. ومنعه، الشافعي وأحمد في إحدى الروايتين عنه وأكثر أهل الظاهر، وحجتهم قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴿٤٤﴾ ﴾،وهذا يفيد أن وظيفة الرسول منحصرة في بيان القرآن، والسنة إن نسخت القرآن لم تكن حينئذ بيانا له بل تكون رافعة إياه. وأن القرآن نفسه هو الذي أثبت أن السنة النبوية حجة فلو نسخته السنة لعادت على نفسها بالإبطال ، ينظر موضوع نسخ القرآن بالسنة وأدلة كل فريق: الرازي، الجصاص– الفصول في الأصول:ج02 ص345 /الزركشي – البحر المحيط في أصول الفقه:ج05 ص261 ومابعدها /مناهل العرفان :ج02 ص237 وما بعدها/مناع القطان – مباحث في علوم القرآن:ص243 ،

[1]–البقرة:180.

[2]– سنن أبي داوود ، عن أبي أمامة ،باب ماجاء في الوصية لوارث ، رقم 2870 – سنن الترمذي، باب ما جاء في الوصية رقم 2120: .

[3]– أسرار التنزيل:ص326 .

[4]– المصدر نفسه: ص326 .

[5]– الحجوي– الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي:ج01 ص93 .

[6]– الأعمال الكاملة للشيخ الإمام محمد عبده:ج04 ص431 .

لأنه – صلى الله عليه وسلم – بين أن آية الميراث نسخت آية الوصية ولم ينسخها هو بنفسه – صلى الله عليه وسلم"[1] ، وجزم الدهلوي بأن حديث "لا وصية لوارث" مبين للنسخ[2].

ومال محمد عبده إلى الجمع بين الآيتين، فقد سبق موقفه من مسألة النسخ، إذ هو من النفاة لهذا الأمر، وحاصل الجمع عنده أن الوصية في آية المواريث مخصوصة بغير الوارث، بأن يخص القريب هنا بالممنوع من الإرث ولو بسبب اختلاف الدين، فإذا أسلم الكافر وحضرته الوفاة ووالداه كافران فله أن يوصي لهما بما يؤلف قلوبهما[3]. فالآية في نظر محمد عبده محكمة غير منسوخة، وهو رأي أورده أيضا محمد الخضر واستدل بقولٍ لأهل العلم على أن المقصود بالوالدين في قوله تعالى: ﴿ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ﴾[4] ، أي الوالدين اللذين لا يرثان لمانع من الإرث؛ كالكفر، والاسترقاق، وقد وقد كانوا حديثي عهد بالإسلام، يسلم الرجل، ولا يسلم أبواه، وقد أوصى الله بالإحسان إليهما[5].

إليهما[5].

وإن كان رأي– محمد الخضر– أمْيلَ إلى القول بأن الحديث ناسخ لآية الوصية، وقد أجاب عن تساؤل قد يورده عليه أصحاب الرأي المخالف وهو: أننا وإن سلمنا بنسخ السنة للقرآن فإن السنة الناسخة هي السنة المتواترة، أما الحديث المشار إليه فهو حديث آحاد فكيف يقوى الآحاد على نسخ المتواتر؟.

جلّى محمد الخضر هذا الإيراد وأجاب عليه بأن: "هذا الحديث – وإن لم يبلغ مبلغ الحديث المتواتر الذي يصح نسخه للقرآن بنفسه– قد امتاز عن بقية أخبار الآحاد بأن الأمة تلقته بالقبول،

---

[1]– المستصفى:ص100 .

[2]– الدهلوي،أحمد بن عبد الرحيم– الفوز الكبير في أصول التفسير ،دار الصحوة – القاهرة، 1407هـ– 1986 م: ص85.

[3]–الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده :ج04 ص431 ..

[4]– البقرة:180 .

[5]– أسرار التنزيل :ص327 .

وأخذوا في العمل به من غير مخالف، فأخذ بهذا قوة الحديث المتواتر في الرواية"[1].

فخلاصة ما ذهب إليه محمد الخضر حسين أن آية الوصية منسوخة بحديث "لا وصية لوارث"، والذي تَقَوَّى وأخذ حكم المتواتر بتلقي الأمة له بالقبول، ونرى تأييده أيضا للقول الذي يجمع بين الآيتين مع العمل بالحديث.

هذه بعض جهود محمد الخضر في علوم القرآن وخدمة القرآن الكريم ولغته، والتي تبين منها اسهامه الكبير ودفاعه الواضح عن القرآن الكريم وعلومه ومسائله التي خاض فيها الخائضون.

[1]- أسرار التنزيل:ص326 .

الفصل الرابع:

تعقبات محمد الخضر حسين لأهل الإلحاد والانحراف في تأويل القرآن

- **المبحث الأول: الانحراف والإلحاد في التأويل في القديم أسبابه ومظاهره**
  - ✓ معنى الانحراف، أسبابه وأصناف المنحرفين في التأويل
  - ✓ موقف محمد الخضر من انحراف المدرسة العقلية القديمة تأويل القرآن
  - ✓ موقف محمد الخضر من إنحراف المدرسة الباطنية القديمة
- **المبحث الثاني: موقف محمد الخضر من الانحراف في التأويل في العصر الحديث**
  - ✓ تأويلات وأباطيل المستشرقين
  - ✓ مطاعن تلامذة المستشرقين في القرآن الكريم
  - ✓ مطاعن وانحرافات المدرسة العقلية الإلحادية الحديثة
- **المبحث الثالث: حركة الطعن في العقائد وأحكام الشريعة**
  - ✓ الطعن في المعجزات
  - ✓ المطاعن في الغيبيات والنبوات
  - ✓ المطاعن في الأحكام والتشريع

سعى أعداء هذا الدين لمحاربته منذ أول لحظة أُمر فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بإعلان دعوته، والجهر بالقرآن الكريم في كل ناد من الأندية، وقد عمل المحادُّون لهذا الدين والمحاربون له على مقاومته بسلاح التضييق على اتباعه من جهة، وسلاح طمسه وتشويهه وتنفير الناس منه من جهة أخرى ، وهذه الأخيرة هي أخطر وسائل محاربة هذا الدين، لأنها توجه إلى الوحيين الكتاب والسنة ، وقد تجند لهذه المهمة فريق ينكر حقائق الشريعة، ويتأول القرآن والحديث النبوي على ما يشتهي.

وقد تحدى القرآن الكريم ولا يزال يتحدى في كل عصر أهلَ البلاغة والفصاحة في آيات متعددة، تارة بأن يأتوا بمثله وأخرى بعشر سور منه وأخيرا بسورة من مثله لكنهم ما أفلحوا ، يضاف إلى ذلك أن القرآن محفوظ بحفظ الله له ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾:الحجر:09.

وقد هيأ الله عز وجل أسباب حفظ القرآن الكريم فحُفظ في الصدور، فكانت قلوب المؤمنين أوعية له، كما حُفظ في السطور ،فجمع في المصاحف ولم تطله يد التحريف أو التبديل والتغيير، لكن أعداء القرآن الكريم بحثوا عن كل وسيلة للنيل منه ، فوجهوا سهامهم صوب فهم نصوص الوحيين قصد إدخال الشك والمفاهيم الخاطئة إلى عقول أتباع هذا الدين .

لكن الله يرد كيد الكائدين فيصطفي من عباده علماءَ أهلَ بصيرة وقدم في العلم راسخة ، فيدفعون عن حياض القرآن الكريم ، ويكتشفون كل شبهة تثار حوله، ومحمد الخضر حسين واحد من هؤلاء المدافعين عن حمى القرآن الذائذين عن أحكامه ، وواحد ممن خاضوا معارك فكرية في عدة جبهات ، فتعقب آراءهم وقاوم إلحادهم في آيات الله وبين انحرافهم ، وسيتبين من هذا الفصل مواقفه وردوده على هؤلاء جميعا.

المبحث الأول: الانحراف والإلحاد في التأويل في القديم والحديث أسبابه ومظاهره :

أنزل الله القرآن الكريم على هذه الأمة لتفهمه وتعمل بما فيه، وأوصاها برد مايشكل عليها إلى أهل الذكر وإلى أولي الأمر من العلماء العارفين باللسان العربي لأنهم -أي العلماء- النور الذي تستضيء به الأمة في حالك ظلمات الجهل والفتن، ولكنْ، ليس كل من يتصدى لبيان مراد الله أهل لذلك، فقد يقول في كتاب الله من لا علم له من أهل الأهواء والنحل ، ينحرف عن التأويل الصحيح ويجانب الصواب.

المطلب الأول: معنى الانحراف، أسبابه وأصناف المنحرفين في التأويل:

الفرع الأول–معنى الانحراف والإلحاد في التأويل :

الانحراف في اللغة :(ح ر ف) : انحرف عن كذا مال عنه ، ويقال المحارف الذي حورف كسبه فميل به عنه كتحريف الكلام يعدل به عن جهته وقوله تعالى ﴿ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ ﴿١٦﴾﴾[1] أي إلا مائلا لأجل القتال لا مائلا هزيمة، وانحرف أي مال وعدل[2].

وقال الليث: التحريف في القرآن تغيير الكلمة عن معناها وهي قريبة الشبه ،كما كانت اليهود تغير معاني التوراة بالأشباه ، فوصفهم الله بفعلهم ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴿٤٦﴾ ﴾[3]. قال وإذا مال إنسان عن شيء يقال تحرف وانحرف واحرورف[4].

---

[1]- الأنفال: 16.

[2]- نشوان بن سعيد الحميرى – شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق : حسين بن عبد الله العمري وآخرين، دار الفكر المعاصر،ط1، بيروت – لبنان ، 1420 هـ – 1999 م :ج3 ص1421.

[3]- النساء :46 .

[4]- الأزهري –تهذيب اللغة:ج5 ص12/ أحمد بن فارس – معجم مقاييس اللغة:ج2 ص42 .

معنى الإلحاد :

لغة: لحد في الدين يلحد، وألحد: مال وعدل. وقيل: لحد، مال وجار، وألحد، مارى وجادل، ولحد إليه وألحد: مال إليه. والتحد إليه: التجأ، ومالي دونك ملتحد.[1]

اصطلاحا: ذكر الطبري في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾[2]، أن أصل الإلحاد في كلام العرب: العدول عن القصد والجور عنه، والإعراض. ثم يستعمل في كل معوج غير مستقيم، ولذلك قيل لِلَحْدِ القبر: "لحد"، لأنه في ناحية منه، وليس في وسطه.[3].

فالإلحاد في أسماء الله : "إما بجحدها وإنكارها، وإما بجحد معانيها وتعطيلها، وإما بتحريفها عن الصواب وإخراجها عن الحق بالتأويلات الباطلة"[4] ،والمراد بالإلحاد هنا : الميل بها عن المقصود منها[5].

الفرع الثاني– أصناف المنحرفين في تأويل كتاب الله وسبيل مواجهتهم ومعالجة أفكارهم.

1.أصناف المنحرفين في تأويل كتاب الله:

مُنِيَ الإسلام منذ زمن بأناس يكيدون له، ويعملون على هدمه بكل ما يستطيعون من وسائل الكيد وطرق الهدم، وكان من أهم الأبواب التى طرقوها ليصلوا منها إلى نياتهم السيئة: تأويلُهم للقرآن الكريم على وجوه غير صحيحة، تتنافى مع ما فى القرآن من هداية .

[1]– المحكم والمحيط الأعظم:ج03 ص261 .

[2]– الأعراف : 180 .

[3]– أبو جعفر الطبري – جامع البيان في تأويل القرآن:ج10 ص598 .

[4]– ابن قيم الجوزية – تفسير القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال، ط1 ، بيروت ،1410 هـ :ص 34.

[5]– القرضاوي –كيف نتعامل مع القرآن : ص294 .

يقول محمد حسين الذهبي:" إن القرآن – على صفائه ونقائه – والسنة – على سلامتها وصحتها – لم يسلما من عبث العابثين، فإذا بالقرآن وقد تسربت إليه أفهام سقيمة ، وشُرِح الكثير من نصوصه بما لا يتفق والغرض الذي نزل من أجله ، وإذا بالسنة وقد تطرق إليها الدخيل، والتبس الصحيح منها بالعليل ، وكان الدافع لهذا كله أغراضا سيئة وأحقادا ملأت قلوب الحانقين على الإسلام والمسلمين"[1].

وإذا كانت الشواهد تشهد بقطعية ثبوت القرآن، وأن إنكار ثبوته لغو لا يقوم على حجة، فإن بغاة الكيد له سلكوا مسلك التأويل الفاسد للنيل منه فقد "كبر على الطائفة التي تظهر الإسلام، وتخفي الإلحاد، أن يعلنوا إنكار القرآن الكريم، وهو الثابت بالتواتر ثبوتًا لا تحوم حوله شبهة، فذهبوا في تأويله مذهبًا يوافق أهواءهم، ويقضي مآربهم، ولو خذلتهم قوانين اللغة، وتبرأت منهم أساليب بلاغتها"[2].

وقد عرض محمد الخضر حسين إلى هذه الطوائف التي تريد ضرب الشرع من طريق التأويل الفاسد وقسمهم إلى صنفين أساسيين حيث يقول: فالزائغون عن الرشد في أوطاننا صنفان:

1 – صنف نشؤوا في بيئات شأنها الطعن في الدين، ولا عمل لها إلا إيراد الشبه مجردة من الحجج التي تدفعها، وتقر الحقائق في مواضعها.

2 – وصنف نشؤوا في معاهد إسلامية، ولكنهم لم يدرسوا الدين دراسة جد وتحقيق تجعلهم في حصانه من أن تأخذهم الشبه، وتخدعهم زخارف الحياة ولم يملكوا من خشية الله تعالى ما يمنعهم أن يقولوا على الله غير الحق"[3].

2.سبل مواجهة الانحراف في تأويل القرآن:

[1]– الذهبي، محمد حسين – الإسرائيليات في التفسير والحديث: ص4، 5 .

[2]– الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان: ص142 .

[3]– محمد الخضر حسين – الدعوة إلى الإصلاح : ص 124 .

لقد تعدد أصناف المنحرفين والملحدين في آيات الله وكثرت شبههم حول القرآن الكريم وقد اقترح محمد الخضر وسائل وطرقا لمعالجة أو مجابهة هذه الأفكار والرد على أصحابها وإزالة تلك الشبه عن عقولهم أولا ثم عن عقول أولئك الذين افتتنوا بتلك الأفكار وأصيبوا بتلك السموم فيرى أن: "تقويم الصنف الأول من الملاحدة أيسر من تقويم الصنف الثاني، إذ الصنف الأول قد يجلس إليك بصفتك داعياً إلى الإصلاح فيصغي إليك عندما تتصدى لدفع شبهة، وإقامة حجة، فإذا بصر بالشبهة ذهبت، وبالحجة أضاءت، لم يلبث أن يجيب دعوتك متأسفاً عما سبق له من الغواية، مغتبطاً بما وفقه الله إليه من هداية"[1].

أما معالجة الصنف الثاني: وهم الذين يلحدون بعد قطع مراحل من التعليم الديني، فيرى محمد الخضر أن إقناعهم صعب و" دعوتهم من ظلمات الزيغ إلى نور الرشد عسيرة إذ يخيل إليهم أنهم عرفوا ما يعرفه الدعاة، ولم يجدوه موصلاً إلى حق، وهذا التخيل يصدهم عن الإصغاء إلى الدعوة، وإذا أصغوا إليها، فإنما يقصدون في غالب أمرهم استكشاف موضع ضعف يهاجمونها منه[2].

ومادام هؤلاء –أصحابُ الصنف الثاني– ينطلقون من خلفية فكرية ولهم سابق معرفة وعلم، فإن إزالة الشبهة عن عقولهم يكون أصعب، وأثرهم في المجتمع يكون كبيرا خاصة إذا كانت لهم ثقة في نفوس الناس :"وهذا الصنف أشد ضرراً على الأمة من الصنف الأول؛ إذ الصنف الأول قد يكون إلحاده مقصوراً عليه، وإن قام بدعاية إلى الإلحاد فإن الناس لا يستمعون إليه؛ إذ هو محمول على الجهل بحقائق الدين وأصوله"[3].

لكن الذي يلبس لبوس أهل الدين – في نظر محمد الخضر– " فكثيراً ما يغرّ الغافلين من الشباب أو العامة؛ إذ يسبق إلى أذهانهم أنه يتكلم على بينة، ولا ينتبهون لما يحمل في صدره من

[1]– الدعوة إلى الإصلاح : ص135 .
[2]– المصدر نفسه: ص135 .
[3]– المصدر نفسه: ص124 .

زيغ، ولا لما يضمر في نفسه من أغراض دنيئة"[1].

لهذا بذل هؤلاء جهودهم في تأويل القرآن الكريم وتفسيره تأويلا فاسدا يتناقض مع قواعد التفسير التي اتفق عليها المفسرون وهؤلاء عَدَّهم محمد الخضر حسين منكرين للقرآن الكريم حتى وإن ادَّعوا أنهم يؤولونه تأويلا صحيحا، قال فيهم :" وربّ تأويل للقرآن لا يزيد على إنكار القرآن، إلا أن أصحابه يسمونه: تأويلاً"[2].

وفي موضع آخر عد :" الإلحاد داعية الفسوق والطغيان"[3].

وهذا المنحى هو الذي نحاه أهل الكتاب من قبل إذ خلطوا الحق بالباطل ،وكلامَ الله بكلام غيره حتى ذمهم الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٤٢﴾﴾[4]، يقول محمد الخضر في تفسيره لهذه الآية : "لَبْس الحق بالباطل: خلطه به، وقد كانت تلك الطائفة تتصرف في بعض نصوص كتابهم بالتأويل الباطل اتباعاً للهوى. وهذا خلط للنص الذي هو حق بالباطل الذي هو التأويل الفاسد"[5].

وقد شاءت إرادة الله وحكمته أن لا يخلو زمان من علماء قائمين لله، مظهرين للحق، ينفون عن دين الله تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين ،"ولولا رجال يدرسون الدين ببصائر تنفذ إلى لبابه، ويرزقون إيماناً يسوقهم إلى دفاع الخبائث عن حياضه، لكان لأولئك المضلين جولةٌ أوسعُ مما جالوا، واستدراج للنفوس أكثر مما استدْرَجوا"[6].

---

[1]- المصدر السابق: 124 ، 125 .

[2]- الشريعة صالحة لكل زمان ومكان : ص 251 .

[3]- محمد الخضر حسين- محمد رسول الله وخاتم النبيئين : ص117 .

[4]- البقرة :42 .

[5]- أسرار التنزيل :ص83 .

[6]- بلاغة القرآن : ص 143 .

وهؤلاء الذين أقامهم الله لهذه المهمة العظيمة الشريفة، مهمة الدفاع عن شريعة الله يصْدُق فيهم قول القائل: "إذا أردت أن تعرف قدرك عنده –أي الله تعالى– فانظر فيما يقيمك "[1].

ولا شك أن محمد الخضر حسينا يعد واحدا ممن أقامهم الله لهذه المهمة الجليلة، وهي الدفاع عن كتاب الله والوقوف في وجه أهل التأويل الفاسد ، فقد التقى في رحلاته أشكالا وأنواعا من الملحدين في كل بلد تطؤه قدماه، وهاهو يتحدث عن تلك اللقاءات فيقول:" ساقتني صروف الليالي إلى ملاقاة طائفة من الملاحدة في تونس، وفي الآستانة، وفي الشام، وفي ألمانيا، وفي مصر، فرأيت هذه الطوائف تتشابه في أمور يبعد أن يكون تواردهم عليها من قبيل المصادفة، وإنما هي طباخ لما تواطأت عليه قلوبهم من جحود لآيات الله، وإنكار لدينه الحنيف"[2] .

وقد تنوعت وتعددت الجبهات التي وجهت سهامها لكتاب الله والتي صدها وكشف عوارها وزَيْفَ آرائها كثيرٌ من العلماء ومنهم محمد الخضر حسين ، بما ألهمه الله من حجج مقنعة وعلم ثاقب وفهم صائب ،يضاف إلى ذلك أدب جم وخلق رفيع في الرد على هؤلاء المؤولين ، وقد كان يوقن أن الإلحاد إذا وقف في وجهه الراسخون في العلم وجندوا أنفسهم لمجابهته بالحجة فإنه سَرعان ما يضمحل ويتلاشى ، يجلي هذه الحقيقة قول الله عز وجل: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾[3] ومن هنا أكد محمد الخضر هذه القناعة وهذا اليقين بقوله :" للإلحاد أن يَمْثُل بين الآراء المتباينة، ريثما تتناوله العقول بالنقد، فإذا وُضع على محك النظر، استبان أنه رأي زائف، منشؤه قلة الروية، والوقوف في البحث عند غاية تتجاوزها العقول وهي مهتدية بنور

[1]– ابن عبّاد – شرح الحكم العطائية ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، ط1 ،1408هـ-1988م : ص249.
[2]– رسائل الإصلاح:ص18 .
[3]– الرعد:17 .

العلم، معتصمة بقانون المنطق"[1].

وقد دعا الأمة إلى الوقوف في وجه الإلحاد حتى لا يصل إلى الناشئة وطلبة العلم، بل ألح على علماء الأمة أن يعطوا جرعات وقائية للأجيال حتى تضمن تحصينهم ووقوفهم ضد كل فكرة، أو شبهة، أو بدعة قد تتسربل في ثوب نصيحة، أو غيرة ،أو تجديد، أو مواكبة للعصر، " وإذا أهملت بلادٌ تربية أبنائها على الدين، باض الإلحاد وأفرخ في أدمغتهم يوم تكون في أيديهم أزمتها، ويا شقاء أمةٍ يتولاها من لا يخاف الله، ولا يتوخى مرضاتَه"[2].

الفرع الثالث: معايير التأويل المحمود

لقد أنزل الله كتابه العزيز على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأوكل إليه مهمة بيانه وشرحه وتفسيره، كلما أشكل على الناس فهمُ بعض آياته، فكان من القرآن ما يشرح بعضه بعضا، كما بينت السنة بعضه وعلم الناس أكثره بحكم أن القرآن نزل على لسانهم :قال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾[3] وقال ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَـزَلَ بِـهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾[4].

وكانت دائرة التفسير تتسع كلما امتد الزمان بالأمة الإسلامية، كما أن تدوين التفسير إنما اقترن بتدوين الحديث فكان يُفرد له باب في كتب الحديث؛ إلى أن استقل وصار علما قائما بذاته وأُفرد له بالتصنيف، فظهرت مصنفات اعتنت بالمأثور.

كما أن عصر تدوين العلوم وترجمةِ الكتب من اللغات الأخرى ككتب الفلسفة وكذا ظهور الفرق الكلامية وتدوين المذاهب الفقهية، أفرز نوعا آخر من التفسير ينطلق في فهم كتاب الله من

[1]- محمد الخضر حسين – محاضرات إسلامية : ص222 .

[2]- محمد الخضر حسين – أحاديث في رحاب الأزهر: ص21 .

[3]- يوسف :02 .

[4]- الشعراء 192-195 .

الرأي وإعمال العقل مع المحافظة على شيء من النقل .

إن معيار الحكم على التفسير بأنه تفسير بالرأي المرفوض المذموم أو المحمود هو مدى مراعاة المفسر لمقاصد الشريعة فالتفسير بالرأي المرفوض هو "القول عن مجرد خاطر دون استناد إلى نظر في أدلة العربية ومقاصدها وتصاريفها وما لابد منه من معرفة الناسخ والمنسوخ وسبب النزول"[1].

وقد نشأ من التفسير بالرأي اتجاهان هما :

أ–الاتجاه المحمود : وهو ما كان جاريا على موافقة كلام العرب، ومناحيهم فى القول، مع موافقة الكتاب والسُنَّة، ومراعاة سائر شروط التفسير.

ب–الاتجاه المذموم الفاسد: غير جار على قوانين العربية، ولا موافق للأدلة الشرعية، ولا مستوف لشرائط التفسير[2] .

وقد بين محمد الخضر حسين أثر الآراء الفاسدة في النفوس وما تتركه من رواسب وخيمةٍ في الأفهام يقول :"فالآراء الفاسدة والشبه المغوية تربي في النفوس الضعيفة أذواقًا سقيمة، ويكون لهذه الأذواق الحكم العاجل، حتى إذا أنكرت حقاً، خُيِّل إلى أصحابها أن إنكارهم صادف محزاً، وظلوا في جهالتهم يتخبطون"[3].

ومن هنا بدأ الخروج عن دائرة الرأى المحمود إلى دائرة الرأى المذموم، واستفحل الأمر إلى حد جعل القوم يسعون فى حماية عقائدهم والترويج لمذاهبهم بما أخرجوه للناس من تفاسير حملوا فيها كلام الله على وفق أهوائهم، ومقتضى نزعاتهم ونحلهم[4].

---

[1]– محمد الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير:ج1 ص30 .

[2]– الذهبي،محمد حسين– التفسير والمفسرون:ج01 ص258 / فضل عباس،ا التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته:ج01 ص196 .

[3]– محمد الخضر حسين – رسائل الإصلاح : ص179 .

[4]– التفسير والمفسرون :ج1 ص 258 .

وبهذه الأهواء أراد كلٌ تطويع نصوص القرآن لتخدم فكرته أو معتقده ، ومن هنا ابتليت الأمة بكثير من الفرق العقدية التي مزقت وحدة الأمة ، ونشرت الفرقة التي كانت سببا رئيسا في استباحة أراضيها وتسلل العدو إلى ديارها ، "وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية. فهل قتل عثمان رضي الله عنه إلا بالتأويل الفاسد! وكذا ما جرى في يوم الجمل، وصفين، ومقتل الحسين رضي الله عنه، والحرة؟ وهل خرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الروافض، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، إلا بالتأويل الفاسد؟ !"[1].

وقد ألقى محمد الخضر حسين باللَّائمة على أهل الإلحاد والذين ظنوا أن مبتغاهم هو الإصلاح والتجديد بينما يظهر لكل ذي بصيرة أنهم هم المفسدون يقول :

ويحَ قَوْمٍ سَحَرَتْ أعْيُنَهُمْ هذه الدُّنيا بِمَرْعاها الوَخِيمِ
غَرِقوا في لَهْوِها واتَّخَذوا مِنْ مُوالاةِ الهوى أشْقى نَديمِ
نكَّروا القُرآنَ بالذَّوْقِ الَّذي يُؤْثِرُ الذَّرَّ على الدُّرِّ اليَتيمِ
دَعَوُا الإلْحادَ إصلاحاً وَهَلْ يَعْرِفُ الإصْلاحَ ذُو ذَوْقٍ سَقيمِ[2]

فأصل التأويل ليس مذموما بل هو مشروع لمن فسر آيات القرآن وفق قواعد التفسير ليتجلى له معناها وينكشف له غطاؤها ، وإن فهم كتاب الله وتفسيره لابد له من قواعد يستند إليها وقانون يسير عليه المفسر، أشار إلى هذه القواعد والأصول وهذا القانون عبارة الزركشي في البرهان: "ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يعول في تفسيره عليه ويرجع في تفسيره إليه من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها وسياقه وظاهره وباطنه

[1]- شرح العقيدة الطحاوية ،ابن أبي العز الحنفي ، ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي،مؤسسة الرسالة، ط10 ، بيروت ، 1417هـ - 1997م: ج 1 ص 208. 209.

[2]- محمد الخضر حسين – ديوان الخواطر: ص194 .

وغير ذلك مما لا يدخل تحت الوهم ويدق عنه الفهم"[1].

فإذا تنكب المفسر قواعد التفسير وغلب هواه وقع لا محالة في التفسير المذموم الذي سببه التكلف الذي لا يستند إلى دليل يؤيده وفي كلا الاتجاهين يقول الطاهر بن عاشور :"وليس طلب تأويله في ذاته بمذمة، بدليل قوله تعالى : ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ.... ٧﴾[2]، وإنما محل الذم أنهم يطلبون تأويلا ليسوا أهلا له فيؤولونه بما يوافق أهواءهم، وهذا ديدن الملاحدة وأهل الأهواء "الذين يتعمدون حمل الناس على متابعتهم تكثيرا لسوادهم"[3].

من كل هذا يتجلى لنا الأسباب التي أوجدت هذا النوع من الانحراف في التأويل والفساد في التفسير، وظهور هذه الإتجاهات وهذه الأنماط من التفسير.

الفرع الرابع: أسباب فساد التأويل بين القديم والحديث:

يرجع الانحراف في تأويل القرآن والإلحاد فيه إلى أسباب عديدة منها:

أولا: سوء الفهم: نعلم أن فهم كتاب الله عز وجل لا يتاح لكل أحد ، فمن كلام الله ما يدرك معناه الجميع ،ومنه ما تعرفه العرب من لغتها ومنه ما لا يدركه إلا العلماء الذين توفرت لهم آلات التفسير قال ابن عباس رضي الله عنه :"أنزل الله القرآن على أربعة أوجه حلال وحرام ووجه لا يسع أحد جهالته ووجه تعرفه العرب ووجه تأويل لا يعلمه إلا الله"[4].

قال محمد الخضر حسين :"وهذا تقسيم للقرآن بحسب انقسام الناس فيه، فمنهم المقصر

[1]- البرهان في علوم القرآن :ج01ص15 .

[2]- آل عمران:07 .

[3]-التحرير والتنوير: ج3 ص162.

[4]- بدر الدين الزركشي – البرهان في علوم القرآن: ج2 ص74 .

الذي لا يعلم إلا البيِّن، ومنهم الفصيح الذي لا يخفى عليه قصد المتكلم من تفسير الألفاظ ومقاطع الكلام، فيختص بمعاني خفية دون الأول"[1].

والراسخون في العلم هم الذين أثنى الله عليهم في كتابه وبين أنهم يعلمون تأويله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ﴿٧﴾﴾ قال ابن عطية: "تسميتهم راسخين تقتضي أنهم يعلمون أكثر من الحكم الذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب، وفي أي شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلمه الجميع؟ وما الرسوخ في العلم إلا المعرفة بتصاريف الكلام بقريحة معدة"[2] فالإيمان الراسخ هو الذي يولد لدى صاحبه خشية تجعله لا يخوض في آيات الله إلا بعلم "فقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ إيحاء إلى أن إيمانهم به هو الذي دعاهم إلى أن يسلكوا في تأويله الطريقة اللائقة به، وفي ذلك تعريض بأن من اتبعوا المتشابه ابتغاء الفتنة، وتأولوه على ما يوافق أهواءهم ليسوا بمؤمنين"[3].

ثانيا:الجهل باللغة العربية و توظيفها في غير محلها: فقد يكون اللفظ موضوعا لمعنى بعينه ولكنه غير مراد في الآية وإنما المراد معنى آخر غير ما وضع له اللفظ بقرينة السياق مثلا ؛ فيخطئ المفسر في تعيين المعنى المراد ، لأنه اكتفى بظاهر اللغة فشرح اللفظ على معناه الوضعي،" وكم من باطل لهج به النّاس، وهو لم ينحدر إلا من تأويل القرآن على خلاف ما تقتضيه قوانين البلاغة العربية"[4]!.

لهذا كانت اللغة العربية تفضح هؤلاء المتأولين حتى وإن تظاهروا بإيمانهم بالقرآن الكريم وأنه كلام الله ، لأن إنكارهم للقرآن سيفضح نياتهم ؛ لكن تأويلهم له تأويلا يناسب أهواءهم قد

[1]- السعادة العظمى: ص12 .

[2]- بن عطية الأندلسي - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:ج1 ص403 .

[3]- محمد الخضر حسين - بلاغة القرآن : ص48 .

[4]- المصدر نفسه : ص206 .

يتسترون وراءه لإخفاء نياتهم السيئة ، وكثيرا ما يتصادم هذا التأويل مع قوانين اللغة العربية التي اختارها الله لتكون لغة آخر كتبه ، ومن هذه الطريق تظهر فضيحتهم، يقول محمد الخضر حسين: " كبر على الطائفة التي تظهر الإسلام، وتخفي الإلحاد، أن يعلنوا إنكار القرآن الكريم، وهو الثابت بالتواتر ثبوتًا لا تحوم حوله شبهة، فذهبوا في تأويله مذهبًا يوافق أهواءهم، ويقضي مآربهم، ولو خذلتهم قوانين اللغة، وتبرأت منهم أساليب بلاغتها "[1].

ومن أمثلة ذلك: تفسير لفظ مبصرة في قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ ﴿٥٩﴾﴾[2] بجعل مبصرة من الإبصار بالعين على أنها حال من الناقة ، وهذا خلاف المراد، إذ المراد : آية واضحة على صدق نبوته[3] .

وهذا الذي ألمح إليه حسين الذهبي حيث أرجع الخطأ في تفسير كتاب الله –خاصة عند أولئك الذين مالوا إلى التفسير بالرأي– أرجعهما إلى عاملين :

1. أن يعتقد المفسر معنى من المعاني ، ثم يريد أن يحمل ألفاظ القرآن على ذلك المعنى الذي يعتقده. وهذا ينطبق على كثير من تفاسير الصوفية والوعاظ الذين يفسرون القرآن بمعان صحيحة في ذاتها ولكنها غير مرادة، كقول صاحب حقائق التنزيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْۖ ﴿٦٦﴾ ﴾[4]

يقول ما نصه: اقتلوا أنفسكم بمخالفة هواها ، أو أخرجوا من دياركم : أي أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم[5] .

---

[1]– محمد الخضر حسين – الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان : ص142 .

[2]– الإسراء:59 .

[3]– حسين الذهبي – الاتجاهات المنحرفة في التفسير : ص 23 ، 24 .

[4]– النساء :66 .

[5]– حسين الذهبي – الاتجاهات المنحرفة في التفسير : ص 20 .

2.أن يفسر القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب، وذلك بدون نظر إلى المتكلم بالقرآن ، والمنزل عليه ، والمخاطب به ." وها هنا قد تزلُّ أقدام بعض الناظرين في عَجَل، أو يفتضح بعض من يكيدون للشريعة من طريق التأويل؛ حيث يعمدون إلى بعض النصوص الشرعية، ويذهبون في تفسيرها مذهباً يخرجون به عن مقاصد الشريعة، أو ينقضون به أصلاً من أصولها"[1].

ومثاله تأويل الزنادقة: حكى محمد بن علي بن رزام الطائي الكوفي قال كنت بمكة حين كان الجنابي- زعيم القرامطة بمكة وهم يقتلون الحُجاج ويقولون أليس قد قال لكم محمد المكي[2] "ومن دخله كان آمنا فأي أمن هنا؟" قال: فقلت له: هذا خرج في صورة الخبر، والمراد به الأمر أي ومن دخله فأمنوه[3]، كقوله: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴿٢٢٨﴾ ﴾[4].

والذين شابهوهم في ذلك كل قوم يجعلون البحث في المتشابه ديدنهم، ويفضون بذلك إلى خلافات وتعصبات، وكل من يتأول المتشابه على هواه، بغير دليل على تأويله مستندٌ إلى دليل واستعمال عربي[5].

ثالثا:نصرة المذهب الفقهي أو الفرقة العقدية :

كلما امتد الزمن بالأمة وكثر الداخلون لهذا الدين كلما اتسعت دائرة الخلاف وظهرت فرق أمعنت في لَـــيِّ نصوص الوحي وحاولت تطويعها لتساير أهواءها، "وَمَا من فرقة إلا وَلها حُجَّة من الْكتاب وَمَا من طَائِفَة إلا وفيها علماء نحارير فضلاء لَهم فِي عقائدهم مصنفات، وَفِي قواعدهم مؤلفات وكل مِنْهُم يؤوِّل دَلِيل صَاحبه على حسب عقيدته ووفق مذْهبه وَمَا مِنْهُم من أحد إلا

[1]- الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان : ص21 .

[2]- يقصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[3]- التحرير والتنوير:ج03 ص 162 .

[4]- البقرة :228 .

[5]- التحرير والتنوير:ج3 ص162..

ويعتقد أنه هُوَ المحق السعيد وأن مخالفه لفي ضلال بعيد (كل حزب بِمَا لديهم فَرِحُونَ)"[1].

وهذا الأمر عده المحققون تحريفا لكتاب الله فقد سلَّم الله كتابه العزيز وحفظه من أن تناله يد التحريف، كإسقاط بعض النصوص ، أو وضع نصوص بدل نصوص كما هو الشأن في ما حدث للكتب السابقة، لكن التحريف الذي هو بمعنى التأويل الباطل نصرة لمذهب ما ؛ لم يسلم منه القرآن الكريم يقول محمد الخضر :" والتحريف بمعنى التأويل الباطل قد ارتكبه طوائف من الجهلة أو الملاحدة في القرآن الكريم، وأما التحريف بمعنى: إسقاط الآية، ووضع كلام بدلها، فقد حفظ الله منه كتابه العزيز[2].﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[3].

فقد فسرت هذه الفرقُ القرآنَ الكريم بأعجب تفسير، يريدون أن يردوه إلى مذاهبهم، ويحملوا التأويل على نحلهم، وهذا لا شك اتباع للهوى وبعد عن الجادة ؛لأن العلماء نصوا على أنه :"يجب على المتصدي لتفسير القرآن الكريم أن يتجرد من الآراء المذهبية ، ويوطن نفسه على تقبل ما تفيده الآية ، وتدل عليه ،ويرجع عما كان يراه أو يعتقده بخلافها ، ولا يجوز له أن يتمحل في تأويل الآية ، ويتطلب الوجوه البعيدة في الإعراب ، أو يحملها على المعاني التي لا تتفق مع سياقها"[4]،وهذا الذي أوجد هذه الاتجاهات المنحرفة في التأويل والتفسير.

رابعا: معاداة الشريعة الإسلامية :

لقد كانت الأقاليم المفتوحة عامرة بالديانات والمذاهب الباطلة، وكان دخول الإسلام فيها على حساب هذه المذاهب والديانات مما أثار بغض أصحاب النفوس الضعيفة من أهل هذه البلاد

---

[1]- أبو العباس بدر الدين الرازيّ - حجج القرآن ، تحقيق: أحمد عمر المحمصاني ،دار الرائد العربي،ط02 ، لبنان، 1402هـ- 1982م:ص04 .

[2]- أسرار التنزيل :ص139 .

[3]- الحجر:09 .

[4]- الغماري ، عبد الله محمد الصديق ، بدع التفاسير ، دار الرشاد الحديثة ، ط2، الدار البيضاء ، المغرب ، 1406هـ- 1986م : ص11.

للإسلام وأهله، فدخلوا فيه ومعهم معتقداتهم الباطلة، وقاموا بنشرها بين صفوف المسلمين بالخداع والتمويه وقد يكون الكاتب نفسه غير مسلم، ولكنه يكتب لتشكيك المسلمين وزعزعة عقيدتهم بوحي من عقيدته الباطلة أو اتجاهه الإلحادي الذي ينكر كل دين"[1].

وبذلك ظهرت الفرق الكلامية المختلفة، كما برز دعاة الباطنية الذين أرادوا القضاء على الإسلام وأهله، ونشأ بسبب ذلك الاختلافُ والتفرقُ بين صفوف الأمة، وكثر الجدل في المسائل الاعتقادية كالكلام في القدر والصحابة ومرتكب الكبيرة، والذات الإلهية وما ينبغي لها من الصفات وسائر الأمور الغيبية، واتهام الشريعة الإسلامية بأنها "خالية من الحكمة وإنما يتمسك بها من لا يزن القول بميزان الحكمة"[2].

فهؤلاء انطلقوا من نفسية وعقيدة معادية للإسلام ، غاظهم أن الإسلام وصل إلى أراضيهم وارتضاه أهل تلك الديار لهم دينا بعدما كانت المجوسية دينَهم ، فآلى –بعض من كان لهم نفوذ ديني وفكري – على نفسه أن يعادي هذا الدين في الباطن وإن كانوا يتظاهرون بزي الإسلام، وهم الذين قال فيهم محمد الخضر حسين :"أما الباطنية: فإنهم يؤولون الشريعة، ويخلونها من الأقوال الحكيمة، وهم طائفة من الفرس، خلا بعضهم لبعض، وقالوا: إن الإسلام انتشر في أوطاننا، وساد على أمتنا، ولقوته لا يمكننا أن نحاربه بالسيف، وإنما نحارب نصوصه، ونزيل حكمته بالتأويل على وجوه لا يقبلها العقل السليم"[3].

وفي موضع آخر يرى أن أعداء الشريعة ينتهجون النهج ذاته وينطلقون من المنطلق نفسه وإن كانت الأشكال تتنوع وتختلف:"من الملاحدة من يدفعه بغض الدين إلى أن يعمل بلسانه أو بقلمه لهدم أصوله والصدّ عن سبيله، ولهؤلاء طرق يأتمرون لتدبيرها، وهي شبيهة بطريق إخوانهم الباطنية وذلك أنهم يبتدئون من يريدون إغواءه بعرض شيء من الشبه في صورة السائل أو الحائر في دفعها،

[1]– فهد الرومي – اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: ص1062.
[2]– دراسات في الشريعة الإسلامية : ص207 .
[3]– المصدر السابق : ص207–208 .

ثم ينظرون إليه ماذا يكون حاله من الاستخفاف بتلك الشبه، أو التأثر بها"[1].

وكان أصحاب العقيدة الصحيحة في صراع مستمر مع هذه الفرق كلها، فقاموا بالرد عليهم، وألفوا الكتب الكثيرة لتوضيح وشرح عقيدة سلف هذه الأمة على ضوء القرآن والسنة، وبذلوا في سبيل ذلك جهوداً مضنية، ولم يسلموا من أذى الناس وتعذيب الحكام.

[1]- رسائل الإصلاح : ص22 .

المطلب الثاني: موقف محمد الخضر من انحرافات المدرسة العقلية القديمة –المعتزلة– في تأويل القرآن:

الفرع الأول: فرقــة المعتزلة

أ– التعريف بهم:

–الاعتزال لغة: مأخوذ من اعتزل الشيء وتعزله بمعنى تنحى عنه، ومنه تعازل القوم بمعنى تنحى بعضهم عن بعض، وكنت بمعزل عن كذا وكذا أي: كنت في موضع عزلة منه، واعتزلت القوم أي فارقتهم، وتنحيت عنهم[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾[2]

أراد إن لم تؤمنوا بي، فلا تكونوا علي ولا معي. ومنه قول الأحوص:

يَــا بيــتَ عاتكــةَ الــذي أتعــزَّلُ حَــذَرَ العِــدَى وبــه الفــؤادُ موكَّــلُ[3]

وعلى ذلك: فالاعتزال معناه: الانفصال والتنحي، والمعتزلة هم المنفصلون.

في الاصطلاح: هو اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني، وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري[4].

---

[1]– مرتضى، الزَّبيدي – تاج العروس من جواهر القاموس: ج29 ص469 / شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم:ج7 ص4527 .

[2]– الدخان :21 .

[3]– البيت من قصيدة للأحوص (عبد الله بن محمد الأنصاري) يمدح بهَا عمر بنَ عبد الْعَزِيز ، ينظر ، عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط:4 ، 1418 هـ – 1997م :ج2 ص49/ أبو بكر الأنباري –الزاهر في معاني كلمات الناس: :ج1 ص30، أبو إبراهيم الفارابي – معجم ديوان الأدب.تحقيق: أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ، 1424 هـ – 2003 م:ج2 ص459.

[4]– علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني– التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، ط1 ، 1403هـ –

قال صاحب القاموس (الفيروز آبادي في تعريفهم) :المعتزلة: من القدرية زعموا أنهم اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم: أهل السنة والخوارج، أو سماهم به الحسن لما اعتزله واصل بن عطاء وأصحابه إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد، وشرع يقرر القول بالمنزلة بين المنزلتين، وأن صاحب الكبيرة لا مؤمن مطلق، ولا كافر مطلق، بل بين المنزلتين، كجماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل"[1].

وقد تتبع العلماء الكاتبون في تاريخ الفرق واستقرَوا عقائد المعتزلة فوجدوها ترتكز على خمس ركائز وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، قال محمد الخضر حسين :" فالأصل الذي قام عليه الاعتزال هو القول بمنزلة بين المنزلتين"[2].

ويتفرع على ما سبق: نَفيُ المعتزلة عَن الله عز وَجل صفاته الأزلية، وقوْلها بِأَنّهُ لَيْس لله عز وجل عِلم وَلَا قدرة وَلَا حياة وَلَا سمع ولا بصر وَلا صفة أزلية، وزادوا على هذا بقولهم: إن الله تعالى لم يكن لَهُ فِي الأزل اسمٌ وَلَا صفة، ومنها قولهم باستحالة رؤية الله عز وجل بالأبصار وزعموا أَنه لَا يرى نفسه ولا يراه غيره، واتّفَاقهم على القوْل بحدوث كلام الله عز وَجل وحدوث أمره ونهيه وَخبره وَكلهمْ يزْعمون أن كلام الله عز وجل حادث[3].

وقد لخص محمد الخضر حسين المرتكزات التي بنى عليها المعتزلة على اختلافهم عقيدتهم في خمسة أصول:

أولها: قولهم: إن الفاسق بمنزلة بين المنزلتين: الإيمان والكفر، وإنه مخلد في النار.

ثانيها: إنكار القدر، وقولهم: إن العبد يخلق أفعاله.

=

1983م :ص :222.

[1]- الفيروزآبادى- القاموس المحيط :ص1031 .

[2]- محمد الخضر حسين – محاضرات إسلامية ، ص 173 .

[3]- الأسفراييني، أبو منصور- الفرق بين الفرق ، دار الآفاق الجديدة ، ، ط2 ، بيروت ، 1977م ،ص94.

ثالثها: قولهم باستحالة رؤية الله بالأبصار.

رابعها: نفيهم عن الله تعالى صفاته الأزلية.

خامسها: قولهم: إن كلام الله حادث[1].

وقد اعتمد المعتزلة على تأويلات فاسدة وآراء شاذة لنصرة عقائدهم .

الفرع الثاني: مواقف المعتزلة :

أولا: موقفهم من القرآن وتفسيره:

ذهبت المعتزلة إلى أن القرآن الكريم مخلوق، ومن أبرز علمائهم القائلين بهذا الرأي "جار الله الزمخشري" يقول في مقدمة كتابه الكشاف عن حقائق التنزيل : "الحمد للَّه الذي أنزل القرآن كلاما مؤلفاً منظما ، وفصله سوراً وسوّره آيات،وميز بينهنّ بفصول وغايات، وما هي إلا صفات مبتدئ مبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان من استأثر بالأوّلية والقدم، ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم"[2].

وقال في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[3] ، لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه، وفيهم العرب العاربة أرباب البيان لعجزوا عن الإتيان بمثله، والعجب من النوابت ومن زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز"[4].

وقَال النظام منهم ليس في نظم كَلَام الله سبحانه إعجاز كما ليس فى نظم كَلَام الْعباد

[1]- محمد الخضر حسين – محاضرات اسلامية :ص173 ،174 .

[2]- الزمخشري – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. دار الكتاب العربي،ط03 ، بيروت ،1407 هـ:ج1 ص1.

[3]- الاسراء :88

[4]- المرجع السابق :ج2 ص692 .

اعجاز وَزعم أَكثر الْمعتزلة أن الزنج وَالتّرْك قادرون على الاتيان بِمثل نظم الْقُرْآن وَبِمَا هو افصح منه وإنما عدموا الْعلم بتأليف نظمه وَذلك العلم مِمَّا يصح أن يكون مقدورا لَهُم[1].

وقد رد ابن حزم على هذه المقالات وبين تهافتها وضعف حجة قائليها مستدلا على ما يقول بالقرآن الكريم فقد قال في هذا الشأن :"إن قول الْقائل: الْقرآن وَقَوله كلام الله، كلاهما معنى وَاحِد واللفظان مختلفان والقرآن هو كلام الله عز وجل على الحقيقة بلا مجاز، ونكفر من لم يقل ذلك ونقول أن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن الذي هو كلام الله تعالى على الحقيقة على قلب محمد صلى الله عليه وسلم"[2] واستدل لرأيه بقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[3].

ويرى محمد الخضر حسين أن من الأسباب التي جنحت بالمعتزلة إلى التأويلات الفاسدة هو: ولعهم بالفلسفة التي جعلوها وسيلة لمناظرة المخالفين وهذا الذي أدى بهم إلى إنكار المعجزات بدعوى أنها تخالف العقل، هذا العقل الذي مجَّدوه كثيرا حتى جعلوه هو الحاكمَ على النصوص قبولا أو ردا وإليه يرجع التحسين و التقبيح.

قال محمد الخضر:" دراسة المعتزلة للفلسفة أفادت في ردهم على بعض الفلاسفة والملاحدة، ولكن انحرفت ببعض آرائهم عن قصد السبيل، فتعسفوا في تأويل نصوص من الكتاب والسنّة؛ ظنًا منهم أن الفلسفة تتعاصى عن قبول ما تدل عليه هذه النصوص"[4].

كان بعض المعتزلة ينكرون المعجزات المخالفة لما وصل إليه العلم في وقتهم؛ كما أنكر بعضهم الإسراء بالجسد الذي صرح به القرآن في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ

---

[1]- الفرق بين الفرق : ص218 .

[2]- الفِصل في الملل والأهواء والنحل :ج3 ص5 .

[3]- الشعراء :193-194.

[4]- محمد الخضر حسين تراجم الرجال : ص93 .

ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[1] . وقد أورد محمد الخضر شبهتهم في إنكار معجزة الإسراء والمعراج حيث قالوا: إن قطع الجسد للمسافة التي بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى لا يمكن في ليلة أو بعض ليلة، وبين محمد الخضر الجواب عن هذه الشبهة وكيف دفعها العلماء" ودفع العلماءُ هذا الاستشكال بشعاع الشمس الذي يخرج منها، ويقطع الكثير من الأميال في وقت قريب ولكن العلم بالطائرات دل على أن الجسم يقطع المسافة الطويلة في وقت قريب[2].

ثانيا: موقفهم من آيات الرؤية لله عز وجل في الآخرة :

من عقائد المعتزلة التي نافحوا عنها وأكثروا التدليل عليها إنكارهم رؤية الله عز وجل وتأولوا النصوص التي صرحت بجواز الرؤية بعدة تأويلات وتكلفوا لها عدة حجج ، فقد احتجت المعتزلة بقول الله عز وجل : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴿١٠٣﴾﴾[3].

ولقد بين ابن حزم حجة أهل السنة والجماعة التي اعتمدوها في جواز الرؤية وهي آية من القرآن الكريم حيث قال :" والحجة لقولنا هو قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[4]

واعترض بعض المعتزلة –وهو أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي– فقال: إن "إلى" ها هنا ليست حرف جر، لكنها اسم، وهي واحدة الآلاء وهي النعم، فهي في موضع مفعول ومعناه نعمَ ربها منتظرة ، وذهب الزمخشري إلى أن تفسير هذه الآية : تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره فإنّ المؤمنين نظارة ذلك اليوم لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم

[1]– الاسراء :01 .

[2]– محمد الخضر حسين – دراسات في الشريعة الإسلامية : ص124 .

[3]– الأنعام :103 .

[4]– القيامة:22-23.

إليه لو كان منظورا إليه: محال، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بى، تريد معنى التوقع والرجاء[1].

وهذا المعنى والتوجيه في فهم الآية رده ابن القيم بقوله :" يستحيل فيها تأويل النظر بانتظار الثواب فإنه أضاف النظر إلى الوجوه التي هي محله وعدّاه بحرف "إلى" التي إذا اتصل بها فعل النظر كان من نظر العين ليس إلا"[2] ،أمّا ما التبس عليهم من فهم معنى النضرة في قوله تعالى : ﴿نَّاضِرَةٌ۝٢٢ ﴾[3] فقد وضحه وكشف لَبسه بقوله :" ووصف الوجوه بالنضرة التي لا تحصل إلا مع حضور ما يتنعم به لا مع التنغيص بانتظاره ويستحيل مع هذا التركيب تأويل النظر بغير الرؤية[4]، وإن كان النظر بمعنى الانتظار قد استعمل في قوله تعالى:﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ۝١٣﴾[5]. وقوله تعالى: ﴿ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٣٥﴾[6] ، والرؤية إذا أطلقت إطلاقا ومثلت برؤية العيان لم يكن معناها إلا رؤية العيان"[7].

وقد بحث هذا الموضوعَ محمد الخضر حسين وذلك في تفسيره لقوله عز وجل: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝٥٥﴾[8]، حيث عرض لإشكال يمكن أن ينقدح في ذهن التالي لهذه الآية، ويفهم أن هؤلاء عوقبوا

---

[1]- الزمخشري – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : ج4 ص 662 .

[2]- ابن قيم الجوزية – الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة ، تحقيق : علي بن محمد الدخيل ، دار العاصمة، ط1، الرياض، المملكة العربية السعودية ، 1408هـ:ج1 ص194.

[3]- القيامة :22 .

[4]- المرجع نفسه :ج1 ص194.

[5]- الحديد :13.

[6] - النمل:35 .

[7]- الأشعري، أبو الحسن- الإبانة عن أصول الديانة ، تحقيق : فوقية حسين محمود ، دار الأنصار، ط1، القاهرة ، 1397هـ: ص49.

[8]- البقرة :55 .

لأجل طلب الرؤية، فيستلزم من ذلك أن الأمر مستحيل، قال في تفسير هذه الآية :"وقد يخطر على البال أنَّ هذه الآية تصلح لأن تكون دليلاً على عدم صحة رؤية الله بالعين الباصرة يوم القيامة؛ فإن الذين طلبوها سلط الله عليهم الصاعقة؛ كما سلط على عَبَدَةِ العجلِ القتل"[1].

ثم بين كيف يدفع هذا الخاطر ويزال هذا الوهم :"بأن موسى – عليه السلام – قد علم أن رؤية الله ممكنة، فطلبها؛ كما جاء في سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ١٤٣ ﴾[2]، وأعلمه الله أن رؤيته في الدنيا بالأبصار لا تقع، وصار هذا أصلاً معروفاً عنده وعند قومه، ولكن بني إسرائيل سألوا الرؤية بالأبصار بعد علمهم بذلك تعنتاً، أو لشك خالجهم، فأخذهم الله بالصاعقة وهم ينظرون؛ عقوبةً لهم على ما سألوا"[3].

ثم دلّلَ محمد الخضر لهذا بما ورد من آيات في مواضع من كتاب الله فقال :" وورد في الكتاب المجيد آيات تدل على أنه تعالى يُرى يوم القيامة؛ كقوله تعالى : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ ﴾[4].

وورد أيضاً من الآيات ما يدل بظاهره على نفيها، ولكن الآيات المثبتة تأيدت بأحاديث صحيحة، فوجب المصير إليها، وفهمُ الآيات الأخرى على وجه يوافق الآيات المؤيَّدة بالأحاديث الصحيحة الصريحة[5].

كما استدل[6] بالحديث الصريح الذي صرح بثبوب رؤية المؤمنين لله عز وجل جاء في قوله – صلى الله عليه وسلم – حين سئل عن رؤية الله يوم القيامة: "هل تضامون في رؤية الشمس صحواً

---

[1]– أسرار التنزيل: ص105 .

[2]– الأعراف:143 .

[3]– أسرار التنزيل: ص105 .

[4]– القيامة:22-23 .

[5]– محمد الخضر حسين – أسرار التنزيل : ص 105-106.

[6]– محمد رسول الله وخاتم النبيين : ص256 .

في الظهيرة ليس دونها سحاب؟)، قالوا: لا، فقال: "هل تضامون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس دونه سحاب؟ "، قالوا: لا، قال: "فإنكم ترونه كذلك"[1].

وفيه رد على المعتزلة في إحالتهم رؤية الباري سبحانه، ويروى (بتشديد الراء وبتخفيفها) فالتخفيف مأخوذ من الضير، ، والمعنى: لا يخالف بعضكم بعضا ولا تتنازعون، وأما من روى: لا تضامُّون (بالميم وتشديدها) فمعناه: لا ينضم بعضكم إلى بعض في وقت النظر كما تفعلون بالهلال. ومن رواه (بتخفيف الميم) فمعناه لا ينالكم ضيم في رؤيته، فيراه بعض دون بعض، بل تستوون في الرؤية[2].

[1]- مسلم بن الحجاج -المسند الصحيح،باب معرفة طريق الرؤية : رقم299 .

[2]- أبو عبد الله المازري ،المعْلم بفوائد مسلم ، تحقيق : محمد الشاذلي النيفر، الدارالتونسية للنشر، ط2 ،1988م، تونس:ج1 ص337 / النووي، يحي بن شرف- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج :ج03 ص18.

المطلب الثالث: موقف محمد الخضر من انحراف المدرسة الباطنية القديمة في تأويل القرآن.

الفرع الأول: فِــرَق الباطنية

تعريف فرقة الباطنية: قوم رفضوا الأخذ بظاهر القرآن وقالوا للقرآن ظاهر وباطن والمراد منه باطنه دون ظاهره[1] ويستدلون بقوله تعالى: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾[2].

وهم فرق متعددة:

1. – القرامطة: نسبة إلى حمدان قرمط إحدى قرى واسط وهو الذي تزعمهم فيما ذهبوا إليه" ومنه أخذ الباطنية لقب (القرامطة)"[3].

2 . – الإسماعيلية: نسبة إلى إسماعيل أكبر أولاد جعفر الصادق وذلك لأنهم كانوا يعتقدون الإمامة فيه وقيل إنهم سموا إسماعيلية لانتسابهم إلى محمد بن إسماعيل.

3. – السبعية: نسبة إلى عدد السبعة ذلك لأنهم يعتقدون أن في كل سبعة إماما يقتدى به.

4. – الحرمية نسبة إلى الحرمة وذلك لأنهم يستبيحون الحرمات.

5. – البابكية نسبة إلى زعيمهم بابك الخرمي الذي خرج بأذربيجان.

---

[1]– أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، فضائح الباطنية، المحقق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، دط ، الكويت، د س ط:ص11.

[2]– الحديد :13 .

[3]– محمد الخضر حسين – تراجم الرجال :ص91 .

6 – المحمرة سموا بذلك للبسهم الحمرة[1].

ولكل لقب سبب؛ أما الباطنية: فإنما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جلية وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة[2]. ، وهم المرادون بقوله تعالى: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴿١٥٧﴾ ﴾[3].

ذكر أَصْحَاب التواريخ أَن دَعْوَة الباطنية ظَهرت أَولا فى زمَان الْمَأْمُون وانتشرت فى زمَان المعتصم[4]، وشعارهم الظاهر الرفض وباطن أَمرهم الزندقة والانحلال وَكَانَ من أعظم مَا بِهِ دخل هَؤُلَاءِ على المفسدين وأفسدوا الدّين هُوَ طرِيق الشيعة[5] .

وتفاسير الباطنية أشد بعدا عن النسق القرآني من تفاسير التصوف والتفاسير الإشارية، وإن كانت تشترك جميعا في مخالفة ظاهر القرآن واستلهام معان ما أنزل الله بها من سلطان[6].

الفرع الثاني: حكم تفسير الباطنية :

أجمع علماء الأمة سلفها وخلفها على بطلان تفاسير الباطنية، لأنها تقوم على كل ما يناقض الشريعة، بل هي تفاسير وتأويلات تهدم الشريعة، لذا وقف لها العلماء وبينوا زيفها وربما تسترت هذه التفاسير وتسربلت بلباس التصوف زورا لتمر منه إلى مبتغاها، "وهذا مدخل واسع للهدامين

[1]– محمد عبد العظيم الزُّرْقاني– مناهل العرفان ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط03 ، مصر، د س ط: ج2 ص75.

[2]– أبو حامد محمد بن محمد الغزالي – فضائح الباطنية :ص11 .

[3]– الأعراف:157 .

[4]– الأسفراييني، أبو منصور– الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية : ص268 .

[5]– شمس الدين الذهبي – المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال :ص504–505 .

[6]– الأسفراييني، أبو منصور – الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية : ص268 .

صبحي الصالح – مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ،ط24 ،بيروت، 2000 :ص297.

الذين أرادوا الكيد للإسلام وأمته بدعوى أن لكل ظاهر باطنا هو المقصود"[1].

يقول محمد الخضر:" يعمل الملاحدة لطرح السنَّة من أصول الدين، ثم يعمدون إلى القرآن المجيد، فيحرفون الآيات الحكيمة عن معانيها، ويفسرونها كما يشتهون؛ ليتم لهم بهذا التأويل تعطيل أوامر الدين ونواهيه، وذلك ما فعله الباطنية من قبل، وجرى فيه على آثارهم باطنية أهل هذا العصر؛ مثل: البهائية، والقاديانية، وأشخاص يطوون صدورهم على جحود غير قليل[2].

وترجع أسباب رد هذه التفاسير إلى ما يلي :

أ- أنها تفاسير تقوم على عقيدة التحلل من التكاليف الشرعية، والرفض للشرائع والأحكام من حيث الحقيقة والواقع. وفي هذا نقض بناء الشريعة، وحل عرى الإسلام.

ب- فضلا عن كون تفسيرها غريبا عن معاني الكلمات والجمل في اللغة العربية. وفي ذلك مخالفة صريحة لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾[3].

ج- أنها تفاسير تجعل القرآن ملهاة، يفسره كل مفسر بما شاء له ضلالُه وهواه.

هـ- أنها تفك عقد المسلمين، وتفرّق جماعتهم، من جراء فقدان ضوابط تفسير القرآن الكريم[4].

وقد بين محمد الخضر حسين مقاصد هؤلاء في تأويل كتاب الله عز وجل فتفاسيرهم تنبئ عن حقد دفين وضغينة لأهل الإسلام :" من هذه الفرق: فرقة يؤولون القرآن والسنّة على غير ما يراد

[1]- يوسف القرضاوي -كيف نتعامل مع القرآن العظيم :ص294 .
[2]- رسائل الإصلاح : ص21 .
[3]- يوسف:02 .
[4]- الواضح في علوم القرآن :ص239 .

منهما؛ مكرًا بالدين، وصرفًا للناس عن هدايته، وهم الباطنية"[1].

وإذا كان أتباع الباطنية قد خرجوا من عباءة التشيع فإنه لا يستغرب منهم تأويل النصوص القرآنية مع ما يتماشى وأهواء الشيعة من التعصب لآل البيت، ونسبة العصمة للأئمة الاثني عشرة، وغير ذلك من أفكار الشيعة، فمن تأويلاتهم الفاسدة والتي سجلها محمد الخضر حسين ثم فندها: " القول؛ بأن أقارب النبي – صلى الله عليه وسلم – لا يعذبون على المعاصي، فيعتقد في كل مؤمن منهم مات وهو يعمل بالمعصية: أنه لا يلحق به الوعيد في الآخرة، واستدلوا على هذا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[2] ؛ فإنه علق تطهيرهم وذهاب الرجس عنهم بالإرادة التي لا تتبدل أحكامها[3].

ثم يجيب محمد الخضر ويرد على هذا التأويل الفاسد بأن :"هذا المذهب لا ينتظم مع قاعدة أهل السنّة من أن أمر العصاة موكول إلى المشيئة، ولا أراه إلا مختلقاً على من نسب إليه، ثم إن فهم الآية على ما قرره غير متعين ولا هو ظاهر فإن المراد من آل البيت: علي وفاطمة وابناهما الحسن والحسين – رضي الله عنهم – كما عزاه ابن عطية للجمهور أو المراد – أزواجه عليه السلام –، وهؤلاء الأربعة ورجحه ابن عطية من عند نفسه[4].

وعلى فرض أن يحمل آل البيت على الأشراف ما امتدت فروعهم في الإسلام فإن الإرادة في الآية واردة بمعنى الأمر كما فسرها بذلك أبو إسحاق الشاطبي في "موافقاته"، وهي تستلزم المحبة والرضا بالمراد، لا وجوبه ووقوعه، ويكون سوقها في حقهم خاصة مع أن الله يحب ويرضى ذهاب الرجس عن غيرهم؛ للإيذان بأن حكم الآل حكم غيرهم في استقباح المعاصي منهم، وارادة

---

[1]– تراجم الرجال :ص91 .

[2]– الأحزاب :33 .

[3]– الدعوة إلى الاصلاح :ص264 .

[4]– ينظر تفصيل المسألة: ابن عطية،أبو محمد عبد الحق– المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ،ب ط01 ،يروت، 1422 هـ:ج04 ص384.

تطهيرهم من آثامها؛ لئلا يتوهم أن قرابتهم من "أكمل الخليقة" تقوم مقام الأعمال الصالحة، وتجعلهم بحيث لا تستقبح منهم الفحشاء ولا تكتب في صحائفهم الأوزار"[1].

لقد كان موقف محمد الخضر حسين صارما وقويا في الرد على تفسير الباطنية وعدهم من الزنادقة واعتبر تأويلاتهم الفاسدة ذريعة يتذرعون بها لقضاء مآربهم ونشر أفكارهم المعاديةِ للإسلام قال في شأنهم :"وإذا أساء قوم تأويل القرآن على جهالة، فلا ننسى أن طائفة من الزنادقة اتخذوا هذا المسلك في التفسير ذريعة إلى قضاء بعض ما في نفوسهم؛ ليحرفوا كلم الله عن مواضعه، ومن المدبرين لهذه المكيدة: الطائفة التي يسمونها: الباطنية[2] .

ثم استدل محمد الخضر على أصل دعوتهم بما ذكره "عضد الدين الإيجي" في كتاب المواقف: "أن طائفة من المجوس راموا عند شوكة الإسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود إلى قواعد أسلافهم وذلك أنهم اجتمعوا، فتذاكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك وقالوا: لا سبيل لنا إلى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم، واستيلائهم على الممالك، لكنا نحتال بتأويل شرائعهم إلى ما يعود إلى قواعدنا، ونستدرج الضعفاء منهم؛ فإن ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم"[3].

وقد أَلَّفت الباطنية ما يسمى برسائل "إخوان الصفا"[4]، وإن كان العلماء اختلفوا في من ألف هذه الرسائل حيث ذكر صاحب كشف الظنون :"أنها لمحمد بن نصر البستي المعروف بالمقدسي وجماعة وصفهم بأنهم حكماء اجتمعوا، وصنفوا: إحدى وخمسين رسالة"[5]، ويرى مصطفى حسيبة

---

[1]- الدعوة إلى الاصلاح :ص 264-265 .

[2]- محمد الخضر حسين – محاضرات إسلامية : ص95 .

[3]- عضد الدين الإيجي –كتاب المواقف ،تحقيق : د.عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل،ب ط1 ،يروت ، 1997م :ج3 ص686.

[4]- هم جماعة من فلاسفة المسلمين من أهل القرن الثالث بالبصرة اتحدوا على أن يوفقوا بين العقائد الإسلامية والحقائق الفلسفية المعروفة في ذلك العهد فكتبوا في ذلك خمسين مقالة سموها"تحفة إخوان الصفا" ينظر: مصطفى حسيبة ، المعجم الفلسفي : دار أسامة للنشر والتوزيع،ط01، الأردن ،عمان،2009م : ص42 .

[5]- حاجي خليفة –كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:ج1 ص902 .

أن مؤلفها هو "الحكيم المجريطي القرطبي "ت (395هـ)[1] حوت هذه الرسائل فكر الباطنية ومذهبهم كما أنها امتلأت بالكثير من أفكار الفلاسفة فقد قال مؤلفوها :"الشريعة قد دنّست بالجهالات، واختلطت بالضّلالات، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة، وذلك لأنّها حاوية للحكمة الاعتقاديّة، والمصلحة الاجتهاديّة"[2].

لهذا وصف حاجي خليفة مؤلفيها بالحكماء، لما بثوه فيها من مفاهيم فلسفية كشرحهم لمسألة خروج الروح ، وكتفسيرهم للشياطين بأنها النفوس البشرية الشريرة وغير ذلك[3] " وهي أصل مذهب القرامطة وربما نسبوها إلى "جعفر الصادق" ترويجاً وقد صنفت بعد المائة الثالثة في دولة بني بويه"[4] ،يقول ابن تيمية حتى إن كل من أراد أن ينفق أكاذيبه نسبها إلى جعفر، حتى إن طائفة من الناس يظنون أن " رسائل إخوان الصفا " مأخوذة عنه، وهذا من الكذب المعلوم، فإن جعفرا توفي سنة ثمان وأربعين ومائة، وهذه الرسائل وضعت بعد ذلك بنحو مائتي سنة، وضعت لما ظهرت دولة الإسماعيلية الباطنية"[5].

وقدأكد وجزم محمد الخضر حسين أنها من تصانيف ومؤلفات الشيعة وأنها تضم في ثناياها تأويلات منحرفة هي من مسلك تأويل الباطنية، واستدل لذلك بأدلة نراها في قوله :"ويدلك على أن مؤلفيها من الشيعة الباطنية كثرة تملقهم لقارئ رسائلهم بمدحه، والدعاء له، وتظاهرهم بشدة الخضوع لله، والتقوى، ويدمجون في أثناء ذلك الاستشهاد بالآيات على ما يشاؤون، ويحرفونها تارة عن مواضعها؛ كتأويلهم في الجزء الأول من "الرسالة الجامعة" لقوله تعالى: ﴿ فَقِنَا عَذَابَ

[1]- مصطفى حسيبة ، المعجم الفلسفي: ص42 .

[2]- أبو حيان التوحيدي – الإمتاع والمؤانسة ، المكتبة العصرية ، ط1، بيروت ، 1424 هـ : ص163.

[3]- ينظر لبعض تفسيراتهم : التفسير والمفسرون: ج2 ص312 .

[4]- نعمان بن محمود الآلوسي – جلاء العينين في محاكمة الأحمدين. مطبعة المدني، 1401 هـ -1981 م:ج1 ص161.

[5]- ابن تيمية – منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، نشر: جامعة محمد بن سعود الإسلامية ،ط1 ،السعودية، 1406 هـ - 1986 م:ج4 ص55.

ٱلنَّارِ﴿١٩١﴾[1] يعني: عذاب الشك في الدين"[2].

ثم كشف تزييفهم وسوء فهمهم للآية وغرورهم بأن "أظهروا بهذا التأويل أنهم على اعتقاد في الدين متين، ولم ينظروا إلى ما يقتضيه لفظ القرآن من أن المراد من عذاب النار: عذاب الحريق، ولهذه التأويلات لهم لم تَرُج بضاعتهم عند من يؤمن بأن القرآن من عند الله العزيز الحكيم"[3].

وقد عرض "أبو حيان التوحيدي" هذه الرسائل على شيخه أبي سليمان المنطقي السجستاني (محمد بن بهرام)[4] فنظر فيها أياما واختبرها طويلا ثم أبدى رأيه فيها وفي مؤلفيها فقال:" تعبوا وما أغنوا، ونصبوا وما أجدوا، وحاموا وما وردوا، وغنّوا وما أطربوا ونسجوا فهلهلوا[5]، ومشطوا ففلفلوا[6]، ففلفلوا[6]، ظنّ ما لا يكون ولا يمكن ولا يستطاع، ظنّوا أنهم يمكنهم أن يدسّوا الفلسفة- في الشريعة، وأن يضمّوا الشريعة للفلسفة، وهذا مرام دونه حدد[7]"[8].

---

[1]- آل عمران:191.

[2]- محمد الخضر حسين -هدى ونور : ص 78 .

[3]- المصدر نفسه :ص 78 .

[4]- أبو سليمان المنطقي محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني :كان فاضلا في العلوم الحكمية متقنا لها مطلعا على دقائقها ، عالم بالحكمة والفلسفة والمنطق.من أهل سجستان سكن بغداد له تصانيف، منها رسالة في (مراتب قوى الإنسان) ورسالة في (المحرك الأول) ورسالة في (اقتصاص طرق الفضائل) وكتاب (صوان الحكمة) و (شرح كتاب أرسطو) توفي نحو 380 هـ- 990 م .ينظر ترجمته : خير الدين الزركلي – الأعلام:ج6 ص171 / صلاح الدين الصفدي- الوافي بالوفيات : ج3 ص138.

[5]- هلهل: من الهلهلة وهو ترك إحكام الصنعة، ثوب هلهل وهلهال وهلاهل إذا كان رقيقا.قال النابغة : أتاكَ بقولٍ هَلْهَلٍ النَّسْجِ كاذباً ... ولم يأتِك الحقُّ الَّذي هو ساطِعُ ، ابن دريد - جمهرة اللغة :ج1 ص223 .
أحمد مختار - معجم اللغة العربية المعاصرة :ج3 2362 / إسحاق بن إبراهيم الفارابي - معجم ديوان الأدب:ج3 ص101.

[6]- فلفل شعره: جعله مجعَّدًا "ذات شعر مفلفل وتفلفل شعر الأسود اشتدت جعودته ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ،تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط1، 1421 هـ - 2000 م: ج10 ص365 / معجم اللغة العربية المعاصرة:ج3 ص1740 /ابن دريد - جمهرة اللغة : ج1 ص218 .

[7]- يقال: هذا أمر حدد أي ممتنع. ودعوة حدد أي مردودة لا تجاب.ينظر:جمهرة اللغة:ج01 ص95 / الصحاح تاج اللغة:ج02 ص462.

[8]- الإمتاع والمؤانسة :ص164 .

فهذه تأويلات بعض أهل الزيغ من الفرق التي ظهرت في تاريخ الإسلام واتخذت من التأويل الفاسد وسيلة لإغواء العامة بتبني أفكارها، وهذه بعض مواقف العلماء في القديم والحديث من تأويلاتهم والتي كان لمحمد الخضر نصيب كبير في تلك الردود وذلك الدفاع عن حمى الشريعة بالفهم الصحيح لما جاء في كتاب الله.

الفرع الثالث: الفرق بين تأويل الباطنية وتأويل المتصوفة:

التفسير الفيضى أو الإشارى: هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظاهر المرادة[1].

ويرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفى نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات هذه الإشارات القدسية، وتنهل على قلبه من سُحُب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية[2].

وقد اختلف العلماء في التفسير المذكور فمنهم من أجازه ومنهم من منعه وإليك شيئا من أقوال العلماء لتعرف وجه الحق في ذلك:

قال الزركشي في البرهان كلام الصوفية في تفسير القرآن قيل إنه ليس بتفسير وإنما هو معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة كقول بعضهم في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[3]

إن المراد ب-﴿ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ - النفس، يريدون أن علة الأمر بقتال من يلينا

[1]- مناهل العرفان:ج01 ص22 .

[2]- التفسير والمفسرون : ج2 261 / ممناهل العرفان في علوم القرآن :ج 2 ص 78.

[3]- التوبة:123 .

هي القرب وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه[1].

هذا التفسير الإشاري إذا أوغل في الإشارات الخفية صار ضربًا من التجهيل، ولكنه إذا كان استنباطًا حسنًا يوافق مقتضى ظاهر العربية وكان له شاهد يشهد لصحته من غير معارض، فإنه يكون مقبولًا[2].

ومن ذلك ما رُوِي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنه قال: "كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر: فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لِمَ تُدخِل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه مَن حيث علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم. فما رُئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ ﴾[3]؟ فقال بعضهم: أُمِرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذلك تقول يابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجَلُ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أعلمه له، قال: : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾[4] ، وذلك علامة أجلك،﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾[5] فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول"[6].

ومن هنا نجد محمد الخضر حسينا ينفي المساواة بين التفسير الإشاري وتفاسير الباطنية، وإن كان بعض أتباع الطرق الصوفية الذين لا حظ لهم من العلم ربما شطحت أفكارهم ووقعوا في المحظور الذي وقعت فيه الباطنية .

يقول محمد الخضر حسين:" إن أصحاب الإشارات" غيرُ من يسمونهم" الباطنية"، فالباطنية

---

[1]– البرهان في علوم القرآن: ج2 ص170.

[2]– مناع بن خليل القطان – مباحث في علوم :ص 362 .

[3]– النصر:01 .

[4]– النصر:01 .

[5]– النصر:03 .

[6]– رواه البخاري– باب التفسير: ج6 ص221.

يصرفون الآية عن معناها المنقول أو المعقول إلى ما يوافق بغيتهم، بدعوى أن هذا هو مراد الله دون ما سواه[1].

ثم استدل بقول أبي بكر بن العربي في كتابه" العواصم والقواصم:" جاءوا بألفاظ الشريعة من بابها، وأقروها على نصابها .. لكنهم زعموا أن وراءها معانيَ غامضة خفية وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ، فعبروا إليها بالفكر، واعتبروا منها في سبيل الذكر"[2].

يضيف محمد الخضر للفرق بين أصحاب الإشارات وأهل التصوف أن "أصحاب الإشارات لا ينفون- كما ينفي الباطنية وأذنابهم- المعنى الذي يدل عليه اللفظ العربي من نحو الأحكام والقصص والمعجزات، وإنما يقولون: إنهم يستفيدون من وراء تلك المعاني، وعلى طريق الاعتبار معاني فيها موعظة وذكرى"[3].

وإن كان محمد الخضر يميل إلى الرأي الذي يرى أنه ما كان ينبغي لهؤلاء أن يلصقوا هذه الأذواق والمعاني بكتاب الله "فإن ما جاء في صريح القرآن والسنة من مواعظ وحكم يغني عن ارتكاب هذه الطرق البعيدة، التي هي في الأصل نزعة قوم شأنهم الصّدّ عن هدى الله، وتعطيل أحكام شريعته الغرّاء"[4].

ولهذا اتخذ الباطنية من التصوف مطية يركبونها تحت ما يسمى الأذواق والإشارات ، والتفسيرُ الإشاري ليس كله على وزان واحد، فمنه المقبول وكثير منه مردود وقد وضع العلماء شروطا وضوابط يضبطون بها هذا النوع من التفسير، وهي ميزان يمكن التحاكم إليه لتقييم ما ينحو به بعض الناس في صرف المعنى الظاهر إلى معنىً باطنٍ وهذه الشروط لخصها حسين الذهبي في ما يأتي:

---

[1]- بلاغة القرآن: ص150 .

[2]- أبو بكر بن العربي - العواصم من القواصم ، تحقيق عمار طالبي ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د س ط:ص193.

[3]- بلاغة القرآن:ص150-151 .

[4]- بلاغة القرآن: ص 131، 132.

أولاً: أن لا يكون التفسير الإشارى منافياً للظاهر من النظم القرآنى الكريم.

ثانياً: أن يكون له شاهد شرعى يؤيده.

ثالثاً: أن لا يكون له معارض شرعى أو عقلى[1].

لقد أنكر محمد الخضر على أصحاب الإشارات الذين يتصدرون لتفسير كتاب الله دون الالتزام بتلك الشروط مما أدى بهم إلى الذهاب بعيدا عما تريده الآيات حيث قال :" وظهر من ناحية الصوفية تأويل بعض الآيات والأحاديث على وجوه توافق أذواقهم[2] ومواجيدهم، وإذا كان الفضلاء منهم لم يبعدوا في هذا المسلك عما يحتمله اللفظ العربي، فقد تهافت عليه نفر لم يقفوا فيه عند حد، وارتكبوا من التأويل ما يتبرأ منه العقل واللغة، وتنكره الشريعة إنكاراً مغلظاً، ويكفي في عدم صحة هذا النوع من التفسير: أنه لم ينقل عن أحد من الصحابة أو التابعين تفسير للقرآن بما يماثله أو يدانيه[3].

ثم ساق ما ذكره الإمام النسفي في هذه المسألة وكيف نظر إلى أولئك الذين يتركون ظواهر النصوص وما يتبادر منها إلى تأويلات بعيدة، قال النسفي:" النصوص تحمل على ظواهرها، والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد[4]، وهؤلاء الذين عناهم وأشار إلى بعضهم ابن الصلاح بقوله: صَنف السلمي حقائق التفسير، إن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير، فقد كفر[5].

---

[1]- التفسير والمفسرون : ج2 ص 280 .

[2]- لمحمد الخضر حسين بحث بعنوان الذوق وفي أي حال يعتد به جاء فيه :الذوق في اللغة، وهو الأصل إدراك طعم الشيء؛ كمن يدرك الحلو فيرتاح له، أو يدرك المرّ كالصبر فينفر منه. والذوق عند الصوفية، ويعبرون عنه بالوجد: عرفان يقذفه الحق في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره.وشرط أصحابه أن يوافق قرآناً وسنّة. ينظر: دراسات في الشريعة الإسلامية: ص64 وما بعدها.

[3]- محاضرات إسلامية :ص94 .

[4]- ينظر :سعد الدين التفتزاني – شرح العقائد النسفية ،تحقيق : أحمد حجازي السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط1 ،القاهرة ، 1408هـ-1988م: ص105،106.

[5]- هذا القول نسبه ابن الصلاح إلى الواحدي المفسر، ينظر:ابن الصلاح ، أبو عمرو- فتاوى ابن الصلاح،موفق عبد الله عبد

وقبل بعض أهل العلم المعاني التي يذكرها بعض الصوفية للآية أو الحديث، ولا تسعها اللغة، وهي في نفسها صحيحة، وحملها على أنها من باب الإشارة والاعتبار، لا على أنها تفسير يدل عليه اللفظ، بوجه من وجوه دلائله المقررة في علوم العربية، وهذا ما يقوله بعض من يتكلم في الآيات بلسان التصوف، ولهذا كانوا يلقبون أصحاب الإشارات[1].

وقد خالف هؤلاء القومَ أبو بكر العربي في كتاب "العواصم من القواصم"، وأنكر أن تكون هذه المعاني مأخوذة من القرآن، ولو بطريق الإشارة؛ بحجة أن في أقوال الشريعة من الحكمة والموعظة ما لا يحتاج معه إلى مثل هذا الضرب من الإشارة والاعتبار[2].

وإذا كان المتصوفة قد أغرقوا في الإلهام والإشارات فإن هذا باب ولج منه أهل الزندقة – المتلبسون برداء الزهد– للطعن في الإسلام أو تلويث جوهره الصافي "فحاربوه من طريق ما يسميه الصوفية: حالاً وذوقاً، وبالغوا في الاعتماد عليه حتى جعلوه من قبيل دلائل الشريعة، وهذا ما يرده

ابن السبكي في قوله: "مسألة الإلهام ليس بحجة". بل طغى بهم العبث أن جعلوا دلالة الذوق فوق دلالة النصوص، وقالوا: إذا تعارض الأمر والذوق، قدمنا الذوق على الأمر"[3].

ثم ذكر بعض أقوالهم التي أوردها ابن قيم الجوزية في كتابه مدارج السالكين، والتي منها:

يـا صَـاحِبِي أَنْـتَ تَنْهَـانِي وَتَـأْمُرُنِي وَالْوَجْـدُ أَصْـدَقُ نَهَّـاءٍ وَأَمَّـارِ
فَإِنْ أُطِعْكَ وَأَعْصِ الْوَجْدَ رُحْتُ عَمٍ عَـنِ الْيَقِـينِ إِلَى أَوْهَـامِ أَخْبَـارِ
وَعَـيْنُ مَـا أَنْـتَ تَـدْعُونِي إِلَيْـهِ إِذَا حَقَّقْتُـهُ بَـدَّلَ الْمَنْهِـيَّ يَـا جَـارِ[4]

=
القادر، مكتبة العلوم والحكم ، عالم الكتب،ط01، بيروت ، 1407هـ:ج01 ص195-196.

[1]- محمد الخضر حسين – محاضرات إسلامية : ص 95 .

[2]- نفسه: ص94،95.

[3]- محاضرات إسلامية :ص96.

[4]- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط03، بيروت ، 1416 هـ - 1996م:ج03 ص410.

وبنوا على هذا الزعم:" أن الصوفي يتلقى أحكاماً سماوية من غير هذه الشريعة، وقالوا: إن الصوفية أباحت لهم أشياء هي محظورة على غيرهم، وتوسّلوا بهذا إلى أنْ أدخلوا في الإسلام صوراً من الباطل غير قليلة[1].

وقد رأى بعض المحققين، أن يقبل من الإشارات ما كان قريبا غير بعيد ، مقبولا غير متكلف، وكان في دائرة الشريعة وأحكامها، ولم يكن في الظاهر ما يغني عنه مما هو أنصع بيانا ، وأوضح برهانا[2].

فهذا هو الفرق بين تأويلات الباطنية الذين ينطلقون من عقيدة معادية للإسلام وأهله وبين تأويلات الصوفية التي منها ما يقبل، أما ما خالف الشرع منها، كثيرا ما يكون سبَبَه جهلٌ أو سوء فهم أو حالة من الأحوال التي تعتريهم .

المبحث الثاني: موقف محمد الخضر حسين من الانحراف في التأويل في العصر الحديث:

[1]- محاضرات اسلامية :96 .

[2]- يوسف القرضاوي -كيف نتعامل مع القرآن العظيم :ص301 .

لقد تعرض كتاب الله عز وجل للتأويلات الفاسدة قديما من طرف الفرق المنحرفة ولم يسلم من التأويلات المنحرفة في العصر الحديث بل إنها ازدادت شراسة، وكان منها ما هو امتداد للفرق السابقة حيث تبنت الأفكار ذاتها ، كما ظهر في هذا العصر من لم يوفقوا في بعض التأويلات رغم ما كان لهم من الغيرة على هذا الدين ، والانتماء إلى أهل السنة يقول محمد الخضر :"نشأ هذا الدين الحق بين خصوم يناصبونه العداء، ويأتمرون به ليطفئوا نوره، ويقطعوا السبيل دونه، وما كان إلا أن خاب سعيهم، فسطعت حجته، وعلت كلمته، ومع سطوع حجته وعلو كلمته يلقى في كل عصر طوائف يكل الزيغ قلوبهم، فيطعنون فيه علناً، أو يذهبون في الكيد له مذهب التأويل الفاسد وهم يعلمون"[1].

وكما أبدى رأيه وأظهر رده على أهل الزيغ من المؤولين القدامى فإنه دافع عن كتاب الله ووقف في وجه التأويلات المنحرفة في العصر الحديث، ويمكن أن نحصر الجبهات التي وقف محمد الخضر في وجهها في مايلي :

1- المستشرقون والمفتونون بأفكارهم من أبناء الاسلام
2- العقلانيون
3- فرقة الباطنية الجدد.

وسيُقتصر المبحث على ما ورد من ردود على هذه الطوائف في جانب التفسير وتأويل القرآن الكريم فقط.

المطلب الأول: تأويلات وأباطيل المستشرقين وموقف محمد الخضر منها

[1]-الدعوة إلى الاصلاح: ص 82 .

الفرع الأول: الاستشراق ما له وما عليه

عمد عدد من المفكرين العرب إلى انتقاد أعمال المستشرقين والطعن في مناهجهم وإبراز سلبياتهم، مع تفاوت بينهم في أسلوب ومقدار النقد الموجه للمستشرقين فاتهمتهم بخدمة الاستعماروالتنصير، وجاء في مقدمة هولاء الناقدين: أحمد غراب، الطهطاوي، أنور الجندي ، محمد البهي وغيرهم، ويوجد طائفة أخرى من الناقدين أقل حدة بينت أخطاء المستشرقين ومزالقهم مع الإشارة إلى بعض جهودهم العلمية ومن هؤلاء الناقدين:أبو الحسن الندوي،ومصطفى السباعي، ومحمود زقزوق...وغيرهم[1].

أ-تعريف الاستشراق

لغة: مصدر استشرقَ، عناية واهتمام بشئون الشرق وثقافاته ولغاته وهو أسلوب غربيّ للسيطرة على الشرق وإعادة بنائه وبسط النفوذ عليه[2].

اصطلاحا: يراد بالاستشراق اليوم : دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره "[3].

وهدفهم الأساس دراسة الإسلام والشعوب الإسلامية، لخدمة اغراض التبشير من جهة ، وخدمة أغراض الاستعمار الغربي لبلدان المسلمين من جهة أخرى ، ولإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة المسلمين وتحطيم الأمة الإسلامية [4].

---

[1]- الموقف العربي من الإستشراق، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، مج 12،عدد2020،1 ، ص104/ اسهامات الأستاذ مصطفى السباعي في التأريخ للاستشراق والحوار مع المستشرقين، مجلة البحوث التاريخية،مج04 ،عدد02 ، 2020 ،ص33-34 .

[2]- أحمد مختار عبد الحميد - معجم اللغة العربية المعاصرة: ج2 ص1192 .

[3]- أحمد حسن الزيات - تاريخ الأدب العربي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، دط ، الفجالة، - القاهرة ، دس ط: ص512.

[4]- أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها : 53 .

ب. مزايا الاستشراق:

الذي ينظر في تراث المستشرقين وأفكارهم يرى في هذا التراث أشياء تحسب لهم وأخرى تحسب عليهم، أما ما يحسب لهم فيتمثل في :"العناية بالمخطوطات العربية في المكتبات الغربية ، وفهرستُها ، وتحقيق العديد من أمهات الكتب العربية في شتى مجالات الفكر الإسلامي ، والقيام بالعديد من الدراسات اللغوية المفيدة والموسوعات والمعاجم النافعة[1].

كما يحسب لبعضهم أنه "بفضل جهودهم برز كثير من نوادر العلم والمعارف التي لم تر ضوء الشمس منذ قرون، إلى النشر والإذاعة ، وأصبحت مصونة من الورثة الجاهلين ، وعاهة الأَرَضة ، وكم من مصادر علمية ووثائق تاريخية ، لها مكانتها وقيمتها ، صدرت لأول مرة بفضل جهودهم وهمتهم وقرت بها عيون العلماء في الشرق "[2].

ويحسب لبعضهم إنصافهم واعترافهم بعظمة الإسلام ونبي الإسلام وقد حاور محمد الخضر حسين المستشرق الألماني هاردر وكان من جملة ما اعترف به هذا المستشرق :" إن الإسلام – حقيقةً- تكلم في التوحيد بما لم يتكلم به دين آخر"[3] ....أما العناصر السلبية في دراسات المستشرقين فإنها تتمثل بصفة أساسية في العديد من الدراسات والبحوث حول القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فالكثير من هذه الدراسات يشتمل على أخطاء شنيعة لا تخفى على الباحث المسلم صاحب العقلية الواعية."[4].

الفرع الثاني: مصادر الثقافة عند تلامذة المستشرقين وبواعث تأويلاتهم

[1]- محمود حمدي زقزوق – الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، دار المعارف ، القاهرة، د ط ،1997م، : ص13.

[2]- الندوي ، أبو الحسن – مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين ، دار ابن كثير ، ط1، دمشق،1423هـ-2002م: ص28.

[3]- دراسات في الشريعة الإسلامية : ص125 .

[4]- محمود حمدي زقزوق – الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري : ص13.

أ: مصادر الثقافة عند تلامذة المستشرقين

من الطوائف التي كان لمحمد الخضر حسين معها جولات وردود خاصة فيما يتعلق بالقرآن الكريم وتفسيره ، تلامذة المستشرقين من أبناء المسلمين ، والذين تلقوا هذه الأفكار من مدارس وجامعات في أوروبا ،أو المدارس التي تنشئها الدول الغربية داخل البلاد الإسلامية بحجة تعليم اللغات، ومختلف العلوم .

لقد مهد الاستشراق لغزوته الفكرية مبكرا بتدمير الأساس النفسي والعقلى لوجود المسلمين، وذلك بتشويهه لمصادر الإسلام الأولى ، ومحاولته عزل المسلمين عن هذه المصادر الثابتة الأصيلة التي كونت مقومات كيانهم ذاتيا واجتماعيا وإرجاع سبب تأخر المسلمين إلى تمسكهم بدينهم ، وبالتالي فتح باب الاستسلام لثقافة الغرب وفكره[1].

ولقد صور "لورد كرومر" منهج هذا العمل الذي اصطنعته فرنسا وانجلترا وهولندة في العالم الإسلامي حيث قال :"إن الشباب الذين يتلقون علومهم في انجلترا وأوروبا يفقدون الثقافية والروحية لوطنهم ، ولا يستطيعون الانتماء في نفس الوقت إلى البلد الذي منحهم ثقافته فيتأرجحون في الوسط ويتحولون إلى مخلوقات شاذة ممزقة"[2].

لقد بين محمد الخضر حسين خطر هذه المعاهد على عقائد أبناء المسلمين، وحذر مما تتلقاه الناشئة فيها فقال :" من الذي لا يعلم أن معاهد تقام في أوطاننا باسم العلم، أو العطف على الإنسانية والغايةُ منها: صدفُ النفوس عن صراط الله السويِّ "[3].

ثم ذكر الأدلة الملموسة لما يحذر منه فقال:" دل على هذا كتب يدرسونها في هذه المعاهد وهي كما قرأنا نُبَذًا منها محشوة بالطعن في الإسلام، والحط من شأن الرسول الأعظم – صلى الله

[1]– اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم : ص42-43 باختصار.

[2]– أنور الجندي – معالم الفكر العربي المعاصر : ص 84 ، 85 .

[3]– محمد الخضر حسين – رسائل الإصلاح : ص181 .

عليه وسلم –.....فكم من فتى مسلم بعث به إليها، فتخرج منها وهو يحمل من التنكر لقومه وشريعتهم مثل ما يحمله خصومهم المحاربون"[1].

ولقد كان للبعثات والمنح الدراسية دور كبير في تغذية أولئك المبتعثين بالأفكار التي لُقِّنوها أو تلقوها من أساتذتهم في الجامعات الأوروبية ، ويرجع ذلك إلى أن هؤلاء لم يأخذوا حظهم من العقيدة الإسلامية المتينة ولم يتشبعوا بأفكار الإسلام لذا كانوا عرضة لأن يُفتنوا بكل جديد، ويتأثروا بكل فكرة قد توافق أهواءهم، يقول أبو الحسن الندوي:" ورجع كثير من الجامعيين متشبعين بروح الغرب يتنفسون برئة الغرب ، ويفكرون بعقله ويرددون –في بلدهم – صدى أساتذتهم المستشرقين ، وينشرون أفكارهم ونظرياتهم في إيمان عميق ، وحماسة زائدة "[2].

قال هذا في معرض الكلام عن صدى المستشرقين خاصة في مصر وكيف تأثر أولئك الوافدون أو الموفَدون إلى جامعات أوروبا بمظاهر الحضارة الأروبية وأفكارِ مفكريها.

وهو المعنى ذاته الذي بيَّن خطره "مالك بن نبي" في كتابه الظاهرة القرآنية حيث ألمح إلى ما يتلقاه الطلبة المسلمون ، في هذه الجامعات وما يسهمون به من رسائل جامعية في الدراسات العليا يكرسون فيها ترديد الأفكار التي زكاها أساتذتهم الغربيون،" وعن هذا الطريق أوغل الاستشراق في الحياة العقلية في البلاد الإسلامية، محدداً بذلك اتجاهها التاريخي إلى درجة كبيرة"[3].

ب:بواعث تفسير القرآن الكريم عند المستشرقين:

كان من أهداف المستشرقين إنكارُ كون القرآن كتاباً منزلاً على رسول الله من عند الله عز وجل، ولهذا ألقوا بكل ثقلهم للتشكيك في هذا الكتاب وفي مصدره من جهة، وفي الإمعان في التأويلات الفاسدة من جهة أخرى ، ولابد في هذا من استغلاء أبناء المسلمين لتسويق هذه الأفكار

[1]– المرجع نفسه: ص181 .

[2]– أبو الحسن الندوي – الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية: ص107.

[3]– مالك بن نبي – الظاهرة القرآنية: ص54 ،55 .

واستغلال معاناة واحتياج وفقر هؤلاء التلامذة ليسهل تقبلهم لها ونشرهم إياها.

يقول محمد الخضر "ومن الميسور أن يتصل هؤلاء الدعاة-دعاة التغريب- ببعض البائسين من نشئنا الذين لم ينفذ الإيمان إلى سويداء قلوبهم، فيشتروا ضمائرهم أو ألسنتهم بشيء من حطام هذه الحياة، وربما أتوهم من ناحية الشهوات، ففتحوا لهم أبواباً، وجعلوا ثمن تمكينهم منها الانسلاخَ عن الدين، فلا يبالون أن ينسلخوا منه؛ إذ لم يدخل بعد في قلوبهم، حتى يكون أعزّ عليهم من كل ما تهوى أنفسهم"[1].

وكان من أبرز هؤلاء طه حسين حيث ظهرت أفكاره الاستشراقية في كتب عديدة من مؤلفاته، وقد وقف محمد الخضر حسين على مؤلَّفَين له هما : كتاب : في الشعر الجاهلي[2] ، ضمير الغائب في القرآن الكريم[3].

وأيضا من المفتونين بتلك الأفكار "علي عبد الرازق" في كتابه :الإسلام وأصول الحكم ، وقد توجه محمد الخضر إلى هذه الكتب بالنقد ثم بالنقض مع أدب راقي وعفة في الحوار مع غوص إلى أعماق الموضوع ليدل ذلك على إحاطة بالمادة التي ينقضها ودراية وعلم ورسوخ في كل فكرة يتناولها أو شبهة يدحضها .

فمحمد الخضر خبير بكثير مما يصدر عن هؤلاء المستشرقين وقد لقي بعضَهم في رحلته إلى ألمانيا وناقشهم في مسائل عديدة وهو الذي تعلم اللغة الألمانية وأتقنها بل درس علوم الكيمياء والطبيعة، بالألمانية على يد البرفسور (هاردر)[4] أحد العلماء الألمان المستشرقين يقول"ساقتني صروف

---

[1]- رسائل الإصلاح : ص180-181 .

[2]- لمحمد الخضر حسين كتاب بعنوان :نقض كتاب في الشعر الجاهلي رد فيه على كتاب طه حسين :"في الشعر الجاهلي"

[3]- لمحمد الخضر حسين بحث بعنوان : حقيقة ضمير الغائب في القرآن رد فيه أيضا على طه حسين ، ينظر:بلاغة القرآن ،ص79 وما بعدها.

[4]- هو أحد الذي تعلم منهم محمد الخضر علوم الطبيعة والكيمياء قال فيه محمد الخضر :"كنت في برلين آخذ دروساً في الطبيعة والكيمياء عن المستشرق (الدكتور هردل)" ينظر : دراسات في الشريعة الإسلامية : ص125 .

الليالي إلى ملاقاة طائفة من الملاحدة في تونس ، وفي الآستانة ،وفي الشام ،وفي ألمانيا ،وفي مصر فرأيت هذه الطوائف تتشابه في أمور يبعد أن يكون تواردهم عليها من قبيل المصادفة، وإنما هي طباخ لما تواطأت عليه قلوبهم من جحود لآيات الله، وإنكار لدينه الحنيف"[1].

وقد أنكر على أولئك الذين فتنتهم أفكار الغرب بل وطؤوا أنفسهم ليُسَوِّق المستشرقون أفكارهم عبرهم يقول في هذا الشأن :" ماذا لو عمدنا إلى كل نص يظهر لنا أنه مخالف لرأي من آراء أولئك العلماء، فنذهب في تأويله إلى معنى يطابق ذلك الرأي، حتى إذا انكشف الحق، وظهر للملأ أن ذلك الرأي خيال في خيال، عدنا إلى ذلك التأويل، فمحوناه بأيدينا، وكذلك يفعل من يستهويه كل ناعق ويفتنه كل جديد "[2].

المطلب الثاني: مطاعن تلامذة المستشرقين في القرآن الكريم وردود محمد الخضر:

[1]- رسائل الإصلاح :ص18 .

[2]- الدعوة إلى الاصلاح : ص84 .

الفرع الأول: التشكيك في الشعر الجاهلي :

اختار الله عز وجل اللغة العربية لتكون وعاء لكتابه العزيز واختار الله عز وجل العرب ليكونوا أول من يتلقى القرآن الكريم ففهموا عن الله مراده، لأنهم أهل اللسان، ولما احتاج الناس إلى فهم ما أشكل عليهم من كتاب الله كانوا أحيانا يلجؤون إلى شعر العرب يستأنسون به لفهم بعض الآيات.

وقد استدل كثير من المفسرين عند وقوفهم على قوله تعالى : ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾[1]، استدلوا بما روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه خفي عليه معنى التخوف في هذه الآية وأراد أن يكتب إلى الأمصار، وأنه سأل الناس وهو على المنبر: ما تقولون فيها؟ فقام شيخ من هذيل فقال: هذه لغتنا، التخوف : التنقص، قال: فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا:

(تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا[2] قَرِدَا[3] كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ[4])[5]

فقال عمر- رضي الله عنه-: "أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل، قالوا وما ديواننا؟ قال شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم"[6] ، وقد أورد جلال الدين السيوطي عن أبي بكر بن

---

[1]- النحل :47.

[2]- التامك :المرتفع من السّنام ينظر: أبو علي القالي- الأمالي ، دار الكتب المصرية ، ط2 ، مصر، 1344 هـ - 1926م: ج2 ص112.

[3]- والقرد المتلبد بعضه عَلَى بعض،ابن سيده- المخصص، خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي ،ط01 ، بيروت، 1417هـ 1996م: ج02 ص420 .

[4]- السفن : جلدٌ أخشنُ كجلود التماسيح يُجعَل على قوائم السيوف، بنظر: أبو نصر الفارابي ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ج5 ص2136 / الأزهري - تهذيب اللغة : ج13 ص06 .

[5]- البيت لذي الرمة ،ينظر : ناصر الدين الأسد - مصادر الشعر الجاهلي ، دار المعارف، ط7 ،مصر، 1988م :ص152.

[6]- أورد القصة كل من : الزمخشري جار الله - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ج2 ص608 /البيضاوي - أنوار التنزيل

الأنباري أنه قال :" قد جاء عن الصحابة والتابعين –كثيرا – الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر وأنكر جماعة –لا علم لهم – على النحويين ذلك وقالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن وقالوا: وكيف يجوز أن يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث[1]! وهو يقصد بذلك ما ورد في آخر سورة الشعراء من الذم للشعراء: ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾[2] .

وما رواه ابْن عمر قال، قَال النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) : "لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا)[3] وفي رواية لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا حتَّى يَرِيهِ[4] خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا"[5]، ثم يضيف السيوطي قائلا:" وليس الأمر كما زعموه من أنا جعلنا الشعر أصلا للقرآن بل أردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾[6]، وقال: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[1]، ثم استدل بقول ابن

=

وأسرار التأويل: ج3 ص 228 /أبو السعود – إرشاد العقل السليم:ج5 ص117/ محمد جمال الدين القاسمي –محاسن التأويل:ج1 ص67 /محمد الطاهر بن عاشور – التحرير والتنوير: ج14 ص167 / الواحدي، النيسابوري– التفسير البسيط:ج1 ص143 .

[1]– السيوطي – الاتقان في علوم القرآن :ج2 ص67.

[2]– الشعراء:224 .

[3]– قال ابن عبد البر: أحسن ما قيل في تأويله والله أعلم أنه الذي قد غلب الشعر عليه فامتلأ صدره منه دون علم سواه ولا شيء من الذكر غيره ممن يخوض به في الباطل ويسلك به مسالك لا تحمد له كالمكثر من الهذر واللغط والغيبة وقبيح القول ولا يذكر الله كثيرا . ابن عبد البر، أبو عمر – التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية،دط ، المغرب ، 1387 هـ:ج22 ص196.

[4]– قال أهل اللغة والغريب يريه بفتح الياء وكسر الراء من الوري وهو داء يفسد الجوف ومعناه قيحا يأكل جوفه ويفسده ، قال أبو عبيد: الوري هو أن يأكل القيح جوفه. يحي بن شرف النووي – المنهاج شرح صحيح مسلم:ج15 ص14 / ابن بطال – شرح صحيح البخارى :ج9 ص328 .

[5]– محمد بن إسماعيل – صحيح البخاري،رقم: 6155 ، بَابُ مَا يُكْرَهُ أَنْ يَكُونَ الغَالِبَ عَلَى الإِنْسَانِ الشِّعْرُ، حَتَّى يَصُدَّهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالعِلْمِ وَالقُرْآنِ – ومسلم –كتاب الشعر ، رقم: 2257 .أبو داوود – باب ما جاء في الشعر: رقم 5009.

[6]– الزخرف :03 .

عباس:" الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه"[2].

ومن هنا أراد المستشرقون وأتباعهم أن يجدوا لأنفسهم ثغرة يشككون منها في ثبوت الشعر الجاهلي وأنه منتحل فقط، وكان "طه حسين" أبرزَ مَن رَوّج لهذه الفكرة الاستشراقية، وألَّف في ذلك مؤلَّفه الشهير الذي عنونه " في الشعر الجاهلي" ، فكان مؤلِّفُه :" عينَهم الناظرة، وسهمَهم الذي يرمون به في مقاتل أمتهم –أمة المسلمين – الغافلة"[3].

وقد لقي هذا الكتاب معارضة كبيرة وردودا متنوعة من أناس لهم أقدامهم الراسخة في الأدب واللغة وعلوم الشريعة، دافعهم الأول هو حماية هذا الدين، والدفاع عن أقدس المقدسات –كلام الله عز وجل –(القرآن الكريم) ؛وكان من المتصدين لهذا الكتاب : مصطفى صادق الرافعي في كتابه (تحت راية القرآن) حيث قال فيه :"والكتاب كله مملوء بروح الإلحاد والزندقة ، وفيه مغامز عديدة ضد الدين مبثوثة فيه لا يجوز بحال أن تلقى إلى تلامذة لم يكن عندهم من المعلومات الدينية ما يتقون به هذا التضليل المفسد لعقائدهم "[4] .

ومن الذي انتقدوه : "محمد الخضري" في كتابه "محاضرات في بيان الأخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي"، و"محمد فريد وجدي"[5] في كتابه "نقد كتاب الشعر

=

[1]– الشعراء :195 .

[2]– السيوطي – الاتقان في علوم القرآن :ج2 ص67 .

[3]– نقض كتاب في الشعر الجاهلي :ص08 .

[4]– مصطفى صادق الرافعي – تحت راية القرآن :ص 167 وما بعدها

[5]– محمد فريد بن مصطفى وجدي مؤلف (دائرة المعارف) من الكتاب الفضلاء الباحثين.ولد ونشأ بالإسكندرية. 1295هـ-1878م من كتبه (ما وراء المادة) في جزءين، و (صفوة العرفان) وهو تفسير موجز للقرآن، و (الحديقة الفكرية في إثبات وجود الله بالبراهين الطبيعية) و (المرأة المسلمة) في الرد على (المرأة الجديدة) لقاسم أمين، و (الإسلام في عصر العلم) مجلدان (نقد كتاب الشعر الجاهلي لطه حسين) توفي بالقاهرة في (- 1373 هـ 1954 م) . الاعلام : ج6 ص 329 ، معجم المؤلفين: ج11 ص126 ،

الجاهلي"، و"محمد لطفي جمعة"[1] في كتاب "الشهاب الراصد"، ومحمد أحمد الغمراوي في كتابه "النقد التحليلي لكتاب في الادب الجاهلي"، حيث قام شكيب أرسلان بالتقديم لهذا الكتاب بمقدمة طويلة جاوزت الستين صفحة.

ومن أجلِّ من ردوا على هذا الكتاب محمد الخضر حسين في كتابه نقض كتاب في الشعر الجاهلي .

لقد دافع طه حسين عن الفكرة الاستشراقية القائلة إن الشعر الجاهلي منتحل ولايصح نسبته إلى شعراء الجاهلية وقد وصل إلى قناعة مفادها أنَّ :" الشعر الذي يسمونه الجاهلي لا يمثل اللغة الجاهلية ولا يمكن أن يكون صحيحا "[2].

ولا يخفى ما في هذا الحكم من الطعن في كل كتب التفسير التي اعتمدت الشعر الجاهلي كشواهدَ لبعض الألفاظ الواردة في القرآن الكريم ، وقد تبين إنكار طه حسين على المفسرين هذا الاستشهاد بل اتهمهم بالسذاجة في تصديقهم أن الشعر الجاهلي ثابت غير منحول أو مصنوع قال في هذا المعنى: "نلاحظ أن العلماء قد اتخذوا هذا الشعر الجاهلي مادة للاستشهاد على ألفاظ القرآن والحديث ونحوهما ومذاهبهما الكلامية.....حتى إنك لتحس كأن هذا الشعر الجاهلي إنما قُدَّ على قدِّ القرآن والحديث كما يقدّ الثوب على قدّ لابسه لا يزيد على ما أراد طولا وسعةً"[3].

وهذه مجازفة في الحكم ، لأن المفسرين لا يقصدون من وراء إيرادهم لشواهد من الشعر الجاهلي إثبات اللفظة القرآنية أو صحة القرآن الكريم؛ ولكن مقصودهم بَيَّنَه محمد الخضر حسين

---

[1]- محمد لطفي ابن الشيخ جمعة بن أبي الخير الإسكندري، من أصل عربي: محام، من كبار الكتاب والخطباء والمترجمين. من أعضاء المجمع العلمي العربي. يجيد الفرنسية والانجليزية وله إلمام بلغات أخرى. ولد ونشأ بالإسكندرية 1303هـ- 1886م، له مؤلفات كثيرة منها : تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب و الشهاب الراصد في نقد كتاب الشعر الجاهلي لطه حسين ، توفي في 1372 هـ- 1953 م. الاعلام : ج07 ص15 ،16 - معجم المفسرين :ج2 ص609 - معجم المؤلفين: ج11 ص166 ،

[2]- طه حسين - في الشعر الجاهلي ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط1 ، القاهرة ،1344هـ-1926م : ص29.

[3]- المرجع السابق : ص38 .

بقوله :" وليس في العارفين بفنون التفسير من ينازع في أن من معاني حروفه أو وجوه تأويله ما يليق بالمفسر أن يقيم عليه الشاهد من كلام العرب؛ لأنه أنزل بلسان عربي مبين، فهم لا يقصدون بإقامة الشاهد تصحيح عربية القرآن؛ فإن عربيته حكم مسمَّط، وإنما يقيمون الشاهد لتقرير المعنى، أو تصحيح وجه الإعراب الذي يختارونه في التأويل[1].

ويقول أيضا مجيبا عما استشكله طه حسين أو ما انتهى إليه من نتيجة :" والذي لا يقبله الراسخون في العلم أن يطرح هذا الشعر الذي يدخل في تفسير آية أو حديث لمجرد الدقة في الموازنة بينه وبين الآية أو الحديث"[2].

الفرع الثاني: طـــه حسين وســـــؤالات ابن الأزرق:

لقد اعتمد طه حسين في الدفاع عن هذه القضية- قضية انتحال الشعر الجاهلي – على إنكار قصة سؤالات نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهذه السؤالات " أخرج بعضها ابن الأنباري في كتاب الوقف والطبراني في معجمه الكبير[3].

وقد ساقها بتمامها السيوطي في كتاب الإتقان[4]، وهي مائتا سؤال وجهت لعبد الله بن عباس حول غريب القرآن؛ يستشهد لكل جواب منها ببيت أو أبيات من شعر العرب، كما اعتنت "عائشة عبد الرحمن" بنت الشاطئ" بهذه المسائل وأفردت لها جزءا خاصا؛ أوردت فيه طرق هذه المسائل والمراجع اللغوية والحديثية وكتب علوم القرآن التي أوردت هذه السؤالات[5]، وتعد هذه

[1]- نقض كتاب في الشعر الجاهلي : ص 440 .

[2]- المصدر نفسه : ص150 .

[3]- الإتقان في علوم القرآن- جلال الدين السيوطي : ج2 ص67 .

[4]- المرجع السابق : ج2 ص68 وما بعدها،

[5]- عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ – الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، دار المعارف ، ط3 ،1404هـ-1984م: ص287 وما بعدها.

المسائل إحدى الطرق الثلاث التي هي أفضل الشروح لغريب القرآن الكريم[1].

فهذه السؤالات جعلها طه حسين متمسكا لنفي ثبوت الشعر الجاهلي ، حيث شكك في ثبوتها عن ابن عباس ولم يدرس القصة من الناحية الحديثية، ولا من حيث الأسانيد التي رويت بها بل اكتفى بطريقة الشك التي تنسب إلى "ديكارت" حيث قال مشككا " أليس من الممكن أن تكون قصة ابن عباس ونافع بن الأزرق قد وضعت في تكلف وتصنع لغرض من الأغراض المختلفة التي تدعو إلى وضع الكلام وانتحاله ، لإثبات أن ألفاظ القرآن كلها مطابقة للفصيح من لغة العرب؟"[2].

ثم إنه لم يكتف بهذا، بل راح يتهم عكرمة مولى ابن عباس بالدس عليه ، وأن قوة الحفظ التي تُتَناقل عن ابن عباس ماهي إلا ترويج سياسي غرضه مناصرة الشيعة ، أو أن القصة موضوعة أصلا لغرض تعليمي فقط[3]، فهذا كل ما اعتمد عليه طه حسين في تكذيب هذه الحادثة والأسئلة التي وجهها نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

وقد أجاب محمد الخضر حسين عن هذه الحجج التي تمسك بها طه حسين أو نبز فيها ابن عباس بأنه :" ليس بالغريب أن يكون ابن عباس، أو ذو ألمعية كابن عباس، قد بلغ في سرعة الخاطر وجودة الذاكرة أن يحضره البيت الصالح للاستشهاد عندما تطرح إليه المسألة"[4]، وساق محمد الخضر شواهد من الواقع لأهل العلم الذين حباهم الله ذاكرة قوية وحفظا سريعا ،"فقد رأينا من بعض أساتيذنا ما يجعل هذه القصة حادثاً غير خارق لسنّة الله في الخليقة، كنا نرى أستاذنا أبا حاجب يحفظ من الشعر الفصيح ما يجعله قادراً على أن يضرب منه المثل للمعاني والوقائع التي تخطر في

---

[1]- ولي الله الدهلوي – الفوز الكبير في أصول التفسير ، تعريب ، سلمان الحسيني النَّدوي ،دار الصحوة ، ط2 ، القاهرة ، 1407 هـ - 1986 م:ص81.

[2]- طه حسين – في الشعر الجاهلي : ص39 .

[3]- المرجع نفسه : ص39 ،40 .

[4]- نقض كتاب في الشعر الجاهلي :ص151 .

الحال، وتكاد لا تسأله عن معنى لفظ غريب، أو وجه من الإعراب إلا أتاك بالشاهد على البداهة، أو بعد تأمل قريب"[1].

ومما يذكر لمحمد الخضر أنه أورد طرق هذه القصة وأقوال المحدثين عنها فإن الغرابة وحدها لا تكفي في أن القصة مصطنعة ، وقد خلص محمد الخضر إلى أن من بين رواة الحادثة من لا يخلون من نقد عند أهل الحديث ،"ومتى لم نجد في طريق رواية القصة ما يثبت على النقد، أصبحت القصة من قبيل ما يروي لفائدته الأدبية، وضعفت عن أن تستقل بالدلالة على معنى تاريخي لا شبهة فيه"[2].

الفرع الثالث: طه حسين وانتحاله لأفكار مرجليـــــوت:

إن كل من رد على طه حسين في قضية انتحال الشعر العربي خرج بنتيجة ، هي أن طه حسين إنما تبنى مقالة مرجليوث[3] أو مرغليوت –كما سماه محمد الخضر–، فهو من أصحاب هذه النظرية، فقد كتب– مرغليوت– بحثا سنة 1925م في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية حين كان يرأس تحريرها بعنوان أصول الشعر العربي، وبعد طول كلام انتهى إلى أنه :" كما أن وجود الأفكار الإسلامية في أشعار تنسب إلى الجاهلية دليل واضح على أنها أشعار منحولة ، فكذلك يعد استعمال اللهجة التي جعلها القرآن فيما بعد لغة فصحى سببا قويا للشك في صحة هذه

[1]– نقض كتاب في الشعر الجاهلي – ص151 ،152 .

[2]– المصدر نفسه : ص153 .

[3]– اسمه :دافيد صمويل مرجليوث David Samuel Margoliuth ابن حزقيال الإنجليزي البروتستانتي من كبار المستشرقين. من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع اللغوي البريطاني وجمعية المستشرقين الألمانية. مولده 1274هـ-1858م ووفاته بلندن. تعلم في جامعة أكسفورد وعين أستاذا للعربية فيها سنة 1899 م. الف بالعربية كتاب (آثار عربية شعرية – وامتاز بكثرة ما نشره من مؤلفات العرب، كمعجم ياقوت (إرشاد الأريب) (رسائل أبي العلاء المعري) مع ترجمتها إلى الإنجليزية. وله في لغته كتب عن الإسلام والمسلمين، لم يكن فيها مخلصا للعلم، على الرغم من توسعه في معرفة المسلمين وأدبهم توفي في 1359 هـ-1940 م.

ينظر : خير الدين الزركلي – الأعلام :ج2 ص330 – عمر رضا كحالة – معجم المؤلفين:ج4 ص138 .

الأشعار"[1].

ولكن بخلاف ما قرره مرجليوت وتبعه عليه طه حسين فإننا نجد مستشرقين آخرين منصفين ومقرين بحقيقة وجود الشعر الجاهلي، ومن أبرز من قال بذلك "كارل بروكلمان" في كتابه "تاريخ الأدب العربي" فقد اعترف أن الكثير من الشعر الجاهلي ثابت غير منتحل ، "ولا شك أن لغة الشعر القديم هذه لا يمكن أن يكون الرواة والأدباء اخترعوها على أساس كثرة اللهجات الدارجة ، ولكن هذه اللغة لم تكد تكون لغة جارية في الاستعمال العام ، بل كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات وإن غذتها جميع اللهجات[2] .

ثم فند رأي مرجليوث وكذا رأي طه حسين اللَّذَينِ تبنيا الرأي بأن الشعر الجاهلي منتحل بقوله:"ومن ثم يعد خطأً من مرجليوث وطه حسين أن أنكرا استعمال الكتابة في شمالي الجزيرة العربية قبل الإسلام بالكلية، ورتبا على ذلك ما ذهبا إليه من أن جميع الأشعار المروية لشعراء جاهليين مصنوعة عليهم ، ومنحولة لأسمائهم"[3].

فهذه أفكار طه حسين نراها عند مارجليوث وغيره من المستشرقين الذين ينظرون بعين الحقد إلى اللغة العربية والدين الإسلامي، إننا نقدر البحث الهادئ المتزن الذي لا يمحو تراث أمة بأكملها ويمحو عصرا بأكمله[4].

وهذا الذي توصل إليه محمد الخضر من أن طه حسين" أغار على نظرية الشك في الشعر

---

[1]- ديفيد صمويل مرجليوث – أصول الشعر العربي ، ترجمة: إبراهيم عوض ،دار الفردوس ، 1427هـ-2007م :ص84 ، 85.

[2]-كارل بروكلمان – تاريخ الأدب العربي ، ترجمة :عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، ط05، القاهرة، 1977م: ج1 ص42.

[3]- المرجع نفسه، ص64.

[4]- سمايلوفيتش، أحمد – فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربيي المعاصر، دار الفكر العربي،دط ،القاهرة ،1418هـ-1998م: ص389 .

الجاهلي، ولم يفترق عن (مرغليوث) إلا في تسليمه بأن هناك شعراً جاهلياً، فأخذ أصل النظرية"[1]، ثم بين محمد الخضر الشبه التي اعتمد عليها (مرغليوث)، ومنها قوله:" إني شككت في الشعر الجاهلي، وألححت في الشك، أو قل: ألحّ علي الشك"[2]،ثم يعلق محمد الخضر على هذه المراوغة فيقول" والحديث في صدق وأمانة خير من هذه المداعبة"[3].

وقد عقد محمود محمد شاكر –أبو فهر– مقدمة طويلة لكتابه –المتنبي – ذكر قصته مع طه حسين وكتابه "في الشعر الجاهلي"، وقد كان محمود شاكر أحد طلبة طه حسين وسمع محاضراته في الشعر الجاهلي، وكما كان متذوقا للشعر الجاهلي مميزا له عن غيره من الأشعار التي جاءت بعد ذلك العصر وكان كثيرا ما ينوي التدخل والرد على طه حسين في قاعة المحاضرات ولكن منعه من ذلك حياء التلميذ نحو أستاذه، لكنه سطر في هذه المقدمة ما كان يختلج في صدره ويخفيه ولا يبديه أنَّ: "طه حسين سطا على مقالة مرجليوث وتبناها وأن :"ما يقوله مسلوخ كله مما قاله مرجليوث ، أو على الأقل متابعة لمرجليوث في رأيه الذي كتبه ونشره وقرأناه جميعا"[4].

فهذه بعض مطاعن المستشرقين ومن حذا حذوهم ممن سلكوا طريقهم وروَّجوا أفكارهم وتبنوا منهجهم في التأويل المنحرف لآيات الله أو في النَّيل من المفسرين الذين كانوا المبيِّنَ لتلك الآيات .

المطلب الثالث: القصة القرآنية في فكر المدرسة العقلية الحديثة المنحرفة:

يتكشف كل عصر عن طائفة من الناس تغلو في كتاب وتنحو منحىً بعيدا في تأويل نصوصه وآياته، وكما ظهر الانحراف في التأويل عند القدامى وأفرز ذلك الانحرافُ طوائفَ وفرقا؛ منها من انقرض، ومنها من لاتزال أفكاره تتردد عند طوائف وأفراد من المُحْدَثين ، فقد ظهرت أفهام منحرفة وشاذة لنصوص القرآن الكريم، ونظرات زائغة في كتاب الله ،وقد "اتخذ الانحراف في العصر

[1]– نقض كتاب في الشعر الجاهلي:ص31.

[2]– المصدر نفسه:ص31 .

[3]– المصدر نفسه:ص31 .

[4]– محمود محمد شاكر – المتنبي ، شركة القدس للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1407 – 1987:ص19.

الحديث أشكالا واتجاهات متنوعة ، وظهرت الأنشطة الكاملة والأعمال الكبيرة التي تُلبس على الناس دينهم وتعكر عليهم صفو كتابهم ، ومع هذا يحسبها كثير من الناس على شيء فيلقونها بالإعجاب والترحيب"[1].

ومن أشهر من ظهرت على تأويلاتهم هذه المسحةُ من التأويل وتصدى لهم محمد الخضر حسين: أبو زيد الدمنهوري، في كتابه (الهداية والعرفان) في تفسير القرآن بالقرآن ، ومحمد أحمد خلف الله في كتابه الفن القصصي في القرآن[2] ، الطاهر حداد في كتابه : "امرأتنا في الشريعة والمجتمع". وقد رد محمد الخضر على أبي زيد بعنوان: كتاب يهذي في تأويل القرآن المجيد[3] ، وعلى الأخير بعنوان كتاب يلحد في آيات الله[4].

وهناك آخرون رد عليهم في مقالات اكتفى بالرد على أفكارهم دون ذكر أسمائهم، وأبرز موضوع تعرضت له هذه الطائفة هو الطعن في القصة القرآنية ، في حقيقتها وفي تاريخيتها.

الفرع الأول: القصة القرآنية مفهومها وأغراضها:

أ: تعريف القصص :

لغة : القص : فعل القاص إذا قص القصص ، والقصة معروفة. ويقال: في رأسه قصة يعني الجملة من الكلام، ونحوُه قوله تعالى: نحن نقص عليك أحسن القصص؛ أي نبين لك أحسن

---

[1]- محمد إبراهيم شرف – اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم :ص91 .

[2]- هي رسالة تقدم بها محمد أحمد خلف الله إلى الجامعة المصرية سنة 1366هـ لنيل شهادة الدكتوراه؛ ولكنها رفضت وكان أستاذُه أمين الخولي هو المشرفَ على الرسالة –وهو الذي جعل مقدمة لهذا الكتاب–: اختيارا وتوجيها ودفاعا عنها ، وقد عارض كل من الدكتور أحمد الشايب والأستاذ أحمد أمين هذه الرسالة قبل أن تصدر في كتاب ، كما أحيلت إلى محمود شلتوت لإبداء رأيه فيها فأعرب عن ذلك بأن: الأسس التي بنى عليها المؤلف رسالته أسس فاسدة ، ومع ذلك صدرت الرسالة في كتاب. أحمد محمد جمال – القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ، مطابع رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة، دط ، د س ط: ج3 ص159 وما بعدها

[3]- بلاغة القرآن : ص143 .

[4]- بلاغة القرآن: ص168 وما بعدها .

البيان.

والقصة: الخبر وهو القصص. وقص علي خبره يقصه قصا وقصصا: أورده. والقصص: الخبر المقصوص، بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه. والقصص، بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب.

تتبع الأثر. يقال : قصصت أثره : أي تتبعته ، والقصص مصدر، قال تعالى: قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴿٦٤﴾[1] أي رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به. وقال على لسان أم موسى: ۞وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾[2]، أي تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه[3].

القصص القرآني اصطلاحا: عرفه الفخر الرازي بقوله : والقصص هو مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين، ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة [4].

وقصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة – وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم ، وذكر البلاد والديار ، وتتبع آثار كل قوم ، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه[5] . فما جاء من أخبار قصّها علينا القرآن يمكن أن يطلق عليها لفظ: القصة[6].

---

[1]- الكهف :94 .

[2]- القصص : 12 .

[3]- تهذيب اللغة ، مادة :قص :ج8 ص210-211 / لسان العرب :ج7 ص73 ،74 .

[4]- التفسير الكبير مفاتيح الغيب : ج 8 ص250 .

[5]- مباحث في علوم القرآن : ص300 .

[6]- الواضح في علوم القرآن : ص181 .

ب–أغراضها: تتلخص أغراض القصة في: إثبات الوحي والرسالة – وحدة الدين من عهد نبي الله نوح إلى نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم – أن وسائل الأبياء في الدعوة موحدة – بيان الأصل المشترك بين دين محمد ودين إبراهيم عليهما السلام.– بيان أن الله ينصر أنبياءه في النهاية ويهلك المكذبين ، العبرة والموعظة ، تثبيت فؤاد الرسول صلّى الله عليه وسلّم في مجال الدعوة[1].

الفرع الثاني: قياس القصة القرآنية على الأعمال الأدبية والطعن في تاريخيتها:

من جملة المطاعن التي وجهها المستشرقون وتلامذتهم، تشبيه القصة القرآنية بالقصة الأدبية، والتشكيك في الشخصيات التي يورد القرآن الكريم أسماءها وكذا التشكيك في وجود هذه الشخصيات حقا عبر التاريخ ، فهذا صاحب كتاب الفن القصصي في القرآن – (محمد أحمد خلف الله)– يُعرف القصة القرآنية بأنها :"ذلك العمل الأدبي الذي يكون نتيجة تخيل القاص لحوادثَ وقعت من بطل لا وجود له ، أو لبطل له وجود ولكن الأحداث التي دارت حوله في القصة لم تقع ، أو وقعت للبطل ولكنها نظمت في القصة على أساس فني بلاغي فقُدم بعضها وحذف آخر ، وحُذف بعضها وذكر آخر....أو بولغ في تصويره إلى الحد الذي يخرج بالشخصية التاريخية عن أن تكون من الحقائق العادية والمألوفة ويجعلها من الأشخاص الخياليين"[2].

وقد يتبادر لمن يسمع هذا التعريف أن مُعَرِّفه يقصد بتعريفه: القصة الأدبية ولكنه صرح بأنه يقصد بذلك القصة القرآنية حيث نجده يقول :"ذلك هو الذي نقصده عندما نذكر لفظة قصة في الميدان الأدبي.وهو الذي نقصد إليه من درسنا للقصص الفني في القرآن الكريم"[3].

لكن محمد الخضر بَيَّن الفرق بين الهدف الذي تصاغ من أجله القصة الأدبية والهدف الذي

---

[1]– سيد قطب – التصوير الفني في القرآن ،دار الشروق، ط20،مصر ،القاهرة ،2013م : ص144 وما بعدها/ البوطي ، محمد سعيد – من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله :ص191 وما بعدها/ نور الدين محمد عتر– علوم القرآن الكريم : ص240 .

[2]- محمد أحمد خلف الله –الفن القصصي في القرآن الكريم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط03، القاهرة ، 1965م : ص119.

[3]– المرجع نفسه :ص 119 .

يُنزل الله لأجله القصة القرآنية، " هذا الذي يقوله الكاتب إنما ينطبق على القصص التي يقصد من تصنيفها إظهارُ البراعة في صناعة الإنشاء ، أو في إجالة الخيال، أو بعض الارتياح والمتعة في نفوس القارئين؛ مثل: مقامات بديع الزمان، أو مقامات الحريري "[1].

غير أن أهداف القصة القرآنية أسمى من هذا ولا يمكن أن تنزل لأجل المتعة أو أن يسرح الخيال فيها ، أو يراها من قبيل الأسطورة التي لا يُشهد لها بالوقوع، ثم يعقب محمد الخضر على ذلك ويبين أهداف القصة القرآنية :" أما قصص القرآن، فهي من كلام رب العزّة، أوحى به إلى الرسول الأكرم؛ ليكون مأخذ عبرة، أو موضع قدوة، أو مَجْلاة حكمة، وإيمانُ الناس بأنه صادر من ذلك المقام الأسنى يجعل له في قلوبهم مكانة محفوفة بالإجلال ، ويمنعهم من أن يدرسوه كما تدرس تلك القصص الصادرة من نفوس بشرية تجعل أمامها أهدافاً خاصة، ثم لا تبالي أن تستمد ما تقوله من خيال غير صادق، أو تخرج من جد إلى هزل، وتضع بجانب الحق باطلاً "[2].

والغريب أن هذا الرأي القائل أن القصص القرآني يرد على وجه التمثيل مشى عليه محمد عبده ووافقه عليه تلميذه رشيد رضا في تفسيره لقصة آدم وإبليس في سورة البقرة، فقد فسر عرض الأسماء على الملائكة وسؤالهم عنها وتنصلهم في الجواب –أن ذلك تصوير لكون الشعور الذي يصاحب كل روح من الأرواح المدبرة للعوالم محدودا لا يتعدى وظيفته[3]، كما فسر سجود الملائكة لآدم بأنه "عبارة عن تسخير هذه الأرواح والقوى له، ينتفع بها في ترقية الكون بمعرفة سنن الله – تعالى – في ذلك"[4]، ثم أَوَّلَ "إباء إبليس واستكبارَه عن السجود بأنه تمثيل لعجز الإنسان عن إخضاع روح الشر وإبطال داعية خواطر السوء التي هي مثار التنازع والتخاصم، والتعدي والإفساد

[1]– محمد الخضر حسين – بلاغة القرآن: ص 126-127 .

[2]–المصدر السابق : ص 127 .

[3]– تفسير القرآن الحكيم:ج1 ص233 .

[4]– المرجع نفسه : ص 233 .

في الأرض "[1].

بل هناك من ذهب إلى أبعد من هذا ففسر الملائكة بأنهم "رسل النظام وعالم السنن وسجودهم للإنسان معناه أن الكون مسخر له وأن إبليس اسم لكل مستكبر على الحق"[2].

فصاحب هذا الرأي لا يرى لهذه الشخصيات وجودا في الواقع فذهب إلى تأويلها تأويلا بعيدا، وهذا الزعم عرج عليه "محمد الخضر" ونبه عليه عند تفسيره لقصة آدم وإبليس في سورة البقرة بقوله:" ويجدر بنا أن ننبه لرأي أبداه بعض من كتب في التفسير منذ عهد قريب، وهو أن هذه القصة واردة على وجه التمثيل، لا أنها إخبار عن حقائق واقعة، والحقيقة أن القصة سيقت على وجه ظاهر في أنها واقعة"[3].

ثم بين متى يُلجأ إلى التأويل في آيات القصص فقال:"وتأويل آيات القصص على أنها من قبيل التمثيل لا يُلجأ إليه إلا أن يكون حملها على المعنى الظاهر متعذراً، ولم يقم دليل شرعي أو عقلي يقتضي العدول في تفسير هذه القصة عن الظاهر من سياقها حتى يسهل صرف ألفاظها عن حقائقها، وتقبل دعوى أنها خارجة مخرج التمثيل"[4].

وهذا الاعتقاد عينُه هو الذي وقع فيه طه حسين فقد استبعد وجود شخصية النَّبِيَّيْن الكريمين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، وأنه ليس في التاريخ ما تطمئن النفس لتصديق وجوده ولعل ذلك حيلةٌ لإثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة ، وبين الإسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة فيقول :"للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ، ولكن ورود هذين الإسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي ، فضلا عن إثبات هذه القصة

[1]- المرجع نفسه : ص233، 234 .

[2]- الدمنهوري، محمد أبو زيد – الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر، 1349هـ: ص07.

[3]- أسرار التنزيل: ص 77 .

[4]- نفسه: ص 77 .

التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها "[1].

فورود اسم من الأسماء في القرآن الكريم هو دليل على وجوده التاريخي، لكن طه حسين يردد مقالة المستشرقين في التشكيك في تاريخية القصة القرآنية وكذا في وجود الشخصيات الذين ذكرتهم القصة ، وهذا الذي كرره مرارا محمد الخضر في مناقشاته لطه حسين ، وقد بين بالدليل المصادر التي استقى منها طه حسين هذه الأفكار ومن جملة ما ذكره محمد الخضر :" قلنا لكم: إن يد المؤلف تجول في بعض كتب شرقية، فيقطف منها ما يلائم ذوقه، ويضعه في كتابه على أنه وليد فكره، ونتيجة بحثه"[2].

ونفْي ثبوت قصة اسماعيل عليه السلام وهجرة إبراهيم وأسرته إلى أرض مكة، هي في الأصل فكرة استشراقية قال بها "هاشم العربي" مترجم كتاب مقالة في الإسلام "لجرجس سال الإنجليزي" ، فقد ذيل للكتاب بمقالة أشار إلى مضمونها بمقدمة قال فيها :"وبعد أن فرغت من تعريب المقالة أضفت إلى كل واحد من الفصول الثلاثة الأولى تذييلا استدركت فيه ما فات المصنف أو ما لم يكن البحث عنه من ولايته، وانتقدت بعض ما نقله مؤرخو المسلمين من تاريخ العرب الأقدمين ودحضت ما يدعيه علماؤهم من أن القرآن كلام الله ونفيت عنه صفة الإعجاز ببراهين معقولة ومنقوله "[3].

وقد كان محمد الخضر يقظا خبيرا بما يمكن أن يتعلق به تلامذة المستشرقين من مصادر أو أقوال ينسبونها لأنفسهم فعلم أن ما قاله طه حسين إنما أخذه من هذا التذييل وأن طه حسين "وقعت يده على أذى مخلوق في شكل يلائم ذوقه، فانقلب يرمي به نحو قصة إبراهيم وإسماعيل –

[1]– طه حسين – في الشعر الجاهلي : ص 26 .

[2]– نقض كتاب في الشعر الجاهلي : ص103 .

[3]– مقدمة هاشم العربي لكتاب ، مقالة في الإسلام لجرجس سال ، المطبعة الإنكليزية الأميركانية ، بولاق ، مصر ، ط03 ، 1913م :ص06.

سلام الله عليهما –، والباطل الملقوط خفية كلحم خنزير ميت، حرام في حرام"[1].

وقد اهتدى محمد الخضر إلى المورد الذي استقى منه طه حسين هذا الرأي "وهذا البحث مما تعلق فيه المؤلف بذيل "مقالةٌ في الإسلام"[2]، فقال :" وإليك ما قال صاحب الذيل – يعني هاشم العربي "وحقيقة الأمر في قصة إسماعيل:" أنها دسيسة لفقتها قدماء اليهود للعرب تزلفًا إليهم، وتذرعًا منهم إلى دفع الروم عن بيت المقدس، أو إلى تأسيس مملكة جديدة في بلاد العرب يلجؤون إليها، فقالوا لهم: نحن وأنتم إخوة، وذرية أب واحد"[3].

فهذا الذي ذكره المترجم المذيل لكتاب مقالة في الإسلام يناقض ما تواتر نقله عبر كتب التاريخ من نسبة العرب إلى اسماعيل عليه السلام، ومن بنوة اسماعيل لإبراهيم عليه السلام، ومن ينكر ذلك فلا بينة له إذ"قصة إسماعيل وإبراهيم كانت تدور بين العرب أيام جاهليتهم، ثم ساقها القرآن على وجه محكم، وبيان ساطع، ومن حاول الجهر بإنكار ما تتداول نقله أمة، ويقرره كتاب تدين بصدقه أمم، كان حقاً عليه أن يسلك مسلك ناقدي التاريخ، فيبين للناس كيف كان نبأ الواقعة مخالفاً للمعقول أو المحسوس، أو التاريخ الثابت الصحيح"[4].

فالعرب لم تخالط اليهود في مكة المكرمة وإنما خالطهم أهل المدينة المنورة ، وقد اعترف "سال جرجس" نفسه– الذي ترجم "هاشم العربي" كتابه – أنهم من ذرية اسماعيل عليه السلام[5].

فمن علم حالة العرب وشهامتها ومعرفتها لخفيات الأمور لم يجَوِّز عليها الجهل بالنسب حتى يتعرفوه من اليهود، وكيف وهم أعلم الناس بالأنساب، فقد كانوا يتكاثرون ويتفاخرون بها في أشعارهم، وإذا كانوا يعرفون أنساب خيولهم وإبلهم ونسبة سيوفهم ورماحهم إلى صُنّاعها أفلا

[1]– نقض كتاب في الشعر الجاهلي : ص 352 .
[2]– المصدر نفسه :ص103 .
[3]– ينظر: سال جرجس – ذيل مقالة في الإسلام :ص 381.
[4]– نقض كتاب في الشعر الجاهلي : ص 102 .
[5]– ينظر : سال جرجس – مقالة في الإسلام : ص21 ،22 .

يعرفون أنسابهم"[1].

فهذه بعض مطاعن المستشرقين في جانب من القصة القرآنية وهو الطعن في تاريخيتها ومعاملتُها معاملة القصة الأدبية.

الفرع الثالث: أسطورية القصة القرآنية

للقصة القرآنية مكانها وحيزها الكبير في القرآن الكريم منها الطويل ومنها القصير ، منها قصص الأنبياء والصالحين ، ومنها قصص المتجبرين والعاصين ، منها ما أجمل في سورة واحدة ومنها ما تكرر في سور متعددة ، وقد صَدَّق القرآن الكريم ما ورد في التوراة والإنجيل المنزلتين ، من قصص وأخبار "وقد تبين أن القصة في القرآن ليست عملا فنيا مقصودا لذاته، وإنما هي مسوقة لغرض ديني مهما تنوعت أقسامه وتفرعت أشكاله"[2].

وقد وجد المستشرقون في القصة القرآنية هدفا يدخلون منه للتشكيك في مصدرية القرآن الكريم، واتهام النبي صلى الله عليه وسلم بأنه هو مؤلفُه ؛ أو متلقيه من الرهبان والقسس ، وهم في هذا يعيدون تلك الشنشنة[3] التي تمسك بها المشركون للطعن في كلام الله عز وجل، ومن جملة مطاعنهم:" زعمهم أن القرآن الكريم هو أساطير مقتبسة عن المعتقدات الشعبية اليهودية ، وأنها قد وُجدت في كتب متحولة كثيرة كانت آنذاك قيد التداول بين أتباع الكنائس السورية وجنوب الجزيرة العربية"[4].

---

[1]– محمد حلاوة المرصفي – ثبات الإيمان ونصرة القرآن في الرد على هاشم العربي الطاعن في القرآن ، مطبعة الامتياز ، الزقازيق ، مصر ، دون طبعة ، 1329هـ: ص47.

[2]– البوطي – من روائع القرآن : ص195 .

[3]– الشنشنة: الغريزة والطبيعة والخليقة والسجية. ابن دريد – جمهرة اللغة ، مادة : ش ن ش ن : ج1 ص 207 / ابن منظور لسان العرب : مادة :شنن : ج13 ص243.

[4]– النصراوي، عادل عباس – إشكالية فهم النص القرآني عند المستشرقين ، مكتبة مؤمن قريش ، لبنان –بيروت ، ط1 ، 2016م : ص122.

وهناك من كتب في القصص القرآني من المسلمين ولم يجد حرجا في إطلاق هذا الوصف على القصة القرآنية بل وجد ذلك مدعاة للفخر والاعتزاز فقال "وإذا ما قال المستشرقون إن بعض القصص القرآني كقصة أصحاب الكهف أو قصة موسى في سورة الكهف قد بنيت على بعض الأساطير قلنا ليس في ذلك على القرآن من بأس، فإنما هذه السبيلُ سبيلُ الآداب العالمية والأديان الكبرى ويكفينا فخرا أن كتابنا الكريم قد سن السنن وقعَّد القواعد وسبق غيره في هذه الميادين"[1].

ثم إنه أراد أن يلبس هذا الزعم ويلصقه بالإمام الرازي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[2] فقد ذكر الرازي فيها ثلاثة أقوال إجابة عن سؤال قد يتبادر وهو كيف يكون تنزيل ربهم أساطير الأولين؟"وجوابه من وجوه:

1: أنه مذكور على سبيل السخرية كقوله تعالى عنهم: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون.

2: أن يكون التقدير هذا الذي تذكرون أنه منزل من ربكم هو أساطير الأولين.

3: يحتمل أن يكون المراد أن هذا القرآن بتقدير أن يكون مما أنزله الله لكنه أساطير الأولين ليس فيه شيء من العلوم والفصاحة والدقائق والحقائق"[3].

فيُفهم من هذه التأويلات أن الرازي يسوق ما فهمه المشركون من الطعن في القرآن الكريم، وأن الأقوال الثلاثة هي تصورات المشركين وليس في الأقوال ما يوحي بأن الرازي يتبنى قولا منها ، لكن صاحب كتاب الفن القصصي توهم أو يريد أن يوهم غيره أن الرازي يقر وصف قصص القرآن بالأساطير فيقول صاحب الكتاب :"وواضح أن الرازي يجيز في رأييه الأخيرين القول بورود أساطير

[1]- خلف الله – الفن القصصي في القرآن الكريم : ص182 .

[2]- النحل :24 .

[3]- الرازي ، فخر الدين – مفاتيح الغيب:ج20 ص197 .

في القرآن الكريم وأنها من عند الله "[1].

أما محمد الخضر فقد اعتمد في رد هذا الزعم على مراجع اللغة العربية ورآها هي الحاكمَ الذي ينبغي أن يُتحاكم إليه في تقرير معنى الأساطير، فقال :" وإذا رجعنا إلى كتب اللغة نجد صاحب المصباح يقول : والأساطير الأباطيل[2] ، وصاحب "لسان العرب" يقول : "الأساطير : الأباطيل"[3]، ويقول أيضاً كما قال صاحب القاموس : والأساطير : أحاديثُ لا نظام لها "، وفي "اللسان" أيضاً : "يقال: سطّر فلان علينا: إذا أتى بأحاديث تشبه الباطل"[4]،وهذه النصوص وحدها كافية لأن تمنع كاتب الرسالة من أن يسمي القصة في القرآن: أسطورة[5].

فالذين يزعمون أن في القرآن قصصاً غير واقعة، وأنها سيقت لما تحتويه من موعظة، لا يريدون إلا أن يطعنوا في القرآن، ويخادعون المؤمنين، والمؤمنون لا يخدعون[6].

وفي الأخير يختم محمد الخضر هذه الردود حول القصة القرآنية ويرى أن مقتضى الإيمان يلزم المسلم الإيمان بأن قصص القرآن حقائق، وأن الأشخاص المكوِّنين لها هم أفراد شهد التاريخ بوجودهم حقا، ولم يكونوا أبدا محض خيال:"والمسلم الحق من يؤمن بأن القرآن مُنَزّل من عند الله، لا من صنع محمد- عليه الصلاة والسلام -، وينزه القرآن عن ذلك التصوير الفني الذي لا يُعنىَ فيه بالواقع التاريخي، وليس قصص القرآن إلا الحقائق التاريخية تصاغ في صور بديعة من الألفاظ المنتقاة، والأساليب الرائعة"[7].

---

[1]- الفن القصصي في القرآن الكريم: ص 183 .

[2]- المصباح المنير :ج1 ص276 .

[3]- الفيروز آبادى ، مجد الدين- القاموس المحيط :ص 407 .

[4]- لسان العرب: ج4 ،363 .

[5]- بلاغة القرآن : ص 129 .

[6]- رسائل الإصلاح :ص66 .

[7]- بلاغة القرآن:ص133 .

المبحث الثالث :تعقُّب محمد الخضر للطاعنين في العقائد وأحكام الشريعة في العصر الحديث

تنوعت المطاعن التي وجهها الطاعنون إلى القرآن الكريم، فتناولت الجوانب العقدية والجوانب التشريعية المتمثلة في الأحكام التي أنزلها الله في كتابه الحكيم، وما من مطعن إلا ولعلماء الإسلام رد عليه ، وتوضيح لما يمكن أن يثيره في أوساط البسطاء .

المطلب الأول: الطعن في المعجزات :

الفرع الأول: المعجزة

لغة: عجز: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. والعجز نقيض الحزم. وعجز يعجز عجزا فهو عاجز ضعيف[1].

قال الأعشي:

فَـذَاكَ ولم يُعْجِـزْ مِـنَ الَمـوْتِ رَبَّـهُ وَلَكِـنْ أَتَـاهُ الَمـوْتُ لَا يتَـأَبَّقُ[2]

اصطلاحا: عرّفوا المعجزة بأنها: أفعال الاله الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء وتحديهم للأمم بالإتيان بمثل ذلك[3].أو هي : فعل يظْهر على يَدي مدعي النُّبُوَّة بِخِلَاف الْعَادة فِي زمَان التَّكْلِيف مُوَافقا لدعواه وَهُوَ يَدْعُو الْخلق إِلَى معارضته ويتحداهم أَن يَأْتُوا بِمثلِهِ فيعجزوا عَنهُ فيبين بِهِ صدق من يظْهر على يَده[4]، أو هي الأمر الخارق للعادة، الذى يجريه الله على يدى نبى مرسل،

---

[1]- الخليل الفراهيدي -كتاب العين : ج1 ص215 .

[2]- البيت للأعشى يمدح المحلق بن خنثم بن شداد بن ربيعة ، ميمون بن قيس ، ديوان الأعشى الكبير ، تحقيق : محمد حسين، المطبعة النموذجية، د ط ، مصر ، د س ط: ص 217.

[3]- الباقلاني ، أبو بكر بن الطيب- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، تحقيق : محمد زاهد الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، ط2 ، 1421هـ-2000م : ص58.

[4]- الأسفراييني ، طاهر بن محمد- التبصير في الدين ،تحقيق : كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب – لبنان ، ط1 ، 1403هـ - 1983م: ص 169.

ليقيم به الدليل القاطع على صدق نبوّته[1].

أما محمد الخضر فقد عرف معجزة القرآن بقوله :" أما المعجزة فهي ارتفاعه في حكمة المعاني، وسمو المقاصد، وفصاحة الكلم، وجودة النظم، وروعة الأسلوب، إلى مرتبة يقف دونها فطاحل البلغاء بمراحل"[2].

وقد اشتُرط فيها أنها :"لابد أن تكون مقرونة بالتحدي عند دعوى النبوة ، وظهورُها من البراهين المثبتة لنبوة من ظهرت على يده ، لأن النبي يستند إليها في دعواه أنه مبلغ عن الله "[3]. وهي : قائمة مقام قول الله: "صدق هذا الرسول فيما أخبر به عني" ، بأمارة أني أخرق العادة دليلا على تصديقه[4]، وقولنا أمر خارق للعادة يوضح أن المعجزة إنما تخالف العادة والمألوف ولا تخالف العقل والإمكان[5].

والمعجزات تثبت بصحة السند، وصلاح القدرة الإلهية لها، ولا يكفي في نفيها استبعاد الذهن لها، إذ هي خارقة للعادة، فلا بد أن يستبعدها الذهن أول بدء، فإذا تأمل في صحة سندها وصلاح القدرة لها، اعترف بها[6].

من الانحرافات في التأويل التي ظهرت في العصر الحديث إنكار المعجزات، أو تأويلها تأويلا بعيدا، أو فهم بعض النصوص القرآنية على أنها تنفي المعجزات المادية عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا المسلك انتهجه منكروا النبوات قديما للطعن في أصل النبوة من طريق إنكار المعجزات، قال محمد الخضر " يرى الملاحدة أن المعجزة أساس للنبوة والرسالة، فيتوجهون إلى هدم هذا

[1]- سيد سابق ،العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي ،بيروت، لبنان، دط، دس ط: ص208.

[2]- محمد رسول الله وخاتم النبيئين:ص50.

[3]- محمد عبده ، رسالة التوحيد تحقيق وتعليق : محمد رشيد رضا ، شركة الأمل للطباعة والنشر، دط ، 1997م:ص86.

[4]- الغزالي ، أبو حامد – قواعد العقائد، تحقيق : موسى محمد علي ، عالم الكتب ، لبنان ، ط2 ، 1405هـ - 1985م: ص 215 -216 /التحرير والتنوير :ج08 ص54 .

[5]- البوطي ، محمد سعيد- كبرى اليقينيات الكونية : 214 .

[6]- بلاغة القرآن : ص212 .

الأساس، فينكرونه، ويلقون حوله الشبه، ويقولون: إن حكمة الدعوة كافية في الدلالة على نبوة صاحبها"[1].

وقد عبر القرآن الكريم عن المعجزات بالآيات ،" والآيات: جمع آية. والآية تستعمل بمعني : المعجزة، وبمعنى: النص المنزل على الرسول. ومن كفر بمعجزات الرسول، لم يؤمن بالنصوص المنزلة عليه، ومن هنا صح تفسير: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴿٦١﴾ ﴾[2] بالمعجزات، وبالنصوص الموحى بها"[3].

الفرع الثاني: المدرسة العقلية والمعجزات:

لقد أفرطت المدرسة العقلية في تأويل المعجزات التي أظهرها الله على أنبيائه، ونَسَبَتْ لرسول الله عليه السلام معجزة واحدة هي القرآن الكريم، واستبعدت ما أظهره الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من المعجزات وأنكرت ثبوت الروايات التي نقلت ذلك ، فهذا محمد مصطفى المراغي يقدم لكتاب محمد حسين هيكل الذي عنونه ب: "حياة محمد" فيقول مقدما :" ولم تكن معجزة محمد القاهرة إلا في القرآن ، وهي معجزة عقلية"[4] .

ثم استدل لهذا الرأي بما ورد في "بردة المديح "للبوصيري حيث قال المراغي: وما أبدع قول البوصيري:

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا الْعُقُولُ بِهِ حِرْصًا عَلَيْنَا ، فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِمِ[5]

مع أن البيت لا يصلح دليلا لإنكار المعجزات لأن : البيت في معرض الكلام عن سماحة

[1]- رسائل الإصلاح : ص20 .

[2]- البقرة:90 .

[3]- أسرار التنزيل : ص120 .

[4]- محمد حسين هيكل – حياة محمد ، مؤسسة هنداوي، ط4 ،مصر ، القاهرة ،2014م : ص17.

[5]-البوصيري ،شرف الدين ،الكواكب الدرية في مدح خير البرية، مطبعة البهية المصرية، مصر، دط،1356هـ: ص40.

الشريعة ويسرها ورفع الحرج عن الأمة حيث أخذ البوصيري بعد ذكر مفاخر رسول الله ،"يذكر كيفية دعوته للخلق من غير أن يحملهم ما لا قدرة لهم عليه من التكليف"[1].

وقد غاب عن محمد المراغي أن البوصيريَ ذاتَه عقد مقطعا لمعجزاته صلى الله عليه وسلم قال في بدايته :

جَـــاءَتْ لِدَعْوَتِـــهِ الْأَشْـــجَارُ سَـــاجِدَةً تَمْشِـي إِلَيْـهِ عَلَـى سَـاقٍ بِـلاَ قَـدَمِ[2]

فقد أشار في هذا المقطع إلى عدة معجزات منها تظليل الغمامة له وكذا انشقاق القمر وغيرها من المعجزات[3].

وهذا النوع من المعجزات قد يقصد به إقامة الحجة على الجاحدين الذين يؤخذون بالدلائل المحسوسة أكثرَ مما يؤخذون بالدلائل المعقولة، وقد يجري بمحضر المؤمنين؛ لتطئمن قلوبهم، ويزدادوا إيمانا على إيمانهم، ومنها ما يشهده الرسول وحده؛ ليرى من آيات الله ما لم يكن قد رأى؛ كواقعة الإسراء[4].

ولهذا ترى دعاة هذه المدرسة "يسعون أن يقيموا مقام نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عبقريةً يجعلونها موضع عناياتهم ، ويكتبون عنها بدلا من نبوته تفضيلا لمناقبه التي يتفق على تعظيمها من يدين برسالته الدينية ومن لا يدين له برسالة ، على التي ينفرد بتعظيمها المسلمون"[5].

الفرع الثالث: تشابه العقلانيين والحداثيين:

---

[1]- ابن مقلاش الوهراني ،عبد الرحمن بن محمد – شرح البردة البوصيرية ،تحقيق محمد مرزاق ، دار ابن حزم ، ط1، بيروت، لبنان ،1430هـ-2009م :ج1 ص278.

[2]- الكواكب الدرية:ص45 .

[3]- شرح البردة البوصيرية: ج2 ص409 وما بعدها .

[4]- محمد رسول الله وخاتم النبيئين : ص104 .

[5]- مصطفى صبري – موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ، دار التراث العربي ، ط2 ،بيروت ، لبنان، 1401هـ-1981م : ج4 ص06.

يعد الحداثيون[1] امتدادا للفكر الاستشراقي الغربي تبنوا ذات أفكارهم ، ونظروا إلى القرآن وأحكامه وإلى المعجزات بنفس النظرة الاستشراقية، فنفوا المعجزات الماديةَ الثابتة عن رسول الله ، وقصروها على معجزة القرآن الكريم فقط ، فهذا محمد عابد الجابري يدافع عن هذه الفكرة فيقول مؤكدا: "نحن نؤكد فعلا أن الشيء الوحيد ، الذي يفهم من القرآن بأكمله أن المعجزة الخاصة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ، هو القرآن لا غير ، فالقرآن يكفي ذاته بذاته في هذا الشأن"[2].

قال هذا في سياق حديثه عن معجزة انشقاق القمر ومعجزة الإسراء والمعراج، حيث رد على من يعتبرهما معجزة لرسول الله، بل تلك الأقوال –أي أقوال المفسرين القائلين بالمعجزة– :"تراث لنا ومن حقنا ، بل من واجبنا أن نختار منها ما لا يتعارض مع الفهم الذي ينسجم مع مبادئ العقل ومعطيات العلم في عصرنا"[3].

ومن جملة النصوص القرآنية التي اعتمدوها لتقوية رأيهم قول الله عز وجل : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْأَيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾﴾[5].

---

[1]– الحداثة(Modernity) هي مذهب فكري أدبي علماني، أسس على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية ..ظهرت منتصف ق19 الميلادي ،وتأثر بالمذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية ...وغيرها، وهدف مذهب الحداثة إلى إلغاء مصادر الدين ، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية بحجة أنها قديمة موروثة.ينظر: المعجم الفلسفي : ص179–180 .

[2]– الجابري ، محمد عابد – مدخل إلى القرآن الكريم ، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1، لبنان ،بيروت ،2006 م: ص187.

[3]– المرجع نفسه :ص188 .

[4]– الأنعام :109 .

[5]– الإسراء :59 .

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠﴾[1] "وواضح أننا هنا أمام إغلاق نهائي لمسألة إمكانية تخصيص خاتم النبيئين والمرسلين بمعجزة من جنس ما طالبت به قريش، لقد قررت الآية أن القرآن وحده كاف كمعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم"[2] .

غير أن محمد الخضر حسينا بين المراد من الآيات وما تشير إليه فقال:" وليس في هاتين الآيتين ما يثير إشكالاً؛ فإن كفار قريش كانوا يقترحون على النبي – صلى الله عليه وسلم – آيات يصفونها، وإنما يقترحونها على وجه التعنت"[3].

ثم أجاب عما فهمه المنكرون من الآيات السابقة وأنها ليست كما فهموه، بل يفهم من قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ ٥٩﴾[4]، أن الأولين قد كذبوا بآيات من جنس الآيات التي اقترحها هؤلاء الآخرون، فكان تكذيبهم كأنموذج لتكذيب أمثالهم المتعنتين من كفار قريش للآيات التي اقترحوها لو وقعت[5].

كما يجاب عن فهمهم لقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠﴾[6]، أنه "لما كان المقصود من إنزال الآيات: توجيهَ النفوس إلى الإيمان بصدق الرسول من طريق الاستدلال، كان الأمر في اختيار الآيات يرجع إلى مشيئته تعالى؛ إذ هو العالم بما يوافق حكمة الدعوة، ويكفي في دلالة النفوس غير المتعنتة على أن

[1]– العنكبوت :50 .

[2]– الجابري ، محمد عابد – مدخل إلى القرآن الكريم :ص188 .

[3]– محمد رسول الله وخاتم النبيئين :ص198 .

[4]– الإسراء :59 .

[5]– محمد رسول الله وخاتم النبيئين :ص199 .

[6]– العنكبوت :50 .

دعوة الرسول حق[1].

فهذه الآيات لم يخْفَ فهمها عن المحَدِّثين الذين رووا أحاديث المعجزات، والتي بلغت بمجموعها حد التواتر بلا ريب و "قصارى ما تدل عليه -الآيات القرآنية التي أوردوها-: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يملك المعجزات، وأن الله هو الذي يجريها على أيدي الرسل- عليهم السلام- عندما يرى إجراءها مناسبًا لعظمته، وعلم أن الحال يقتضي إجراءها، لا بمجرد اقتراح المشركين"[2].

وهذا يؤكد أن الحداثيين هم امتداد للمدرسة العقلية؛ ومُرَدِّدُون لكثير من آرائها، وقد أشار محمد الخضر إلى ذلك الأصل الذي جعله الحداثيون إمامَهم وقدوتَهم "وحدث في هذا العصر آراء في التفسير يذيعها نفر لا يرقبون في القرآن حكمة ولا بلاغة؛ كمن ينكر المعجزات الكونية بإطلاق، فيؤول آيات المعجزات على وجوه تجعلها من الحوادث العادية، وإن كان تأويلها لا يجري على استعمال الألفاظ المعروف في اللغة، ولا تحتمله أساليب بلاغتها"[3].

الفرع الرابع: الإلحاد في آيات المعجزات

أما صاحب كتاب الهداية والعرفان، فإنه وقف على معجزات نبي الله موسى عليه السلام الواردة في قوله تعالى: ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا

[1]- محمد رسول الله وخاتم النبيئين:ص199 .

[2]- بلاغة القرآن : ص213 .

[3]- بلاغة القرآن : ص27 .

فَسِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1]، والتي تشير إلى أن هذه الآيات أو المعجزات من دلائل نبوته عليه السلام ، لكن أبا زيد الدمنهوري لا يرى ذلك بل إنه يرى أن آية الرسل على صدق نبوتهم "لا تخرج عن حسن سيرتهم وصلاح رسالتهم وأنهم لا يأتون بغير المعقول ، ولا بما يبدل سنة الله ونظامه في الكون "[2].

لقد وقف محمد الخضر حسين على ما قاله صاحب كتاب" الهداية والعرفان"، وما تمسك به من إنكار المعجزات، فبين أن صاحب الكتاب مردِّد للعقيدة القاديانية والتي هي بدورها امتداد للحركة الباطنية القديمة، يقول في هذا الشأن"القاديانية وليدة الباطنية، ومن مبادئ هذه الفرقة إنكارُ المعجزات الكونية، وقد التزم زعيمهم أن يأتي إلى كل آية ظاهرة في معجزة كونية، ويخرجها عن ظاهرها بكلام يجعلها أمراً عادياً، وجرى في أثره أبو زيد صاحب التفسير المنبوذ، فلا يمر بآية فيها معجزة إلا حرَفها عن معناها كما يحرفها زعيم القاديانية"[3].

واستنتج أن خوارق العادات التي أظهرها على أنبيائه لا ينكرها إلا جاحد لمقام النبوة:" لم ينقل عن أحد ممن يؤمن بالرسل – صلوات الله عليهم – إنكارُ المعجزات التي هي خوارق عادات يغير الله بها بعض سننه الظاهرة؛ لتكون حجة على صدق من يبعثه داعياً إلى سبيله، وإنما ينكرها طائفة ممن أنكروا بعثة الرسل إذ قالوا: إن الرسالة تتوقف على المعجزة، والمعجزة خرق للعادة، وخرق العادة محال"[4].

وحجة من نفى المعجزات زعمه أنها من قبيل المستحيل الذي يحيل العقل وجوده و"المعجزة لَيست من نوع المستحيل عقلا فَإِن مُخَالفَة السّير الطبيعى الْمَعْرُوف فى الإيجاد مِمَّا لم يقم دَلِيل على استحالته بل ذَلِك مِمَّا يَقع"[5].

---

[1]– القصص:32 .

[2]– أبو زيد الدمنهوري– الهداية والعرفان : ص306.

[3]– بلاغة القرآن:ص268 / محمد رسول الله وخاتم النبيئين:ص195 .

[4]– بلاغة القرآن : ص 146 .

[5]– محمد عبده – رسالة التوحيد : ص85 ، 86 .

وعند بعض المعجزات التي أظهرها الله على يد نبيه عيسى عليه السلام وهي المجموعة في قوله تعالى: ﴿ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴿٤٩﴾ ﴾[1].

فقد وقف محمد الخضر عند معناها الذي قال به من يُعتمد من المفسرين "والمعنى الذي يعقل من الآية: أني أصور لكم من الطين شيئاً على هيئة الطير، فأنفخ فيه، فيكون طيراً حياً بأمر الله، وأبرئ

الأعمى، والذي به وَضَحٌ، وأعيد الحياة إلى جسم من فقد الحياة، أفعلُ كلَّ ذلك بأمر الله"[2].

لكن المنكرين للمعجزات والمستبعدين لوجوها يفسرونها تفسيرا بعيدا، ظنا منهم أن العقل لا يصدق ذلك، وقد صرح محمد الخضر بقولهم وأومأ إلى بُعْده " وأما نحو إخراج الناس من ثقل الجهل إلى خفة العلم، وإبراء الجباه المصابة ببرص الذل، فلا يصح حمل الآية عليها؛ إذ القرآن بريء من أمثال هذه الاستعارات البالغة في التكلف والتعقيد غاية تذهب عندها الفصاحة وحسن البيان"[3].

والواضح أن المنكرين للمعجزات تعلقوا بقانون السببية الذي ينص على: أن الله تعالى وضع هذا الكون على سنن لا تتبدل، وربط أسبابه بمسبباته ربطاً لا يتغير ، ولكن الله الذي أوجد السبب قادر على أن يعطلة مثلما عطل خاصية إحراق النار فكانت بردا وسلاما على نبي الله إبراهيم عليه السلام.

[1]- آل عمران :49 .

[2]- بلاغة القرآن :ص150 .

[3]- بلاغة القرآن :ص150 . وهذا قول أبي زيد الدمنهوري ، ينظر الهداية والعرفان :ج01 ص45 .

المطلب الثاني : مطاعن العقلانيين في الغيبيات والنبوات

المطاعن في الغيبيات:

المقصود بالغيبيات هنا كل ما لا سبيل إلى الإيمان به إلا عن طريق الخبر اليقيني ، ومما يدخل في الغيبيات عالم الملائكة وعالم الجن والشياطين وأين تستقر الأرواح، وهذه العوالم ورد تصريح القرآن الكريم بوجودها، ولكن بعضا من أتباع المدرسة العقلية وبعضا ممن افتتنوا بالعلوم العصرية وصاروا لا يطمئنون إلا لما هو ملموس سلكوا في تفسير هذه الغيبيات مسلك التأويل.

الفرع الأول: الملائكة

تعريفهم: لغة: الملك مشتق من الفعل أَلِك، وأصله مألك، ثم قلبت الهمزة إلى موضع اللام فقيل ملأك، ثم خففت الهمزة بأن ألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها فقيل ملك؛ وقد يستعمل متمما والحذف أكثر:

وَلَسْتُ بِإِنْسِيٍ، وَلَكِنَّ مَأْلَكًا تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ[1]

والجمع ملائكة، دخلت فيها الهاء لا لعجمة ولا لنسب، **والملائكة:** جمع ملأكة ثم ترك الهمز فقيل ملك في الوحدان، وأصله ملأك كما ترى، ويقال: جاء فلان قد استألك مألكته أي حمل رسالته[2].

اصطلاحا : عرف محمد الخضر حسين **الملائكة** بأنهم :" جمع ملاك بمعنى مَلَك، وهم نوع من الخليقة ذوو أجسام لطيفة يستطيعون أن يتشكلوا بأشكال مختلفة"[3].

---

[1]- البيت لعلقمة الفحل ، ينظر: أحمد صقر،شرح ديوان علقمة الفحل ، المطبعة المحمودية،ط01 ،القاهرة ، ط1 ، 1353هـ-1935م: ص16.

[2]- لسان العرب ، مادة ألك :ج10 ص394 .

[3]- أسرار التنزيل :ص66 .

أو هم :"أجسام لطيفة نورانية قادرون على التشكل في صور مختلفة، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون[1].

وإذا كان القرآن الكريم صرح بوجود هذا العالم، كما صرح بأسماء من أفراد هذا العالم الغيبي فإن هذا التصريح قابله جملةٌ من التأويلات سواء في عموم الملائكة أو في الأفراد المصرح بهم أو في أشكالها ، فهذا أبو زيد الدمنهوري يفسر الملائكة- في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ ﴿٣٤﴾﴾[2]-بأنهم :رسل النظام وعالم السنن وسجودهم للإنسان معناه أن الكون مسخر له[3] ، وفي قوله تعالى:﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[4]، أولي أجنحة يمثل لك السرعة في اجراء سننه في الكون وتنفيذ أوامره في العالم [5].

فتحريفه الآية بادعاء التمثيل مرة، وذكره لسنن الكون ونظمه مرة أخرى، وجعله جبريل وميكائيل قسمين من الملائكة، دون الاعتراف بأنهما فردان منهم، يدل على أنه يريد من الملائكة معنى غيرَ المعنى المعروف في صريح الكتاب والسنَّة، ونصوص الشريعة في دلالتها على وجود الجن والملائكة[6].

ومن هنا جعل محمد الخضر التصديق بوجود الملائكة هو برهان الإيمان ،فهم مخلوقات حقيقية خلقهم الله لحكمة "ووسَّطهم في إبلاغ الوحي للأنبياء -عليهم السلام-، وذكر ذلك في الكتاب، وتحدث الأنبياء عنهم بما لا يدع في النفس شبهة في أن الملَك مخلوق ذو حياة ونطق عقلي. فمن لم

---

[1]- أسرار التنزيل : ص313 .

[2]- البقرة : 34 .

[3]- الهداية والعرفان: ص 07 .

[4]- فاطر :01 .

[5]- الهداية والعرفان : ص341 .

[6]- بلاغة القرآن:ص161 .

يؤمن بهذا النوع من المخلوقات على الوجه الذي وصفه الكتاب العزيز، فقد أنكر الوحي، وحُرم من إيمان يبنى عليه سيرة يصل بها إلى أمن وسعادة"[1].

الفرع الثاني: الجن والأرواح:

تعريفهم :

لغة : الجن: جماعة ولد الجان، وجمعهم الجِنَّة والجِنَان، سموا به لاستجنانهم من الناس فلا يُرون. والجان أبو الجن خلق من نار ثم خلق نسله. والجان : حية بيضاء، قال الله عز وجل- تهتز كأنها جان ولى مدبرا وأرض مجنة: كثيرة الجن[2]. والجنة: الجِنُّ[3]. ومنه قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾[4].

وسمي الجن جنا لأنهم مجتنون عن رؤية الناس أي متوارون[5].

اصطلاحا : الجن عالم آخر غير عالم الإنسان وعالم الملائكة ، بينهم وبين الإنسان قدر مشترك من حيث الاتصاف بالعقل والإدراك ، ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر[6].

" وإنما ينكر الجن من جمد عقلُه في دائرة من المحسوسات لا يتخطاها أنملة، ونحن نعلم أن العقل وحده لا يصل إلى العلم بوجودهم، كما أنه لا يستطيع إقامةَ الدليل على نفيهم، بل إذا سئل عنهم، وهو صحيح النظر، مجردٌ من كل تقليد، أقر بإمكان وجودهم؛ إذ ليس من شرط كل موجود

[1]- أسرار التنزيل:ص313 .

[2]- كتاب العين :ج6 ص20 ،21 /تهذيب اللغة ،مادة ج ن :ج10 ص265 ،266 .

[3]- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية :ج5 ص2094 .

[4]- الناس :06 .

[5]- لسان العرب :ج6 ص16 .

[6]- الأشقر ، عمر سليمان - عالم الجن والشياطين ، مكتبة الفلاح ، ط4، الكويت ، 1404هـ-1984م :ص11.

أن يدرك بإحدى الحواس الخمس"[1].

أ:تأويل العقلانيين لعالم الجن:

هذا العالم –أي عالم الجن – ثبت وجوده بنص القرآن والسنة وأنزل الله سورة باسمهم ، كما بين أصل خلقتهم ﴿وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ١٥﴾[2] فعنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخَلَقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ"[3].

ومن هنا أجمع المسلمون على وجود هذا الجنس من المخلوقات، لكن هناك جماعة وقفت عند الآيات المصرحة بالجن أو بذكر إبليس فتأولت النص القرآني تأويلا بعيدا ، فصاحب كتاب الهداية والعرفان يمر على الآيات التي تذكر الجن وأصرح آية هي قوله تعالى : ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١﴾[4] نجده بعد أن أحال إلى السور والآيات التي ورد فيها هذا الإسم يقول :" يطلق الجن والجنة على الزعماء والمستكبرين من السادة المتبوعين ، ويعبر عن الإنس بسائر الناس المقلدين والتابعين المستضعفين "[5].

وقريبا من هذا القول أورده في تفسير قوله تعالى : ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧﴾[6]، فالجن في مفهومه "يطلق على العالم الخفي والظاهر

[1]– بلاغة القرآن :ص 158 .
[2]– الرحمن :15 .
[3]– رواه مسلم : رقم 2296 .
[4]– الجن:01 .
[5]– الهداية والعرفان : ص 458 .
[6]– النمل:17.

القوي ، وجن كل شيء أوله ومقدمته وجن الجيش قواده ورؤساؤه"[1].

ففي هذا الذي قاله أبو زيد إنكار صريح للجن وتأويل منحرف عما هو صريح وواضح من ظاهر النص الذي لا يحتمل التأويل ، "لقد أبعد صاحب هذا التأويل في التفسير وجمد على رؤية المحسوسات فقط وإنما ينكر الجن من جمد عقلُه في دائرة من المحسوسات لا يتخطاها أنملة"[2].

وإذا كان أصحاب هذا التوجه إنما يدفعهم لهذا التأويل زعمهم أن هذا مما يناقض العقل أو أن العقل يحيل وجود هذا العالم فإن "العقل وحده لا يصل إلى العلم بوجودهم، كما أنه لا يستطيع إقامةَ الدليل على نفيهم، بل إذا سئل عنهم، وهو صحيح النظر، مجردٌ من كل تقليد، أقر بإمكان وجودهم؛ إذ ليس من شرط كل موجود أن يدرك بإحدى الحواس الخمس"[3] وإلا ترتب عن هذا إنكار الكثير من الموجودات التي أثبت العلم وجودها وإن كانت تغيب عن أنظار العباد.

وقد وضح هذه الحقيقة سيد قطب في تفسيره لقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴿٣﴾﴾[4]، قال ما ملخصه : "فأما محاولة إدراك ما وراء الواقع بالعقل المحدود الطاقة بحدود هذه الأرض والحياة عليها ، دون سند من الروح الملهم والبصيرة المفتوحة هي محاولة فاشلة ، لأنها تستخدم أداة لم تخلق لرصد هذا المجال ، وإنَّ عدم إدراكه للمجهول لا ينفي وجوده في ضمير الغيب المكنون"[5]. وهوذاته الذي قرره القاسمي :"ولا يخفى أن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود. فعدم إدراكنا لهذه الأرواح لا يدل على عدم وجودها. كما أن عدم معرفة القدماء للميكروبات وللكهرباء التي تشاهد الآن آثارها العظيمة، لم يكن يدل على عدم وجودها إذ ذاك في

[1]- المرجع نفسه : ص297 .
[2]- بلاغة القرآن : ص 158 .
[3]- بلاغة القرآن : ص158 .
[4]- البقرة:03 .
[5]- سيد قطب -في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط32 ،1423هـ-2003م : ج1 ص40.

العالم. فمن الجهل الفاضح إنكار الشيء لعدم معرفته أو العثور عليه"[1].

وبذلك قال محمد الخضر" الحقيقة التي نصدع بها موقنين، ونخرج من مقام الدفاع عنها ظافرين، هي أن كل ما يقرره الدين لا تجرؤ العقول على إنكاره، إلا عقولاً لا ترجع في إنكارها إلى منطق صحيح"[2].

ب :تأويلهم لإبليس : ورد هذا الإسم في قصص القرآن التي تحدثت عن قصة آدم وسجود الملائكة له ، وورد خطاب الله لإبليس ومحاورته له ، كما ورد محاورته-أي إبليس- لآدم في مسألة الوسوسة ، وظاهر الآيات يوحي بوجود هذا المخلوق لكن قال المؤول :"إبليس اسم لكل مستكبر على الحق ويتبعه لفظ الشيطان والجان ، وهو النوع المستعصي على الإنسان تسخيرُه"[3]. والذي يتصفح كتب التفسير يجدها مطبقة على أن إبليس مخلوق من المخلوقات التي ثبت وجودها، فقد جاء عند بعضهم تعريف إبليس فقال : إبليس إفعيل من " أبلس " إذا يئس كأنه يئس من الرحمة،ولم ينصرف، لأنه شابه الأعجمي، حيث لم يستعمل إلا علماً[4].

وقد رد محمد الخضر على من زعم أن إبليس مجرد رمز لا غير فقال:" وإبليس: اسم للشيطان أعجمي، وهو كائن حي. وقد أخطأ وجه الحق من حمله على معنى داعي الشر الذي يخطر بالنفوس. وليس من المعقول أن تحمل عليه الآيات وهي صريحة في أنه كان يقول ويقال له، ويرى الناس ولا يرونه[5]، ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ

[1]- القاسمي ، محمد جمال - محاسن التأويل : ج8 ص203 .

[2]- بلاغة القرآن : ص144 .

[3]- الهداية والعرفان : ص07 .

[4]- مكي بن أبي طالب، أبو محمد - الهداية إلى بلوغ النهاية: : ج1 ص231/ الكرماني ، برهان الدين - غرائب التفسير وعجائب التأويل :ج1 ص134 .

[5]- أسرار التنزيل : ص68 .

أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾[1].

الفرع الثالث: طعنهم في النبوات:

إذا كنا تكلمنا فيما سبق عن الباطنية القديمة فإن هناك فِرَقا حديثة لا تقل خطرا عن القديمة وساعد الاستعمار في انتشارها بل شجعها على ذلك لأنها تخدم أهدافه، ومن هذه الفرق، القاديانية والبهائية والبابية، التي اثرت في الكثير من شباب المسلمين في ذلك الزمن، ودعاة هذا المذهب قد استهووا فريقاً من أبناء المسلمين، وأصبحوا يدعون إلى مذهبهم في النوادي، ويتحدثون عنه في الصحف، وألفوا كتباً تقع في أيدي بعض الشباب"[2]

وقد نص رشيد رضا على أن البابية هي آخر الفرق الباطنية ، قال :" والبابية – وهم آخر فرقة ظهرت من الباطنية[3].

وهو التصريح ذاته الذي صرح به محمد الخضر حيث عدَّ من الباطنية الباطنية: طائفةَ البهائية، وطائفة القاديانية[4].

أما عن مصادر أفكارها فقد "تغذت من ديانات وآراء فلسفية ونزعات سياسية، ثم اخترعت لنفسها صوراً من الباطل، وخرجت تزعم أنها وحي سماوي"[5].

أما عن موقفهم من القرآن الكريم وتفسيره فإن داعيتهم أبا الفضائل الإيراني يصرح قائلا :"وفي نفس الكتب السماوية تصريحات بأن تأويل آياتها أي معانيها الأصلية المقصودة لا تظهر إلا في اليوم الأخير،يعني يوم قيام روح الله ومجيء مظهر أمر الله وإشراق آفاق الأرض مشارقها ومغاربها

[1]– الأعراف :27 .

[2]– القاديانية والبهائية: ص75 .

[3]– تفسير القرآن الحكيم :ج3 ص145 .

[4]– دراسات في الشريعة الإسلامية:ص122 .

[5]– محمد الخضرحسين – القاديانية والبهائية : ص71 .

ببهاء وجه الله"[1].

أما عن النبوة وختمها بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد ادعى غلام أحمد الوحي والنبوة والرسالة، ومن جملة ما نقله محمد الخضر من أقواله:أنه قال: "فأنعم الله على هذه -يعني: أمة الإسلام- بإرسال مثيل عيسى، وهل ينكر بعده إلا العمون"، وقال: "وكان عيسى علماً لبني إسرائيل، وأنا علم لكم أيها المفرطون"[2]!.

وقد أجاب محمد الخضر على هذه الدعاوى -التي لم يُقم عليها أتباعُ هذه الطائفة بيناتٍ- بكلام الله وتفسيره ، فهذا منهجه الذي سار عليه في كل رد ، ومن ذلك استدلاله بصريح القرآن على بطلان هذا القول، منها قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[3] فالآية صريحة في دحض تلك الدعاوى،فعلى قراءة (خاتم) بكسر التاء، يكون وصفاً له - عليه الصلاة والسلام - بأنه ختم الأنبياء؛ أي: لا ينال أحد بعده مقام النبوة، فمن ادعاها، فقد ادعى ما ليس له به من سلطان وقراءة (خاتم) بفتح التاء ترجع إلى هذا المعنى؛ فإن الخاتم -بالفتح- كالخاتم -بالكسر- يستعمل بمعنى: الآخر، ذكر هذا علماء اللغة، وجرى عليه المفسرون المحققون[4].

وقد تعلق القادياني بنصوص من الوحيين أولَها على حسَب هواه ، من ذلك، تأويله لحديث "لا نبي بعدي"[5]، فقد حمله هذا المدعي على معنى أنه لا يأتي بعده نبي من غير أمته، كما تأول

---

[1]- أبو الفضائل الإيراني - الدرر البهية في جواب الأسئلة الهندية ، مطبعة الموسوعات،دط ، مصر ، 1318هـ- 1900م: ص112 ، 113.

[2]- محمد الخضر حسين - القادياني والقاديانية :ص15 .

[3]-الأحزاب :40 .

[4]- القادياني والقاديانية:ص17 .

[5]- تمام الحديث، كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون، رواه البخاري، عن أبي هريرة،باب ما ذكر عن بني اسرائيل،رقم:3455 .

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ٧٥﴾[1] بأن قوله تعالى : ﴿يَصۡطَفِي﴾ فعل مضارع، والمضارع للاستقبال، وهذا من الدلائل على جهله بقواعد اللغة وأسرار البلاغة" لأن "من دواعي التعبير عن الماضي بصيغة المضارع: الإشارة إلى استمرار الفعل وتجدده فيما مضى حيناً بعد حين؛ فإن الاستمرار التجددي يستفاد من المضارع على ما جرى عليه استعمال البلغاء، وصيغة الماضي لا تعرج على هذا المعنى"[2].

أي أن الإصطفاء كان يتجدد، ويقع مرّة بعد أخرى"[3].قبل نزول آية: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾،كما استدل محمد الخضر لهذا بأحاديث صريحة بإغلاق باب النبوة بعد رسول الله، منها ما ورد في "صحيح البخاري" عن أبي هريرة: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلّا وضعت هذه اللبنة"، قال: "فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين"[4].

واستأنس بقولين لمفسرَين كبيرين أحدهما: لابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ حيث قال: "وقد أخبر الله تعالى في كتابه، ورسوله في السنة المتواترة عنه: أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده، فهو كذّاب أفاك دجال مضل"[5].

والآخر: لشهاب الدين الآلوسي حيث قال:" "وكونه – صلى الله عليه وسلم – خاتم النبيين ممّا

---

[1]– الحج :75 .

[2]– المصدر نفسه :ص19 .

[3]– أسرار التنزيل :ص16 .

[4] – صحيح البخاري ، رقم 3455– أخرجه مسلم في الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول رقم 1842.

[5]– أبو الفداء إسماعيل بن كثير–تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ،ط2، 1420هـ – 1999 م :ج6 ص430.

نطق به الكتاب، وصدعت به السنّة، وأجمعت عليه الأمة. فيكفر مدّعي خلافه"[1].

المطلب الثالث: المطاعن في الأحكام والتشريع:

مثلما تعرضت نصوص العقائد للتأويلات المنحرفة ؛فإن أحكام التشريع نالها هذا النوع من التأويل الفاسد ،خاصة بعد تعرض المجتمعات الإسلامية للاستعمار الذي عطل أحكام الشريعة، وأحل مكانها أحكامه وتشريعاته، وبقي أثر ذلك حتى بعد رحيله ، ومن الأحكام التي نالها التأويل الفاسد :

1- الحدود والعقوبات

2- أحكام الأسرة

الفرع الأول: العقوبات والحدود :

أ-تعريف العقوبة : هي الجزاء المقرر لمصلحة الجماعة على عصيان أمر الشارع[2].

أو هي :ارتكاب كل ما هو مخالف للحق والعدل والطريق المستقيم[3].

ب-تعريف الحد :

لغة: حد: قال الليث: فصل ما بين كل شيئين حد بينها، ومنتهى كل شيء حده فحدود الله ضربان؛ ضرب منها حدود حدها للناس في مطاعمهم ومشاربهم ومناكحهم وغيرها، وأمر بالانتهاء عما نهى عنه منها ونهى عن تعديها. والضرب الثاني عقوبات جعلت لمن

[1]- الألوسي، شهاب الدين - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط01 ، بيروت، 1415هـ:ج11 ص219،220 .

[2]- عبد القادر عوده - التشريع الجنائي الإسلامي :ج 2 ص609 .

[3]- أبو زهرة ، محمد - الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي ، دار الفكر العربي ،دط، القاهرة ، 1998م: ص19.

ركب ما نهي عنه، كحد السارق سميت حدودا لأنها تحد أي تمنع من إتيان ما جعلت عقوبات فيها[1].

اصطلاحا : هو العقوبة المقدرة حقا لله تعالى[2] .

ج: تحريف آيات الحدود

لقد جاءت الشريعة الإسلامية وشرعت أحكامها لحفظ نظام الأمة ، ورعاية مصالح العباد في العاجل والآجل ، وليس يحفظ نظامها إلا بسد ثلمات الهرج ، والفتن ، والاعتداء ، فمقصد الشريعة من تشريع الحدود ، والقصاص ، والتعزير ، وأروش الجنايات ، ثلاثة أمور : تأديب الجاني، وإرضاء المجني عليه، وزجر المقتدي بالجناة[3] .

والحدود التي وردت فيها عقوبات مقدرة هي : حد السرقة، وحد القذف، وحدالزنى،والحرابة ولهذا كان من أكبر " مقاصد الشريعة الغرّاء: حماية الأنفس، والأموال، والأعراض، والأنساب، فعمدت إلى ما يكون الاعتداء به على هذه الحقوق أكثر أو أشد ضرراً، فشرّعت له عقوبة معينة، وفوَّضت ما عدا ذلك إلى ولي الأمر ليجتهد فيه رأيه"[4].

ومن الآيات التي صرحت ونصت على جملة من الحدود:قول الله عز وجل :﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾.[5] وقوله:﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ

[1]- الأزهري – تهذيب اللغة :ج3 ص270 /تاج العروس ، مادة حدد :ج 8 ص6 .
[2]- الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي :ص 43 .
[3]- الطاهر بن عاشور – مقاصد الشريعة الإسلامية : ص357 ، 358.
[4]- بلاغة القرآن :ص137 .
[5]- المائدة :38 .

ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ﴾[1].

وقد أوكل الله إلى ولي الأمر تنفيذه ولم يوكله إلى المجني عليه، لأنه لو أوكل إلى المعتدى عليه فقد يرق قلبه وتنحاز عواطفه إلى العفو والصفح، ولكن حكمة التشريع أسمى وأوسع فهي تُغَلِّب مصلحة الشرع كما تغلب المصلحة العامة، يقول العز بن عبد السلام :" وأما حد السرقة فزاجر عن مفسدة تفويت الأموال التي يتوسل بها إلى مصالح الدنيا والدين، ويتقرب بها إلى رب العالمين. ولم يفوض الشرع استيفاءه إلى المسروق منه لغلبة الرقة في معظم الناس على السارقين، فلو فوض إليهم لما استوفوه رقة وحنوا وشفقة على السارقين"[2].

والتعريف الذي سبق للحد يوحي بأن النصوص التي أوردت مسألة الحدود هي قطعية الدلالة، لا تحتمل أكثر من احتمال، "ومعنى قطعية الدلالة في النص :أنه لا يحتمل تأويلا، فلا يقبل تفسيرا جديدا ، وأن له معنى واحدا، ووجها واحدا لا يتسع لغيره بحال، وأن الإجماع اليقيني من الأمة منعقد على هذا المعنى"[3].

لكن المنحرفين في التأويل نحَوْا منحًى بعيدا في تأويل هذه النصوص.

وقد عرض محمد الخضر حسين لهذه الطائفة وأجاب عما أولوا به آيات الحدود باسم المصالح؛ وقد يكيفون هذا المصطلح – مصطلح المصلحة– على حسب أهوائهم؛ مما يؤدي إلى تعطيل حدود الله بالتأويلات الفاسدة .

[1]– النور :02 .

[2]– عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ،قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، تحقيق :نزيه حماد ، عثمان جمعة ضميرية ، دار القلم ، ط1، دمشق ، 1421هـ-2000م :ج1ص291.

[3]– القرضاوي، يوسف بن عبد الله– السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها ، مؤسسة الرسالة ناشرون،ط1 بيروت،لبنان ،1421هـ-2000م:ص152.

د: شبهات المؤولين :

أورد محمد الخضر حسين إجابة عن مقال نشر في جريدة السياسة الأسبوعية[1] تحت عنوان: "التشريع المصري وصلته بالفقه الإسلامي"[2]، تعرض فيه صاحبه لمسألة الحدود الشرعية وراح كاتب المقال يفسر الآيات على هواه ويفهمها على مزاجه، ومن جملة ما قرره في فهمه لتلك الآيات مايلي:

أن النصوص التي قدرت الحدود هي نصوص قابلة للاجتهاد وأن الأمر في قوله تعالى: " "فَٱقْطَعُوٓاْ " " فَٱجْلِدُواْ "، جاء للإباحة وليس للوجوب وهو أشبه بالأمر الذي ورد في قوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾[3].

وبالتالي "يجوز العدول عنه في بعض الحالات إلى عقوبة أخرى رادعة، ويكون شأنه في ذلك شأنَ كل المباحات التي تخضع لتصرفات ولي الأمر، وتقبل التأثر بكل زمان ومكان، وهكذا الأمر

[1]- هي صحيفة أصدرها حزب الأحرار الدستوريين في 13 مارس 1926م ورأس تحريرها محمد حسين هيكل وكتب فيها عديد من المثقفين الليبراليين ، ومنهم مصطفى عبد الرازق ، طه حسين ، عبد القادر المازني وغيرهم ركزت اهتماماتها على الآداب ، والعلوم ، والتاريخ ، والقانون ، والسياسة المصرية والشرقية والدولية ، لم تجد هذه الصحيفة إقبالا شعبيا عليها بسبب مواقفها المعادية لحزب الوفد وبسبب مواقفها الفكرية والاجتماعية المعارضة لما توارثه المصريون من آراء واتجاهات. ينظر:نجوى كامل ، عواطف عبد الرحمن – تاريخ الصحافة المصرية ، دار العربي للنشر والتوزيع ، ط2 ،2009 م: ص166 ، 167.

[2]- وقد لخص نص المقال حسين الذهبي ورد عليه أيضا في كتابه التفسير والمفسرون : ينظر هذا الأخير : ج2 ص387 وما بعدها . ونقله عنه أيضا يوسف القرضاوي في كتابه : كيف نتعامل مع القرآن :ص310-311 . وأشار إلى أن المقال موجود في صحيفة السياسة الأسبوعية عدد 6، ص6، السنة السادسة: 1937/02/20م.

[3]- الأعراف :31 .

في حد الزنا، سواء أكان رجماً، أم جلداً "[1].

ولا شك أن مخالفة أمر الله في تطبيق حدود الله هو خروج عن الجادة وفسق عن طاعة الله ولهذا أكد محمد الخضر بأنه "لا يختلف العلماء في أن الأوامر فيها للوجوب، وأن من أضاعها، وهو قادر على إقامتها، فهو فاسق أو جاحد"[2].

إن تعليق الحكم على شخص موصوف بوصف يؤذن بأن المقتضي للحكم هو ذلك الوصف الذي قام بالشخص، وإذا كان الوصف جناية؛ مثل: السرقة، والزنا، ووضع لها حكماً في صيغة، ولم يذكر حكماً غيره، لا يصح أن يقال: إن هذا الأمر محتمل للإباحة[3]؛ كما احتملها الأمر في قوله تعالى: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ﴾[4].

ثم إن ما ورد عقب آية السرقة من التخويف والوعيد فيه إيماء لوجوب تطبيق هذا الحد، وقد أشار محمد الخضر إلى فائدة التذييل في قوله تعالى:" نَكَٰلَا مِّنَ ٱللَّهِۗ " : فقال :"وفي وصفه الحد بأنه "نكال من الله" إيذانٌ بأن من وقف في سبيل إنفاذه، فقد حارب الله، ومن رأى أن غيره من العقوبات أحفظ للمصلحة، فقد زعم أن علمه فوق علم الله[5].

كما ألقى محمد الخضر باللَّائمة على أولئك الذين يستعملون عواطفهم في غير محلها فيتباكون على يد السارق المقطوعة، أو يرونها من قبيل القسوة التي تتنافى مع الرحمة التي جاءت بها الشرائع، وعلى أولئك الذين يزعمون أن نصوص تطبيق الحدود تتعارض مع المصالح، وبالتالي إذا تعارض هذان الأخيران وجب تقديم المصلحة كما يزعمون فقال :"والذين ينكرون بعض ما شرع الله من الحدود؛ كقطع يد السارق، وجلد القاذف، ورجم الزاني المحصن، لا يرجعون في إنكارهم إلى

[1]- بلاغة القرآن :ص136 .
[2]- بلاغة القرآن : ص140 .
[3]- بلاغة القرآن:ص138 .
[4]- الأعراف :31 .
[5]- بلاغة القرآن : ص138 .

رويَّة ونظرات في المصالح والمفاسد صحيحة، وإنما أخذوا إلى ما يقولون بعاطفة عمياء، أو ذوق غير سليم"[1].

فالذي خلق الخلق أرحم بهم وأدرى بما يصلح لهم ويُصلحهم، وأن ما زعمه المعترضون على تطبيق الحدود بدعوى تغليب المصلحة ، ما هي إلا مصالح متوهمة لا تنبني عن أساس متين.

وهذا مؤول آخر ذهب مذهبا غريبا في فهمه لآيات الحدود، فهما لم يسبق إليه ولا يقوم على أي دليل من اللغة أو كلام سلف هذه الأمة، فقد ذهب أبو زيد الدمنهوري إلى أنه يفهم من قوله تعالى : ﴿**والسارق والسارقة**﴾[2]، أن هذا اللفظ يعطى معنى التعود أي أن السرقة صفة من صفاتهم الملازمة لهم ويظهر لك من هذا المعنى أن من يسرق مرة أو مرتين ولا يستمر في السرقة ، ولم يتعود اللصوصية لا يعاقب بقطع يده لأن قطعها فيه تعجيز له ولا يكون ذلك إلا بعد اليأس من علاجه"[3].

ولكن عاطفة الشفقة قد تهز القلب، فتجعله ينفر من إجراء العقوبة على الزاني، وهذا ما يحذر منه كتاب الله بقوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾[4].

كما فسر قوله تعالى:"الزانية والزاني " بقوله: يطلق هذا الوصف على المرأة والرجل إذا كانا معروفين بالزنا وكان من عادتهما، وخلقهما فهما بذلك يستحقان الجلد، ولا يرغب في الزواج بهما إلا الزناة أمثالهما، والمشركون الذين لا يقدرون العفة والاحصان"[5]،وهو تأويل خرج به عن قانون اللغة العربية، بعد أن خرج به عن سنَّة النبي القولية والعملية[6].

---

[1]- محمد الخضر- محاضرات إسلامية :ص146 .

[2]-المائدة:38.

[3]- الهداية والعرفان : ص88 .

[4]-النور:02 .

[5]- الهداية والعرفان : ص284 .

[6]- بلاغة القرآن :ص141 .

أمّا من حيث اللغة فإن "علماء اللغة العربية من كوفيين وبصريين مجمِعون على أن اسم الفاعل لا يدل على أكثر مما يدل عليه الفعل، أفيستطيع المؤول أن ينقض بناءهم بكلمة لا تمتُّ إلى البحث بسبب، وإنما هي وليدة الهوى، والانهماك في مخالفة أهل العلم؟!"[1].

ثم بين تهافت المؤل فيما ادعاه من أن "اسم الفاعل يدل على التكرار والتعود – وعده محمد الخضر- من بهتانه الذي لا يقف عند حد! فاسم الفاعل؛ نحو: السارق، أو الزاني إنما يدل على ذات قامت بها السرقةُ أو الزنا، ولا دلالة له على تجدد قيام الوصف بالذات، ولا على تعودها عليه، هذا ما يقوله علماء العربية في القديم والحديث[2].

لقد أعطى بعض الناس لعقولهم العنان فراحوا يعطلون النصوص باسم المصالح أويقارنون بين قيمة الشيء المسروق وبين القيمة التي أوجبها الشرع دية لليد المجني عليها – خمسمائة دينار ذهبي- ثم ينظرون من جهة إلى النصاب الموجب لقطع اليد[3] فيرون في هذه القيم اضطرابا وأن الحد ليس مناسبا حتى قال قائلهم وهو أبو العلاء المعري:

يَدٌ بِخَمْسِ مِئِينَ عَسْجَدٍ وُدِيَتْ مَا بِالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارِ
تَنَاقُضٌ مَا لَنَا إِلَّا السُّكُوتُ وَأَنْ نَعُوذَ بِمَوْلَانَا مِنَ النَّارِ[4]

هذا التناقض المزعوم من أبي العلاء أجاب عنه الفخر الرازي وبين تهافته فقال :"ثم إنا أجبنا عن هذا الطعن، بأن الشرع إنما قطع يده بسبب أنه تحمل الدناءة والخساسة في سرقة ذلك القدر

[1]- بلاغة القرآن : ص162 .

[2]- المصدر السابق:ص161 .

[3]- النصاب الموجب لقطع اليد نصت عليه السنة منها ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها: عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "تقطع اليد في ربع دينار"، رواه البخاري،باب قول الله عز وجل: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴿٣٨﴾﴾ المائدة:38،رقم:6791، سنن أبي داوود ،باب ما يقطع فيه السارق،رقم :4383 .

[4]- الأبيات لأبي العلاء المعري ، لم أعثر عليه في ديوانه : اللزوميات ذكره جل المفسرين في تفسيرهم لآيات السرقة ، وأوردوا أبياتا ردت عليه منها : عز الأمانة أغلاها وأرخصها ... ذل الخيانة فافهم حكمة الباري.البيت للقاضي عبد الوهاب البغدادي ،ينظر: أضواء البيان: ج3 ص34 .

القليل. فلا يبعد أن يعاقبه الشرع بسبب تلك الدناءة هذه العقوبة العظيمة"[1].

وقد أجاب محمد الخضر عن ذلك التساؤل الذي أثاره" المعري "فقال :"إن قطع اليد في ربع دينار – مثلاً – فيه حكمة الزجر للسارق نفسه عن معاودة السرقة، وردع أمثاله عن الإقدام عليها، وفي هذا عصمة لأموال كثيرة، وسد لمنفذ تتفشى منه المفسدة بطريق العدوى، والله لا يحب المفسدين"[2].

وعَدَّ ابنُ كثير أن هذا من تمام الحكمة فقال :" هذا من تمام الحكمة والمصلحة وأسرار الشريعة العظيمة، فإنه في باب الجنايات ناسب أن تعظم قيمة اليد بخمسمائة دينار لئلا يجنى عليها، وفي باب السرقة ناسب أن يكون القدر الذي تقطع فيه ربع دينار لئلا يتسارع الناس في سرقة الأموال، فهذا هو عين الحكمة عند ذوي الألباب"[3]،" "كأنه قيل لما استعمل أعز شئ فى أحقر شئ خذله الله حتى قطع"[4].

وقديما أجاب العز بن عبد السلام عن دعوى التناقض التي أثارها من لا فقه له في حكمة التشريع فقال "فإن قيل: كيف تقطع يد ديتها خمسون من الإبل أو خمسمائة دينار بربع دينار أو بعشرة دراهم كما قال أبو حنيفة – رحمه الله –؟ قلنا: ليس الزجر عما أخذ، وإنما الزجر عن تكرير ما لا يتناهى من السرقة المفوتة للأموال الكثيرة التي لا ضابط لها، ولو شرط الشرع في نصاب السرقة مالا خطيرا لضاعت أموال الفقراء الناقصة عن نصاب الخطير، وفي ذلك مفسدة عامة للفقراء"[5].

ثم إن الواقع يشهد بأن ما استعاضته المجتمعات الإسلامية عن هذه العقوبة بعقوبات أخرى

[1]– الرازي – مفاتيح الغيب :ج11 ص354 .

[2]– محاضرات إسلامية :ص37 .

[3]– ابن كثير – تفسير القرآن العظيم : ج3 ص110 .

[4]– الساعاتي، أحمد بن عبد الرحمن البنا– الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، دار إحياء التراث العربي،ط02 .دس ط:ج16 ص109.

[5]– قواعد الأحكام :ج1 ص 291 .

كالسجن أو التغريم أو غير ذلك مما رأوه بديلا كافيا –اقتداء بالمجتمعات الغربية واستنادا لتأويلات بعيدة– كزعمهم أن المقصود من تشريع العقوبات هو الردع والزجر، فكل وسيلة تكفل هذا الأمر يمكن تطبيقها عوضا عما جاء منصوصا مصرحا به – فهذا الاستبدال لم يحلَّ المشكلة بل زاد من استفحالها، وهو داخل تحت قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ ﴾[1] ، يقول محمد الخضر :"وتأويل القرآن والأحاديث الصحيحة على غير ما يراد منها يعد تشريعاً جديداً"[2].

يعيب بعض الغربيين على الشريعة الإسلامية قطع يد السارق ويزعمون أن هذه العقوبة صارمة لا تليق بمجتمع متحضر ويقولون: يكفي في عقوبته السجن ردعاً له، وكان من أثر هذه الفلسفة التي لا تستند على منطقٍ سليم أن زادت الجرائم وكثرت العصابات وأصبحت السجون ممتلئة بالمجرمين وقطاع الطريق الذين يهدّدون الأمن والاستقرار"[3].

هذه هي بعض التأويلات المنحرفة التي أثارها بعض الناس في هذا الجانب العظيم من جوانب التشريع وهذه هي بعض مواقف وردود محمد الخضر حسين عليها.

الفرع الثاني: قضـــــــــايا الأسرة:

أخذت الكثير من قضايا الأسرة حظها من فساد التأويل للنصوص التي عالجت هذه القضايا، خصوصا بعد ظهور الجمعيات النسوية والكتابات التي تنادي بتحرير المرأة مثلما فعل "قاسم أمين" في كتابه "تحرير المرأة" ، و"الطاهر حداد" في كتابه "امرأتنا في الشريعة والمجتمع"، وقد وُجهت لدين الله تهم عديدة في هذ الجانب في قضايا الزواج والطلاق والميراث .وأكثر مسألة أكثر حولها هؤلاء المؤولون اللغط هي مسألة تعدد الزوجات والآيات التي وردت بصددها ويشمل التعدد أمرين:التعدد

[1]– الشورى:21 .

[2]– بلاغة القرآن :ص227 .

[3]– الصابوني ، محمد علي – صفوة التفاسير: ج1 ص315 .

في حق رسول الله والتعدد في حق الأمة.

أ:في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم : من القضايا التي أثارها دعاة التنوير قضية التعدد التي صرح القرآن الكريم بإباحتها لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأمته بالشروط والضوابط المنصوص عليها، وقد زعم الطاهر حداد أن التعدد إنما "هو سيئة من سيئات الجاهلية الأولى التي جاهدها الإسلام طبق سياسته التدريجية"[1].

أما بالنسبة للتعدد في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الطاهر حداد يزعم أن زواج رسول الله بأكثر من واحدة كان دافِعُه عوارض بشرية ، ثم إن رسول الله لم يقدم على تطليق أزواجه مكتفيا بواحدة؛ مرد ذلك إلى أن أزواجه اللاتي تزوجهن قبل منعه من التعدد المنصوص عليه–أي المنع– في قوله تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ٥٢﴾[2] لأن أزواجه صرن معدودات أمهاتٍ للمؤمنين ، فلو فارق بعض نسائه عملا بالتحديد لعرّضهن للحرمان من الحياة الزوجية بعده ودفع بهن في هوة الفساد[3].

فهو يقصد بهذا ؛ ما ورد من نهي الله عز وجل المؤمنين عن الزواج بأزواج رسول الله بعد طلاقه لهن أو بعد وفاته عنهن وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾[4].

وهذا الزعم وهذه التبريرات صدها محمد الخضر حسين، ووقف على هذه الأقوال، ورد عليها

[1]– الطاهر حداد ، إمرأتنا في الشريعة والمجتمع ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 2011 : ص62.

[2]– الأحزاب :52 .

[3]– المرجع السابق : ص64 ،65 بتصرف .

[4]– الأحزاب :53 .

في مبحث عنونه ب : "كتاب يلحد في آيات الله"[1] ، ومن جملة ما قاله :" أمَّا أن تعدد زوجاته لم يكن بوحي، وأنه – عليه الصلاة والسلام – مدفوع إليه بعوارض بشرية، فزعمٌ باطل؛ فإن الله تعالى يقول في حق زينب – رضي الله عنها : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾[2]، وقد تزوجها – عليه الصلاة والسلام –، وفي عصمته عائشة، وسودة، وحفصة – رضي الله عنهن –[3].

كما أن هذا التعدد في حقه صلى الله عليه وسلم لو لم يكن مشروعا لما رضيه الله من نبيه ولما سكت عنه ، بل كان العكس إذ :" ورد في آيات كثيرة ذكر أمهات المؤمنين على وجه يدل على أن الله راضٍ عن هذا التعدد، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴿٥٠﴾﴾[4] وقال تعالى : ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ۚ ﴿٣٢﴾﴾[5].

ب – التعدد في حق رجال المسلمين : النصوص صريحة في إباحة التعدد للرجال ، وعلماء الأمة سلفا وخلفا مجمعون على هذا ، لكن المتبعين للمتشابهات يرون أن القرآن الكريم منع من هذا الأمر، فيؤولون بعض الآيات زاعمين أنها صريحة في التحريم، وهؤلاء يرون أن الله عز وجل تدرج مع الناس في تحريمه، فإذا أسلم الرجل وتحته أكثرُ من أربع نسوة أشار عليه رسول الله صلى

[1]– بلاغة القرآن : ص168 .
[2]–الأحزاب:37 .
[3]– المصدر السابق :ص178 .
[4]– الأحزاب :50 .
[5]– الأحزاب :32 .

الله عليه وسلم قائلا :"أمسك أربعا وفارق سائرهن "[1].

ثم تدرج إلى اشتراط العدل بالتسوية بينهن وجعل الخوف من عدم العدل كتحققه كما في الآية: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴿٣﴾﴾[2] تحذيرا لهم من عاقبة هذا التعدد[3] ، ولعل أكبر مستند استند إليه هؤلاء ؛ أن العدل متعذر ،فيتعذر الوفاء بشرط العدل بينهن مهما بذل فيه الحرص[4]، وذاك هو المشار إليه في الآية : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ ﴿١٢٩﴾ ﴾[5].

وقد جلّى ووضح- محمد الخضر – هذه المسألة التي خفي عن هؤلاء المؤولين حقيقتُها بأنه: "لو لم يرد في إباحة التعدد سوى هاتين الآيتين اللتين أوردهما المعاصر، لبيَّنَّا له المراد من العدل فيهما[6]- وحسبنا ذلك، ولكن إباحة التعدد وردت في غير هاتين الآيتين من القرآن أيضاً، والحديث، وعمل السلف الصالح[7].

فقد قال الله تعالى عند ذكر المحرمات من النساء : ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ ﴿٢٣﴾﴾[8]،

فلو كان الجمع بين الزوجتين في عصمة واحدة ممنوعاً في الشريعة، لاكتفى به عن تحريم الجمع

---

[1]- موطأ الإمام مالك:ج04 ص844 - رقم:2179 .

[2]- النساء :03 .

[3]- امرأتنا في الشريعة والمجتمع :ص62 .

[4]- المرجع نفسه :ص62 .

[5]- النساء :129 .

[6]- لو أن هؤلاء أكملوا الآية التي زعموا أنها تبطل إباحة تعدد الزوجات لوجدوها ترد عليهم ، لأن تمامها : ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ ﴾ ومفهوم الآية: أن بعض الميل مغتفر، وهو الميل العاطفي الذي لا يتحكم فيه البشر. ينظر :كيف نتعامل مع القرآن : ص318 ، 319 .

[7]- قد بين محمد الخضر في موضع آخر المراد من الآية فقال : يراد منه: العدل في محبة القلب، وما يتبعها من آثار لا يستطيع الإنسان أن يحترس منها كالنشاط لملابسة زوجة دون أخرى . ينظر : دراسات في الشريعة الإسلامية :ص168 .

[8]- النساء :23 .

بين الأختين[1].

ثم ساق جملة من الأحاديث التي تبين بمفهومها إباحة التعدد، منها حديث :" الرجل إذا تزوج بكراً، أقام عندها سبعاً، ثم قسم، وإذا تزوج ثيباً، أقام عندها ثلاثاً، ثم قَسَم"[2].

وحديث : القَسْم بين الزوجات والوعيد على الجور فيه:" "إذا مال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وشِقُّه مائل"[3].

ثم بين- محمد الخضر- جملة من الحكم والمصالح التي تنطوي تحت التعدد ، حتى وإن كان فيه نوع من الضرر الحاصل للزوجة الأولى بمشاركة الأخرى لها في الزوج لكن مصلحته أعظم إذا روعيت شروطه ، وقد يتمسك المعترضون على التعدد بما يرونه من إجحاف أو ظلم أو ميل مادي لإحدى الزوجات فيبنون على ذلك حكمهم في المنع "والعيوب التي يذكرها من يدعي ضرر التعدد إنما هي نتيجة الجهل بالتشريع، أو التهاون به، ولا شك أنها تزول بالتهذيب والموعظة، كما كان ذلك من العصور الزاهرة بالدين"[4].

وفي الأخير فهذا تمام الفصل الرابع والذي كان فصلا تطبيقيا لإبراز تعقب محمد الخضر حسين للمنحرفين في التأويل ، ودفاعه عن قضايا التفسير وعلوم القرآن من إنحرافات المؤولين وإلحاد الملحدين، هذه الثوابت سخر لها هذا الإمام قلمه ولسانه، وهاجر في سبيل الله من أجل ذلك، فأوجد الله له أراضي تحضنه وترحب به، وصدق فيه قول الله عز وجل: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ

[1]- دراسات في الشريعة الإسلامية :ص168 .

[2]- البخاري ، عن أنس بن مالك ،باب إذا تزوج الثيب على البكر ، رقم 5214 .ومسلم ، بَابُ قَدْرِ مَا تَسْتَحِقُّهُ الْبِكْرُ، وَالثَّيِّبُ مِنْ إِقَامَةِ الزَّوْجِ عِنْدَهَا عُقْبَ الزِّفَافِ، رقم 1460 .والترمذي ، باب ما جاء في القسمة للبكر ، رقم 1139 .

[3]- حديث :" مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ : رواه أبوة داوود عن أبي هريرة ، باب في القسم بين النساء ، رقم :2133 .

[4]- دراسات في الشريعة الإسلامية: ص171 .

وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٠﴾[1].

لقد كان محاميا عن أحكام الشريعة وعقائدها، وكثرتْ الجبهات التي صدها وتلقى شبهاتها وبيَّن زيف تأويلاتها، فله في كل شبهة رد وجواب، مستنير بالوحي المنزل على رسول الله ، وباجتهادات الأئمة الأعلام.

وقد تبين من كل ما سبق أن القرآن الكريم أخذ من محمد الخضر جل وقته، بل كان يَعتبر نفسه جنديا من جنود الله، ويحرس ثغرة من الثغور التي يمكن أن تنفذ منها الأفكار الوافدة من الغرب إلى أبناء المسلمين، أو يثيرها الذين يسعون إلى إشاعة الفتنة في تأويل القرآن الكريم تأويلا فاسدا أو منحرفا ممن يندسون وسط المسلمين، خاصة أولئك الذين تشربوا بأفكار الغرب وافتتنوا بالمدنية الحديثة، ورأوا أن كل ما يأتي من الغرب هو خير محض لابد أن تتلقاه صدور الأمة وتفتح له قلوبها، وقد رأى محمد الخضر أنه لو أتيحت لهؤلاء الفرصة وسرت أفكارهم بين أبناء المسلمين ، وتقاعس أهل العلم عن واجب الدفاع ، "لانطفأت حكمة الله، واندرست معالم الهداية، فلا قرآن يُتلى، ولا سنَّة تُروى، وعلى الدين الحقِّ يومئذ السلامُ"[2].

كما كان محمد الخضر حسين مدافعا باستمامة عن فكرة: أن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان، وأنه لا سعادة للأمة إلا تحت ظل شرع ربها.

[1]- النساء:100 .

[2]- بلاغة القرآن:ص180 .

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث وبعد عرض حياة محمد الخضر حسين بالتفصيل والوقوف على كثير من محطات هذه الحياة الحافلة بالتجارب والفوائد العلمية، وبعد عرض جهود محمد الخضر في تفسير كتاب الله وكذا جهوده في علوم القرآن المختلفة يمكن الخروج بالنتائج التالية:

01-كثرة القضايا التي أفرزها العصر الحديث والتي حفزت علماء الأمة إلى الإجابة عليها انطلاقا من علوم القرآن المختلفة ومنها التفسير.

02.حضور محمد الخضر حسين المتميز في كل مراحل حياته التونسية أو مرحلة الهجرة أو الاستقرار في مصر وشهادة العلماء له بالرسوخ في العلم.

03.-تعد جهود محمد الخضر حسين إضافة وإثراء لهذه العلوم ومساهمة ملموسة في تجديدها.

04-تعدد المنابر التي بث فيها محمد الخضر حسين علوم القرآن والتفسير خاصة، من مسامرات ومحاضرات ومجلات ودوريات في الداخل والخارج.

05- لم يكمل محمد الخضر تفسير القرآن كله وذلك لكثرة ترحاله واشتغاله بالتعليم في أوقات استقراره وتنوع القضايا التي كانت توجب حضوره أو رأيه .

06-انصاف محمد الخضر لمن سبقه من المفسرين واعترافه بفضلهم وتعقبهم والرد عليهم إذا اقتضى المقام ذلك ويشهد لذلك الاعتراف كثرة المصادر التي اعتمدها في تفسيره من مراجع التفسير واللغة وعلوم القرآن لتي ألفها السابقون.

07-إخراج علم التفسير من كونه علما مبثوثا في طيات الكتب إلى واقع الأمة ، فكان أحد العلوم المعالجة لمشكلاتها والمدافعة عن قضاياها الكبرى.

08-رأينا محمد الخضر حسينا يجعل من علوم القرآن درعا تتقي به الناشئة كل ما يرد إليها

من أفكار أو شبهات أو مطاعن ،فكان الاستمساك بكتاب الله بفهم الراسخين من العلم خير عاصم .

09-استغلال الوسائل المتاحة للتواصل مع الشعوب قصد تبليغ معاني كتاب الله ، وقد جعل محمد الخضر حسين من المجلات والجرائد وسيلة لمخاطبة الأمة وتوعيتها وتعليمها خاصة في ميدان التفسير.

10-إن من أبناء الأمة من يكون لسانا لأعدائها مروجا لأفكارهم ودعاويهم ، وعلماءُ الأمة مطالبون ببيان ذلك والوقوف في وجه هؤلاء.

11- بيان ما في رحلات العلماء واحتكاكهم بالناس خصوصا طلبة العلم من الفوائد لهذا استغلت زياراتهم للحواضر العلمية في تقديمهم محاضرين ومعلمين.

12- عناية محمد الخضر بالتفسير الموضوعي وذلك فيما كان يكتبه من موضوعات يحشد لها الآيات المتكلمة عنها.

13- مرافقة القرآن الكريم لمحمد الخضر في كل ما كان يكتب فلا يكاد موضوع يخلو من التدليل بآيات القرآن والاستئناس بها مع بيان معاني الآيات المستدل بها.

14- أسلوب محمد الخضر من الأساليب المشوقة لما امتاز به من لغة رصينة قوية بليغة ، يجمله عفة في اللسان والقلم وأدب جم في الخلاف.

- **ومن التوصيات** التي يمكن إدراجها:

01-دراسة تراث محمد الخضر حسين خصوصا ما تعلق بالقرآن وعلومه وبالتفسير وأنواعه دراسة معمقة، إذا علمنا أن تراثة مايزال يُكتشف وآثاره ما تزال تجمع.

02- إحياء سنة الأساتذة الزائرين وبالخصوص في الكليات والجامعات الإسلامية قصد

الاستفادة من علمهم وإحياء مجالس العلم المعهودة عند الأولين.

03- برمجة مادة أدب البحث والمناظرة لدى طلبة العلم الشرعي خصوصا شعب التفسير وعلوم القرآن لبيان سبل الرد وطريقة الإقناع للمخالفين.

04- إقامة الملتقيات والندوات المعرِّفة بتراث العلماء الجزائريين أو ذوي الأصول الجزائرية وفاء لهم وربطا للخلف بالسلف.

05-حتمية مخاطبة الأمة وتقريب تفسير كتاب الله إليها بأسلوب يتواءم مع لغة العصر ووسائله دون جَحد جهود الأوائل.

وفي الختام لا يفوتني أن أذكر وأشكر من أعانني وقدم لي دعما قليلا أو كثيرا وحفزني ودفعني لإنجاز هذا العمل، والله أسأل أن يوفقنا جميعا لسلوك سبل النجاة ويختم لنا بالسعادة ويجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أعمارنا خواتمها وخير أيامنا يوم لقائه.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنيـــــــــة
- فهرس الأحاديث النبوية والآثـار
- فهرس الأبيات الشعـــــــرية
- فهرس المصادر والمـــــراجع
- فهرس الموضـــــــــوعات

فهرس الآيات القرآنية:

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة		
(الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢)	02-01	213
(ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ۝٣)	03	377
(وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ۝٢٣)	23	283- 276-275 -
(وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ ۝٣٤)	34	374
(قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى ۝٣٨)	38	144
(وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٣٩)	39	144
(وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤٢)	42	301
(وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣)	43	263
(أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ ۝٤٤)	44	193
(وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ ۝٥٥)	55	322
(وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ ۝٦٧)	67	109
(وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَـٔۡتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ۝٧٢)	72	198
(فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ۝٧٣)	73	197
(قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ ۝٩٧)	97	192
(مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ ۝١٠٦)	106	288 - 127
(كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ۝١٨٠)	180	295-296
(فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ ۝١٨٢)	182	162
(يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ ۝١٨٩)	189	166
(ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ ۝١٩٤)	194	166
(وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ ۝٢٢٨)	228	264-312

(ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ﴿٢٧٥﴾)	275	153
(فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴿٢٧٩﴾)	279	189-281
سورة آل عمران		
(هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٧﴾)	07	106- 309
(شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ ﴿١٨﴾)	18	44
(وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴿٤٩﴾)	49	372
(فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾)	94	262
(ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ ﴿١٩١﴾)	191	330
سورة النساء		
(وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ ﴿٣﴾)	03	393
(حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ ﴿٢٣﴾)	23	394
(مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴿٤٦﴾)	46	300
(إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴿٥٨﴾)	58	84
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴿٥٩﴾)	59	83
(وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ ﴿٦٦﴾)	66	312
(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ ﴿٨٢﴾)	82	196
(وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ ﴿٨٣﴾)	83	82
(وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ ﴿١٠٠﴾)	100	395
(وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ ﴿١٢٩﴾)	129	393
سورة المائدة		
(حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ ﴿٣﴾)	03	159
(ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ ﴿٥﴾)	05	159
(وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴿٣٨﴾)	38	387-384
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴿٦٧﴾)	67	216

(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ ﴿٦٩﴾)	69	226
(كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ ﴿٧٩﴾)	79	128
(إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١١٨﴾)	118	282
سورة الأنعام		
(وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ ﴿٥٢﴾)	52	227
(لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾)	103	320
(وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ ﴿١٠٩﴾)	109	368
(وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ ﴿١١٢﴾)	112	214
(قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ ﴿١٦٤﴾)	164	128
سورة الأعراف		
(يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴿٢٧﴾)	27	379
(يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴿٣١﴾)	31	386
(وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴿١٤٣﴾)	143	322
(ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا ﴿١٥٧﴾)	157	325
(وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴿١٨٠﴾)	180	301
سورة الأنفال		
(وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ ﴿١٦﴾)	16	300
(وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴿٢٥﴾)	25	127
(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴿٦٠﴾)	60	189
سورة التوبة		
(ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ ﴿٩﴾)	09	220
(وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ ﴿١٢٢﴾)	122	188-،129،128 191
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ ﴿١٢٣﴾)	123	332
سورة يونس		

(وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ﴿٧١﴾)	71	189
سورة يوسف		
(إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢﴾)	2	326-306
(وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾)	52	227
(إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ ﴿٦٨﴾)	68	227
(قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴿٨٦﴾)	86	145
(فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ ﴿٩٦﴾)	96	323
(رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي ﴿١٠١﴾)	101	179
سورة الرعد		
(يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ ﴿١٧﴾)	17	305
سورة ابراهيم		
(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦۚ ﴿٤﴾)	04	239
سورة الحجر		
(إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾)	9	3 13- 221
(وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾)	11	191
سورة النحل		
(أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾)	47	344
(وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا ﴿٦٨﴾)	68	214
سورة الإسراء		
(سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴿١﴾)	1	-320-
(إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴿٩﴾)	09	212
(وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴿٢٩﴾)	29	267
(وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ ﴿٥٩﴾)	59	369-311
(قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ ﴿٨٨﴾)	88	275-318

سورة الكهف		
(مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِأَبَآئِهِمْۚ ۝٥	5	227
(فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ ۝٧٧	77	140
(قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۝٩٤	94	354
سورة مريم		
(فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١)	11	215
(وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٥)	15	227
(يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ ۝٢٨)	28	138
سورة طه		
(ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥)	5	267
سورة الأنبياء		
(بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ ۝١٨)	18	267
سورة الحج		
(ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٧٥)	75	381
سورة المومنون		
(مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ ۝٩١)	91	263
(قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨)	108	225
سورة النور		
(ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍۖ ۝٢)	2	388-384
(إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم ۝١٥)	15	227
سورة الفرقان		
(وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣)	33	110-104
سورة الشعراء		
(وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣)	193	319- 306

(بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾)	195	346-237
(وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾)	224	345
سورة النمل		
(فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾)	35	321
(وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾)	17	377
سورة القصص		
(وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ ﴿١٢﴾)	12	354
(ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ ﴿٣٢﴾)	32	371
سورة العنكبوت		
(وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴿٥٠﴾)	50	370
سورة لقمان		
(أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴿٢٠﴾)	20	110
سورة الأحزاب		
(يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ ﴿٣٢﴾)	32	393
(وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ ﴿٣٣﴾)	33	327
(وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ ﴿٣٧﴾)	37	392
(مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴿٤٠﴾)	40	380
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ ﴿٥٠﴾)	50	393
(لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ ﴿٥٢﴾)	52	392
(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ﴿٥٣﴾)	53	392
سورة فاطر		
(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا ﴿١﴾)	1	374
(ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴿٣٢﴾)	32	110

سورة الصافات		
(وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾)	**104**	**222**
(فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾)	**177**	**225**
سورة الزمر		
(حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴿٧٣﴾)	**73**	**222**
سورة فصلت		
(وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴿٢٩﴾)	**29**	**276**
سورة الشورى		
(فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿١١﴾)	**11**	**223**
(أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ ﴿٢١﴾)	**21**	**390**
سورة الزخرف		
(إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾)	**3**	**346**
سورة الدخان		
(إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾)	**3**	**150**
(وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾)	**21**	**316**
(وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾)	**24**	**231**
سورة محمد		
(فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴿١٩﴾)	**19**	**263**
سورة الذاريات		
(وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾)	**47**	**122**
سورة النجم		
(وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾)	**4-3**	**294**
سورة الرحمن		
(خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾)	**4**	**234**

(وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾)	15	376
سورة الحديد		
(فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ)	13	324-321
سورة الطلاق		
(لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ ﴿٧﴾)	7	121
سورة الجن		
(قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾)	1	376
سورة القيامة		
(إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾)	17	211
(وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾)	23-22	321
سورة عبس		
(عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾)	10-1	190
سورة الغاشية		
(أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾)	17	266
(إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾)	26-25	225
سورة الزلزلة		
(بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾)	5	214
سورة النصر		
(إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾)	1	332
(فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾)	3	332
سورة الناس		
(مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾)	6	375

فهرس الأحاديث النبوية والآثار:

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
إن الله أعطى كل ذي حق حقه	**295**
إن العين لتدمع	**145**
إن مثلي ومثل الأنبياء	**381**

خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ	376
الرجل إذا تزوج بكراً، أقام عندها سبعاً	394
سبحانك اللهم ربنا وبحمدك	108
الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا	344
الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا	293
كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء	381
لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا	345
لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ	293
اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ	224
اللهم إني أستخيرك بعلمك، واستقدرك بقدرتك	229
اللهم فقهه في الدين	108
ما من الأنبياء نبي إلا أعطي	274– 273
مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا	394
هل تضامون في رؤية الشمس صحواً	323
وَما اختلفتم أنتم وزيد	241
يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا	241

فهرس الأبيات الشعرية:

البيت وقافيته			قائله	الصفحة
الهمـــــــزة				
عَذِيرِيَ مِنْ فَتَىَ أَزْرى بِقَوْمي		وَفي الأَهْواءِ ما يَلِدُ الهُذاءَ	محمد الخضر حسين	12
نصبَ البُغاةُ على ذُراكِ لِواءَ		كَسَوْا مَرابِعَكِ الحِسانَ دِماء	محمد الخضر حسين	21

ما وعدُ بِلْفورٍ سوى الزَّبَدِ الَّذي		يَطْفو ويَذْهبُ في الفَضاءِ جُفاءَ	محمد الخضر حسين	21
البـــــــــاء				
اللهُ أَكْبَرُ كَمْ فيِ الفَتْحِ مِنْ عَجب		يَا خَالِدَ التُّرْكِ جَدِّدْ خَالِدَ العَرَبِ	أحمد شوقي	14
قَسَماً بِإِحْساسِ المودَّةِ بيننا		أكَّدْتُ في ملأٍ منَ الأحبابِ	محمد الطاهر بن عاشور	47
عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَأَوُّلُ حُبِّهَا		تَأَوَّلُ رِبعِيِّ السِّقَابِ فَأُصْحِبَا	الأعشى	106
صُغْتَ (عَبْدَ الْقادرِ) التَّقْريظَ في		طَرْزِ حَسَّانَ وإبداع حبيب	محمد الخضر حسين	248
مَقامُكُمُ الجَديرُ بأنْ يُهابـــــــا		وَمَطْلَبُنا الجَديرُ بأَنْ يُجابَا	محمد الخضر حسين	253
وَلَسْتُ بِإِنْسِيٍ، وَلَكِنَّ مَأْلَكًا		تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ	علقمة الفحل	373
التـــــــــاء				
رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَـــــني		عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عِـــــدَاتِي	حافظ إبراهيم	252
الحـــــــــاء				
حمل لظاهر على المرجوح		واقسمه للفاسد والصحيح	الشنقيطي، عبد الله بن الحاج	910
الـــــــدال				
أدْمى فُؤادِيَ أَنْ أَرى الـــ		أَقْلامَ تَرْسُفُ في قُيُـــودِ	محمد الخضر حسين	56
وَخَبّرْهُمْ وأَنْتَ بِهِمْ خَبيرٌ		بِما فَعَلَتْهُ جالِيَةُ الْيَهودِ	محمد الخضر حسين	76
لَمْ أَنْضُ الْقَـــريحَةَ في نسِيبٍ		وَلا عَذْلاً شَكَوْتُ وَلا بُعادَا	محمد الخضر حسين	239
الـــــــراء				
حادِي سَفِينَتِنا اطْرَحْ مِنْ حُمولَتِها		زادَ الوقودِ فَما في طَرْحِهِ خَطَرُ	محمد الخضر حسين	64
تألقت الآداب كالبدر في الســـحر		وقـــــد لفظ البحران موجهما الدرر	محمد الطاهر بن عاشور	64-150
بَشَائِرُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ صُحُفٍ تُقْرَا		بِهَا أَفْلَحَ الْإِيمَانُ أَهْلًا وَلَا فَخْـــرَا	محمد العيد آل خليفة	311
ودَرْسُكَ فِي التَّفْسِيرِ أَشْهَى مِنَ الجَنَى		وَأَبْهَى مِنَ الرَّوْضِ النَّضِيرِ وَأَبْهَرُ	محمد بن الخوجة	331
لغةٌ قَدْ عَقَدَ الدّينُ لهـــــا		ذمةً يَكْلؤُها كلُّ بَشَـــــرْ	محمد الخضر حسين	236
يا صَاحِبِي أَنْتَ تَنْهَانِي وَتَأْمُرُنِي		وَالْوَجْدُ أَصْدَقُ نَهَّاءٍ وَأَمَّارِ	لا يعرف قائله من المتصوفة	336
يَدٌ بِخَمْسِ مِئِينَ عَسْجَدٍ وُدِيَتْ		مَا بِالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَـــارِ	أبو العلاء المعري	389
السين				
لمحمد الخضر الحسين التونسي		سامي كتاب خيال شعر مؤنس	عبد القادر بن المبارك	248
الصاد				
ألا فاعلمن أنَّ التأليف سبـــــعة		لكل لبيب في النصيحة خالص	المقري التلمساني	511
العين				
عُجْتُ يَوْماً بِرياضٍ أَجْتَني		عِبَراً مِمَّا أَرى أَو أَسْمَع	محمد الخضر حسين	74

الفـــــاء				
لَمَّا بَدَتْ غُدْوَةً جِبَاهُهُمُ		حَنَّتْ إِلَيْنَا الْأَرْحَامُ وَالصُّحُفُ	قيس بن الخطيم	160
لكل زمان مضى آية		وآية هذا الزمان الصحف	أحمد شوقي	162
القاف				
يَسْفِكُ الْباغي دِماءً ذَنْبُها		أَنَّها تَغْلي إذا شَدَّ الخِنــاقَا	محمد الخضر حسين	05
فَذَاكَ ولم يُعْجِزْ مِنَ الَموْتِ رَبَّهُ		وَلَكِنْ أَتَاهُ الَموْتُ لَا يتَأَبَّقُ	الأعشى	364
الكاف				
نهَضَ الزَّعيمُ وما رَعى عَهْدَ الَّتي		لَوْلا اسْمُها ما صالَ صَوْلَ مُلوكِ	محمد الخضر حسين	17
اللام				
إِنِي وَإِيَاكَ والأَعْدَاءَ تَنْصُرُهُم		وَأَنْتَ مِنِّي عَلَى مَا فيكَ مِنْ دَخَلِ	الطغرائي(الحسن بن علي)	73
في يَميني قَلَمٌ لايَنْثَني		عَنْ كِفاحٍ وَيرى الصَّبْرَ جَميلا	محمد الخضر حسين	75
صَحِيحُهُ وَهْوَ الْقَرِيبُ مَا حُمِلْ		مَعْ قُوَّةِ الدَّلِيلِ عِنْدَ الْمُسْتَدِلْ	الشنقيطي، عبد الله الحاج	98
ولِلأَحِبَّةِ أَيَّامٌ تَذَكَّرُها		ولِلنَّوَى قبلَ يومِ البَيْنِ تأْوِيلُ	عبدة بن الطيب	106
يَا بيتَ عاتكةَ الذي أتعزَّلُ		حَذَرَ العِدَى وبه الفؤادُ موكَّلُ	الأحوص الأنصاري	316
الميم				
كَيْفَ تُخْفيها أَكُفٌّ في الثَّرى		كَيْفَ تَحْنو فَوْقَها التُّرْبَ رُكاما	محمد الخضر حسين	37
أَنَا لَوْلا هِمَّةٌ تَحْدو إلى		خِدْمَةِ الإِسْلام آثَرْتُ الحِمَاما	محمد الخضر حسين	61
هَذَا وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ القَوْمــــا		قَدْ هَجَرُوا مَعْنَى الْكِتَابِ الْيَوْمَـا	ولد أحمذِّي الحسني	831
عليك بأوساط الأمور فإنّها		طريق إلى نهج الصّواب قويم	لا يعرف قائله	183
يُوحِي إِليها بِإِنْقَاضٍ ونَقْنَقَةٍ		كما تَرَاطَنُ في أَفْدَانِها الرُّومُ	علقمة بن عبدة	214
عَرَفْتُ الدارَ بعدَ بِلَى الخيام		سُقيتِ نَجِيَّ مرتجزٍ ركامِ	جرير	215
ويحَ قَوْمٍ سَحَرَتْ أعْيُنـــــهُمْ		هذه الدُّنيا بِمَرْعاها الوَخِيـــــمِ	محمد الخضر حسين	308
لم يمتحنا بما تعيا العقول به		حرصا علينا ، فلم نرتب ولم نهم	شرف الدين البوصيري	366
النون				
إذا عُمَرُ بنُ الشَّيْخِ وَافىَ لِدَرْسِهِ		تَعَالَ الْتَقِطْ دُراً بِملْءِ جِفَانِ	محمد المكي بن عزوز	43
تُسائِلُني هَلْ في صِحابِكَ شاعِرٌ		إذا مُتَّ قالَ الشِّعْرَ وَهْوَحَزينُ	محمد الخضر حسين	63
أسيدنا قاضي القضاة ومن إذا		بدا وجهه استحيا له القمران	سؤال وُجه إلى السبكي	140
ذراعي عَيْطَلٍ أدماءَ بكر		هجينَ اللون لم تقرأ جنينـــــا	عمرو بن كلثوم	212
تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدَا		كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ	ذو الرمة	344

الهاء				
والعرب لا تبدا بجمع جموعها		إلا سمعت نداءها وحداءها	شكيب أرسلان	03
الياء				
كوحي صحائفٍ في عهدِ كِسرى		فأهداها لأَعْجَمَ طِمْطِمِيٍّ	أبو بكر الأنباري	215

فهرس المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص

أ- المصـــادر:

1- **أحاديث في رحاب الأزهر**- محمد الخضر حسين - دار النوادر، ط01 ،سورية- دمشق،1431هـ-2010م.

2- **أسرار التنزيل تفسير آيات قرآنية** - محمد الخضر حسين ،دار النوادر،ط01، سورية ، دمشق ،1421هـ-2010م.

3- **بلاغة القرآن**- محمد الخضر حسين ،دار النوادر،ط01، سورية ، دمشق ،1421هـ-2010م.

4- **تراجم الرجال**- محمد الخضر حسين - دار النوادر، ط01 ،سورية- دمشق،1431هـ-2010م.

5- **تونس وجامع الزيتونة**- محمد الخضر حسين دار النوادر ، ط01، سورية ،دمشق،1431هـ-2010م.

6- **جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا**- محمد الخضر حسين دار النوادر،سورية– دمشق،ط01 ،1431هـ-2010 م.

7- **حياة اللغة العربية**- محمد الخضر حسين ،دار النوادر،ط01، سورية ، دمشق ،1421هـ-2010م.

8- **الخيال في الشعر العربي** - محمد الخضر حسين - دار النوادر، ط01 ،سورية- دمشق،1431هـ-2010م.

9- **دراسات في الشريعة الإسلامية**- محمد الخضر حسين - دار النوادر، ط01 ،سورية- دمشق،1431هـ-2010م.

10- **دراسات في اللغة وتاريخها**- محمد الخضر حسين ،دار النوادر،ط01، سورية ، دمشق ،1421هـ-2010م.

11- **الدعوة إلى الإصلاح**- محمد الخضر حسين ،دار النوادر،ط01، سورية ، دمشق ، 1421هـ-2010م.

12- **ديوان الخواطر** - محمد الخضر حسين، دار النوادر ، ط01،سورية - دمشق ، 1431هـ-2010م.

13- **الرحلات**- محمد الخضر حسين - دار النوادر، ط01 ،سورية- دمشق،1431هـ-2010م.

14- **رسائل الإصلاح**- محمد الخضر حسين - دار النوادر، ط01 ،سورية- دمشق،1431هـ-2010م.

15- **السعادة العظمى**- محمد الخضر حسين - دار النوادر، ط01 ،سورية-

دمشق،1431هـ-2010م.

16- **الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان**- محمد الخضر حسين - دار النوادر، ط01 ،سورية- دمشق،1431هـ-2010م.

17- **القاديانية والبهائية**- محمد الخضر حسين - دار النوادر، ط01 ،سورية- دمشق،1431هـ-2010م.

18- **محاضرات إسلامية**- محمد الخضر حسين ،دار النوادر،ط01، سورية ، دمشق ، 1421هـ-2010م.

19- **محمد رسول الله وخاتم النبيئين**- محمد الخضر حسين ،دار النوادر،ط01، سورية ، دمشق ،1421هـ-2010م.

20- **نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم**- محمد الخضر حسين ،دار النوادر،ط01، سورية ، دمشق ،1421هـ-2010م.

21- **نقض كتاب في الشعر الجاهلي**- محمد الخضر حسين ،دار النوادر،ط01، سورية ، دمشق ،1421هـ-2010م.

22- **الهداية الإسلامية -محمد الخضر حسين** - دار النوادر، ط01 ،سورية- دمشق،1431هـ-2010م.

23- **هدى ونور- محمد الخضر حسين** - دار النوادر، ط01 ،سورية- دمشق،1431هـ-2010م.

ب- المراجـــع:

24- **الإبانة عن أصول الديانة** – الأشعري، أبو الحسن ،تحقيق : فوقية حسين محمود ، دار الأنصار، ط1، القاهرة ، 1397هـ.

25- **الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن** – الفاضل، أحمد محمد ،مركز الناقد الثقافي ، ط:01 ، دمشق، 2008م.

26- **اتجاهات التجديد في تفسير القرآن** – محمد إبراهيم شريف ، دار السلام ،ط 1 ، مصر، 1429هـ-2008م.

27- **اتجاهات التفسير في العصر الراهن** – المحتسب، عبد المجيد ، مكتبة النهضة

الإسلامية، ط03 ، عمان –الأردن،1402هـ-1982م.

28- **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**- فهد الرومي ،مؤسسة الرسالة،ط03،بيروت، 1418هـ-1997م.

29- **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة** – علي المحافظة ، الأهلية للنشر والتوزيع، ط05 ، بيروت،1987م.

30- **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر** – محمد محمد حسين ،دار الحمامي للطباعة ، ط2 ، 1388هـ-1968م.

31- **إتمام الأعلام** – نزار أباظة ، محمد رياض المالح ، دار صادر، ط:1 ، بيروت ، 1999م.

32- **أثار ابن باديس** – ابن باديس، عبد الحميد - ،تحقيق : عمار طالبي ،دار ومكتبة الشركة الجزائرية ، ط1،الجزائر، 1388 هـ - 1968 م.

33- أثار البلاد وأخبار العباد – القزويني، زكريا بن محمد - ، دار صادر، دط ، بيروت، د س ط.

34- **أثار محمد البشير الإبراهيمي** – الإبراهيمي، محمد البشير، دار الغرب الإسلامي، ط01،بيروت ،لبنان، 1997م.

35- **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها** – الميداني ، عبد الرحمن حبنكة ، دار القلم ، ط8، دمشق 1420هـ-2000م .

36- **الأحكام السلطانية والولايات الدينية** – الماوردي ، أبو الحسن ، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، ط 1، الكويت ، 1409هـ – 1989م.

37- **أحكام القرآن** – ابن العربي ،أبو بكر ،تحقيق :عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، ط:03 ،بيروت – لبنان، 1424هـ – 2003 م.

38- **الإحكام في أصول الأحكام** – ابن حزم ، أبو محمد ،تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت،ط02 ، 1403هـ-1983م.

39- **إحياء علوم الدين** – الغزالي، أبوحامد ، ،دار ابن حزم ، ط01، بيروت- لبنان ، 1426هـ-2005م.

40- **الاختيارين** – الأخفش الأصغر، علي بن سليمان بن الفضل ،تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، ط01 ، بيروت – لبنان، 1420 هـ - 1999 م.

41- **الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية الحديثة** – الحسيني،إسحاق موسى ، دار بيروت للطباعة والنشر، ط 01، بيروت، 1952م.

42- **الأدب العربي في الأندلس** - العتيق، عبد العزيز ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،ط01 ،بيروت، 1995م.

43- **الأدلة العلمية على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية** – وجدي، محمد فريد ،مطبعة المعاهد الدينية ،ط01 ،مصر، 1355هـ-1936م.

44- **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض** – المقري، أبو العباس - ،تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، دط، القاهرة، 1358 هـ - 1939م.

45- **الأزهر في اثني عشر عاما** – ماضي ،محمد عبد الله ، الدار القومية للطباعة والنشر،دط ، القاهرة، دس ط.

46- الأزهر في ألف عام – الخفاجي ،عبد المنعم – صبح علي ، المكتبة الأزهرية للتراث، ط01، القاهرة ،1432هـ-2012م.

47- **الأساس في السنة وفقهها** – سعيد حوى ، دار السلام للطباعة والنشر ، ط02 ، مصر،1412 هـ - 1992 م.

48- **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري** – زقزوق، محمود حمدي ، دار المعارف ، القاهرة، د ط ،1997م.

49- **استعمار إفريقية – زاهر رياض** ، الدار القومية للطباعة والنشر، دط ،القاهرة ، 1384هـ-1965م .

50- **الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق** – محمد عمارة ،دراسة ووثائق ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت- لبنان، دط ،2000م.

51- **إشكالية فهم النص القرآني عند المستشرقين** – النصراوي، عادل عباس ، مكتبة مؤمن قريش، ط1 ، لبنان –بيروت ، 2016م.

52- **الإصابة في تمييز الصحابة** – ابن حجر، أحمد بن علي ، تحقيق: (عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض)، ط01، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1415 هـ.

53- **الأصمعيات** – الأصمعي ، عبد الملك بن قريب ، تحقيق : احمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف، ط:07، مصر، 1993م.

54- **أصول الإنشاء والخطابة** – ابن عاشور، محمد الطاهر- ، تحقيق: ياسر حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط01، السعودية- الرياض،1433هـ.

55- **أصول الشعر العربي** – مرجليوث، ديفيد صمويل ، ترجمة: إبراهيم عوض ،دار الفردوس ، 1427هـ-2007م.

56- **أضواء البيان** – الشنقيطي، محمد الأمين ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، دط، بيروت – لبنان ، 1415 هـ - 1995م.

57- **الاعتصام** – الشاطبي، إبراهيم بن موسى ،تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، ط01، السعودية، 1412هـ - 1992م.

58- **الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد** – ابن مالك ، جمال الدين ، تحقيق:حسين ترال، طه محسن، مطابع النعمان ،دط ، النجف-العراق،1291هـ-1972م

59- **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق** – بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، دار المعارف ، ط3 ،1404هـ-1984م.

60- **الأعلام** – الزركلي ،خير الدين ، دار العلم للملايين ، ط15، لبنان ، 2002م.

61- **الإعلام الإسلامي رسالة وهدف** – سمير بن جميل راضي ، رابطة العالم الإسلامي، دط، جدة ، السعودية ، 1417هـ.

62- **الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المعاصر** – الوشلي ، عبد الله قاسم ، دار عمار للنشر والتوزيع ، ط2، اليمن- صنعاء ، 1414هـ- 1994م.

63- **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة** – يحي بوعزيز ،دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان-بيروت،1995م.

64- **إعلام الموقعين عن رب العالمين** – ابن القيم ، تحقيق : مشهور بن حسن آل

سلمان ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية،ط01 ،1433هـ.

65- **أعلام وأقزام في ميزان الإسلام** – العفاني، سيد بن حسين ، دار ماجد عسيري، ط01 ، جدة السعودية، 1424هـ-2004م.

66- **الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده** – محمد عبده ، تحقيق : محمد عمارة ،دار الشروق ، ط01، مصر- القاهرة ،1414هـ-1993م.

67- **أعيان العصر وأعوان النصر** – الصفدي ، صلاح الدين ، تحقيق :علي أبي زيد وآخرين ، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت – لبنان، 1418 هـ - 1998 م.

68- **الإكسير في علم التفسير** – الطوفي ، سليمان بن عبد القوي ،تحقيق:عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب، ط02 ،القاهرة،2002م.

69- **الإكليل في المتشابه والتأويل** – ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس ، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع،دط، الإسكندرية ، مصر. 2002م.

70- **أليس الصبح بقريب** – ابن عاشور ،محمد الطاهر، دار السلام للطباعة والنشر، ط01، مصر،القاهرة ، 1427هـ-2006م.

71- **الأمالي** – القالي، أبو علي ، دار الكتب المصرية ، ط2 ، مصر، 1344 هـ - 1926م.

72- **الإمام محمد الخضر حسين بقلم نخبة من أهل الفكر**- علي الرضا الحسيني، دار النوادر ، ط01،سورية – دمشق ،1431هـ-2010م.

73- **الإمتاع والمؤانسة** – التوحيدي، أبو حيان ، المكتبة العصرية ، ط1، بيروت ، 1424 هـ.

74- **إمداد الفتاح بأسانيد ومرويات عبد الفتاح** –أبوغدة ، عبد الفتاح ، تحقيق:محمد بن عبد الله آل رشيد ، مكتبة الإمام الشافعي، ط1،الرياض- السعودية ، 1419هـ-1999م.

75- **امرأتنا في الشريعة والمجتمع** – الطاهر حداد ،دار الكتاب المصري ، دط، القاهرة ، 2011 م.

76- **الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر** – الزهراني،

علي بن نجيب ، دار طيبة، ط2 ، مكة، 1418 هـ – 1998 م.

77- **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به** – الباقلاني ، أبو بكر بن الطيب، تحقيق : محمد زاهد الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، ط2 ، 1421هـ-2000م.

78- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون** – إسماعيل باشا، دط،دار إحياء التراث العربي،بيروت ،لبنان، دس ط.

79- **البحر المحيط في أصول الفقه** – الزركشي، بدر الدين ، دار الكتبي، ط01 ، 1414هـ - 1994م.

80- **بداية المجتهد ونهاية المقتصد** – ابن رشد الحفيد،أبو الوليد ، دار الحديث – القاهرة،دط، 1425هـ - 2004 م.

81- **بدع التفاسير** – الغماري ، عبد الله محمد الصديق ، دار الرشاد الحديثة ، ط2، الدار البيضاء ، المغرب ، 1406هـ-1986م.

82- **البرهان في علوم القرآن** – الزركشي، بدر الدين ،تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار المعرفة،ط01 ، بيروت، لبنان،1376 هـ - 1957 م.

83- **بصائر ذوي التمييز** – الفيروزآبادى، مجد الدين ،تحقيق : محمد علي النجار، دار إحياء التراث الإسلامي، ط01، القاهرة، 1416 هـ - 1996 م.

84- **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** – الضبي، أبو جعفر ، دار الكتاب العربي – القاهرة، 1967 م.

85- **البيان في مباحث من علوم القرآن** – غزلان ، عبد الوهاب عبد المجيد – ، مطبعة دار التأليف، دط ، القاهرة ، د س ط.

86- **التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول** – القنوجي، محمد صديق خان ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،ط01 ، قطر، 1428 هـ - 2007 م.

87- **تاريخ ابن يونس المصري** – الصدفي عبد الرحمن بن يونس ،دار الكتب العلمية، ط01 ، بيروت، 1421 هـ.

88- **تاريخ الأدب العربي** – الزيات ، أحمد حسن- ، دار نهضة مصر للطبع والنشر،

دط، الفجالة- القاهرة،د س ط.

89- **تاريخ الأدب العربي**- بروكلمان، كارل ، ترجمة :عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، ط05، القاهرة، 1977م.

90- **تاريخ الإسرائيليين** – شاهين، مكاريوس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط ، القاهرة- مصر،2012م.

91- **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام** – الذهبي،شمس الدين ،تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط01 ،بيروت ، لبنان، 2003 م.

92- **التاريخ الإسلامي** – شاكر ، محمود- ، المكتب الإسلامي ،ط02 بيروت ،1419هـ-1996 م.

93- **تاريخ التشريع الإسلامي** – الخضري ، محمد بك ،دار المعرفة،ط03، بيروت ، لبنان ،1423هـ-2002م.

94- **تاريخ الجزائر الثقافي** – سعد الله، أبو القاسم ،دار الغرب الإسلامي، ط01 ، بيروت-لبنان، 1998 م.

95- **تاريخ الدولة العثمانية** – حسون علي ، المكتب الإسلامي ،ط03، بيروت ، 1415هـ-1994م.

96- **تاريخ الصحافة المصرية** – نجوى كامل ، عواطف عبد الرحمن ، دار العربي للنشر والتوزيع ، ط2 ،2009 م.

97- **تاريخ العرب الحديث** – رأفت الشيخ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، دط، مصر، 1414هـ-1994م.

98- **تاريخ العلماء النحويين** – التنوخي ، المفضل بن محمد ،تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر،ط2 ، القاهرة ، 1412هـ - 1992م.

99- **تاريخ بغداد وذيوله** – الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد- ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ،ط01، بيروت ، 1417 هـ.

100- **تاريخ دمشق** – ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن ، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، بيروت ، 1415 هـ - 1995 م.

101- **التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة** – الجندي ،أنور ،دار الأنصار، دط،مصر، 1983م.

102- **التبصير في الدين** – الأسفراييني، طاهر بن محمد ، تحقيق :كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب،ط01 ، لبنان، 1403هـ - 1983م.

103- **التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن**- طاهر الجزائري،تحقيق عبد الفتاح أبي غدة، دار البشائر الإسلامية، ط03 ، بيروت-لبنان ،1412هـ.

104- **تتمة الأعلام** – محمد خير، رمضان ، دار ابن حزم،ط2 ، بيروت ،1422هـ.

105- **تحت راية القرآن**- مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط07، 1394هـ-1974م.

106- **التحرير والتنوير** – ابن عاشور،محمد الطاهر، الدار التونسية للنشر ، دط، تونس،1984م.

107- **تحفة المريد على جوهرة التوحيد** – البيجوري ، دار الكتب العلمية،ط02،بيروت- لبنان، 1424هـ-2004م.

108- **تراجم الأعلام**- ابن عاشور ،محمد الفاضل ، الدار التونسية للنشر، دط،1970م.

109- **تراجم المؤلفين التونسيين** – محمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي، ط02، بيروت – لبنان،1994 م.

110- **التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا** – القرضاوي ، يوسف ، مكتبة وهبة، ط03، القاهرة، 14123هـ-1992م.

111- **ترجمة الإلياذة** – البستاني، سليمان - ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط ، القاهرة ،مصر ،2012م.

112- **تصحيح أكبر خطإ في تاريخ الإسلام الحديث** – الجندي، أنور ،دار ابن زيدون للطباعة والنشر، ط1 ، بيروت ، لبنان،1407هـ.

113- **تصحيح الفصيح وشرحه** – ابن المرزبان، أَبُو محمد ، تحقيق: محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، دط، القاهرة، 1419هـ - 1998م.

114- **التصوير الفني في القرآن** – سيد قطب ،دار الشروق، ط20،مصر ،القاهرة ،2013م.

115- **تعريف الخلف برجال السلف** – الحفناوي، أبو القسم محمد ، تحقيق:خير الدين شترة، دار كردادة للنشر والتوزيع،ط01، بوسعادة ، الجزائر ،1433هـ-2012م.

116- **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين** – الخالدي ،صلاح عبد الفتاح ، دار القلم، ط03،دمشق، 1429هـ-2008م.

117- **التعريفات** – الجرجاني،علي بن محمد ، دار الكتب العلمية، ط01، بيروت – لبنان، 1403هـ -1983م.

118- **التفاسير القرآنية المعاصرة قراءة في المنهج** – النيفر، احميدة بن مأمون ،دار الفكر المعاصر،ط01 ، دمشق – سورية، 1421هـ-2000م.

119- **التفسير البسيط** – الواحدي، أبو الحسن علي ، تحقيق: محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان، جامعة محمد بن سعود الإسلامية ، دط ، الرياض، 1430هـ.

120- **تفسير القرآن العظيم** – ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ،ط2، 1420هـ - 1999 م.

121- **تفسير القرآن الكريم**- ابن قيم الجوزية – دار ومكتبة الهلال، ط1 ، بيروت ، 1410 هـ.

122- **التفسير القرآني للقرآن** – الخطيب ،عبد الكريم يونس ، دار الفكر العربي،دط – القاهرة،د س ط.

123- **تفسير المراغي** – أحمد بن مصطفى المراغي ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط1، مصر، 1365 هـ - 1946 م.

124- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج** - الزحيلي ،وهبة بن مصطفى ، دار الفكر المعاصر، ط2 ،دمشق،1418 هـ.

125- **تفسير آيات الأحكام** – السايس ،محمد علي- ،تحقيق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر،دط، 2002م.

126- **التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته** – فضل، حسن عبَّاس ، دار النفائس

للنشر والتوزيع،ط01، الأردن، 1437 هـ - 2016 م.

127- **التفسير والمفسرون بالمغرب الأقصى**- سعاد أشقر ، دار السلام للطباعة والنشر، ط1 ، القاهرة – مصر، 1431هـ-2010م.

128- **التفسير والمفسرون في بلاد شنقيط** – محمد مولاي،محمد سيدي- ،دار يوسف بن تاشفين، ط01، موريتانيا، 1429هـ-2008م.

129- **التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد** – ابن نقطة ، محمد بن عبد الغني ،تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية،ط01 ،بيروت، 1408 هـ - 1988 م.

130- **تلبيس إبليس** – ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ، دار الفكر للطباعة والنشر، ط01، بيروت، لبنان،1421هـ- 2001م.

131- **تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل** – الباقلاني ،أبو بكر الطيب ،تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، ط01 ، لبنان، 1407هـ - 1987م.

132- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد – ابن عبد البر، أبو عمر ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية،دط ، المغرب ، 1387 هـ.

133- **تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر** – الباني ،محمد سعيد ،مطبعة الحكومة العربية السورية،دط ، 1339هـ-1920م.

134- **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك** – المرادي ،بدر الدين حسن بن قاسم- ، تحقيق: عبد الرحمن علي سليمان،دار الفكر العربي، ط01، بيروت،1428هـ - 2008م.

135- **التوقيف على مهمات التعاريف** – المناوي، زين الدين ،عالم الكتب ، ط01 ، القاهرة ، 1410هـ-1990م.

136- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – السعدي، عبد الرحمن ،تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1 ، 1420هـ -2000 م.

137- **ثبات الإيمان ونصرة القرآن في الرد على هاشم العربي الطاعن في القرآن**- المرصفي، محمد حلاوة ، مطبعة الامتياز ،دط، الزقازيق ، مصر ، 1329هـ.

138- **الثقافة العربية المعاصرة في معارك التغريب والشعوبية**.مطبعة الرسالة ، الجندي،

أنور، مصر، دط ،د س ط.

139- **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب** – الثعالبي ، عبد الملك بن محمد ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، دط ، القاهرة،1985م.

140- **جامع العلوم والحكم** – ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن ،تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجسّ، مؤسسة الرسالة، ط07 ، بيروت، 1422هـ – 2001م.

141- **الجامع لأحكام القرآن** – القرطبي ،تحقيق :عبد الله بن عبد المحسن التركي ،محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط01، دمشق ، 1427هـ-2006م.

142- **الجامع لأحكام القرآن** – القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية،ط02 ، القاهرة ،1384هـ-1964م.

143- **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس** – محمد بن فتوح ، الدار المصرية للتأليف والنشر، دط ، القاهرة، 1966 م.

144- **الجرجاني، علي بن محمد** – التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، ط1 ، 1403هـ -1983م .

145- **الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي** – أبو زهرة ، محمد ، دار الفكر العربي ،دط، القاهرة ، 1998م.

146- **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين** – الآلوسي ، نعمان بن محمود. مطبعة المدني، 1401 هـ -1981 م.

147- **جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور** – الميساوي محمد الطاهر – ، دار النفائس، ط01،الأردن ، 1436 هـ - 2015 م.

148- **حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح** – ابن عاشور، محمد الطاهر – ،مطبعة النهضة، ط01 تونس، 1341 هـ.

149- **حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك** – الصبان، أبو العرفان محمد بن علي ،دار الكتب العلمية، ط01 ، بيروت- لبنان،1417 هـ -1997.

150- **حاضر العالم الإسلامي وقضاياة المعاصرة** – المصري ، جميل عبد الله ،الجامعة

الإسلامية،المدينة المنورة،ط01، 1407هـ-1986م.

151- **حجج القرآن** – الرازيّ، أبو العباس بدر الدين ، تحقيق: أحمد عمر المحمصاني ،دار الرائد العربي،ط02 ، لبنان، 1402هـ- 1982م.

152- **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي** – الفاسي ،علال ، دار الطباعة المغربية ، دط ، تطوان ، المغرب ، 1948م.

153- **الحركة الأدبية والفكرية في تونس في القرنين 13-14هـ/19-**20 – ابن عاشور، محمد الفاضل ،مطبعة الرشيد ،ط01 تونس ،2009م.

154- **الحركة الإسلامية في الوطن العربي** – عبد الغني عماد ، مركز الدراسات والوحدة العربية ، ط01 ،بيروت ، لبنان ، 2013م.

155- **الحركة الوطنية الجزائرية** – سعد الله، أبو القاسم ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت،لبنان ،ط04 ،1992م.

156- **حسن البنا الداعية المجدد الإمام** – الجندي، أنور - ، دار القلم ، ط01، دمشق، 1421هـ-2000م.

157- **حكم ترجمة القرآن الكريم وقراءته وكتابته بغير اللغة العربية** – مخلوف ، محمد حسنين ، مطبعة مطر، مصر، دط، 1343هـ-1925م.

158- **حلي التراقي من مكنون جواهر المراقي** – محمد فال أباه، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1 ، الرباط ، المغرب، 1438هـ-2017م.

159- **الحمد لله هذه حياتي**- محمود ، عبد الحليم، دار المعارف ، ط03، القاهرة ، 1985م.

160- **حياة محمد** – هيكل، محمد حسين مؤسسة هنداوي، ط4 ،مصر ، القاهرة ، 2014م.

161- **الحيوان** – الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ،تحقيق : عبد السلام هارون،مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده،ط02، مصر،1386هـ-1967م.

162- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** – البغدادي ،عبد القادر بن عمر ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي،ط04، القاهرة ، 1418 هـ -

1997م.

163- **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية** – المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد ، مكتبة وهبة،ط01،مصر، 1413 هـ - 1992 م.

164- **الخطابة عند العرب** – محمد الخضر حسين، تحقيق: المطيري ،ياسر بن حمد مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط01 ، السعودية-الرياض ، 1433هـ.

165- **خلال جزولة** – السوسي، محمد المختار ، المطبعة المهدية ، دط ،تطوان ، المغرب، 1377 هـ.

166- **الدارس في تاريخ المدارس**، عبد القادر بن محمد النعيمي ،تحقيق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، ط01، بيروت ، 1410هـ - 1990م .

167- **الدر المكنون في حياة سيدي علي بن عمر وسيدي بن عزوز**- عبد الرحمن بن الحاج ، مطبعة النجاح، دط ، قسنطينة- الجزائر،د س ط.

168- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** –السيوطي، جلال الدين ، دار الفكر،دط ، بيروت ،1432هـ-2011م.

169- **دراسات في الشريعة الإسلامية** – محمد الخضر حسين ،دار النوادر،سورية- دمشق،1431هـ-2010م.

170- **دراسات في علوم القرآن الكريم** – فهد الرومي ، مكتبة الملك فهد للنشر، ط14، الرياض ، 1426هـ-2005م.

171- **دراسات وتوجيهات إسلامية**- سحنون،أحمد ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،ط02 ، 1992 م.

172- **الدرر البهية في جواب الأسئلة الهندية** – أبو الفضائل الإيراني ، مطبعة الموسوعات،دط ، مصر ، 1318هـ- 1900م.

173- **دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري** – المطيري ، عبد المحسن ، دار البشائر الإسلامية، ط01، بيروت ، لبنان ، 1427 هـ - 2006 م.

174- **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط** – الصلابي ، محمد علي ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط01، مصر،1421هـ-2001م.

175- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** – ابن فرحون ،تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، دط ، القاهرة، 1972م.

176- **ديوان ، محمد العيد آل خليفة** – دار الهدى للطباعة والنشر ،د،ط، عين مليلة ، الجزائر ، 2010م.

177- **ديوان الإسلام** – أبو المعالي ، شمس الدين ، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية،ط01، بيروت – لبنان ، 1411 هـ - 1990 م.

178- **ديوان الأعشى الكبير** – ميمون بن قيس ، تحقيق : محمد حسين، المطبعة النموذجية، د ط، مصر ، د س ط.

179- **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر** – ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، ط02 ،بيروت ، 1408 هـ - 1988 م.

180- **ديوان حافظ إبراهيم** – حافظ إبراهيم ، تحقيق:أحمد أمين وآخرين،دار اليقين للنشر والتوزيع، ط01 ، المنصورة- مصر ، 1432هـ-2011م.

181- **ديوان شكيب أرسلان** – شكيب أرسلان ،تحقيق: محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، دط ،مصر، 1354هـ- 1935م.

182- **ديوان قيس بن الخطيم** – قيس بن الخطيم ،تحقيق :إبراهيم السامرائي ، أحمد مطلوب ، مطبعة العاني، ط1، بغداد ، 1381هـ- 1962م.

183- **رحلة الحج إلى بيت الله الحرام** – الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط01، مكة المكرمة ، 1426هـ.

184- **الرحلة الناصرية** – الدرعي، ناصر ،تحقيق:عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط01 ،أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة،2011م.

185- **الرد الجميل على المشككين في الإسلام** – صبح ، عبد المجيد ، دار المنارة للنشر والتوزيع، ط02 ،مصر- المنصورة ، ،2003م.

186- **الرسالة** – الشافعي، محمد بن إدريس ،تحقيق: أحمد شاكر، مكتبه الحلبي،ط01 ، مصر ، 1358هـ- 1940م.

187- **رسالة التوحيد** – محمد عبده ، تحقيق: محمد عمارة ، دار الشروق ، ط1 ،مصر،

1414هـ-1994م.

188- **رسالة التوحيد** – محمد عبده ، تحقيق وتعليق : محمد رشيد رضا ، شركة الأمل للطباعة والنشر، دط ، 1997م.

189- **الرسالة القشيرية في التصوف** – القشيري، أبو القاسم ،تحقيق:معروف مصطفى زريق، المكتبة العصرية ،صيدا، ط01، بيروت،1421هـ-2001م.

190- **الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي** – العجمي ، محمد ناصر،دار البشائر الإسلامية،ط01، بيروت- لبنان ،1422هـ-2001م.

191- **رواد النهضة الحديثة** - مارون عبود ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، مصر – القاهرة، 2013م.

192- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** – الألوسي، شهاب الدين ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، ط01 ، بيروت، 1415هـ.

193- **الزاهر في معاني كلمات الناس** – الأنباري ، أبو بكر ، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة ، ط1 ،بيروت ، 1412 هـ -1992م.

194- **زهرة التفاسير** – أبو زهرة، محمد ، دار الفكر العربي،دط، القاهرة-مصر،دس ط.

195- **سر الفصاحة** – الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد ، دار الكتب العلمية، ط01 ، بيروت-لبنان، 1402هـ-1982م.

196- **سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول** - حشلاف ، عبد الله بن علي - ، المطبعة التونسية ،دط، تونس، 1347هـ-1929م.

197- **سلسلة جهاد شعب الجزائر** – العسلي، بسام ، دار النفائس، الأردن،ط02 ، 1403 هـ - 1983 م.

198- **سنن الترمذي**- أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة،تحقيق: أحمد محمد شاكر،شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر،ط1395،02 هـ - 1975 م.

199- **سنن أبي داود**،أبو داود سليمان بن الأشعث،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية، دط، صيدا – بيروت، دس ط.

200- **سوس العالمة** ، السوسي محمد المختار ،مطبعة فضالة ، دط، المحمدية ، المغرب الأقصى ، 1380هـ-1960م.

201- **السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها** – القرضاوي، يوسف بن عبد الله- ،مؤسسة الرسالة ناشرون،ط1 بيروت،لبنان ،1421هـ-2000م.

202- **سير أعلام النبلاء** – الذهبي ، شمس الدين، دار الحديث، دط ، القاهرة، 1427هـ-2006م.

203- **الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي** – الجندي، أنور ، دار الاعتصام دط،دس ط.

204- **شرح أدب الكاتب لابن قتيبة** – ابن الجواليقى، أبو منصور ، تحقيق:طيبة حمد بودي ، مطبوعات جامعة الكويت، ط1 ، الكويت ،1415هـ-1995م.

205- **شرح البردة البوصيرية** – الوهراني، ابن مقلاش ،عبد الرحمن بن محمد ،تحقيق محمد مرزاق ، دار ابن حزم ، ط1، بيروت، لبنان ،1430هـ-2009م.

206- **شرح التصريح على التوضيح** – الوقاد ،زين الدين المصري، دار الكتب العلمية،ط01 ،بيروت،لبنان،1421هـ- 2000م.

207- **شرح الحكم العطائية** – ابن عبّاد - ، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1 ، القاهرة، 1408هـ-1988م.

208- **شرح الشواهد الشعرية في أُمَّات الكتب النحوية** – محمد شراب ، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ،ط01 ، 1427 هـ- 2007 م.

209- **شرح العقائد النسفية** – التفتزاني ،سعد الدين ،تحقيق : أحمد حجازي السقا ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط1 ،القاهرة ، 1408هـ-1988م.

210- **شرح العقيدة الطحاوية** - ابن أبي العز الحنفي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي،مؤسسة الرسالة، ط10 ، بيروت ، 1417هـ - 1997م.

211- **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات** – الأنباري،أبو بكر ،تحقيق:عبد السلام هارون،دار المعارف، القاهرة، ط05 ،2008 م.

212- **شرح المعلقات السبع** – الزَّوْزَني، حسين بن أحمد، دار احياء التراث

العربي،ط:01 ، 1423هـ - 2002 م.

213- **شرح ديوان جرير** –محمد بن حبيب ، تحقيق :نعمان محمد أمين طه، ، دار المعارف، القاهرة – مصر،ط03 ،1986م.

214- **شرح ديوان علقمة الفحل** – صقر ،أحمد ، المطبعة المحمودية –القاهرة ، ط1 ، 1353هـ-1935م: ص16.

215- **شعب الإيمان** – البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين ، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ،ط01 ،الرياض ،1423 هـ - 2003 م.

216- **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام** – النعمان،عبد المتعال القاضي ، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 1426هـ-2005م.

217- **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم** – الحميرى، نشوان بن سعيد ، تحقيق : حسين بن عبد الله العمري وآخرين، دار الفكر المعاصر،ط1، بيروت – لبنان ، 1420 هـ - 1999 م.

218- **الشوقيات** – شوقي ، أحمد ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،دط، مصر ، القاهرة ، 2012م .

219- **الشيخ محمد الخضر حسين سيرته ومؤلفاته** – الحمد، محمد بن إبراهيم ، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع ،ط01، السعودية- الرياض، 1435هـ-2014م.

220- **شيوخ الأزهر** – سعيد، عبد الرحمن،الشركة العربية للنشر والتوزيع،مصر،دط .دس ط.

221- **صحيح البخاري** – البخاري،محمد بن إسماعيل ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة،ط01 ، 1422هـ.

222- **صحيح مسلم**- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي – بيروت،دط،دس ط.

223- **صفوة التفاسير** – الصابوني، محمد علي ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،ط01 ، 1417 هـ - 1997 م.

224- **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة** –ابن قيم الجوزية ، تحقيق :

علـي بـن محمـد الـدخيل ، دار العاصـمة، ط1، الريـاض، المملكـة العربيـة السـعودية ،1408هـ.

225- **طراز المجالس** – الخفاجي ،شهاب الدين أحمد بن محمد ، المكتبة الوهبية،مصر، دط،1284هـ.

226- **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**- يحي بن حمزة، المؤيد باللّه ، المكتبة العصرية ، ط01، بيروت، 1423 هـ.

227- **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر** – العقبي،صلاح المؤيد، دار البراق، دط ،لبنان ، بيروت،2002م.

228- **العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي**- الجندي، أنور ،دار الكتاب اللبناني،ط2، لبنان 1983م.

229- الظاهرة القرآنية،مالك بن نبي، ترجمة :عبد الصبور شاهين،دار الفكر، ط04 ، دمشق-سورية،1420هـ-2000م.

230- **عـالم الجـن والشـياطين** – الأشـقر ، عمـر سـليمان ، مكتبـة الفـلاح ، ط4، الكويت ، 1404هـ-1984م.

231- **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير** – الشنقيطي، محمد الأمين ، تحقيق:خالد بن عثمان السبت،دار عالم الفوائد،، ط02 ، مكة ،1426هـ.

232- **العقائد الإسلامية** – سيد سابق ، دار الكتاب العربي ،بيروت، لبنان، دط، دس ط.

233- **العقل والعلم في القرآن الكريم** – القرضاوي ، يوسف ،مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط01، 1416هـ-1996م.

234- **علـل وأدويـة** – الغزالي ، محمـد السقا،دار القلـم، ط03، دمشـق ، 1419هـ-1998م.

235- **علـم أصـول الفقـه فـي ثوبـه الجديـد** – مغنية ، محمد جواد ، دار التيار الجديد، ط03 ،بيروت- لبنان ،1408هـ-1988م.

236- **العَلمانيـة الجزئيـة والعلمانيـة الشـاملة** – المسيري، عبد الوهاب ، دار الشروق ،

ط1، مصر، 1423هـ-2002م.

237- **علوم القرآن الكريم** – محمد عتر، نور الدين ، مطبعة الصباح،ط01 ،دمشق ، 1414هـ-1993م.

238- **العواصم من القواصم** – ابن العربي، أبو بكر ، تحقيق عمار طالبي ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د س ط.

239- **الغزو الفكري وأثره في المجتمع الإسلامي** – علي عبد الحليم محمود ،دار ابن الأثير للطباعة والنشر، ط01 ،الموصل – العراق،1399هـ-1979م.

240- **غياث الأمم في التياث الظلم** – الجويني ، أبو المعالي ، تحقيق :عبد العظيم محمود الديب ، دار المنهاج ، ط1 ، 1432هـ -2011م.

241- **فتاوى ابن الصلاح** – ابن الصلاح ، أبو عمرو ،موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم ، عالم الكتب،ط01، بيروت ، 1407هـ.

242- **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني** –الساعاتي، أحمد بن عبد الرحمن البنا ، دار إحياء التراث العربي،ط02 .دس ط.

243- **الفرق بين الفرق** – الأسفراييني، أبو منصور ، دار الآفاق الجديدة ، ط2 ، بيروت، 1977م.

244- **فضائح الباطنية** – الغزالي ،أبو حامد ، تحقيق: عبد الرحمن بدوي ،مؤسسة دار الكتب الثقافية، دط ، الكويت، د س ط.

245- **الفقيه و المتفقه – الخطيب البغدادي** – تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي ، ط02، السعودية، 1421هـ.

246- **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي** – الحجوي ، محمد الفاسي ، دار الكتب العلمية –بيروت- لبنان ، ط1، 1416 هـ – 1995 م.

247- **فلسطين في العهد العثماني وصرخة السلطان عبد الحميد** – حسين أزدمير ، ترجمة: وليد عبد الله القط ، دار النيل، ط1، القاهرة – مصر ،1434هـ-2013م.

248- **فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر** – سمايلوفيتش، أحمد ، دار الفكر العربي،دط ،القاهرة ،1418هـ-1998م.

249- **الفن القصصي في القرآن الكريم** – خلف الله، محمد أحمد ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط03، القاهرة ، 1965م.

250- **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن** – ابن الجوزي ،أبو الفرج عبد الرحمن ، دراسة وتحقيق: حسن ضياء الدين عتر ، دار البشائر الإسلامية ، ط:01 بيروت- لبنان ، 1408هـ-1987م.

251- **الفهارس و الأثبات**- الكتاني ، عبد الحي ، تحقيق :إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي،ط02 ، بيروت،1402هـ- 1982م.

252- **فهم القرآن ومعانيه** – المحاسبي ، الحارث بن أسد ، تحقيق: حسين القوتلي، دار الفكر ،ط02 ،بيروت ، 1398هـ.

253- **الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة** – الرجراجي ، الشوشاوي ، تحقيق : إدريس عزوزي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط:01 ، الرباط- المغرب، 1409هـ-1989م.

254- **الفوز الكبير في أصول التفسير** – الدهلوي ،ولي الله ، تعريب ، سلمان الحسيني النَّدوي، دار الصحوة ، ط2 ، القاهرة ، 1407 هـ - 1986 م.

255- **في الشعر الجاهلي** – طه حسين ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط1 ، القاهرة ، 1344هـ-1926م.

256- **في ظلال القرآن** – سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط32 ،1423هـ-2003م.

257- **القادياني والقاديانية** – (المودودي ، أبوالأعلى ، الندوي أبو الحسن) – ، دار ابن كثير، ط : 1 ، دمشق ، 1421 هـ - 2000 م.

258- **القاموس المحيط** – الفيروزآبادى ، مجد الدين، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ط08 ، 1426 هـ - 2005 م.

259- **قراءة في وثائق البهائية** – بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ط01 ، مصر : 1406هـ-1986م.

260- **القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته** – أحمد محمد جمال ، مطابع رابطة العالم

الإسلامي ، مكة المكرمة، دط ، د س ط.

261- **قصة تونس من البداية إلى ثورة 2011**- السرجاني ، راغب ، دار أقلام للنشر والتوزيع والترجمة ،ط01، القاهرة ، 1432هـ-2011م.

262- **قواعد الأحكام في مصالح الأنام** – ابن عبد السلام ، عز الدين عبد العزيز ، تحقيق :نزيه حماد ، عثمان جمعة ضميرية ، دار القلم ، ط1، دمشق ، 1421هـ-2000م.

263- **قواعد الأحكام في مصالح الأنام** – ابن عبد السلام ،عز الدين ، مكتبة الكليات الأزهرية،دط ، القاهرة، 1414 هـ - 1991 م.

264- **قواعد العقائد** – الغزالي ، أبو حامد ، تحقيق : موسى محمد علي ، عالم الكتب، ط2 ، لبنان ،1405هـ - 1985م.

265- **القول السديد في حكم ترجمة القرآن المجيد** – الشاطر،محمد مصطفى: ، مطبعة حجازي، ط01، القاهرة، 1355هـ-1936م.

266- **كبرى اليقينيات الكونية** – البوطي،محمد سعيد، دار الفكر،ط08 ، دمشق-سورية، 1417هـ-1982م.

267- **كتاب العين** – الفراهيدي ،الخليل بن أحمد ، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال،دط، د س ط.

268- **كتابات حول محمد الخضر حسين** – علي الرضا الحسيني- ، دار النوادر ، ط01، سورية ،دمشق، 1431هـ-2010م .

269- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل** ، الزمخشري،جار الله. دار الكتاب العربي، ط03 ، بيروت ،1407 هـ.

270- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن** – الثعلبي ،أحمد بن إبراهيم ، دار التفسير، ط1، جدة – المملكة العربية السعودية، 1436 هـ - 2015 م.

271- **كلمات القرآن تفسير وبيان** – مخلوف ، محمد حسنين ، دار ابن حزم للطباعة والنشر ، ط8 ، بيروت، 1418هـ-1997م.

272- **كنوز الذهب في تاريخ حلب** – سبط، ابن العجمي ،دار القلم، ط01 ،

حلب، 1417 هـ.

273- **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة** – الغزي ، نجم الدين – ، تحقيق: خليل المنصور، ط01، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1418 هـ - 1997 م.

274- **لسان العرب** – ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، دار صادر ،ط03 ، بيروت، 1414 هـ.

275- **لسان الميزان** – ابن حجر ، أحمد بن علي ، تحقيق: دائرة المعارف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط02، بيروت ، لبنان ، 1390هـ -1971م.

276- **لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير** – الصباغ، محمد بن لطفي ،المكتب الاسلامي،ط:03 ، بيروت ،1410هـ-1990م.

277- **اللمحة في شرح الملحة** – ابن الصائغ،محمد بن حسن بن سِباع ،تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي،عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط01 ، المدينة المنورة،المملكة العربيةالسعودية، 1424هـ-2004م.

278- **لوامع الأنوار البهية** – السفاريني، شمس الدين ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها،ط2 ، دمشق ، 1402 هـ - 1982 م.

279- **مباحث في علوم القرآن** – صبحي الصالح ،دار العلم للملايين ، ط:10 ، بيروت ، لبنان ، 1977 م.

280- **المتنبي** – شاكر، محمود محمد ، شركة القدس للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1407 – 1987م.

281- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** – ابن الأثير،نصر الله بن محمد- ، تحقيق: محي الدين عبد الحميد،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، دط ، مصر ،1358هـ-1939م.

282- مجلة المنار- العدد الأول، مطبعة المنار، ط02 ، مصر، 1327هـ.

283- **مجموعة رسائل الإمام الغزالي (رسالة إلجام العوام عن علم الكلام)** – الغزالي ، أبو حامد ، تحقيق : إبراهيم أمين محمد ، المكتبة التوفيقية ، دط، القاهرة ، مصر ، دس ط.

284- **محاضرات عن الشيخ عبد القادر المغربي**- طلس ، محمد أسعد ، مؤسسة هنداوي ، ط1 ، القاهرة، مصر ، 2013م.

285- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** – ابن عطية،أبو محمد عبد الحق ،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ، ط01 ،بيروت، 1422 هـ.

286- **المحكم والمحيط الأعظم** – ابن سيدة، أبو الحسن علي ،تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط1، 1421 هـ - 2000 م.

287- **محمد الخضر حسين حياته وآثاره** – مواعدة، محمد، الدار التونسية للنشر - ، ط01 ، تونس ،1974م.

288- **مختار الصحاح** – الرازي ،زين الدين بن أبي بكر ، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ط05، صيدا، بيروت ، 1420هـ - 1999م.

289- **المخصص** – ابن سيده، أبو الحسن علي ، تحقيق :خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي ،ط01 ، بيروت، 1417هـ 1996م.

290- **مدارج السالكين** – ابن القيم، محمد بن أبي بكر،محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، ط03، بيروت ، 1416 هـ - 1996م.

291- **مدخل إلى التصوف الإسلامي** – التفتزاني، أبو الوفا الغنيمي ،دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط03، القاهرة،1979م.

292- **مدخل إلى القرآن الكريم** – الجابري ، محمد عابد ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان ،بيروت ،2006 م.

293- **مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه** – عدنان محمد زرزور ،دار القلم، ط02، دمشق- سورية، 1419هـ- 1998 م.

294- **المدخل لدراسة القرآن الكريم** – أبو شهبة ، محمد ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، ط:03، السعودية – الرياض ، 1407هـ-1987م.

295- **مذكرات الدعوة والداعية** – البنا ، حسن ، مركز الإعلام العربي ، ط01 ، 1432هـ-2011م.

296- **مذكرات سائح في الشرق العربي** – الندوي، أبو الحسن،مؤسسة الرسالة، ط 3،

بيروت، 1978م.

297- **مراقي السعود لمبتغي الرقي والصعود** – الشنقيطي، عبد الله بن الحاج ابراهيم ، دار المنارة للنشر والتوزيع،ط2 ، جدة، المملكة العربية السعودية ، 1429هـ-2008م.

298- **المرشد إلى فهم أشعار العرب** – المجذوب، عبد الله بن الطيب ،دار الآثار الإسلامية- ،ط02 ، الكويت ،1409 هـ - 1989 م.

299- **مساجلة علمية بين الإمامين الجليلين** – ابن عبد السلام،عز الدين-عمرو بن الصلاح، تحقيق: الألباني- زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط02 ،بيروت،1405 هـ.

300- **المسالك والممالك** – البكري ، عبد الله بن عبد العزيز، دار الغرب الإسلامي، دط ، بيروت- لبنان ، 1992 م.

301- **المستصفى** – الغزالي ، أبو حامد ، محمد عبد السلام عبد الشافي،دار الكتب العلمية، ط01 ، لبنان،1413هـ - 1993م.

302- **مشارق الأنوار على صحاح الآثار** – عياض، بن موسى اليحصبي - ، المكتبة العتيقة ، دط، تونس،دس ط.

303- **مشاهير علماء نجد وغيرهم** – عبد الرحمن بن عبد اللطيف ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط02، الرياض، 1394هـ - 1974م.

304- **المصباح المنير** – الفيومي، أحمد بن محمد ، المكتبة العلمية ، دط، بيروت، ،دس ط.

305- **مع الاثنى عشرية في الأصول والفروع** – السالوس،علي بن أحمد ، دار الثقافة، ط07 ، قطر، 1424 هـ - 2003 م.

306- **معارج الصعود إلى تفسير الشنقيطي لسورة هود** – قادري، عبد الله بن أحمد، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط1 ، جده ، 1408هـ-1988م.

307- **المعاصرة في إطار الأصالة** ، الجندي، أنور ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ،ط01، القاهرة، 1407هـ-1987م.

308- **معالم أصول الدين** – الرازي ،فخر الدين ،تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي ،دط ، لبنان، د س ط.

309- **معالم التنزيل في تفسير القرآن** – البغوي، أبو محمد ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط01 ، 1420 هـ.

310- **معالم الفكر العربي المعاصر** – الجندي، أنور ، مطبعة الرسالة .د ط ، دس ط.

311- **معالم في الطريق** – سيد قطب ، دار الشروق، ط06 ،القاهرة- مصر ،1399هـ- 1970م.

312- **المعتمد في أصول الفقه** – البَصْري، أبو الحسين ،تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية،،ط01، بيروت ، 1403هـ.

313- **المعجزة الكبرى القرآن** – أبو زهرة، محمد ، دار الفكر العربي ، دط،لبنان ، دس ط.

314- **معجم البلدان** – الحموي ،ياقوت شهاب الدين، دار صادر، ط02، بيروت ، 1995 م.

315- **معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها** – فضل عبد الرحيم ،دار القلم ، ط1 ،دمشق ، 1432 هـ - 2011 م.

316- **معجم الصواب اللغوي** – عمر ،أحمد مختار ، عالم الكتب، ط01، القاهرة، 1429 هـ – 2008 م.

317- **معجم الفروق اللغوية** – العسكري ،أبو هلال، ، مؤسسة النشر الاسلامي،ط01، قم، إيران ، 1412هـ.

318- **المعجم الكبير** – الطبراني ، سليمان بن أحمد ، باب العين،عن العجماء الأنصارية، تحقيق :حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة،ط01 ، 1415 هـ - 1994 م.

319- **معجم اللغة العربية المعاصرة** – أحمد مختار عبد الحميد عمر ، عالم الكتب، ط1، بيروت، 1429هـ – 2008 م.

320- **معجم اللغة العربية المعاصرة** – عبد الحميد ،أحمد مختار ،عالم الكتب،ط01 ، 1429 هـ - 2008 م.

321- **المعجم المفصل في شواهد العربية** – يعقوب، إميل بديع ،دار الكتب العلمية،

ط:01، بيروت- لبنان، 1417هـ - 1996م.

322- **معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية** – تيمور ،أحمد باشا،تحقيق: حسين نصّار- دار الكتب والوثائق القومية، ط02 ،القاهرة – مصر،1422 هـ - 2002 م.

323- **معجم ديوان الأدب** – الفارابي، أبو إبراهيم.تحقيق: أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ، 1424 هـ - 2003 م.

324- **المعجم الفلسفي** ، جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، دط، بيروت-لبنان، 1982م.

325- **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم** – السيوطي، جلال الدين، تحقيق : محمد إبراهيم عبادة، كتبة الآداب ، القاهرة – مصر،ط1 ، 1424هـ - 2004 م.

326- **معجم مقاييس اللغة** – ابن فارس ، أحمد ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر،دط ،1399هـ - 1979م.

327- **معركة الاسلام وأصول الحكم** – محمد عمارة ، دار الشروق ، ط2 ، 1418هـ-1997م.

328- **معركة المصحف في العالم الإسلامي** – الغزالي، محمد السقا ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط:05 ،مصر- القاهرة، 2005م.

329- **الْمُعْلم بفوائد مسلم** – المازري، أبو عبد الله ، تحقيق : محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، ط2 ،1988م.

330- **المُغرب** – الْمطَرِّزِيّ ،برهان الدين الخوارزمي ، دار الكتاب العربي،دط، دس ط.

331- **المفضليات** – الضبي، المفضل بن محمد ،تحقيق: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط05 ، القاهرة، د س ط.

332- **المفضليات – المفضل الضبي** ، تحقيق :أحمد شاكر – عبد السلام هارون ، دار المعارف، ط6 ، القاهرة، دس ط.

333- **مقاصد القرآن – البنا**، حسن ، دار الوثيقة ،ط01 ، الخالدية ،الكويت ، 1425هـ-2004م.

334- **مقاصدالشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية** – اليوبي ، محمد سعد ، دار

الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض- المملكة العربية السعودية،ط01 ،1418هـ-1998م.

335- **مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين** – الندوي ، أبو الحسن ، دار ابن كثير ، ط1، دمشق،1423هـ-2002م.

336- **مقالة في الإسلام لجرجس سال** – هاشم العربي ، المطبعة الإنكليزية الأميركانية ، ط03، بولاق ، مصر ، 1913م.

337- **مقـــدمات العلـــوم والمنـــاهج** – الجنـــدي ،أنـــور.دار الأنصـــار،ط01، مصر،1399هـ-1979م.

338- من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية – العقيل ،عبد الله ، دار البشير ، ط :07 ، جدة، 1429هـ – 2008م.

339- **من الفكر والقلب** – البوطي،محمد سعيد ، دار الفقيه للنشر والتوزيع ، ط2، سورية ، 1418هـ-1997م.

340- **من روائع القرآن** – البوطي،محمد سعيد ، موسسة الرسالة ، دط – بيروت، 1420 هـ - 1999 م.

341- **مناهج المفسرين** – مساعد، مسلم آل جعفر – محي هلال السرحان ، دار المعرفة، ط01 ،1980م.

342- **مناهل العرفان** – الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط03 ، مصر، د س ط.

343- **منتهى الطلب من أشعار العرب** – محمد بن المبارك ، تحقيق وشرح : الطريفي محمد نبيل ، دار صادر، ط1، بيروت ،1999م.

344- **منهاج السنة النبوية** – ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، نشر: جامعة محمد بن سعود الإسلامية ،ط1 ،السعودية، 1406 هـ - 1986 م.

345- **منهج الشيخ محمد الخضر حسين في مواجهة الانحرافات العقدية والفكرية** – الحمد،محمد ابراهيم- ، دار ابن خزيمة للنشر، ط01، الرياض ،المملكة العربية السعودية، 1426هـ-2015م.

346- **منهج الفرقان في علوم القرآن** – محمد علي سلامة ،تحقيق : محمد أحمد المسير ،

نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط:01 مصر ، 2002م.

347- **منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع** – يوسف ، محمد السيد ، دار السلام للطباعة والنشر، ط02، مصر- القاهرة ، 1424هـ-2004م.

348- **الموافقات** – الشاطبي، إبراهيم بن موسى، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان،ط01 ، 1417هـ- 1997م.

349- **المواقف** – الإيجي، عضد الدين، تحقيق : د.عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل، ط1، يروت ، 1997م.

350- **موجز التاريخ الإسلامي**- العسيري، أحمد معمور ، مطبعة الملك فهد، ط01،الرياض، 1417 هـ - 1996 م.

351- **موجز دائرة المعارف الإسلامية** –إبراهيم زكي خورشيد وآخرون ، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط01 ، الشارقة، 1418 هـ- 1998 م.

352- **موسوعة التاريخ الإسلامي** – أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ،ط12 ، مصر، 1987م.

353- **موسوعة الحرب العالمية الأولى والثانية** – الحسيني ، معدي ، دار الحرم للتراث ، ط01 ، القاهرة ، 2011م.

354- **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون** – التهانوي،محمد بن علي ، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون ، ط01، بيروت،1996م.

355- **الموطأ** – مالك بن أنس ، تحقيق :محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان للأعمال الخيرية والإنسانية، ط01 ، أبو ظبي – الإمارات، 1425 هـ - 2004م.

356- **موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى** – القرضاوي يوسف ، مكتبة وهبة، ط01 ، القاهرة ، 1415هـ-1994م.

357- **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية** – الحلاق، حسان علي ، دار الأحد البحيري،دط ،بيروت ،1398هـ-1978م.

358- **موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين** – صبري

،مصطفى، دار التراث العربي ، ط2 ،بيروت ، لبنان، 1401هـ-1981م.

359- **النبأ العظيم – دراز ،محمد عبد الله** ، دار الثقافة ، دط ،قطر- الدوحة ، 1405هـ-1985م.

360- **النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم** – دراز، محمد عبد الله - ،دار القلم للنشر والتوزيع،1426هـ- 2005م.

361- **نحو منهج لتفسير القرآن** – الصادق عرجون ، الدار السعودية للنشر،ط03 ، جدة ،1399هـ-1979م.

362- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** – الإدريسي، محمد بن محمد ، عالم الكتب،ط01، بيروت ،1409هـ.

363- **نظرات في كتاب الله** – البنا ، حسن ، جمع وتحقيق :عصام تليمة ، دار التوزيع والنشر الإسلامية، د.ط، مصر- القاهرة ، 1423هـ-2002م.

364- **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي** – الريسوني ، أحمد ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي،ط02 ، 1412 هـ - 1992م.

365- **نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم** – ابن عاشور،محمد الطاهر- ،المطبعة السلفية،دط، 1344هـ.

366- **النكت والعيون** – الماوردي ، تحقيق: ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم،دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان،دس ط.

367- **نهاية الأرب في فنون الأدب** – النويري ، شهاب الدين ، دار الكتب والوثائق القومية، ط01، القاهرة، 1423 هـ.

368- **النهاية في غريب الحديث والأثر** – ابن الأثير، مجد الدين ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، دط ، بيروت، 1399هـ - 1979م.

369- **النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين** – البيومي، محمد رجب ، دار القلم ، ط: 1 ، دمشق ، 1415هـ -1995م.

370- **الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن** – الدمنهوري، محمد أبو زيد ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، دط ، مصر، 1349هـ.

371- **الواضح في علوم القرآن –** البغا ، مصطفى ديب، محي الدين ديب مستو- ، دار الكلم الطيب،ط02 ، دمشق ، 1418 هـ - 1998 م.

372- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** – ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط1 – بيروت ،1971م.

373- **ومضات فكر** – ابن عاشور، محمد الفاضل ، الدار العربية للكتاب، دط، تونس،1982م.

374- **يغالطونك إذ يقولون** – البوطي : محمد سعيد رمضان ، دار الفارابي، ط2 ، دمشق ،1421 هـ – 2000 م.

375- **يوميات هرتزل** – أنيس صايغ ، ترجمة: هلدا شعبان صايغ، مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية، دط، بيروت- لبنان ، 1968م.

ج – الرسائل الجامعية:

376- **أطروحة دكتوراه بعنوان** :"التفسير الشفاهي وأثره في الإصلاح الحديث" نادية وزناجي" ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 1428هـ-1429هـ/2007-2008م.

377- **أطروحة دكتوراه،** دراسة حول كتاب: **مراقي الأواه إلى تدبر كتاب الله** – أحمذَي الحسني، أحمدو ولد محمد- ، دراسة محمد أحمد ولد محمد مبارك- جامعة القرويين – المغرب.السنة الجامعية،1428-1429هـ-2007-2008م.

378- **مذكرة ماجستير، تفسير محمد الخضر حسين لآي القرآن وملامح الإصلاح فيه،**بن ديمية جيلالي ، جامعة تلمسان –الجزائر- السنة الجامعية،2013-2014م.

د- الدوريـــات:

379- **مجلة المنار**- ج01،ج07 ،ج12 ، مطبعة المنار، ط02 ، مصر، 1327هـ.

هـ- المقـــالات العلمية

380- **التفسير المدرسي في انتاج المفسرين الجزائريين**، بلحاج جلول، مقال علمي، مجلة الحضارة الإسلامية، مجلد:20، عدد02 ، 2019.

فهرس الموضوعات:

الإهداء	.
شكر وتقدير	.
مقدمة	أ
الفصل الأول: محمد الخضر حسين عصره وحياته–	01
المبحث الأول: عصـــر محمد الخضر حسين	03
– المطلب الأول: الحياة السياسية	03
1. احتلال تونس ودوافعه	04
2. وسائل المستعمر لإخضاع الشعوب	05
3. – أهداف الاحتلال وأثره في المجتمعات	07
– المطلب الثاني:الأحداث البارزة في عصر محمد الخضر	09
1. الحرب العالمية الأولى: –الحرب الكبرى أو العامة–	09
2. إلغاء الخلافة العثمانية	12
3. المكر اليهودي واحتلال فلسطين	17
– المطلب الثالث: الحياة الثقافية والفكرية	22
1. ظهور الحركات الفكرية المختلفة	23
2. المدارس والعلوم والمعارف السائدة	28
3. الأُخوة الفكرية بين الأزهر والزيتونة	29
المبحث الثـاني:حيـاة محمد الخضر حسين	35
1. الاسم	35

2. المولد والنشأة	35
3. أصله ونسبه	36
4. نشأته العلمية	39
5. وظائفه وأعماله بتونس	44
6. رحلاته العلمية	48
7. أعماله بمصر	57
8. وفاته- رحمه الله-	62
9. تلاميذه وشهادة العلماء له .	63
10. جوَلاته ومعاركه الفكرية	66
11. تراثه الفكري والعلمي وآثاره	67
المبحث الثالث: مواقف محمد الخضر حسين من قضايا عصره	71
المطلب الأول: موقفه من قضايا الأمة الكبرى	71
1. الاستعمـار	71
2. القضية الفلسطينية	75
المطلب الثاني: الخلافـة	77
1. علي عبد الرازق وكِتاب" الإسلام وأصول الحكم	77
2. مصطلح الخلافة وحكم الإمامة من منظور علي عبد الرازق	80
المطلب الثالث : إصلاحات محمد الخضر حسين لبعض قضايا عصره	85
1. التربية والتعليـــــم	85
2. التصـوف والبدع	90

الفصل الثاني: جهود محمد الخضر حسين في التفسير	102
المبحث الأول: حركة التأليف في التفسير في العصر الحديث، مظاهرها،	104
المطلب الأول : مفهوم التفسير والتأويل والفرق بينهما	104
1. مفهوم التفسير	104
2. التأويل"	106
3. الفرق بين التفسير والتأويل	109
المطلب الثاني : التفسير والمفسرون في العصر الحديث	111
1. الحاجة إلى التفسير في العصر الحديث	111
2. أنماط التأليف في التفسير في العصر الحديث	114
المطلب الثالث:طرق ووسائل عرض التفسير وأشكالُه في العصر الحديث	123
1. طريقة الإلقاء والسماع	123
2. اهتمام العلماء بالتفسير الشفهي	125
3. اهتمام محمد الخضر حسين بالتفسير الشفهي	127
4. المفسرون الذين أتموا تفاسيرهم الشفهية	130
5. المآخذ على طريقة الإلقاء والسماع	134
6. طريقة النظم والرجز	137
المبحث الثاني : موقف محمد الخضر حسين من التفسيرووسائله ورجاله في	142
المطلب الأول: طرائق التفسير وشروط المفسر عند محمد الخضر .	142
1. موقف محمد الخضر من طرق التفسير	142
2. شروط المفسر وملازمة محمد الخضر حسين للتفسير	145

المطلب الثاني : موقف محمد الخضر حسين من قدماء المفسرين	151
المطلب الثالث :المقالة التفسيرية وتوظيف وسائل الإعلام المكتوبة	160
1. التفسير في الصحف والمجلات	160
2. تسخير علماء التفسير لوسائل الإعلام المقروءة والمكتوبة	161
3. إسهامات محمد الخضر حسين التفسيرية في صحف ومجلات عصره	164
المبحث الثالث: اتجاهات التفسير ومدارسه وأعيان المفسرين في عصر محمد	169
المطلب الأول: اتجاهات التفسير وأعيان المفسرين في العصر الحديث	169
1. بيان معنى الاتجاه	170
2. ألوان التفسير واتجاهاته	171
المطلب الثاني:مدارس التفسير في العصر الحديث	174
1. المدرسة الإصلاحية	174
2. محاسن المدرسة الإصلاحية	177
3. مدرسة التفسير الحركي والاجتماعي	178
4. المدرسة الجامعة	181
5. المدرسة المذهبية	184
6. المدرسة التي ينتمى لهامحمد الخضر حسين في التفسير	185
المطلب الثالث: مظاهر الموافقة والمخالفة بين محمد الخضر ومدارس	187
1. مظاهر موافقة محمد الخضر لمدارس عصره	187
2. مظاهر مخالفة محمد الخضر للمدرسة العقلية الإصلاحية	196
الفصل الثالث: جهود محمد الخضر حسين في علوم القرآن	200

المبحث الأول:حركة التأليف في علوم القرآن ونظرة محمد الخضر إلى القرآن	202
المطلب الأول: حركة التأليف في علوم القرآن في القرن 19–20 م	202
1. مراحل التأليف في علوم القرآن وأغراضه	203
2. المؤلفات في علوم القرآن في عصر محمد الخضر حسين	205
المطلب الثاني:تعريفات ومحددات مصطلح القرآن وعلومه والوحي	211
1. تعريف القرآن واشتقاقه	211
2. تعريف الوحي	213
3. معنى علوم القرآن	217
المطلب الثالث :القرآن في حياة محمد الخضر حسين	218
1. تعظيم محمد الخضر للقرآن الكريم	218
2. مظاهر عناية محمد الخضر حسين بالقرآن الكريم	222
المبحث الثاني : عربية القرآن الكريـــــم	232
المطلب الأول : فضل اللغة العربية ومكانتها وسِرُّ نزول القرآن بها	232
1. فضل اللغة العربية	232
2. عطاءات القرآن الكريم للغة العربية وأثره فيها	235
3. آراء العلماء في الاحتجاج بالقرآن لإثبات اللغة	236
4. تفضيل لغة قريش ولسانها	239
المطلب الثاني :خدمة محمد الخضر حسين للغة القرآن ودفاعه عنها	243
1. خدمة محمد الخضر للغة القرآن الكريم	243
2. عناية محمد الخضر باللغة في مقالاته ومحاضراته	245

3. الفرع الثالث: دفاع محمد الخضر حسين عن لغة القرآن الكريم	250
المطلب الثالث : موقف محمد الخضر حسين من ترجمة القرآن الكريم	255
1. معنى الترجمة وأنواعها	255
2. آراء العلماء في ترجمة القرآن الكريم	257
3. أقسام الترجمة	262
4. الإشكالات العارضة لترجمة القرآن الكريم	264
5. كتابة القرآن بالأعجمية:	268
6. الحلول التي تدفع التناقض بين الترجمات	269
المبحث الثالث: آراء محمد الخضر حسين واجتهاداته في مسائلَ من علوم	272
المطلب الأول : إعجـــاز القرآن الكريم.	272
1. معنى المعجزة والفرق بينها وبين معجزة القرآن	273
2. دلائل الإعجاز ومظاهره	277
3. بلاغة القرآن وفصاحته	280
المطلب الثاني: النسخ في القرآن الكريم	283
1. معنى النسخ لغة واصطلاحا	284
2. النسخ بين المنكرين والمجيزين وموقف محمد الخضر من الفريقين	285
3. إجابات محمد الخضر الحسين على دعاوي منكري النسخ	287
المطلب الثالث: مطاعن في مسائل تتعلق بالنسخ	290
1. آية الرجم	290
2. نسخ آية الميراث	294

الفصل الرابع: تعقبات محمد الخضر حسين لأهل الإلحاد والانحراف في تأويل	298
المبحث الأول :الانحراف والإلحاد في التأويل في القديم والحديث	300
المطلب الأول : معنى الانحراف، أسبابه وأصناف المنحرفين في	300
1. معنى الانحراف والإلحاد في التأويل	300
2. أصناف المنحرفين في تأويل كتاب الله	301
3. معايير التأويل المحمود	306
4. أسباب فساد التأويل بين القديم والحديث	309
المطلب الثاني: موقف محمد الخضر من انحرافات المدرسة العقلية	316
1. فرقــة المعتزلة	316
2. مواقف المعتزلة	318
المطلب الثالث :موقف محمد الخضر من انحراف المدرسة الباطنية	324
1. فِــرَق الباطنية	324
2. حكم تفسير الباطنية	325
3. الفرق بين تأويل الباطنية وتأويل المتصوفة	331
المبحث الثاني:موقف محمد الخضر حسين من الانحراف في التأويل في	337
المطلب الأول: تأويلات وأباطيل المستشرقين	338
1. الاستشراق ما له وما عليه	338
2. مصادر الثقافة عند تلامذة المستشرقين وبواعث تأويلاتهم	340
المطلب الثاني:مطاعن تلامذة المستشرقين في القرآن الكريم	344
1. التشكيك في الشعر الجاهلي	344

2. طـــه حسين وســـــؤالات ابن الأزرق	348
3. طه حسين وانتحاله لأفكار مرجليـــــوت	350
المطلب الثالث : القصة القرآنية في فكر المدرسة العقلية الحديثة	353
1. القصة القرآنية مفهومها وأغراضها	354
2. قياس القصة القرآنية على الأعمال الأدبية والطعن في تاريخيتها	355
3. أسطورية القصة القرآنية	360
المبحث الثالث :تعقُّب محمد الخضر للطاعنين في العقائد وأحكام الشريعة	364
المطلب الأول :الطعن في المعجزات	364
1. المعجزة	364
2. المدرسة العقلية والمعجزات	366
3. تشابه العقلانيين والحداثيين	368
4. الإلحاد في آيات المعجزات	370
المطلب الثاني : مطاعن العقلانيين في الغيبيات والنبوات	373
1. الملائكة	373
2. الجن والأرواح	375
3. طعنهم في النبوات	379
المطلب الثالث:المطاعن في الأحكام والتشريع	382
1. العقوبات والحدود	382
2. قضـــــــايا الأسرة	391
الخاتمـــــــــة	397

الفهارس العـــــــــامة	401
فهرس الآيات القرآنية	402
فهرس الأحاديث النبوية والآثار	410
فهرس الأبيات الشعرية	411
فهرس المصادر والمراجع	414
فهرس الموضوعات	446

ملخص:

زخر العالم الإسلامي بكثير من العلماء في المشرق والمغرب، تركوا بصماتهم التي حفظتها لهم الأيام وتناقلتها الأجيال بما خلَّفوه من علم نافع بثُّوه في الصدور أو دوَّنوه في السطور، وكان للعصر الحديث نصيبه الأوفر من هذه الطائفة، التي سخرت عقولها وأقلامها وألسنتها لخدمة دين الله والدفاع عنه ، وخيرُ ما توجهت له الأفكار والهممُ والنفوسُ، هو خدمة القرآن الكريم كتابِ الله الخالد ، وهذه الرسالة العلمية تبحث في تراث واحد من العلماء الراسخين المدافعين عن الوحي الشريف، ألا وهو "محمد الخضر حسين " الذي سخَّر عُمره المديد وقلمه البليغ في خدمة هذه الشريعة، خاصة علومَ القرآن بما فيها علم التفسير، تأليفًا فيهما وتعقبًا لأهل الأهواء والملحدين في آيات الله.

الكلمات المفتاحية: محمد الخضر حسين، المستشرقون، الإلحاد، اللغة العربية، جامع الزيتونة، المعجزات، الاستعمار، بسكرة، الرِّحْلات، الترجمة، التأويل.

Summary:

The Islamic world was rich of many scholars from the East and the west who left their fingerprints that was saved by days from one generation to another because they left a useful science which is in the hearts and written in books . The modern era has taken the too much from those scientists who devoted themselves in the service of Allah's religion and defend it . The best thing which thought and ideas are linked to is the service of the Holly Quran .

This scientific message search in the heritage of one of those famous and defenders of the Holly revelation is Mohammed El Khidr Hocine who devoted his long life and pen in the service of achriaa especially the science Quran with its interpretation writing and fighting those atheists in the verses of Allah.

Key words : Mohammed El Khidr Hocine – Orientalists – atheism –Arabic language – The mosque of Ezaitouna -miracles – colonization –Biskra- trips – translation - interpretation .

Résumé:

Le monde islamique regorgeait de nombreux savants qui ont rempli ses horizons de l'est à l'ouest et qui ont laissé leurs indélébiles empruntes sauvegardées par les jours et transmises de générations en générations en témoignage de ce qu'ils ont légué de savoirs utiles et de ce qu'ils ont semé dans les poitrines des hommes ou rédigé dans des lignes et même l'époque contemporaine a eu sa part de ce type de savants qui ont consacré leurs cerveaux, leurs plumes et leurs langues au service de la religion d'Allah et à sa défense. Quoi de plus noble que de servir le Saint Coran, le livre éternel d'Aallh ?

Ce mémoire scientifique traite de l'héritage d'un de ces savants fervent défenseur de la Sainte Révélation c'est « Mohammed EL Khidr Houcine » un homme qui a sacrifié sa longue vie et sa plume éloquente au service de cette charia notamment les sciences du Coran y compris l'exégèse du Coran tout en écrivant et en pistant et répondant aux gens qui suivent leurs passions et les hâtés.

Mots clés : Mohammed EL Khidr Houcine, les orientalistes, le hatéisme, la langue arabe, La mosquée Zitouna, les miracles, le colonialisme, l'occupation, Biskra, les expéditions, traduction, interprétation.